مكتبة الروضة الحيدرية الرسائل الجامعية





د. هَنَاءُ عِبَاشِ عَلِيقٌ كِيْ لِيَّالِي اللهِ عَلَيْ اللهِ عَلَيْ اللهِ عَلَيْ اللهِ عَلَيْنَ اللهُ اللهِ عَلَيْنَ اللهُ اللهُ عَلَيْنَ اللّهُ عَلَيْنِ اللّهُ عَلَيْنَ عَلَيْنِ اللّهُ عَلَيْنَ اللّهُ عَلَيْنَ اللّهُ عَلَيْنَ اللّهُ عَلَيْنِ اللّهُ عَلَيْنِ اللّهُ عَلَيْنَ اللّهُ عَلَيْنِ اللّهُ عَلَيْنَ اللّهُ عَلَيْنِ اللّهُ عَلَيْنَ اللّهُ عَلَيْنَ عَلَيْنِ عَلَيْنِ اللّهُ عَلَيْنِ عَلَيْنِ عَلَيْنِ عَلَيْنِ اللّهُ عَلَيْنِ اللّهُ عَلَيْنِ عَلَّالِي عَلَيْنِ عَلَيْنِ عَلِي عَلَيْنِ عَلَّالِي عَلَيْنِ عَلَيْنِ عَلَيْنِ عَلَيْنِ عَلَّا عِلْمُ عَلَيْنِ عَلِي عَلَيْنِ عَلَيْنِ عَلِي عَلَيْنِ عَلِي عَلَيْنِ عِلْمِ عَلَيْنِ عَلِي عَلَيْنِ عَلَيْنِ عِلْمِ عَلَيْنِ عَلَيْ



مكتبة الروضة الحيدرية الرسائل الجامعية

شعرُ أبي طالب

دراسة أدبية

د. هناء عباس عليوي كشكول

₹

شعر أبيطالب ﷺ دراسة أدبية

هناء عباس عليوي كشكول

منشورات دليل ما

الطبعة الاولىٰ: ١٤٢٩ هـــق ــ ١٣٨٧ هــش

طبع في: ١٠٠٠ نسخة

المطبعة: نكارش

السع مُجلَّداً: ٧٠٠٠ توماناً

ردمک: ۸_ ۳۸۵_۳۹۷ ع۹۷۲ م

العنوان: ايران، قم، شارع معلم، ساحة روحالله، رقم ٦٥

العنوان: ایران، قم، شارع معتم، شاک روح الله، ارکم ۱۷ هاتف و فکس: ۷۷۳۳٤۱۳ _۷۷۶٤۹۸۸ (۹۸۲۵۱)

صندوق البريد: ١١٥٣ ـ ٣٧١٣٥

WWW.Dalilema.com

info@Dalilema.com

مركز التوزيع:

١) قسم، شسارع صسفائيه، مسقابل زقساق رقسم ٣٨، منشورات دليل ما، الهاتف ٧٧٣٧٠١١ ـ ٧٧٣٧٠٠١

٢) طهران، شـارع إنـقلاب، شـارع فـخررازي، رقـم ٣٢، مـنشورات دليـل مـا، الهـاتف ٦٦٤٦٤١٤٦

٣) مشهد، شارع الشهداء، شمالي حديقة النادري، زقاق خروراكيان، بناية

ك نجينه ك تاب الت جارية، الط ابق الأول، م نشورات دليل ما، الهاتف ٥-٢٢٣٧١ ١٣-٥) النجف الأشرف، سوق الحويش، مقابل جامع الهندي، مكتبة الإمام الباقرالعلوم على الهاتف ٥٧٨٠١٥٥٣٢٨٩

سرشناسه :کشکول، هناء عباس علیوی

عنوان و پديدآور : شعر أبي طالب الله دراسة أدبية / هناء عباس عليوي كشكول.

مشخصات نشر :قم: دلیل ما، ۱۳۸۷.

مشخصات ظاهری : D ، ۵۵۲ ص. : جدول.

شابک : ISBN 978 - 964 - 397 - 385 - 8

وضعیت فهرست نویسی : فیپا.

یادداشت :عربی،

يادداشت :كتابنامه: ص.٥١١هـ[٥٣٩]؛ همچنين به صورت زيرنويس.

موضوع : شعر عربی _قرن ۱ ق. _ تاریخ و نقد.

شناسه افزوده : أبوطالب بن عبدالمطلب ﷺ، ۹۱ ؟ ــ ۳ قبل از هجرت. ديوان. شرح. ردهبندي کنگره ، ۱۳۸۷ ، ک ۹۰۸ د / PJA ۳۰۵۵

ردهبندی دیویی :۸۹۲/۷۱۲

شماره کتابشناسی ملی : ۱۲۲۵۸۲٦





أصل هذا الكتاب رسالة دكتوراه قد متها الدكتورة هناء عباس عليوي كشكول ألى كلية الآداب / جامعة الكوفة ونالت درجة جيد جداً عال

المقدمة

«سُبحانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عمّا يَصفونَ وَسَلامٌ على المُرسَلينَ والحَمدُ للهِ رَبِّ العالمَينَ»، الذي نصر رسوله الامين بعمه الناصر لدين الله أبي طالب والد أمير المؤمنين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله المبعوث فينا رحمة للعالمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه ومن والاه الى يوم الدين، وبعد:

زخر زمن البعثة برجال عظام كانوا المثل الاعلى بالايهان العميق بالله، والتضحية في سبيل اعلاء كلمة الحق، والعمل الصالح لخير البشرية، ففي حياتهم معين لا ينضب من الخبرة والعبرة والصبر والايهان، فلم يختق الزمن اصواتهم على مر العصور، ولم يمح الكلام اثارهم من الاذان على مر الدهور.

وتراثنا الادبي حافل باولتك المشاهير والشعراء، وفي مقدمتهم أبو طالب بن عبد المطلب (٨٥- ٣ ق.هـ)، (٥٤٠- ٢٦٠م) عم النبي عَلَيْوَاللهُ عاش في الجاهلية بروح الدين الحنيف نابذاً العادات والتقاليد الذميمة، مهتدياً بروح التوحيد، آمن بالله وبكتبه وبرسله وملائكته واليوم الاخر، وعندما بزغ فجر الاسلام كان أول من ناصر الدعوة المحمدية، وذاد عنها، وهمى صاحبها، ودافع عنه، واول من اثبت دعائم اركان الاسلام وصدع

صوته مغردا في مسامع الدهر نشيدا ايهانياً صادقا خالدا من خلال ايهانه المبكر بنبوة ابن اخيه نور الهدى، فاعز الله الاسلام بعمه أبي طالب اشرف رجال قريش وحاكم مكة ورئيسها، والبطل في مواقفه للاسلام في صفاء سريرته، وطهارة وجدانه، وسحر بيانه، ونبل اخلاقه، ولطف انسانيته، وعمق ايهانه.

ومن دواعي دراستنا لشعر أبي طالب أن الإدباء لم يولوا شعره كما يستحق من الدراسة الادبية، فلم نعثر على كتاب أدى مخصص يعطى صورة صادقة لفن هذا الشاعر، ولم تعط المظان صورة قريبة أو بعيدة عن فن الشعر الاسلامي في زمن البعثة التي وأكبت الجهر بالدعوة الاسلامية في قريش وانذار عشيرة الرسول عَلَيْكُ الاقربين، التي امدها عشر سنين لازم فيها أبو طالب ابن أخيه مؤيدا وناصرا ومساندا ومؤازرا ومدافعا عنه أذى مشركي قريش، في الوقت الذي تعد هذه الحقبة الزمنية من أقدس حقب الادب الاسلامي في نفوس المسلمين؛ لأنها تمثل مرحلة الوحي، ونشر الدعوة الاسلامية، ومن المعروف أن الظواهر الادبية لا تتبلور وتكتمل في مرحلة الانتقبال من حقبة إلى اخبري مباشرة، ومن المسلم به ان شعراء مكة لم يتباروا في الدخول في زمام معركة شعرية حقيقية وقتذاك فقد نظروا إلى الدعوة بامكانهم اخمادها ووأدها، ولـذلك لم تكـن في هـذه الحقبة حركة ادبية واضحة، ولكن اصول الظواهر الادبية الاسلامية الجديدة وجذورها وجدت فيها، ولا سيما في شعر أبي طالب الذي يمثل تأصيل الظواهر الادبية في الادب الاسلامي، فيمثل شعره مرحلة مهمة من أدب تلك الحقبة، فحدود البحث تمتـد لـز من قريب من هجرة الرسول عَلَيْوَاللهُ إلى المدينة.

على أننا لا نغفل أن كثيراً من شعراء المشركين الذين ظهرت أسماؤهم بعد فتح مكة بتسعة عشر عاما من بعثة الرسول الكريم هاجوا شعراء الرسول عَلَيْظُهُ بيد انهم دخلوا الاسلام، فتحرج الرواة من ذكر اشعارهم التي هاجوا بها الاسلام، فلهذا السبب

والاسباب التي ذكرناها آنفا كانت من دواعي إهمال تلك الحقبة المهمة في دراسة الادب العربي الاسلامي؛ لذلك كله وجدتُ فرصة سانحة في دراسة شعر أبي طالب، فحملت نفسي جاهدة على ركاب رحلة ممتعة نقطف من ثهارها دراسة جدية تأخذ بالحسبان تأصيل الظواهر الادبية على أن أبا طالب شاعر الاسلام الأول، يحفل شعره بالقديم والمتطور والجديد، فوجدتُ أن ادرسة دراسة أدبية؛ لتوافر المعايير الفنية المؤثرة في المتقبل؛ لاستجلاء قيمتها المتدرجة ضمن شكل تعبيري تقني معين، والدراسة الأدبية أوسع عالا في البحث وأرحب شمولا لدراسة الظواهر الادبية في شعره، متوخية الدقة والاحاطة والشمول في جميع شعره المتوافر لدي في ديوانه، والمتدافع منه، ومما ظفرت به من المظان؛ لاعطي صورة تقريبية من شعره على المستويين: الموضوع والفن، بها يليق بهذه الشخصية الفذة ناصر الرسول مَعْيَوْهُ.

وقد وقع الاختيار على ديوان أبي طالب بن عبد المطلب صنعة أبي هفّان المهزمي البصري (ت٢٥٧هـ)، بتحقيق الشيخ البصري التميمي (ت٢٥٧هـ)، بتحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، وهي طبعة محققة تحقيقا علميا تفوق الطبعات الاخرى، واشمل لشعر أبي طالب، وما لم نجده في هذه الطبعة عُدتُ به الى الطبعات الاخرى، واذا لم نظفر بها نريده في هذه النبخ المطبوعة للديوان راجعتُ الى بطون الكتب في سبيل اتقان عملى.

بلغ عدد الأبيات المدروسة الفا وتسعة وعشرون بيتا وشطراً، واعتمدت في منهج البحث على التحليل الوصفي والموضوعي اللذين يجنحان الى تحليل النص واستنطاقه وابراز الحقائق فيه وما يرقد وراءها مراعية أصولاً عقلية مقررة، وحاولت في دراسة النص تحقيق الصلة التأريخية في عدم فصله عن ظرفه الذي ولد فيه من خلال الإفادة من الاشارات التأريخية القديمة التي عالجت سيرة حياة الرسول الكريم عَلَيْهِ مع عمه أبي طالب وحرصتُ في منهجي على ابراز الشاهد أو أكثر بحسب ورود الظاهرة، لدعم

تثبيت حقيقة كنت قد أشرتُ اليها، ولمعرفة الزيادات الفنية والتطور الذي نهض به شعر أبي طالب في الدراسة، ثم دراسة التفاصيل بحسب اهميتها، وأوردت إحصاء لكل ظاهرة أدبية مدروسة، وحرصت على أن أذكر مقدمة لكل مبحث وأتبع نهايته بخلاصة موجزة.

واستعنت في دراستي بمظان الأدب والبلاغة والنقد واللغة والتأريخ والأخبار والسير، واطلعت على غير قليل من الدراسات الادبية الحديثة فوجدت أنها تحتوي على آراء متباينة ونافعة.

وفي ضوء هذه المعطيات ومراجعة المادة انتظم البحث في تمهيد، وثمانية فصول: واهم النتائج التي خلصتُ إليها في خاتمته، وملحقين تابعين لمتطلبات الاطروحة، وقد اقتضت طبيعة موضوع الاطروحة ان امهد له بالحديث عن جانب من جوانب حياة أبي طالب مع مسيرة ابن اخيه رسول الله عَيَّالِهُ لأن جلَّ شعره في الرسالة وصاحبها، وقد أوجزت في الحديث عن ايمانه، وأومأتُ الى المراجع والدراسات للاطلاع عليها، لكثرة ما كتب عن عقيدته، بيد أن البحث لم يغفل عن هذه القضية العقائدية التي ترتبط بشعره، ولا سيما في مرحلة مواجهته لطواغيت الشرك من قريش ولو بهذا الايجاز.

تكفل الفصل الاول في دراسة مصادر شعر أبي طالب وتوثيقه بسبب ما زرعه بعض الباحثين المستشرقين ومن تابعهم من الباحثين العرب من شك في شعره مما جعل الباحثين يقفون موقف الحيطة والحذر والتهيب والتردد فعزفوا عن دراسته، فكان من المفيد توثيق شعره.

وفي دراسة الموضوع كشف الفصل الثاني: الرثاء والفخر والمديح ابعاد علاقة الفنون الشعرية الثلاثة، وضمَّن الرثاء: الندب والتأبين والعزاء، واتجه الفخر الى سبيلين:

الفخر الذاق والفخر الجماعي، وسلك المديح مسلكين: المديح النبوي والمديح العام.

ونهض الفصل الثالث: شعر العقيدة بدراسة الابعاد العقائدية: التوحيد والتصديق، ومن دواعي الايمان بالرسالة المحمدية التصديق بمعجزاته ونصرته، وعرض موضوع النصرة مباحث جانبيه في الحث على الصبر والنصيحة والوصية تتعلق جميعها بمضامين محتويات هذا الفصل.

وعقد الفصل الرابع: العتاب والتحذير والتهديد والهجاء في بيان العلاقة بين هذه الموضوعات، فبرز في العتاب نوعان من العتاب: الشخصي والجهاعي اللذان قادا الشاعر الى التحذير والتهديد وقد يسلك سبيل الهجاء في بعض الاحايين.

وفي دراسة الفن عرض الفصل الخامس: البناء الفني في شعره، فتضمن القصائد ذوات المقدمات وتعدد الاغراض فيها، وبناء القصيدة المباشرة والمقطوعات، وشملت بناء الغرض الواحد وتعدده، وعلى هذا أسس الرجز أيضاً.

وتطرق الفصل السادس: لغة شعره الى دراسة الالفاظ المتضمنة اسماء الأعلام: الرجال والنساء والقبائل، والامكنة، ولا سيما الأماكن الدينية، واتجه مبحث الصياغة الى دراسة الأساليب اللغوية: النفي والتوكيد والاستفهام والامر والنداء، وألحق في الفصل دراسة أثر الاسلام في لغة شعر أبي طالب.

وحفل الفصل السابع بدراسة الايقاع في شعره، ومن مظاهره: الوزن والقافية، واهم الظواهر الايقاعية: التكرار والتدوير والضرائر.

وتكفل الفصل الثامن بالصورة الفنية في شعره ومصادر الصورة المستمدة من روافد ثقافية: تراثية ودينية، ومن البيئة الحضرية في مشاهدات الشاعر اليومية، وفي مصادر الصورة البيانية نطالع الصور التشبيهية والكنائية والاستعارية.

وفي النتائج نصيب وافر في انبلاج الرؤية عن شعر أبي طالب القديم والمتطور والجديد على المستوين: الموضوع والفن.

واتبعت النتائج بملحقين هما من متطلبات الرسالة وثبت بالمصادر والمراجع.

بقي ان اقول: إن علي أن أقر بفضل جميل أسداه إلي الدكتور حاكم حبيب الكريطي عندما اقترح العنوان موضوعا للاطروحة والاشراف عليها ومتابعتها، فاثني عليه بجميل الدعاء، أدامه الله وأبقاه.

وبعد: قصارى ما نتمناه وعرضناه ونقدناه من هذا السفر النفيس لشعر أبي طالب على وفق ما تخيلناه، نظرنا فيه بعين الانصاف متوخين الحقيقة بدقة وحرص شديدين، وما شاء القارئ أن يتخيل صوراً نابضة بالحيوية، نسأل الله السداد في التفكير والقول، وأن يلهمنا الصواب والرشاد، ويجنبنا الزلل والعثار، إنه نعم المجيب والحمد لله رب العالمين.

هناء عباس كشكول النجف الاشرف الاول من غرة رمضان المبارك لسنة ١٤٢٨هـ الثالث عشر من اللول لسنة ٢٠٠٧م



« التمهيد »

جانب من حياة أبي طالب

من المفيد الايهاء الى رئاسة أبي طالب في عمقها التاريخي، فهو ينتسب الى قصي بن كلاب من ذرية النبي ابراهيم المنظيظ الذي استطاع ان يوحّد قريش ويبعد خزاعة بعد معركة أريقت فيها دماء كثيرة، وحاز قصي شرف مكة كلها، فكانت بيده السقاية والرفادة والندوة واللواء والقيادة (1)، وهي من أهم المناصب الادارية في المجتمع المكي (2)، و «كانت قريش وعامة ولد معد بن عدتان على بعض دين إبراهيم يحجون البيت، ويقيمون المناسك ويقرون النضيف، ويعظمون الأشهر الحرم، وينكرون الفواحش، والتقاطع والتظالم، ويعاقبون على الجرائم، فلم يزالوا على ذلك ما كانوا ولاة البيت » (2).

⁽١) ظ: الكامل في التاريخ: ٢/ ١٣ ،تاريخ ابن خلدون: ٢/ ٣٣٥.

⁽٢) ظ: ادارة مكة قبل الاسلام (بحث): ١٥١ - ١٥٧.

⁽٣) تاريخ اليعقوبي: ١/٢١٧.

وقسم قصى المهام الادارية بين أولاده من بعده، فجعل السقاية والرئاسة لعبـد مناف، والدار لعبد الدار والرفادة لعبد العزة وحافتي الوادي لعبد قصي(١)، وخلَّف عبد مناف من بعده هاشم وهو أول من سنَّ الرحلتين لقريش رحلتي الستاء والصيف، وأول من أطعم الثريد للحجاج بمكمة، وتولى الرئاسة والسقاية والرفادة (٢)، ثم تولى عبد المطلب بن هاشم الرئاسة والسقاية والرفادة بعد عمه المطلب، وكان شريفا في قومه مطاعا سيدا(٣)، و «أحسن قريش وجها وأمدَّه جسها واحلمه حلما واجوده كفا وابعد الناس من كل موبقة تُفسد الرجال، ولم يره ملك قط إلا اكرمه وشفَّعه»(1)، وقد اعطاه الله من الشرف ما لم يعط أحدا من آبائه، فجدد حفر بئر زمزم الذي كان على عهد نبى الله ابراهيم عليُّ فاكرمه الله بسقاية زمزه وحكَّمته قريش في اموالها، واطعم في المحل حتى اطعم الطير والوحوش في الجبال، وكان يقول لابنه أبي طالب: «أي بني: قد أطعمت الناس فانطلق بهذه الجزائر، فانحرها على أبي قبيس حتى يأكلها الطير، والسباع، ففعل أبو طالب ذلك فأصابها الطير والسباع فقال أبو طالب:

{من الطويل}

ونُطعِمُ حتّى تأكلَ الطيرُ فَضْلَنا إذا جَعَلَتُ أيدي المِفيضِينَ ترْعَدُ اللهِ المُفيضِينَ ترْعَدُ اللهِ المُ

⁽١) تاريخ اليعقوبي:١/ ٢٠٦.

⁽٢) ظ: الكامل في التاريخ: ٢/ ١٠ .

⁽٣) السيرة النبوية لابن هشام: ١ / ١٤٢.

⁽٤) الطبقات الكرى: ١/ ٨٥.

⁽٥) السيرة النبوية لابن كثير: ١/١٦٧ – ١٧٤ ، (ذكر تجديد حفر زمزم).

⁽٦) تاريخ اليعقوبي: ١/٢١٤.

وعبد المطلب «اول من تحنث بحراء.... وكان اذا أهلَّ هـ لال شهر رمضان، دخل بحراء فلم يخرج حتى ينسلخ الشهر، ويطعم المساكين وكان يعظم الظلم بمكة، ويكثر الطواف بالبيت» (١٠).

فقد كان من الموحدين "سنّ «شنناً نزل القرآن باكثرها، وجاءت السنة من رسول الله بها وهي: الوفاء بالنّذور، ومائة من الابل في الدية، وألا تنكح ذات محرم، ولاتؤتي البيوت من ظهورها، وقطع يد السارق، والنهي عن قتل المؤودة، والمباهلة، وتحريم الخمر وتحريم الزناء، والحدَّ عليه، والقرعة، وألاّ يطوف احدٌ في البيت عرياناً، وإضافة الضيف، وألا ينفقوا اذا حجوا إلا من طيب اموالهم، وتعظيم الأشهر الحرم، ونفي ذوات الرايات... فكانت قريش تقول: عبد المطلب ابراهيم الثاني "وروي عن رسول الله عَلَيْنَ قال: «إن الله يبعث جدي عبد المطلب امة واحدة في هيأة الانبياء وزي الملوك".

وأولاد عبد المطلب عشرة ومنهم: أبو طالب والنبير وعبدالله والد رسول الله عَيْنِ وامهم «فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم» (ف)، وكان أبو طالب امتداداً للسلالة الرفيعة من اجداد النبي عَيْنِ والوارث لقيمهم ومواقعهم الاجتماعية والسياسية، ولعلو مقامهم، وعراقة اصلهم، وعظم كرمهم، يفتخر أبوطالب بهم قائلاً:

⁽١) انساب الاشراف: ١/ ٨٤.

⁽٢) ظ: بلوغ المآرب في نجاة ابائه عَلَيْهِ وعمه أبو طالب: ١٣٩ – ١٣٢.

⁽٣) تاريخ اليعقوبي: ٢/ ٨.

⁽٤) م.ن: ٢/ ١٠، ظ: الكاني: ١/ ٤٤٦ - ٤٤٧.

⁽٥) السيرة النبوية لابن كثير: ١٠٣/١.

{من المتقارب} بسه العسرزُ والخَطَرِ والخَطَرِ الأعظر الأعظر من المعقدم من والقائد ون ومسن بجد كُمُ نُحيرُ وكُنسا بها نُطع من المعسرم وحسبَ القُتسارُ بهسا المعسدَمُ وجسدٌ مُنسفٌ السذُرى مُعلَم أنا

فإنّ ابمكّ ق النسا ومَ نُ يَ اللّ فيها له عرزةٌ ونح ن ببطحائه الرائس ونح ن ببطحائه الرائس نَ شأنا فَكُنّ ا قل يلاً بها اذاعَ فَ أَزْمُ السنينِ الأنام نَ إِن شَانَ شَيْبَةُ ساقي الحَج يج

وأبو طالب عبد مناف تزوج من بنت عمه فاطمة بنت أسد بن هاشم وهي أول هاشمية ولدت لهاشمي (٢)، وقد أنجبت من الذكور طالبا (٢)، وبه يكنى أبوه، وعقيلاً وجعفراً وعلياً، وكان بين واحد واخر عشر سنين (١)، ومن الاناث ام هانيء، وجمانة، وريطة، وكان أبو طالب وسيماً جسيماً عليه بهاء الملوك، ووقار الحكماء، وكانت قريش تسميه الشيخ، وكانوا يهابونه ويخافون سطوته، فهو شيخ قريش،

⁽١) الديوان: ٩٤ ، القتار: دخان الطعام المطبوخ.

⁽٢) فاطمة بنت أسد أول امرأة بايعت الرسول عَلَيْكُ من النساء، وأسلمت بعد عشرة من المسلمين، وهاجرت الى المدينة، وماتت في دار الهجرة، وألبسها رسول الله قميصه واضطجع معها في قبرها، فقالوا: مارأيناك صنعت ما صنعت بهذه المرأة فقال: «إنه لم يكن بعد أبي طالب أبرَّ منها، إني انها ألبستها قميصي لتُكسى من حلل الجنة، واضطجعت معها في قبرها ليُهوَّن عليها»، ظ: مقاتل الطالبين: ٥ قميصي لتُكسى من حلل الجنة، واضطجعت معها في قبرها ليُهوَّن عليها»، ظ: مقاتل الطالبين: ٥ ١ ٩٨٠

⁽٣) كان طالبُ عالما بانساب العرب وايام قريش أخرجه المشركون الى بدر مكرها، فلما انهزم المشركون، لم يعشر عليه لا في القتلى ولا في الأسرى، ولم يرجع الى مكة، ولم يعرف ما حاله، وليس له عقب،ظ: الطبقات الكبرى: ١/ ١٢١، تذكرة الخواص: ١٣ – ١٤ ، عمدة الطالب في انساب آل أبي طالب: ٣١ (٤) ظ: المعادف: ٢٠٣.

وسيد البطحاء، ورئيس مكة (۱)،كم كان أبوه يلقب بذلك وهو سيد قريش ورئيسها وحاكمها والمطاع فيها حتى هلك (۲).

لقد خلّف أبو طالب اباه في الزعامة للمزايا التي يتمتع بها من كريم الصفات، فألقت قريش امورها اليه، لانها رأت فيه شيخاً ذا رأي وعقل وخبرة وحكمة واخلاق وقدر، فهو الذي تلجأ اليه في مهاتها، وتعتمد عليه في ملهاتها، وهو المطاع الرئيس المهيب مع فقره فلم يسُد في الجاهلية احد إلا بهال غير أبي طالب "، وعتبة بن ربيعة "، فقد كان أبو طالب «يبيع العطر، وربها باع البر» في وقت كان ينظر أهل مكة قبل الاسلام الى أن شؤون السيادة بيد الاثرياء، ولكن خُلق أبي طالب، ورجاحة عقله، وكرم نفسه، وعفة ضميره، هيَّأته لأن يسود ويعلو رأيه اراء الاغنياء، ويخلف اباه في زعامة قريش فعهد اليه عبد المطلب بسقاية حجاج بيت الله الحرام، شم سلمها أبو طالب الى اخيه العباس بن عبد المطلب " و «أبو طالب أول من سنً القسامة في الجاهلية في دم عمرو بن علقمة، ثم اثبتتها السُّنة في الاسلام» (*).

وجمع أبو طالب الى جانب السيادة والحكم والشرف وعراقة النسب: الحلم

⁽١) ظ: المحبر: ١٣٢ - ١٣٣، ١٦٤ - ١٦٥، شرح نهج البلاغة: ١/ ٢٩.

⁽٢) ظ: السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ١٤٢، تاريخ اليعقوبي: ١/ ٢١٠- ٢١٦- ٢٢٠٠

⁽٣) ظ: تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٠ ، شرح نهج البلاغة: ١/ ٢٩.

⁽٤) ظ: الرّوض الأُنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٣٢١.

⁽٥) المعارف: ٥٧٥.

⁽٦) ظ: أنساب الاشراف: ١/٥٥، الكامل في التاريخ: ٢/ ١٤.

 ⁽٧) شرح نهج البلاغة: ١٥/ ٢١٩ ، ظ: المحبر: ٣٣٧ (مفهوم القسامة) ،صحيح البخاري: ٢/ ٩٣٢ ،
 رقم الحديث: ٣٨٤٥ (القسامة في الجاهلية).

والادب، ف«لقد قيل لأكثم (1) ممن تعلمت الحكم، والرياسة، والحلم، والسياسة؟ فقال: من حليف الحلم والادب، سيد العجم والعرب أبي طالب بن عبد المطلب» (1).

ايمان أبي طالب ومسيرته مع رسول الله عَيْلُهُ:

تعرضت شخصية أبي طالب الى التكفير، وكان القصد من هذا التعريض الطعن بشخصية ابنه أمير المؤمنين الامام على عليه التلامن من القادة والامراء والولاة الذين ساروا مع ركب السياسة الاموية، واتبع بعض المحدثين والمفسرين والمؤرخين ما خاضته السياسية الاموية بقصد او بغير قصد ".

فقد بلغ اختلاف المسلمين بعد وفاة الرسول عَيَّالًا ، ولاسيها في عهد معاوية اوجه، فلم تشأ السياسية الاموية في مراحل التدوين ان تدع الثقافة تجري بعيدا عن سلطانها، فرسمت لها مسارا لا تتعداه، ومنها ان تمنع الحديث بسيرة الامام وأهل البيت وفضائلهم، والتبرؤ منهم في خطب الجمع وقنوت الصلوات، ورويت بذلك أخبار مفتعلة لاحقيقة لها، فذكر «أن معاوية وضع قوما من الصحابة وقوما من التابعين على رواية اخبار قبيحة في علي عليه المنافي تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل الما على ذلك جُعلا يُرغَبُ في مثله، فاختلقوا ما أرضاه، منهم: ابو هريرة وعمرو ابن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير» "وجدً الناس في ابن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير» "وجدً الناس في

 ⁽١) أكثم بن صيفي بن رياح بن الحارث بن مخاشن بن معاوية التميمي، احد حكماء العرب في الجاهلية ومن
 المعمرين، ادرك الاسلام وقصد المدينة عام٩هـ فهات في الطريق، ظ: جمهرة انساب العرب: ١/ ٢١٠.

⁽٢) الحجة على الذاهب الى تكفير أبي طالب: ٣٣٤.

⁽٣) ظ: ليالي بيشاور: ٩١٤ – ٩١٥ ، أبو طالب شيخ الابطح-حسين الشاكري: ٢٢ – ٢٨ .

⁽٤) شرح نهج البلاغة: ٤/ ٦٣.

رواية ما يجري هذا المجرى وأُلقي الى معلمي الكتاتيب فعلموا صبيانهم، ونساءهم، وخدمهم، واستمر في ذلك الفقهاء والقضاة والقرّاء والمراؤون والمستضعفون طلبا لرضا الحكام، ولنيل عطاياهم (۱)، حتى قال قوم من بني أُمية لمعاوية: «إنك قد بلغت ما أمّلت، فلو كففت عن لعن هذا الرجل! {يريدون الامام علي عليّا في فقال: لا والله حتى يربو عليه الصغير، ويهرم عليه الكبير، ولا يذكر له ذاكر فضلاً» (۱) واستمرت السياسية الأموية في هذا الحال امدا طويلا (۱).

ثم جاء اهل الحديث والاخبار فوجدوا اخبارا واحاديث فدوَّنوها، ومنها قصية تكفير أبي طالب، وعندما جاء العباسيون وجهوا هذا الاسلوب نحو اغراضهم السياسية مثلها فعل الامويون.

فهكذا كانت مصادر الثقافة ومادة عقائدها(1)، وما جاء بخلاف ما تهوى السلطة السياسية فسوف يثير حفيظتها، فلا غروا ان نقرأ مؤرخا مثل ابن هشام يتجاوز عن حذف بعض ابيات من قصيدة لأبي طالب فيها اقذاع لمشرك، فعلى سبيل التمثيل لا الحصر انه اورد قصيدة رواها ابن اسحاق لأبي طالب في التعريض بالمطعم بن عدي ومن خذله من بني عبد مناف، ثم عقب عليها بقوله: "تركنا منها بيتين اقذع فيهما)" (0)، وربها يكون المتروك قول أبي طالب:

⁽١) ظ: شرح نهج البلاغة: ١١/ ٤٥، ظ: تاريخ الاسلام الثقافي والسياسي: ١١١- ١١٢.

⁽٢) شرح نهج البلاغة: ٤/٥٥.

⁽٣) ظ:م.ن: ١١/ ٤٤.

⁽٤) ظ: تاريخ الاسلام الثقافي والسياسي: ١١٢.

⁽٥) السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٢٦٨.

{من الطويل}

رجالٌ تمالَوا حاسدينَ وبُغضةً لأهلِ العُلا فَبَيْنَهم أبداً وتُسرُ وَلِدٌ السوهُ كانَ عبداً لجدًنا إلى عِلجَة زرقاءَ جالَ بها السّعرُ(')

على الرغم مما جاء به التاريخ بشأن الوليد من الكفر، عمد ابن هشام الى حذف هذين البيتين وربها كان في ذهنه ان أهل العلا أبا طالب ورهطه يبغضهم الخصوم لعلو شأنهم، ولاسيها اذا كان المبغض جده الوليد عبدا لجدهم، فابن هشام يرى أن الوليد يتساوى معهم وإلا فان ابن هشام لم يحذف الابيات التي فيها هجاء لعبد شمس ونوفل وتيم ومخزوم وزهرة "، وهم بطون قريش، وانها خص الابيات التي فيها قذع للوليد فحسب؛ ولابن هشام عذره لانه لا يستطيع ان يثبت حقيقة تصطدم وعقائد الناس وما ترسخت عليه اهواؤهم فوجد نفسه منساقا وراء اثار الثقافة السياسية العباسية "، وهذا الحذف يمثل نقصا في تحديد الاصول الحقيقية لشعر السيرة وهو ما يعارض ما قصده ابن هشام من توثيق وتحقيق للشعر الذي ورد في سيرة ابن اسحاق مثل ما هو معروف".

إنَّ انقاص ذكر الحقائق، ووضع الحديث، وما جيء به من تكفير شيخ الابطح أبي طالب الموحد على دين آباء عبد المطلب كان يراد به غاية سياسية، وذلك للنيل

[.]

⁽١) الديوان: ١٠٧، تمالوا: تمالؤوا (مخففة): أي اجتمعوا وتشاوروا، العلجة: مذكرها العلج، وهو الكافر من أهل الروم.

⁽٢) ظ:م.ن:٧٠١.

⁽٣) ظ: تدوين السيرة النبوية ودراستها (بحث): ٣٦٠.

 ⁽٤) ظ: الفصل الاول (توثيق شعر أبي طالب) في الاطروحة: ٤٥- ٤٨، والفـصل الرابع :١٥٥، مزيـد
 من التفاصيل.

من ابنه الامام على عليه إلى فقد قال أبو طالب مخاطبا بني قصي () في حصار الشعب مستنك ا مذا الشأن :

{من المتقارب}

ولا نريد ان نرد في هذا القضية، وذلك لتصدي اعلام المذاهب الاسلامية المختلفة لها، فأُلفت عشرات الكتب والبحوث في هذا الموضوع "؛ واكدوا أن أباطالب عم النبي عَلَيْوَاللهُ مطهّر من ارجاس الجاهلية، ومنزّه عن عبادة الاوثان، ومن الرعيل الاول من المؤمنين بالرسالة المحمدية وكان موحداً على دين ابراهيم الخليل المنافي قبل الاسلام ثم مسلماً وحامياً لابن أخيه ومدافعاً عن الاسلام بالوسائل كلها.

وما يهمنا في هذه الصفحات أن شعر أبي طالب كفيل بحل هذه الاشكالية،

⁽١) ظ: الدروان: ١١٥.

⁽٢) الدوان: ١١٦.

⁽٣) جاء في كتاب النكت الاعتقادية ووسائل اخرى (إيهان أبي طالب) : ٥- ١٣، سردا باسهاء الكتب المؤلفة في ايهان أبي طالب وفضائله والرد على ما لفق من حديث التكفير بلغ عددها سبعة وثلاثين كتابا، وفي كتاب مواهب الواهب في فضائل والد أمير المؤمنين أبي طالب طليلا :١٢ - ١٩، ذكر المحقق ما ألف من الكتب بهذا الامر في اللغة العربية والفارسية والتركية والاردية، فضم الثبت الذي عمله واحدا وسبعين مؤلفا من كتاب وديوان وبحث.

واستدركتُ على ما لم يذكر في الكتابين المذكورين آنفا مما ظفرت من المظان القديمة والحديشة بين طيانها، او في كتاب مستقل، او ما جاء في دراسات منشورة في مجلات علمية بثلاثين مرجعا، ظ: الملحق رقم (واحد) في الاطروحة.

فهو شعر صريح يقيناً برسالة النبي عَلَيْوَالله وبنبوته وامانته وصدقه، وما بعث من الحق من ربه، وأنه خاتم النبيين، وسقنا ذلك بالدليل النقلي والعقلي في آن معا من خلال الحديث عن كفالته لابن أخيه ورعايته له وهو صغير وتربيته وهو يافع، والوقوف الى جانبه ومؤازرته ومناصرته وهو كبير حتى وفاته، وهو يصرح بوصيته بنصرة النبي لاخوته وابنائه وعشيرته.

فعندما كان عمر النبي عَلَيْقَ ثهاني سنين، تولَّى أبو طالب رعاية ابن أخيه الذي حرم من حدب الاب وحنان الام بعد كفالة جده عبدالمطلب له، وقد التزم أبوطالب بكفالة رسول الله عَلَيْقِلُهُ بناء على تكليف عبد المطلب له، فعندما حضرته الوفاة، اوصاه بحفظ رسول الله وحياطته (۱) وخص أبا طالب من دون سائر ابنائه بشرف هذه الكفالة لما عرف من ابنه من محبته وحنانه وعطفه على ابن أخيه، فهذا الحب العظيم دفعه الى رعاية ابن أخيه سواء اكلَّفه ابوه بهذا الامر ام لا، واشتركت معه زوجه فاطمة بنت اسد فتشاطرت الحنان والعطف والرعاية لرسول الله عَلَيْهُ (۱) مع زوجها أبي طالب.

وتشرَّب النبي محمد عَلَيْ اللهُ من الاخلاق الكريمة التي نبعت من عبد المطلب وابنه أبي طالب، وكأن الله لما اختار رسوله من بني عبد المطلب اختار لتنشئته هذا العم الفاضل الذي «كان يجبه حبا شديدا لا يجبه ولده، وكان لا ينام إلا الى جنبه، ويخرج فيخرج معه وصبَّ به أبو طالب صبابة لم يَصَبّ مثلها بشيء قط» " فقال في

⁽١) ظ: الطبقات الكبرى: ١/ ١١٨.

⁽٢) ظ: تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٠.

⁽٣) الطبقات الكرى: ١/ ١١٩.

حبه للنبي محمد عَلَيْدِوله:

{من الكامل}

إنَّ الامــــينَ محمــــداً في قومـــــهِ عنــــدي يفـــوقُ منــــاذِلَ الأولادِ (١)

وكُلِّف وجدا بحب ابن أخيه الذي جُبلَّ عليه فقال:

إمن الطويل} لَعمري لقد كُلِّفتُ وَجُداً بأحدٍ واخوتِدِ دَأْبَ المُحِدِبِ المواصِلِ (")

وعُني أبو طالب بابن أخيه فكان المربي والراعي والحارس والحافظ لوصية ابيه عبد المطلب، وكان من رقة أبي طالب عند النظر الى ابن أخيه تهمل عيناه شفقة ورحمة فقال:

(من الكامل)

فسأدفَضَّ مسن عينسيَّ دمسعٌ ذارِفٌ مشسلَ الجُسمانِ مُفَسرَّقُ الأفسرادِ راحيستُ فيسهِ قَرابَسةً موصولةً وَحفظستُ فيسهِ وَصيبَةَ الأجدادِ (٣)

ان هذا الموقف يرتبط بيتم النبي الله الله والله بالعطف والرحمة من غيره، ويبدو ان علّة بكاء عمه تعود الى ان يتمه يذكره بأخيه عبد الله والد النبي.

فقال:

⁽١) الديوان: ١٣٠.

⁽۲) م.ن: ۸۳.

⁽٣) م.ن: ١٦٥ - ١٦٥ .

ذَكرتُ اباهُ ثسم رَقرَقتُ عَسبرَةً تَجودُ على الخَدَّيْن ذاتَ سِسجام (١)

وقد هيّأت القوة الالهية كفالة أبي طالب لابن أخيه وان يعلم من امر نبوته قبل البعثة وبعدها، فبشرت به الكتب القديمة والصحف السالفة المدونة عن الانبياء والعلماء من الامم الماضية من صفاته والبشارة به، وذكره ملوك البلدان: اليمن وفارس والروم وتوقعهم لبعثته وهجرته "، وحصلت ايات باهرة، ومعاجز قاهرة للعادة قبل ولادته وبعدها "، وبشر سيف بن ذي يزن عبد المطلب بأن له من صلبه نور النبوة "، وبشره اهل الكتاب بذلك ايضا، فذكر «أن اهل الكتاب يزعمون ان ابني هذا نبي الامة» (ه) يقصد النبي محمد عَلَيْكُونُ واوصى ابنه أبا طالب قبل وفاته قائلا «يا أبا طالب ان لهذا الغلام لشأنا فاحفظه واستمسك به فانه فرد وحيد وكن له كالاب لا يوصل اليه بشيء يكرهه ... يا أبا طالب ان ادركت ايامه فاعلم اني كنت من ابصر الناس ومن اعلم الناس به وان استطعت وإن تتبعه فافعل وانصره بلسانك ويدك ومالك فانه قريب سيسود ويملك ما لم يملك أحد من آبائي» (").

⁽۱) م.ن: ۱۲۱.

⁽٢) ظ: دلائل النبوة لابي نعيم: ٣٢- ٥٦، البشارات والمقارنات: ١/ ١٣٩- ١٦٢، ١٦٦ - ١٦٥، اهــل البيت الميالي في الكتاب المقدس: ٧١ - ١٠٠ .

⁽٣) ظ: الانوار المحمدية من المواهب اللدنيّة: ١٣- ٢٣.

⁽٤) ظ: الرّوض الأُنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٢٥٠.

⁽٥) الطبقات الكبرى: ١١٨/١.

⁽٦) إعلام الورى بأعلام الهدى: ١٤.

ولمعرفة أي طالب ببركة ابن أخيه يخرج به في يوم قحط وجدب، ويطلب منه ان يلصق ظهره بالكعبة، ويفعل الصبي ما يأمره عمه ويلوذ باصبعه نحو السماء وما فيها آنذاك غيمة، فيهطل المطر، ويخصب الوادي، وتحيا الارض وتنتعش فقال أبو طالب مستذكرا هذه الصورة بعد بعثة ابن أخيه:

{من الطويل} ربيع البتامي عِصمة للاراميل

نهم عنده أفي نِعمَة وفُواضِل (٢)

وأبعض يُستَسقى الغَمامُ بوجهم

و «لولا خاصة النبّوة وسرّها لما كان مشلُ أبي طالب _وهـو شيخ قريش ورئيسها وذو شرفها _ يمدح ابن أخيه محمدا، وهو شابٌ قد ربّي في حِجره وهو يتيمه ومكفوله، وجار مجرى او لاده بمثل قوله:

{من الطويل} على رَبوةِ من رأسِ عنقاءَ عيطَلِ عرانينُ كعب آخرٌ بعسك أوّلِ

وتَلقَسوا ربيسعَ الأبطحسينِ محمداً وتسأوي البه هاشِسمٌ، إنَّ هاشِمساً

...فهذا شعر أبي طالب، ذلك الشيخ المبجل العظيم في محمد عَلَيْ وهو شابٌ مستجير به، معتصم بظله من قريش، قد ربّاه في حجره غُلاما وعلى عاتقه طفلا، وبين يديه شابا، يأكل من زاده، ويأوي الى داره، علمت موضع خاصية النبوّة وسرّها» (٣).

⁽١) ظ: الخصائص الكبرى: ١/ ٨٦.

⁽٢) الديوان: ٧٥.

⁽٣) شرح نهج البلاغة: ١٤/٦٣ ،ظ: الديوان: ٢١٤- ٢١٥، والعيطل: الطويلة العنق ولكن في حسن.

ويعلم أبو طالب من اخبار الرهبان والكهان "، انه سيكون لابن أخيه شأن كبير، وانه سيملأ الدنيا نورا، وانه النبي المبعوث من رب العالمين وخاتم المرسلين، وقد اخبره الراهب بحيرا في سفرته الى الشام وبصحبته ابن أخيه عندما كان عمره اثنتي عشرة سنة، فعرّفه بامارات النبوة فيه، وأمره بالرجوع بابن أخيه لانه لا يأمن عليه دسائس الشرك ومكائد اليهود، فانهم إن عرفوا بعلامات نبوته لحقوا به الاذى وقتلوه، فرجع أبو طالب الى مكة حفاظا على ابن أخيه "، وكان رجال من اهل الكتاب وهم زرير وتمام ودريس قد رأوا رسول الله عَلَيْنِ في ذلك السفر الذي كان مع عمه أبي طالب فارادوا ان يغتالوه فردهم بحيرا وذكرهم الله وما يجدونه في الكتاب من ذكره وصفته، وانهم ان اجمعوا لما أرادوا به لم يخلصوا اليه، فعرفوا ما قال لم وصدقوه و تركوا النبي، وانصرفوا عنه "، فقال أبو طالب في هذه الحادثة شعرا:

{من الطويل}

شآمي الهدوى والأصلُ غيرُ شَآمِ
لنا فوق دورِ يَنظرونَ جِسسامِ
لنا بِشرابٍ طيبٍ وطعسسامِ
فقُلنا: جَمِعٌ نحنُ غيرَ غُسلامِ
يوقيه حَرَّ الشَّمسِ ظِلُّ غمسامِ
الى نَحرِهِ والصَّدرُ أيَّ ضُمسام

فَرُحنا مع العير التي راحَ اهلُها فلَسَا هَبطنا ارضَ بُصرى تَسشَرَّ فوا وجاءَ بَحِيرا عند ذلكَ حاشِداً فقالَ: اجمعوا أصحابِكُم لِطَعامِنا فلسنا رآه مُقيدٍ لا نَحسو دارِهِ خنى رأسَهُ شِبهِ السِجودِ وضَمَّهُ

⁽١) ظ: السرة النبوية والاثار المحمدية: ١/ ١٢٥.

⁽٢) ظ: البدء والتاريخ: ٤/ ١٣٤.

⁽٣) ظ: التاريخ الكبير: ١/ ٢٧٠ - ٢٧١.

وأقبل رَهطٌ يَطلِبونَ الدي رأى بحيرا من الأ فَنْ السيهم خِيفة لِعُسرامِهم وكانوا ذَويْ دَهُ دَريسٌ وغَسامٌ وقد كان فسيهم زُريرٌ، وكُلُّ الم فَجاؤوا وقد هَمُوا بِقَتلِ عمد فَرَدَهم عنهُ بِعَالِم التَسوراة حسى تَفَرَّقسوا وقال لهم: فِناويلِسهِ التَسوراة حسى تَفَرَّقسوا وقال لهم: فَدناك مسن اعلامِسهِ وبيانِسهِ وليسَ نَهارٌ وا

بحيرا من الأعلام وسط خسيام وكانوا ذوي دَهْمي مسعاً وعُسرام زُريرٌ، وكُلُّ القوم غيرُ كَسهام فَردَهم عنهُ بِحُسنِ خِصسام وقالَ لهم، ما أنستم بِطغام وليسَ نَهارٌ واضحٌ كظَسلام

فأورد في هذه الابيات بياناً لهذه الحادثة التي اوردتها كتب السير والتاريخ تؤكد معرفة أبي طالب بشأن ابن أخيه، وما قاله الراهب لم يزد أبا طالب ايهانا فحسب، وانها زاده خوفا على ابن أخيه، فآثر الرجوع به الى مكة لهذا السبب، ويبدو من هذه التفاصيل التي اخذها اهل السير والتاريخ من هذا النص الشعري انهم قد زادوا فيها ليقربوها من الجذر التاريخي وليس الشعري.

ويفصح النص ان أبا طالب يتمتع بعقلية عميقة باسرار نبوة ابن أخيه، ويكشف البيت الاخير عن اليقين الحقيقي لشخصيته المليئة بالايهان.

إنَّ ما زاد أبو طالب في الوصاية والحرص على ابن أخيه هو ما رآه ومن معــه في

⁽۱) الديوان: ١٦٦- ١٦٧ ، بحيرا: واسمه جرجيس، وقيل: سرجيس من عبد القيس انتهى اليه علم النصرانية، وقيل حبر من احبار تياء، ابتنى له صومعة على طريق القوافل، يدعو اهلها الى التوحيد، وكان من المترقبين لبعشة النبي عَمَالُهُ ، ظ: الوقض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٥٠٠ - ٢٠٦ ، شرح المواهب اللدنية: ١/ ١٩٤ ، السيرة النبوية انسان العيون في سيرة الأمين والمأمون: ١/ ١٣١ .

ظل الغمام له، وميل السجرة بظلها عليه (")، فبلغت عناية أبي طالب بابن أخيه ورعايته له انه كان يصحبه معه في فراشه خوفا عليه، ويمضي ليله ساهرا لئلا يقتله احد ")، وهكذا «شب رسول الله عَلَيْوا مع أبي طالب يكلؤه الله ويحفظه ويحوطه من امور الجاهلية ومعايبها» (").

وفي اثناء رعاية أبي طالب للنبي محمد عَلَيْظُ كان يعرف مخايل نبوته، وامارات بركته، فعلى الرغم من ان أبا طالب كان مقلا في المال غمرته بركة ابن أخيه، فما يذكر انه اذا اكل عياله فرادى، أو جميعا لم يشبعوا واذا ضمت المائدة النبي عَلَيْظُ ، فانهم يقومون منها وهم شبعى، وفي الطعام فضلة، فكان أبو طالب اذا حضر وقت الطعام يبدأ بابن أخيه ليشرب اللبن من القعب، ثم يسقى اولاده من القعب الواحد جميعهم، فيقول له: انه لمبارك (").

إنَّ أبا طالب له علم بنبوة الانبياء ويدرك ما تمر به نبوتهم من مراحل وظهور امارات، وما يظهر من بركة ابن أخيه، هو من امارات النبوة، وقد أقرَّ بهذا ايهاناً قلبياً، وفعلاً عملياً، وقولاً يقينياً.

ومن الإرهاصات التي سبقت الدعوة الاسلامية للنبي عَلَيْهِ نبع الماء من

⁽١) ظ: امتاع الاسماع بها للنبي عَلَيْهِ من الاحوال والاموال والحفدة والمتاع: ١/ ١٥.

⁽٢) ظ: السيرة النبوية والاثار المحمدية: ١/ ٩٢.

⁽٣) الطبقات الكبرى: ١/ ١٢١.

⁽٤) ظ: الطبقات الكبرى: ١٦٨/١، امتاع الاسماع بها للنبي عَيَّلَهُم من الاحوال والاموال والحفدة والحفدة والمتاع: ٤/ ٩٩، السيرة النبوية النسان العيون في سيرة الامين والمأمون: ١٢٨/١،السيرة النبوية والاثار المحمدية: ١٢٨.

الارض لعمه أبي طالب فقد ذكر ان النبي عَلَيْوَاللهُ كان مع عمه أبي طالب بذي المجاز وقد عطش أبو طالب وليس ثمة ما يطفيء لهيب عطشه، فذكر ما ألم به من عطش الى ابن أخيه، فأهوى النبي عَلَيْوَاللهُ بعقبه الى الارض فتدفق الماء منها، وناول عمه الماء فشرب(۱).

ولولا ايهان أبي طالب بنبوة ابن أخيه لما طلب منه ما يعجز الحصول عليه، ولهذا كله كان أبو طالب يشاهد ارهاصات النبوة التي تصدر من ابن أخيه منذ صغره، وانه كان مؤمنا به نبيا مرسلا، فهو مؤمن به قبل بعثته، ولهذا يطلب منه أن يدعو الله له بالشفاء عندما كان مريضا فدعا النبي عَلَيْوَالله له فشفي وقام نشطا معافى "، والمتأمل لهذا الامارات واضرابها قبل مبعث النبي يتبين له عمق عقيدة أبي طالب بابن أخيه قبل ان يبعث رسولاً.

ومما يدل على ايهان أبي طالب برسالة ابن أخيه عارف ابمقامه، الخطبة التي ألقاها عند تزويج السيدة خديجة (رضي الله عنها) عندما طلب النبي النبي من عمه أبي طالب أن يعقد على لسانه رباطه المقدس معها، فقال أبو طالب خاطبا: «الحمد لله الذي جعلنا من زرع إبراهيم وذريّة إسهاعيل وجعل لنا بيتاً محجوجاً وحرماً آمناً وجعلنا الحكّام على الناس وبارك لنا في بلدنا الذي نحن به، ثم إن ابن أخي محمد بن عبد الله لا يُوزن برجل من قريش إلا رجح ولا يقاس بأحد إلا عظم عنه، وإن كان في المال قل فإن المال رزق حائل وظلّ زائل، وله في خديجة رغبة ولها فيه رغبة

⁽۱) ظ: صفة الصفوة: ١/ ٣٧- ٣٨، تذكرة الخواص: ٩، الخصائص الكبرى: ١ / ١٤٢، ذو المجاز: سوق كان لهم على فرسخ من عرفة بناحية كبكب، ظ: معجم البلدان: ٥٦/٥.

⁽٢) ظ: الخصائص الكبرى: ١ / ١٢٤.

وصداق ما سألتموه عاجله من مالي، وله والله خطب عظيم ونبأ شائع»(١).

وتكشف الخطبة عن التوجه الديني، فأبو طالب وابن أخيه من ذرية خليل الله ابراهيم عليه وعلى منهج التوحيد في اتباع دين الله الحنيف، واوما أبو طالب الى بيان قدسية بيت الله الحرام وتعظيمه فهو رمز للعبادة وكان من فضل الله على قريش انه جعل الرئاسة بايدهم، والتمس أبو طالب السمو في اخلاق ابن أخيه محمد عليه فهو لا يساويه أحد من شباب قريش في البر والفضل والحزم والرأي والنبل والمجد فافصح أبو طالب من أعهاق بصيرته عن الاشادة بالمعايير الاخلاقية لابن أخيه، وكشف عن قدرته الواعية وايانه بهذه القيم التي ستعتمدها الرسالة المحمدية بوصفها منهجا اخلاقيا للرجل الذي اصطفاه الله قائدا للامة في المستقبل، وهو يقسم بوصفها منهجا اخلاقيا للرجل الذي اصطفاه الله قائدا للامة في المستقبل، وهو يقسم ان له «خطباً عظياً ونباً شائعاً»، وهذا ما اكدته بشارات اهل الكتاب: الاحبار من اليهود والرهبان من النصارى، وما تحدث به الكهان من العرب بأمر رسول الله الميه قبل مبعثه لما تقارب زمانه (٢٠).

فقال أبو طالب: فاكتم على ابن اخي ولا تغري به قومه، فوالله ان قلت

⁽١) تاريخ اليعقوبي: ١/ ١٤، ظ: اعجاز القرآن: ٢٣٤، صفة الصفوة: ١/ ٣٧.

⁽٢) ظ: السيرة النبوية لابن كثير: ١/ ٢٨٦- ٣١٣.

ما قلت، لَعَلِّي ما قلت، ولقد انبأني عبد المطلب انه النبي المبعوث، وأمرني أن استر ذلك كيلا تُغْرَى به الاعادى» (١٠).

ومن هذه المداليل اتخذ أبو طالب قرارا عقلانيا يتناسب مع وعيه الديني في التفكير الموضوعي في حزم امره، وقوة ارادته ومجاهدة نفسه لمواصلة المسيرة في الوقوف بجانب ابن أخيه ومساندته ومؤازرته وحمايته ومواجهة اعداء الرسالة في مجتمع تسوده النزعات والزعامات واختلاف الاديان.

فلما بعث ابن أخيه نبيا ورسولا وداعيا الى الخير ومبشرا ونذيرا لهداية الناس الى دين الحق، ونبذ العبادات من دون الله، كانت الدعوة في بدايتها سرية لمدة ثلاث سنين من مبعثه الشريف ثم امره الله ان يصدع بها جاء به، وان ينادي الناس بأمره "، وكان الامر موجهاً أولاً الى عشيرته الاقربين ".

فكان لأبي طالب الاثر البارز في ارساء دعائم قيادة الايهان في الاجتهاع الذي دعا اليه الرسول عَلَيْكِ الله الدي عين فيه على بن أبي طالب وصيه وخليفته من بعده، فنهض القوم وهم يقولون:

«قد أمرك ان تسمع لابنك وتطيع» ("، فقال أبو طالب مخاطبا النبي الله النبي النب

⁽١) امتاع الاسماع بها للنبي عَلَيْهِ من الاحوال والاموال والحفدة والمتاع: ٤/ ١٠١، ظ:تاريخ الخميس في الحوال انفس نفيس: ١/ ٢٦١.

⁽٢) الحجر/ ٩٤ .

⁽٣) الشعراء/٢١٤.

⁽٤) الكامل في التاريخ: ٢/ ٤٦ ، السيرة النبوية لابن كثير: ١/ ٩٥٩ .

{من البسيط}

إبسراقُ أيسدٍ ولا إرعسادُ أصسواتِ ودونَ كفَّسكَ كفسى في المَلَمّساتِ (١)

لا يَمنَعَنَّ فَ مِن حَقِّ تَقَوْمَ بِ

ان ما يدل على ايهان أبي طالب وانعقاد قلبه بالاسلام تشجيعه لابن أخيه عَلَيْوَالله في دعوته، وفداء نفسه دونه، ومعاضدته في معانقة كفه بكف النبي، وادل من ذلك ترغيب اولاده على وجعفر لمؤازرة ابن عمها محمد عَلَيْوَالله، فذكر انه «قال لعلي: أي بني، ما هذا الدين الذي انت عليه؟ فقال: يا ابتِ آمنت بالله وبرسول الله، وصدقته بها جاء به، وصليت معه لله واتبعته...قال {أبو طالب} له: اما إنه لم يَدْعك إلّا الى خير فالزُمه» (٢) وانشد:

{من الكامل}

إنَّ الوثيقة في لزوم محمد له فاشدُدْ بصحبتهِ عليٌّ يَدَيكُ السَّكُ الوثيقة في لزوم محمد له

وأمر أبو طالب ابنه جعفراً أن يصلي مع النبي عندما كانا مارين في طريقها ورأى النبي عَلَيْهِ وعلياً عليه الله يصليان، فقال أبو طالب لجعفر "صل جناح ابن عمّك، فجاء جعفر فصلى مع النبي عَلَيْهِ فلما قضى صلاته قال النبي عَلَيْهِ : يا جعفر وصلت جناح ابن عمك إن الله يعوضك من ذلك جناحين تطير بها في الجنة ""، فانشد

⁽١) الديوان: ٢٠٨ ، الآتآب: الاستحياء.

⁽٢) السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٢٤٧ ، ظ: الاصابة في تمييز الصحابة: ٤/ ١١٦ .

⁽٣) الديوان: ١٧٠.

⁽٤) الحجة على الذاهب الى تكفير أبي طالب: ٢٥٠.

أبوطالب مسروراً:

{من المنسرح} عند احتدام الأمدور والكُدربِ أخدى ابدن أمدي مدن بيدنهم وأبي

إنَّ عليِّ الوجعف راً ثقت ي إنَّ علي المستراً تقت المستورا البار عمَّك ما المسترا المسترا عمَّك ما المسترا الم

يَخَذُلُهُ من بَنيِّ ذو حَسَبِ

نهرب عنه الاعداء كالشهب(١)

نحـــنُ وهــــذا النبـــي أُسرتُـــهُ

ويحض أبو طالب أخاه حمزة بن عبد المطلب (رضي الله عنه) على اتباع دين رسول الله عَيْنَاللهُ والصبر على طاعته، والثبات على دينه:

(من الطويل)

اصبر اب يعلى على دين احمد وكُن مُظهِراً وفَقت صابسرا وحُطْ مَن أتى بالدينِ من عندَ ربّهِ بصدق وحقَّ لا تكن خَن كافِرا فقد سَرَّن أَنْ قلتَ إنكَ مُسلمٌ فكُن لرسولِ اللهِ في اللهِ ناصرا وبادِ قريسشاً بالدي قد أتبته جهاراً وقُلْ: ما كان احمدُ ساحرا"

فليس أدل على ايمان أبي طالب من حثه ولديه: علياً وجعفراً علي على مؤازرة ابن عمها والصلاة معه، وحث اخيه حمزة على اتباع دين النبي، وسروره

⁽١) الديوان: ١٧١ - ١٧٢ .

⁽٢) م.ن: ٢٥٣ - ٢٥٤، عجز البيت الأول غير مستقيم.

باسلامه، ثم تصريحه بنبوة ابن أخيه «لا اخذل النبي»، «وهذا النبي»، وهو يجود بنفسه دونه تارة، وتصريحه بلفظ رسول الله «فكن لرسول الله في الله ناصراً» طالباً من اخيه حمزة نصرة ابن أخيه ودينه تارة اخرى.

سبق ان قلنا ان النبي عَلَيْهِ انذر عشيرته الاقربين بعد تعيين ابن عمه علي بن أبي طالب اميرا ووصيا(۱)، وبعد صعود النبي جبل الصفا واعلانه امام الملأ للنبأ العظيم(۱)، فاحيطت قريش باخبار النبي ورسالته.

ساعدت هذه الاحداث الجديدة على نشوء مرحلة جديدة في مواجهة مشركي قريش، فوقف أبو طالب في صدارة هذه المواجهة؛ لاثبات دعائم الاسلام في المرحلة العلنية للدعوة، فكان يستقبل وفو دبطون قريش، ويسمع لمطالبهم، وينقل رد النبي محمد على النهم برفق وكلام جميل (")، ثم يهون الامر على ابن أخيه قائلا: «امض على امرك وافعل ما احببت فوالله لا اسلمك لشيء ابدا» (نا) ثم قال ابوطالب:

{من الكامل} حسّب أُوسَّب في السَّرُابِ دفينسا السَّرُ ابِ دفينسا أبسرُ وقُرَّ بذاكَ منكَ عبونسا فلقد صدقت وكُنت قبلُ أمينا

من خير اديانِ البريةِ دينــــا

والله لن يسملوا إليك بجَمْعهم المسفر لامرك ما عليك غيضاضة ودعوتني وزعمت انك ناصح وعرضت ديناً قيد علمت بانه

⁽١) ظ: كفاية الطالب في مناقب أبي طالب: ٢٠٦-٢٠٦.

⁽٢) ظ: تاريخ الرسل والملوك: ٢/ ٣١٩.

⁽٣) ظ: السير والمغازى: ١٤٧ - ١٤٨.

⁽٤) البداية والنهاية في التاريخ: ٣/ ٤٢.

لــولا المَلامــةُ او أُحــاذرُ سُـبّةً لوجـدتني سـمحاً بـذاكَ مبيـــنا(۱)

في هذا الشعر دليل على تصديق أبي طالب بالرسول واقراره بان دينه «خير اديان البرية» واعترافه بانه «ناصح» وقوله «صدقت»، وبها اجابه وامره «امض لأمرك ما عليك غضاضة»، المستمدة من دلالة ألفاظ التعبير القرآني ﴿ فَاصْدَعْ بِهَا تُؤْمَرُ ﴾ (")، وهذا اوضح شاهد على ايهانه برسول الله عَلَيْمِ التي بينتها ألفاظ شعره.

والبيت الاخير يوضح أن أبا طالب لم يـصرح بإيهانــه خــوف الملامــة والــسُبَّة، وإلا لصار إسلامه ظاهراً بيِّناً.

وقد علل الشيخ المفيد ذلك بقوله: "إنَّ أبا طالب رحمه الله لم يمتنع من الايمان برسول الله عَلَيْنِ في الباطن والإقرار بحقه من طريق الديانة، وانها امتنع من اظهار ذلك لئلا تسفهه قريش وتذهب رئاسته ويخرج منها من كان متبعا له عن طاعته وتنخرق هيبته عندهم فلا يسمع له قول ولا يمثل له امر، فيحول ذلك بينه وبين مراده من نصرة رسول الله عَلَيْنِ ولايتمكن من غرضه في الذب عنه فاستتر الايمان واظهر منه ما كان يمكنه اظهاره على وجه الاستصلاح ليصل بذلك الى بناء الاسلام وقوام الدعوة، واستقامة امر رسول الله عَلَيْنِ وكان في ذلك كمؤمني اهل الكهف الذين ابطنوا الايمان واظهروا ضده للتقية والاستصلاح فآتاهم الله اجرهم مرتين، والدليل على ما ذكرناه في امر أبي طالب رحمه الله قوله في هذا الشعر بعينه:

ودعوتني وزعمتَ انك ناصح ولقد صدقتَ وكُنتَ ثَمَّ أمينا

⁽١) الديوان: ١٨٩ .

⁽٢) الحِجر/ ٩٤.

فشهد بصدقه واعترف بنبوته واقر بنصحه وهذا محض الايهان "(۱) فهو يعلن ايهانه عندما يخاطب الرسول الكريم، ويخفي ايهانه عندما يخاطب رؤوس الشرك، وكان هذا الامر في بداية الدعوة الاسلامية.

وهكذا منع الله من قريش رسوله بعمه أبي طالب، واخذ أبو طالب على نفسه ارساء التأييد والحماية من بني هاشم وبني عبد المطلب، واعلان هذين البطنين حمايتهما لرسول الله عَلَيْوَلَهُ، فحين «رأى قريشا تصنع ما تصنع في بني هاشم وبني عبدالمطلب، دعاهم الى ما هو عليه من منع رسول الله عَلَيْوَلَهُ والقيام دونه، فاجتمعوا إليه وقاموا معه وأجابوا الى ما دعاهم اليه من دفع رسول الله عَلَيْوَلَهُ إلا ما كان من أبي لهب وهو يحرض بني هاشم» (٢) فقال أبو طالب:

{من السريع}

با هاشاً والقومُ في جَحْسفَلِ
منّالدى الخوفِ وفي مسعزَلِ
سُرعائها في سَبْسَدٍ مُجُّهَ لِ
مثلَ القَطا القادِبِ للمَنهَ لِ
بِكلِّ مِقْصالِ على مُسبِلِ
مِكلِّ مِقْصالِ على مُسبِلِ
مآرِثُ الافضلِ للافسطلِ

حسّى مسى نحسنُ عسلى فسترةِ تسلمُ عُونَ بالخبسلِ عسلى رَقبَسةٍ كالرِّجُلَسةِ السسّوداءِ تَغلسو بهسا على رَغلَسةٍ على بهم الستَّرُكُ عسلى رَغلَسةٍ يسا قسومُ ذُودُوا عسن جساهِ يركُم حديسةِ خسسٍ لهَسزِ خسدُهُ عسريضُ سستٌ لهسبٍ خصصرَهُ عسريضُ سستٌ لهسبٍ خصصرَهُ

⁽١) الفصول المختارة من العيون والمحاسن: ٢٨٥- ٢٨٦ ، ظ: شرح نهج البلاغة: ١٤/ ٧٠، الديوان: ١٨٥ ، اختلاف رواية البيت الثالث «... فلقد صدقتَ وكُنتَ قبلُ أميناً».

⁽۲) السير والمغازي: ۱٤۸.

كم قد شَهِدتُ الحربَ في فتية عندَ الوغى في عَثيرِ القَسطَلِ لا مُتنَحِّد مِن المَالِ اللهُ الله

«فلها اجتمعت بنو هاشم وبنو المطلب معه ورأى ان قد امتنع بهم وأن قريشا لن يعادوه معهم قال أبو طالب، وبادى قومه بالعداوة ونصب لهم الحرب» (٢) فأنشد:

إمن المتقارب إلى المتقارب إلى المتقارب المنفي تللا لأ لم الله المنفي حيدار الوَسَاير والخنف عليه منف عليه منف حيي والمناب المحار حدار الف نيق كما ذار ليث بغيل منفي المناب المنا

مَنَعنا الرسول رسول المليك بسخَرْبٍ بسنَّب دون النهاب الذبُّ والحمي رسول المليك ومسال المليك ومسال أن أدبُّ الأعدائية ولكسن أزير مُ لهسم سامتاً

⁽۱) الديوان: ١٠٩- ١٠١، في الاصل (هاشها) ،الترك: مفردها التريكة، وهي بيضة الحديد التي يضعها المحارب على رأسه، الرعلة: القطعة القليلة من الخيل او طليعتها، المقصال: السيف القياطع، المسبل: صفة للفرس المسبل الذيل، حديد خس: القوي من الخيل والخمس منها: الطرف والقلب والاذن والكعب والوظيف (ما فوق الرسغ)، الجز: الضامر، اللهب: الغبار المثار، التزليق: تنحيف الجواد وتضعيفه، المجدل: القصر، القسطل: غبار الحرب.

⁽٢) السير والمغازي: ١٤٨ – ١٤٩ .

⁽٣) الديوان: ١١١ - ١١٢ ، النَّهاب: الغنائم، والخنفقيق: الداهية، البِّكار: مفردها البكرة وهمي الانشى من الابل، الفنيق: الفحل المكرم عنه اهله، الغيل: عرين الاسد.

أن هذه مداليل كلها تنصُّ على ايهان أبي طالب بها جاء به ابن أخيه من الحق تبارك وتعالى، فالقطعة القافية كفيلة بصحة اسلام أبي طالب فذكر ان الخليفة المأمون العباسى حين سمعها قال: «اسلم أبو طالب والله بقوله... {الابيات} »(١).

وكان أبو طالب في غاية الحنوفيا يحامي به رسول الله عَلَيْوَالله واصحابه كما يتبين ذلك في صنائعه وسجاياه، فقد تألب الملأ من قريش على رسول الله واصحابه، واجتمعوا بعمه أبي طالب وعرضوا عليه عمارة بن الوليد بن المغيرة ان يكون ابنا له ويترك ابن أخيه محمدا لهم، ليقتلوه بعد شكواهم منه بانه سفه احلامهم وسب آلمتهم (").

فقال أبو طالب «والله بئس ما تسومونني! أتعطونني ابنكم أغذوه لكم، وأعطيكم ابني تقتلونه! هذا والله ما لا يكون ابدا... فقال المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قُصي: والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك، وجهدوا على التخلص عا تكرهه، فها أراك تريد أن تقبل منهم شيئا، فقال أبو طالب للمطعم: والله ما أنصفوني ولكنّك قد أجمعت خذلاني ومظاهرة القوم عليّ، فاصنع ما بدا لك،... فحقب الأمر، وحميت الحرب، وتنابذ القوم، وبادى بعضهم بعضا، فقال أبو طالب عند ذلك يعرض بالمطعم بن عدي ويعم من خذله من بني عبد مناف، ومن عاداه من قبائل قريش، ويذكر ما سألوه، وما تباعد من أمرهم» "":

⁽١) شرح نهج البلاغة: ١٤/ ٧٤.

 ⁽٢) ظ: السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٢٦٧، تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام: ١/ ٨٧- ٨٨ ،
 البداية والنهاية في التاريخ: ٣/ ٤٧.

⁽٣) م.ن: السابقة الذكر.

{من الطويل}

يُرشُّ على الساقيْنِ من بولِهِ قَطْرُ إذا ما علا الفَيفاءَ تحسبهُ وَبنرُ إذا شئلا قالا: إلى غيرنا الأمرُ كما رُجِمَتْ من رأسِ ذي الفَلق الصَّخرُ فقد أصبَحتْ كَفَّاهها وهما صِفررُ هُما نَبذانا مثلما يُنبَدُ البَخمَ عُمازِرُنا ما دامَ من نَسلينا شَسفُرُ من الناسِ إلا أنْ يُرسَّ له ذِكْرُ إلى علجةٍ زرقاءَ جاشَ بها البحرُ وكانوا لنا مَوْلً إذا ابتُغِسي النَّصرُ وكانوا كَجَفْرِ شرَّ ما ضَغُطَتْ جَفْرُ (()) ألا لبتَ حظّي من حِباطَتِكم بَكْ ـــرُ وماؤه مسن الجُون حَبْحَاب كثيرٌ رِخاؤه تسرى أخوينا مسن أبينا وأمّنا بسلى لها أمرٌ ولكسن تَرجَّما هما أمرٌ ولكسن تَرجَّما هما غَمَسزا للقوم في أخَسوَيْها أخصُ خصوصاً عبدَ شمسٍ وَنوْفَلاً هما أشركا في المجدِ من لا كُفى به وليدا أبوه كان عَبْداً لِحِدْن ورُهسرة يسنهم وعقولهم وقد ورُهسرة يسنهم فقد مسفهت أحلامهم وعقولهم

وعندما رأى أبو طالب من بني هاشم وعبد المطلب من جدهم معه، وأجابوه الى ما دعاهم اليه مدحهم وذكر قديم فضائلهم، وما وقفوا من الحدب والنصرة لرسول الله عَمَا الله عَمَا فيهم، ومكانته منهم، ليشد بهم رأيهم فيه، وليحدبوا

⁽۱) الديوان: ١٨٦ – ١٨٧ ، الحبحاب: الصغير ، الوبر: الدابة، شفر: أي احد، الرَّسُّ: الدُّكُرُ الخَفيُّ، عبد شمس ونوفل: اخوان لهاشم بن عبدمناف عميد النسب النبوي ولذلك قال أبوطالب (اخوينا من ابينا وامنا) ، ظ: انساب الاشراف: ١/ ٦١ ، والوليد بن المغيرة من بني غزوم، وتيم بن مرة بن كعب وغزوم بن يقظة بن مرة بن كعب، وزهرة بن كلاب بن مرة بن كعب لؤي بن غالب بن فهر وهذه البطون الثلاثة من قريش تدخل في عمود النسب النبوي أيضاً ، ظ: جهرة انساب العرب: ٢/ ٤٦٤ .

معه على امره (١٠)، فقال أبو طالب مادحا ومفاخرا:

{من الطويل}

فعبد من افي سِرُّها وصَميمُها ففي هاشم أشرافُها وقَديمُ ها ففي هاشم أشرافُها وقَديمُ ها وكريمُها علينا فلم تظفر وطاشت حلومُها إذا ما ثنوا صُعْرَ الخدودِ نقيمُ ها ونضربُ عن أحجارِها من يرومُها بأكنافِنا تَنْدى وتَنْمي أرومُها فرام صرمَةٌ لايُستَطاعُ قُرومُها في ويكرمُهم ملارض عندي اديمُ ها

إذا اجتمعت يوماً قريشُ لمفخر وإن مُصلّتُ أشرافُ كال قبيلة وإن فخررتْ يوماً فرانٌ محمدا وإن فخررتْ يوماً فرانٌ محمدا تداعتْ قريشُ عَنُها وسمبنها وكنّا قديماً لا نُقِررُ ظُلامة ونحمي حماها كل يوم كريه ونحمي حماها كل يوم كريه بنا انتعشَ العودُ الذّويُ وإنّا هم السادةُ الاعلونَ في كلّ حالة عدينُ لهم كل ألبرية طاعة بدينُ لهم كلّ البرية طاعة

وفي يوم طرقت مسامع أبي طالب خبر مقتل النبي عَلَيْظُهُ، فعزم على قتل سادات قريش، فلها حضر النبي محمد على أبه على أبو طالب تفاصيل خطته، فوقف العلى اندية قريش، ومعه الفتيان الهاشميون والمطلبيون، فقال: يا معشر قريش هل تدرون ما هممت به؟ قالوا: لا، فاخبرهم الخبر، وقال للفتيان: اكشفوا عمّا في أيديكم، فكشفوا، فاذا كل رجل منهم معه حديدة صارمة، فقال: والله لو قتلتموه ما بقيت منكم احد حتى نتفانى نحن وانتم، فانكسر القوم» ("م، فأنشد:

⁽١) ظ: السيرة النبوية لابن هشام : ١/ ٢٦٩ ، البداية والنهاية في التاريخ: ٣/ ٤٩ .

⁽٢) ديوان أبي طالب: ١١٣ - ١١٤ ، ملأرض: لهجة عربية تدمج من الجارة بمجرورها.

⁽٣) الطبقات الكبرى: ١/٣٠٨.

{من المتقارب}

وكعبة مكّة ذات الحُجسبُ فطباة الرَّماحِ وحَدَّ القُضُسبُ طُباة الرَّماحِ وحَدَّ القُضُسبُ صُدورَ العسوالي وخَبْلاً عُسَبَ بُ بسبْر العنبق وحَثَّ الخَبَسبُ

فأني ومَن حَجَّ من راكب تنسالُونَ المسدَ او تُسطلَوا وتعنر فسوابسين أبيساتكم إذ الخيسلُ مَّسزَعُ في جَرْبهسا

••••

عليها رجالً بنبي هاشم

ولما مضى أبو طالب على أمره من خلاف قومه فيها أراد رسول الله عَلَيْهِ اللهِ عَلَيْهِ اللهِ عَلَيْهِ اللهِ عَلَي اللهِ على عدوانه وخلافه، فبث أبو طالب مما طوته نفسه من الاحزان في اخر الليل بها يحلم به مشركو قريش من قتل النبي سفاهة وجهالة وظلها(")، فتوعدهم بالحرب، وبذل نفسه وقومه دون النبي على آخرهم، ونصرته ومؤازرته والدفاع عنه فقال:

{من الطويل}

ولم تَختَضبُ سُمرُ العوالي من الدَّمِ ضِرابٌ وطَعسنٌ بالوَشسيجِ المُقسوَمِ جَماجَمَ تُلُقى بسالحَطيم وزَمسنم

يُرَجِّونَ أَنْ نسخى بقَنْلِ محمدٍ يُرَجَّونَ منَّا خُطَّةً دونَ نيلها كَذِبنُم وبيتَ اللهِ حتّى تَعَرَّفوا

⁽١) الديوان: ١١٦ ، صدود العوالي: سنة الرماح، العصب: الجماعة، تمزع: تسرع وتعدو عدوا خفيفا، العنيق: اشد السير، الخبب: ضرب من العدو.

⁽۲) م.ن:۲۱۲.

وتُقْطَعَ أرحمامٌ وتَنْسسي حلبلةٌ وبنهض قرة في الحديد السيكم فبالبنسى فَهر أفيقوا ولم تَقُهم على ما مضى من بُغضِكم وعُقوقِكمم وظُلم نبعي جاء يدعو الى الهُدى فلا تحسبونا مُسلمبهِ ومثلُه فهذى معاذير وتقدمة لك ي

حلىلاً ويُغشى نُحرَمٌ بعدَ نُحررَم يَــذودونَ عــن أحــسابهم كُــلَّ مُجـرم وغــشيانكم في أمــركم كُــلَّ مأثــــــم وأمر أتى من عند ذي العرش قيم إذا كان كِي قدوم فليسَ بمُسَلَّسهم لكبلا يكونَ الحربُ قبلَ التَقَدُّمُ (١)

إنَّ جدَّ أب طالب دون النبي عمديَّ الله ومؤازرت ونصرته وحمايت له، والاعتراف بنبوته وبها جاء من الهدى، وشهادته على ذلك وهو يصرح:

«وظُلمُ نبيٌّ جاءَ بدعـو الى الهُدي وأمر أتى من عند ذي العرش قبِّم» وهذا القول دليل صريح على إيهانه.

ومن الشواهد التي يتبين منها حنو أبي طالب على ابن أخيــه النبــى محمــدَ عَلَيْمِوْالْهُ وحبه له، وشفقته عليه، وتفديته بنفسه، وتصديقه به فيها يروى أن قريشا لما رأت ان يضطهدونه، ومن يؤازره من المسلمين وكانوا يوكّلون به صبيانهم وعبيدهم، فيلقونمه بها لايجب، ومن ذلك ان عبد الله بن الزبعري حمل السلى والفرث ووضعه على كتفي النبي محمد عُلِيَّا إِنَّهُ وظهره، وهو ساجد يصلي، فانصرف رسول الله الى عمـه أبي طالب شاكيا له الامر، فخرج أبو طالب غاضبا لابن أخيه ""، ومهددا سادات قريش من

⁽١) الديوان: ٢١٦- ٢١٧، الوشيج: شجر الرماح، الحطيم: جدار حجر مكة، بني فهر: قريش.

⁽٢) ظ: تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٧ ، ثمرات الاوراق في المحاضر ات: ٢/ ٣- ٤.

المشركين قائلا: «ورب هذه البنية لايقومن منكم احد إلا جللته بالسيف...ثم قال: يا محمد سألتنى من انت، ثم انشأ يقول:يومى، بيده الى النبي عَلَيْظِهُ:

{من مجزوء الكامل}

انستَ النبسيُّ عمّد لُ قَسرمٌ اعدزُّ مُسسوَّدينَ أَكسارِمٍ طسابوا وطسابَ المولدُ المستوَّدينَ أَكسارِمٍ طسابوا وطسابَ المولدُ

انس تُسطامُ ولم أمُستُ وأنسا السَّنجاعُ العِربَدُ وبطساح مكة لا يُسرى فيها نجيعٌ اسسودُ وبطساح مكة لا يُسرى فيها نجيعٌ اسسودُ وبنسو ابيسك كسانهم أسدُ العسرينِ توقَّسدُ ولقسد عهدتُكَ صادقاً في القسولِ لا تتزيَّسدُ ولقسد عهدتُكَ صادقاً في القسولِ لا تتزيَّسدُ ما زِلسَّ تنظقُ بالسَّوا بوانستَ طفسلٌ امسردُ

ثم قال: يا محمد أيهم الفاعل بك؟ فاشار النبي عَلَيْكِاللهُ الى عبد الله بن الزبعرى السهمي الشاعر فدعاه أبو طالب فوجأ انفه حتى ادماه، ثم امر بالفرث، والدم، فامرً على رؤوس الملأ كلهم، ثم قال: يا ابن اخ أرضيت؟. ثم قال: سألتني من انت؟ انت محمد بن عبد الله... انت والله أشر فهم حسبا وأرفعهم منصبا يا معشر قريش من شاء منكم يتحرك فليفعل أنا الذي تعرفونني» (۱).

إن لجوء النبي محمد عَلَيْهِ الى عمه أبي طالب ؛ لانه هو الحامي والمؤازر والناصر له ولدينه، وهذا ما يتبين من غضبه وصولته وحميته لنبي الله ولدينه، فاشاد

⁽١) الحجة على الذاهب الى تكفير أبي طالب: ٣٤٧- ٣٤٨، الابيات في الديوان: ٣٣٣.

«انت النبي محمد» وبين عراقة ارومته، وهو يتصدى لسادات الشرك، فلا يردعه رادع عن الحق شيئا قائلا «انّى تضام ولم أمت»، فهو المتصدي لكل ما تتعرض له الرسالة، كما نلمح في النص سطوة أبي طالب وسيادته، وعظم قدره، وجلالة مكانته في قريش، لذلك لم يجرؤ أحد من قريش على مواجهته وهكذا اعز الله الاسلام ورسوله بناصر الدين أبي طالب.

ولما كان أبو طالب المجير لنبي الله، فهو مجير من اسلم من أصحاب النبي أيضا، فكان ممن دخل في جواره عثمان بن مظعون (١) وابو سلمة بن عبد الاسد (٢).

فأما اجارة أبي طالب لعثمان بن مظعون فكانت بسبب إباء عثمان اجارة الوليد بن المغيرة، لما رأى ما في المسلمين من البلاء، وهو يروح ويغدو في امان الوليد، فردً عليه جواره، وحدثت مشاجرة بعد ذلك بينه وبين احد قريش، فلطمه في عينه، فأصاما "، فغضب أبو طالب لعثمان وقال:

⁽۱) عثمان بن مظعون: ابو السائب عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافه بن جمع بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي، اسلم بعد ثلاثة عشر رجلا وهاجر الى المدينة، توفى في السنة الثانية للهجرة ودفن في المدينة بالبقيع، ظ: الاستيعاب في معرفة الاصحاب: ٣/ ٨٥، وأسد الغابة في معرفة الصحابة: ٣/ ٥٨، والاصابة في تمييز الصحابة: ٢/ ٤٦٤.

⁽٢) ابو سلمة: عبد الله بن الاسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم من السابقين الاولين الى الاسلام، واخ النبي عَنْ بالرضاعة، وابن عمته برة بنت عبد المطلب، مات في المدينة بعد معركة بدر، ظ: التبيين في انساب القريشين: ٣٤١، ، وأسد الغابة في معرفة الصحابة: ٣/ ٢٩٥، والاصابة في ممرفة الصحابة: ٣/ ٢٩٥،

⁽٣) ظ: السيرة النبوية لابن كثير: ٢/ ٦٠ - ٢١، البداية والنهاية في التاريخ: ٣/ ٩٢ - ٩٣.

أصبحتَ مُكتئباً تبكى كَمَحرون؟ يَغْشُونَ بِالظلم من يبدعو الى الدِّين؟ والغَدُرُ فيهم سبيلٌ غيرُ مامون إنَّا غَضْبنا لعنهانَ بن مَظْعون؟ طَعْناً دِراكاً وضَرباً عَيرَ مَرْهون كسيلاً بكيل جسزاءً غسيرَ مغبسونِ فيه ويرضَونَ منَّا بعد بالسدُّون بكــلِّ مُطَّـرَدٍ في الكــفِّ مَــسنونِ يُـشفَى بهـا الـدَّاءُ مـن هـام المحـانينِ بعددُ السمعوبةِ بالإسساح واللِّينِ على نبعي كموسى او كلِّي النُّونِ كسما تبسبَّنَ في آيساتِ ماسسين

أمِسن تسذكُّر دهسر غسير مسأمونِ أم مِن تذكُّر اقدوام ذوي سَفه لا يَنتهــونَ عــن الفحــشاءِ مــا أُمِــروا ألا يَـــرونَ _أذلَّ اللهُ جِمَهُـــمُ _ اذ بَلطِمونَ ولا يَخْشُونَ مُقلتَهُ فسوفَ نَجْزِيهُمُ -إن لم يمُتْ -عَجِلاً او ينتهونَ عن الامر الذي وتفوا ونمنعُ النصَّيمَ من يَبغنى مَنضَامَتنا ومرهفات كأنَّ الملحَ خالطَها حنَّى تُقَدَّ رجالٌ لا حُلومَ لها او يُؤمنسوا بكنسابٍ مُنسزَلٍ عَجَسبٍ ياتي بامر جالي غمير ذي عِسوج

إنَّ من إمارات صحة ايهان سيد البطحاء أبي طالب منعه للضيم الذي اصاب عثهان بن مظعون الصحابي فسرتها ابياته الشعرية في استذكاره ظلم مشركي قريش في الحاقهم الاذى به، والى من يدعو الى الدين الجديد وايهان أبي طالب بالانبياء والرسل وما نزل عليهم من الهدى ومنهم النبيين: موسى وذي النون المهي وبها أنزل من القرآن المجيد من الاستقامة التي بينتها آيات ياسين وبها استمده من التعبير القرآن

⁽١) الديوان (التونجي): ٩٥-٩٥.

من لفظ ودلالة وضمنها في شعره نحو قول الحق تبارك وتعالى ﴿... إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً﴾ (() ، وقوله ﴿ قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوجٍ ... ﴾ (() التي تقرع اسماع المسلمين لكي يزدادوا هدى وغير المسلمين ليهتدوا الى الحق فهذه مداليل كلها على صحة عقيدة أبي طالب.

وعندما رأى ابو سلمة عبد الله المخزومي تعذيب مشركي قريش وما أرادوا ان يفتنوه عن دينه، فلم ير مفزعا له سوى خاله أبي طالب يستجير به، فمشى اليه نفر من رجال بني مخزوم، فقال احدهم: «يا أبا طالب، لقد منعت منّا ابن أخيك محمداً، فما لك ولصاحبنا تمنعُه منا؟ قال: انه استجار بي، وهو ابن أختي، وإنْ أنا لم امنع ابن أختي لم امنع ابن أخي» (شري وهكذا كان عميد بني هاشم وعبد المطلب وليا وناصراً لرسول الله وأصحابه.

وإزاء تعذيب المشركين للمسلمين واضطهادهم كان رسول الله عَلَيْتِهِ يحث اصحابه الصبر على تحمل الاذى ورباطة الجأش على الصمود حتى يأذن الله بنصره، وقد اذن الرسول لأتباعه بالهجرة الى الحبشة، لتوافر الامن والحماية لهم في ظل ملك الحبشة وايد أبو طالب رأي رسول الله عَلَيْقِه وسانده، فبعث ابياتا شعرية لنجاشي الحبشة يحثه على اكرام المهاجرين المضطهدين والدفاع عنهم (1)، فقال:

⁽١) الجن/ ١.

⁽٢) الزمر/ ٢٨.

⁽٣) السيرة النبوية لابن هشام: ٢/ ١٥ ، البداية والنهاية في التاريخ: ٣/ ٩٣.

⁽٤) ظ: السير والمغازى: ٢٢١.

{من الطويل}

وزيدٌ واعداءُ العِدا والأقدار بُ وأصحابَهُ أمْ غالَهُ عندهُ شاغِدبُ وأسبابَ خيرٍ كُلتُسها بدكَ لازِبُ يعشُ بجدواكَ الطَّريدُ المُصاقِبُ كريمٌ فلا يَشقى لديكَ المُجانِبُ(''

ألا لبت شِعْري كيف في النّاي جَعفرٌ وهل نالَ معروفُ النجاشيِّ جَعفراً تَعلَّم بلنالَ معروفُ النجاشيِّ جَعفراً تَعلَّم بلنانَّ الله زادَكَ بَسطةً وأنّاكَ سَيْبٌ ذو سِجالٍ غزيرة وأنّاكَ سَيْبٌ ذو سِجالٍ غزيرة وأنّاكَ عن من من والملوكُ اذلّات من والملوك المناسة والمناسة وا

وما كان أبو طالب يطلب من النجاشي هذا الامر إلا لانه ذو سمعة وشرف ومكانة يعلم بها النجاشي، وعندما وصلت هذه الابيات الى النجاشي احسن جوار المهاجرين، واجاد في ضيافتهم، مما اغرى أبا طالب ان يبعث برسالة اخرى يدعو فيها النجاشي الى الدخول في الدين الاسلامي الذي جاء به رسول الهدى فقال:

{من الطويل}

وزيسرٌ كموسى والمسبح بسنِ مسريم فكسلُّ بسأمرِ اللهِ يَهُدى ويَعسصِمُ بسعدقِ حديثِ لاحديثِ السَّرَجُّمِ لفسضلكَ ألا أُرجِعسوا بسالتَّكَرُّمِ فنلتَ بهاحقًا على كلَّ مُسلِمِ فإنَّ طريقَ الحقَّ ليسسَ بمُظلِسم (") تَعَلَّمُ مَلِيكَ الحَبِسُ أَنَّ عَمداً أنسى بهُدى مشلَ الدِي أَتَبَابِهِ وإنكسم تنلونَه في كتسابِكم وإنك ما يأتيك منَّا عصابَةٌ بدلتَ لهم عُرْف ولم تَبيغ عسنهم فلا تجعلوا لله نسداً وأسلِسموا

⁽١) الديوان: ٢٤٧ ، جعفر بن أبي طالب، وزيد بن الحارثة، المصاقب: المجاور.

⁽٢) م.ن: ٢٥٩، في البيت الثاني إقواء.

ولا يخفى أن ما يصدر من شبخ البطحاء أبي طالب من النصرة لنبي الله، واظهار دينه في دعوة النجاشي الى التوحيد، وحماية اصحاب رسول الله على أبر سالات السهاء وما نزل فيها مداليل كلها على ايهان أبي طالب بالله رباً وبمحمد نبياً ورسولاً، وبالاسلام دينا، وأن شعر أبي طالب كان له اثره البالغ في نفس النجاشي، فاسلم على اثره، وحسن اسلامه (")، وبعد فشل مشركي قريش في اطفاء نور الاسلام، ثارت حفيظتهم حقدا ونارا ضد الدعوة وصاحبها، فاجتمع رؤوساء الشرك وعزموا رأيهم إن لم يخل أبو طالب بين قريش وابن أخيه، فعلى بطون قريش ان تقاطع بني هاشم وبني عبد المطلب، ولما كان أبو طالب مؤمنا بدعوة ابن أخيه، فانه لم يستجب لمطالبهم، ولم يعبأ بارائهم، وانها اصرً على اعلان حمايته بنفسه، فلما رأت قريش رد أبي طالب، وأن اصحاب رسول الله المناقش قد نزلوا الحبشة واصابوا على مقاطعة بني هاشم في الشعب إلا اذا دفعوا اليهم نبي الله عليه القبائل، تحالفوا على مقاطعة بني هاشم في الشعب إلا اذا دفعوا اليهم نبي الله عليه المناقس في الشعب إلا اذا دفعوا اليهم نبي الله عليه المناقس في الشعب إلا اذا دفعوا اليهم نبي الله عليه المناقس في الشعب إلا اذا دفعوا اليهم نبي الله عليه المناقس في الشعب إلا اذا دفعوا اليهم نبي الله عليه المناقس في الشعب إلا اذا دفعوا اليهم نبي الله عليه المناقس في الشعب إلا اذا دفعوا اليهم نبي الله عليه المناقس في الشعب إلا اذا دفعوا اليهم نبي الله عليه المناقس في الشعب إلا اذا دفعوا اليهم نبي الله عليه المناقس في الشعب إلا اذا دفعوا اليهم نبي الله عليه المناقس في الشعب إلا اذا دفعوا اليهم نبي الله عليه المناقس في السلام في الشعب إلا اذا دفعوا اليهم نبي الله عليه المناقس والمناقس في السلام في الشعب إلا اذا دفعوا اليهم نبي الله عليه المناقس والمناقس والمناقس

فجمع أبو طالب قومه من بني هاشم وعبد المطلب، وامرهم ان يدخلوا رسول الله شعبه، وأن يمنعوه عمن ارادوا قتله، فاجتمع على ذلك مسلمهم وكافرهم، فمنهم من فعله ايهانا ويقينا ومنهم من فعله حمية (٢)، واعلن أبو طالب امام بطون قريش بانها اذا قتلت محمدا فان الهاشميين والمطلبيين سيقاتلون حتى الفناء، وقال يمدح النبي وينذر قومه عاقبة عدوانهم، ويحذرهم الحرب، وقطع صلة الرحم،

⁽١) ظ: السبرة النبوية لابن هشام: ١/ ٣٤١.

⁽٢) ظ: السيرة النبوية لابن هـشام: ١/ ٣٥٠- ٣٥١، البـدء والتـاريخ: ١٥٣/٤، وامتـاع الاسماع بـما للنبي عَلِينِهُ من الاحوال والاموال والحفدة والمتاع: ١/ ٤٣- ٤٤.

وينهاهم عن اتباع السفهاء، ويعلمهم استمراره في مؤازرة النبي عَلَيْهُ وينبههم على فضله، ويضرب لهم المثل بناقة صالح، ويذكر امر الصحيفة، فقال:

{من الطويل}

لُويّاً وخُرصًا من لويِّ بنبي كَعْب نبياً كموسى خُطً في اولِ الكُنب ولا خَـيْرَ ممن خيصَّهُ اللهُ بِالْحَسِبِّ لكم كائنٌ نَحْساً كراغِيةِ السَّقب ويُصبِحَ من لم يَجن ذنباً كذي الذَّنب أواصرنا بعدد المدودة والقُدرب أمَـرَّ عـلى مـن ذاقَّـهُ حَلـبُ الحـرب لِعَـزّاءَ من نَكْب الزمانِ ولا كَـرْب وأيد أترث بالقساسية الشهب بهِ والنُّسورَ الطُّهُم يعكفُنَ كالشَّرْبِ ومَعْمَعَةُ الأبطالِ معركة الحرب وأوصى بنيب بالطِّعان وبالضَّرب ولا نــشتكي ممــا نلاقــي مــن النكــب إذا طسارَ أرواحُ الكُساةِ مسن الرُعسب(١)

ألا أبلغا عندى على ذاتِ ببنا ألم تعلموا أنّا وجدنا محمدا وإنَّ السذي نمَّقستم في كتسابكم أفيقوا أفيقوا قبلً ان يُحفَرَ الشَّرى ولا تَتبعدوا امرَ الغُرواةِ وتَقْطعهوا وتسسنجلبوا حرباً عَواناً وربَّها فلسنا ـ وبيتِ الله ـ نُـسُلم احمـداً ولما تسبن منسا ومسنكم سوالف بمُعـتَرَكِ ضَنكِ ترى قصدَ القِنا كانَّ مُجَالَ الخيال في حَجَراتِهِ ألــيسَ ابونـا هاشــمٌ شــد أزرهُ وكسنا نَملُ الحربَ حتّى تَمَلَّنا ولكنَّنا أهلُ الحفائظِ والنُّسهي

⁽۱) الديوان: ۲۱۱ – ۲۱۳ ، السقب: ولد الناقة، أترَّت: قطعت، القساسية: سيوف تنسب الى جبل قساس في ارمينية، الحفائظ: مفردها الحفيظة وهي الحمية والغضب لما يلزم ذلك.

والأبيات افصح من أن نعلق عليها في ايهان سيد بني هاشم وعبد المطلب، فيقين أبي طالب أن محمدا نبي كموسى خط في اول الكتب، وايهانه بكتاب الله المنزل على نبيه موسى عليه الله وقوله: «و لا خير ممن خصه الله بالحب» أي بها اختار محمد واصطفاه بالنبوة عَلَيْ الله .

وبلغت عناية أبي طالب للنبي وحبه اياه أن يبذل نفسه واولاده واخوته وبني عمه دونه لحمايته وفي سبيل تقويم دينه، فاذا اضطجع ابن أخيه على فراشه، يأمر ابنه علياً ان يأخذ مكانه، خشية على حياة النبى من اعدائه(۱)، وفي ذلك قال أبو طالب:

(من الخفيف)

لفداء النَّجيبِ وابنِ النجيبِ قصبِ وابنِ النجيبِ قصبِ والباعِ والفناء الرحيبِ فمصببُ منها وغير مُصميبِ أخذٌ من سِها بذنوب (٢)

قد بَدلناكَ والسبلاءُ عَسِيرٌ للفسداءِ الأغسرِ ذي الحَسسَبِ النّسا إنْ تُسصبكَ المنسونُ فالنبسلُ يُسبرى كسلٌ حسيِّ وإن مَسلاً عَبسسساً

وهكذا استمر الحصار في شعب أبي طالب ثلاث سنين، ودخل الاسلام مرحلة جديدة من الكفاح والامتحان، وحين اشتد العسر والاذى جاء الفرج ودخل النصر الالهي فارسل الله حشرة الارضة على الصحيفة، فاكلت منها ما كتب فيها عدا ما كان فيها اسم الله، وتلقى النبي محمد عَلَيْقِلْهُ هذا النصر والمعجزة الدامغة على صدق نبوته، وتأييد الله له، فاخبر عمه أبا طالب وما حدث للصحيفة الظالمة، وهو لايشك

⁽١) ظ: البداية والنهاية في التاريخ: ٣/ ٨٤.

⁽٢) الديوان: ٢٢٠ - ٢٢١ .

في قوله، فتوجه أبو طالب والنبي وبنو هاشم الى البيت الحرام؛ ليحدثوا مشركي قريش بها أُخبر به رب العزة؛ وليؤكدوا لهم بدليل اخر نبوة محمد عَلَيْوَاللهُ واطلاعه على الغيب، فاجتمع الملأ من قريش، فقال لهم أبو طالب: "إن ابن أخبي أخبرني أن الله أرسل على صحيفتكم الأرضة فأكلت ما فيها من قطيعة رحم وظلم وتركت اسم الله تعالى، فأحضروها فإن كان صادقا علمتم أنكم ظالمون لنا قاطعون لأرحامنا، وإن كان كاذبا علمنا أنكم على حق وأنا على باطل فقاموا سراعا وأحضروها فوجدوا الأمركا قاله رسول الله، وقويت نفس أبي طالب واشتد صوته وقال قد تبين لكم أولى بالظلم والقطيعة فنكسوا رؤوسهم (أ) فقال أبو طالب في شأن الصحيفة وما فيها من ظلم وقطيعة رحم:

{من الطويل}

وإنْ يستطع أن يَسرُأب السَّعْبَ يَسرُأبِ ومساعسالُمُ المسراً كمَسنُ لم يُجَسرُبِ مسى مسا تُخبرُ خائب القسومِ يَعْجِبِ وما نقموا من صادق القولِ مُنجِبِ ومسن يختلُق منا ليسَ بسالحقَّ بُكُلُب ومسن يختلُق منا ليسَ بسالحقَّ بُكُلُب على سَخطٍ من قومنا غيرِ مُعْتب على سَخطٍ من قومنا غيرِ مُعْتب للسلام على مُركَّبُها في النساسِ خسيرُ مُرَكَّب مُركَّبُها في النساسِ خسيرُ مُرَكَّب طلائع جَنْبسى نَخْلَة والمُحَسسَّب طلائع جَنْبسى نَخْلَة والمُحَسسَّب

وما ذنبُ مَنْ يدعو الى البرِّ والتقى وقد جرَّ بوا فيها مضى غِبَّ أمرِهم وقد حرَّ بوا فيها مضى غِبَّ أمرِهم وقد كانَ في أمرِ الصحيفة عِبرُةً عيا اللهُ منها كفرهم وعُقووتَهم فاصبحَ ما قالوا من الإفك باطلاً فامسى ابنُ عبد الله فينا مُصَدَّقاً فالمسى ابنُ عبد الله فينا مُصَدَّقاً فيلا تحسبونا مُسلِمينَ محمدا فيلا تحسبونا مُسلِمينَ محمدا الله فينا مُحمدا ألا والذي تخدي له كلُّ نِضوة

⁽١) الكامل في التاريخ: ٢/ ٦٦ .

لنحلِف بُطلاً بالعتيق المُحجَّبِ وما نالَ اسلامَ النبيَّ المُقرَّبُ(١)

يميناً صدقنا الله فيها ولم نكن فلفار فك حتك في أقصةً للمحسولة

إنَّ أبا طالب كان الدعامة الاساس، والقوى المؤثرة في توجيه مسار احداث الرسالة في نصرة صاحب الرسالة ومحاماته، بكل ما أوتي من قوة وعقيدة صحيحة افصحت عنها ابياته المشعرية، وهو يستنكر فعل طغاة المشرك في معاداة رسول المدى عَنَيْ فَيْ مُعاطبا اياهم «وما ذنب من يدعو الى البرِّ والتُّقى»، وتصديقه الطافح بالايان بها جاء به «فامسى ابن عبد الله فينا مصدقاً» فيها مضى والآن، وعلمه بغيب السهاء، ومصدقاً بمعجزة الصحيفة:

«يمينا صدقنا الله فيها ولم نكن لنحلف بُطلا بالعتيق المُحجّب»

ولهذا يجدد عهده له وللأسماع بأنه ماض على نيصرة نبي الله حتى فناء آخير واحد من قومه:

«نفارقُهُ حتى نُصرَّع حوله وما بال تكذيب النبي المقرَّب» وهو مؤكد نبوته.

وعاد أبو طالب ومن معه الى مكة بعد انتهاء الحصار في شعب أبي طالب وفرج الله عن المسلمين والحامين لرسوله الكريم.

وبقي شيخ البطحاء و سيدها وعميد الهاشميين والمطلبيين والناصر لـدين الله

⁽۱) الديوان: ٢٢٩- ٢٣٠ ، رأب: اصلاح الفساد، تخذي: تسرع، الطلائح: الهزيل، جنبا نخلة: واديان قرب مكة، ظ: معجم البلدان: ٥/ ٢٧٧ ، المُحصَّب: موضع رمي الجهار بمني، معجم البلدان: ٥/ ٢٠٠.

ورسوله يحضُّ على نصرة رسول الله في كلِّ وقت وعلى مساعدته في كل حين لكسب الصفوف الى جانبه، وبقي ناصرا قولا وفعلا حتى الساعات الاخيرة من عمره وهو يصرح بوصيته الى ابنائه واخوته تارة ولوجهاء قريش تارة اخرى.

فمن وصاياه الخاصة وصيته لولده طالب بمؤازرة ابن عمه النبي محمد عَلَيْوْلهُ، فقال:

{من الكامل} فيما يقول مُسددٌ لك راتقُ

حتّى تكونَ لدى المنيةِ ذائــ قُ لازلــ تُ فيـك بكــ لِّ رشــ دِ والــ قُ لازلــ تُ فيـك بكــ لِّ رشــ دِ والــ قُ

إنّي بجَـــــ لَّكَ لا محالـــةَ لاحِــــ قُ (١)

أَبْنَتِ طَالَبُ إِنَّ شَيخَكَ ناصِحٌ فاضرب بسيفِكَ من ارادَ مساءةً هذا رجائي فيك بعد منبّتي فاعضد قواه بابئيَّ وكُنْ له

وقال يوصى وَلَدَه واخوتَه بنصرة النبي عَلَيْظُهُ:

{من البسيط}

بَعْدي: علبًا وصِنْوا الخيرِ عَبّاسا وجعفراً أنْ يسذودوا دونَهُ النّاسا

اوصي بنَـــَـَـُرِ أمـــينِ اللهِ مَـــشْهَدَهُ وحمــزة الأَسَــدَ المَحــشَيَّ صَــوْلَتُهُ

تْ _ من دون احمد عند الرَّوْع أتراسا(٢)

كونوا _ فدى لكم أُمّي وما وَلَـدَتْ _

⁽١) الديوان: ٣٤٠.

⁽۲) م.ن: ۲۶۲.

إنَّ وصية أبي طالب لاولاده طالب وعلى وجعفر واخويه حمزة والعباس (رضى الله عنهم) تعطى صورة واضحة عن ايهانه برسالة ابن أخيه، فلا شك في أن أبا طالب كان الركن الاساس لينية الدعوة الاسلامية، ينظر بعين الرجل الخبير الفاحص بان النجاح والنصم حليف هذه الدعوة، وهو يصمح يوصيته العامة لاولاده واخوته وعشيرته واحلافه: فقال: «...أوصيكم بمحمّد خيراً، فإنه الأمين في قريش، والصديق في العرب، وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به، وقد جاء بأمر قبله الجَنَانُ وأنكره الِّلسان مخافة الشنآن، وأيم الله كأني أنظر إلى صعاليك العرب، وأهل البر في الأطراف والمستضعفين من الناس أجابوا دعوته، وصدقوا كلمتَه وعظموا أمره، فخاض بهم غَمَرات الموت فصارت رؤوساء قريش وصناديدهم أذناباً ودورها خراباً، وضعفاؤها أرباباً وإذا أعظُمهم عليه أحوجهم إليه، وأبعدهم منه أحظاهم عنده قد محَضَتْه العرب ودادَها، وأصْفَتْ له فؤادها، وأعطته قيادَها دونكم يا معشر قريش ابن أبيكم، كونوا له ولاةً ولحزبه مُماةً والله لا يسلك أحد منكم سبيله، إلا رَشَد ولايأخذ أحد بهذيهِ إلا سعد، ولو كان لنفسي مدة ولأجلى تأخير، لكففت الهُرَاهز، ولدافعتُ عنه الدَّواهي»(١١).

في هذه الوصية أرجاً أبو طالب اتصديقه باللسان الى هذه الاونة التي يأس فيها عن الحياة حذار شنآن قومه المستتبع لانثيالهم عنه، المؤدِّي الى ضعف المُنَّة وتفكك القوة فلا يتسنى له حينئذ الذبُّ عن رسول الله عَيْمِاللهُ وان كان الايان به مستقرا في الجنان من اوَّل يومه لكنه لما شعر بأزوف الاجل وفوت الغاية المذكورة

 ⁽١) الرّوض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام: ٢/ ٢٢٧، ظ: ثمرات الاوراق في المحاضرات:
 ٢/ ١٤ - ١٥، بحار الانوار: ٣٥/ ٩٠، الشنآن: البغض، الهزاهر: الفتن.

ابدى ما اجنته اضالعه فأوصى بالنبي مَلِيَاللهُ ١٠٠٠).

وما برح ابو طالب يوصي قومه بابن أخيه رسول الله عَلَيْنِهُ ، ففي اتباعه الخير والفلاح والرشاد (" حتى توفي.

مات أبو طالب في السنة العاشرة للبعثة "، بعد ان كفل النبي وعضده ومنعه وقاوم رؤوس السرك ضده، ووقف بجانبه زهاء اثنين واربعين عاما، وشَعَر رسول الله عَيَالِللهُ بخسارة عمه، وفُقِد به نصيرا يفديه بنفسه واو لاده، مدافعا عنه اذى قريش، وملجأ حصينا يلوذ به من المشركين المستبدين، فقال: «ما نالت مني قريش شيئاً اكرهه حتى مات أبو طالب» ".

إنَّ شعور الحزن الذي غزا قلب رسول الله بوفاة عمه تفسره اواصر اسباب الخير بين رسول الله وعمه الناصر لدين الله وإلا فان رسول الله واثن من نصرة رسالته مها تألب عليه اعداؤها.

وما تقدم يتبين: إن الصلة الحميمة بين أبي طالب وابن أخيمه غذت قريحته بقول الشعر في الاسلام، وأملت عليه لوناً جديداً لم يكن معهوداً من قبله وهو شعر نصرة الدعوة الاسلامية وصاحبها.

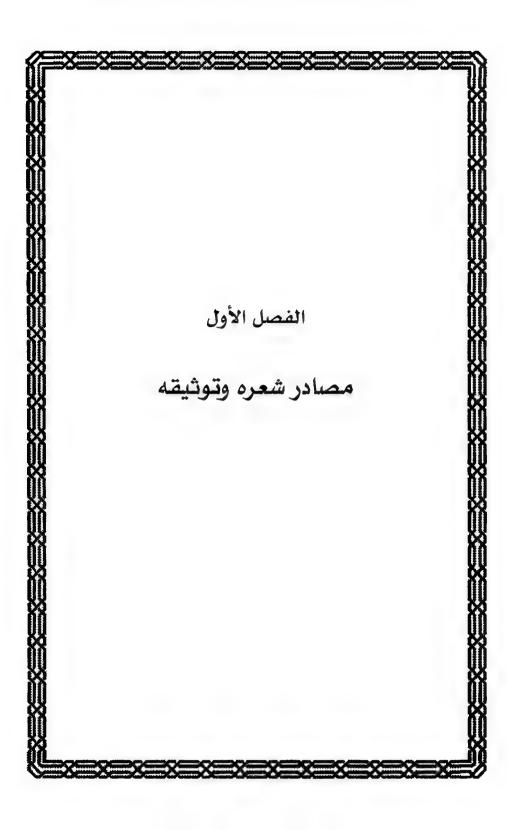


⁽١) الغدير في الكتاب والسنة والادب: ٧/ ٣٦٨.

⁽٢) ظ: الطبقات الكرى: ١/ ١٢٣، الخصائص الكرى: ١/ ٨٧.

⁽٣) ظ: انساب الاشراف: ١/ ٢٣٦.

⁽٤) السيرة النبوية لابن هشام: ٢/ ٤٦.



مفتتح الفصل النَّحْلُ والوضع في الشعر

اقترنت ظاهرة الشك بقضية الوضع والنحل، وهي من الظواهر العامة التي عرفها تراثنا الشعري في الحقب التأريخية المختلفة قبل الاسلام وبعده مع تباين في درجة وجودها تبعا لاختلاف العوامل والظروف التي أدت الى ظهورها، وهي ليست ظاهرة في الادب العربي فحسب، وانها وجدت في آداب الأمم الاخرى التي لما نتاج أدبي أن مرد شيوع هذه الظاهرة في ادبنا العربي القديم يعود الى الوضع القبلي الواضح في نحل الاشعار، والرواة الوضّاعين أن والرواية الشفوية، وعدم التدوين والبعد الزمني الذي قطعه هذا النتاج الضخم من التراث الادبي، واختلاف الاجبال التي تناقلته بوسائلها المتنوعة.

فظاهرة الوضع والانتحال في الشعر ظاهرة طبيعية ليس بوسم المرء ان

⁽١) ظ: مصادر الشعر الجاهلي: ٣٢١.

⁽٢) ظ: طبقات فحول الشعراء: ٤٦-٤٩.

ينكرها، وأمرها ليس خافيا على الدارسين الشعر العربي ولاسيها القديم، فقد نبهوا عليها، ووقفوا امام الاشعار، وعقبوا عليها بالنقد تارة، وبالتحقيق تارة اخرى، وأبدوا رأيهم في الاشعار التي ارتابوا فيها، وإذا كانت هناك بعض الاشعار موضع الشك في صحتها، ونحلها، فهي لاتقاس على الكم الكبير الاشعار السليمة، فهي لا تشكل خطرا يجعل الدارسين يعزفون عن دراستها.

وقد يتفرع من ظاهرة النحل والوضع، ظاهرة اخرى وهي الخلط والتداخل في الاشعار المتنازعة النسبة الى قائليها، لمشابهة الموضوع الذي قيلت فيه ومناسبتها، وتشابه الوزن والقافية لقصيدة، او مقطوعة لمشاعرين مختلفين، ولتمضمين احد الشعراء شعر غيره الى غير ذلك من هذه الامور، وهذا لايخل في صحة الاشعار واصالتها، وهي اشعار سليمة صدرت من افواه قائليها من الشعراء.

واذا كانت قضية النحل والوضع، وما يتفرع منها من خلط للاشعار وتداخلها في الشعر الجاهلي والاسلامي قد شغلت الباحثين من العرب والمستشرقين الذين سنتطرق اليهم بالدراسة ـ فان شعر أبي طالب نال حظا من عنايتهم في إطار بحثهم هذه القضية المرتبطة بشعر سيرة رسول الله عَلَيْهِ الذي له مزية خاصة تحمل ملامح التطور والتغير والتجدد في الشعر على المستويين: الموضوع والفن، فحري بالبحث ان يناقش هذه الظاهرة من خلال دراسة مصادر شعر أبي طالب وتوثيقه.

الي طالب: الي طالب:

إن رواية الشعر اصل قائم بذاته، وجدت عند العرب قبل الاسلام، فكان العلماء المعنيون برواية الشعر والاخبار قبل الاسلام وممن ادرك الاسلام يأخذون

⁽١) ظ: مصادر الشعر الجاهلي: ٤٢٩ - ٤٧٨، عقد الدكتور ناصر الدين الأسد فصلاً بهذا الشأن.

علمهم ممن تقدمهم أو عاصرهم (۱) وتومى الاخبار والروايات الى ان أهل بيت أبي طالب واصحاب رسول الله عَلَيْنَا كانوا يتناقلون شعر أبي طالب بعد وفاته، فكانوا يحملون شعره ويروونه استجابة للروح الجهادية لمرحلة عهد النبوة.

فقد روي في حديث الاستسقاء ، بعد أن استسقى الرسول عَلَيْكُاللهُ لاهل المدينة ، قال « لله درُّ أبي طالب! ... من يُنشِد قوله؟ فقام على: فقال: يارسول الله ، لعلك أردت: «وأبيض يُستسقى الغهام بوجهه»، قال: اجل، فأنشده ابياتا من هذه القصيدة» (") ، فالامام على بن أبي طالب عليه للإراو لشعر ابيه .

وتذاكر شعر أبي طالب أيضاً ابن أخيه عبيدة بن الحارث بن المطلب (ت٢هـ) يوم بدر، فورد في السيرة النبوية لابن هشام (ت٢١٣هـ) ما نصّه: «لما أصيب رِجلُ عبيدة قال: أما والله لو ادرك أبو طالب هذا اليوم لعلم أني احق منه بها قال حين يقول:

{من الطويل} ولّسا نُطساعن دونَسهُ ونُناضِسلِ ونَسلَ عسن ابنائنا والحلائسل

ك ذبتم وبيت الله يُبْزى محمدٌ ونُسسْلِمه حتّى نصرّع حَولَده

وهذان البيتان في قصيدة أبي طالب "".

⁽١) ظ: مصادر الشعر الجاهلي: ٢٥٥.

⁽٢) شرح نهج البلاغة: ١٤/ ٨١، ظ: شرح شواهد المغنى: ١/ ٣٩٨، بحار الانوار: ٣٥/ ١٦٨.

 ⁽٣) السيرة النبوية :٣/ ٢٤، ظ: الكامل في التاريخ: ٢/ ٨٧، شرح نهج البلاغة: ١٤/ ٨٠، الـديوان: ٧٤، مع اختلاف الرواية: «... نَبْرا محمداً ... ولما نُطاعِنْ دونه ونناضِلِ.

و مما ساعد على رواية شعره أنه كان يوثق السيرة النبوية اذ اورد في هذا الشعر ما واجه رسول الله عَلَيْواللهُ في فجر الدعوة الاسلامية حتى ساعة احتضاره، فمدحت السيدة فاطمة ابنته عليه اباها بشعر أبي طالب، فقال لها رسول الله عَلَيْواللهُ: «يا بنية هذا قول عمك أبي طالب» (1) وهكذا استمرت رواية شعر أبي طالب في عهد الخلافة الراشدة، فقد روي النويري (ت ٧٣٣هـ) في نهاية الارب في فنون الادب عن السيدة عائشة، قال : «لما حضرت ابا بكر الصديق رضي الله عنه الوفاة، قالت عائشة رضي الله عنها وهو يغمض: وأبيض يُستسقى الغمام بوجه م.... (البيت) فنظر اليها وقال: ذاك رسول الله عَلَيْواللهُ» (1).

وكان «ابن عُمَر يتمثل بشعر أبي طالب» $^{(7)}$ ، وكذلك عبد الله بن عباس بن عبد المطلب $^{(1)}$.

إن الشواهد التي ذكرناها تدل على ان شعر أبي طالب كان يتناقل في عهد النبي عَيَيْوَاللهُ ، وبعده شأنه شأن غيره من الشعر العربي حتى جاء عهد التدوين في نهاية القرن الاول، وبداية القرن الثاني للهجرة فجهد اصحاب السير والتاريخ في نقل شعر أبي طالب، لان حياة النبي عَيَيْواللهُ في سيرته كانت ملازمة لعمه أبي طالب، فجمع اصحاب السير اشعارا لا يُستهان بها، وكان ضمن هذه الرحلة العلمية رحلة فجمع اصحاب الدين يتنقلون بين القبائل لينقلوا عنها اللغة والشعر ، ويجمعوا شعر علماء العربية الذين يتنقلون بين القبائل لينقلوا عنها اللغة والشعر ، ويجمعوا شعر

⁽١) الحجة على الذاهب الى تكفير أبي طالب: ٣٠٥.

⁽٢) نهاية الارب في فنون الادب: ٣/ ١٧٥، ١٦٧.

⁽٣) صحيح البخاري: ١/ ٢٣٨، فتح الآله في اختصار السنن الكبرى: م: ٢، ق:٣، ج ١/١٥.

⁽٤) ظ: الحجة على الذاهب الى تكفير أبي طالب: ٣٢١.

شعراء القبائل، والاهمية شعر أبي طالب تصدى لجمعه وتصحيحه وشرحه اثنان من العلماء وهما: أبو هفان المهزمي البصري (ت٢٥٧هـ)، وعلى بن حمزة البصري التميمي (ت٣٥٧هـ).

وقد اورد اصحاب المظان اشارات عنها في صحة نسبة الديوان الى صانعيّه، ومنها ما رواه ابو العباس احمد بن علي النجاشي (ت ٥٠٥هـ) في رجاله عن ديوان أي طالب صنعة أي هفان، قال: «لعبد الله كتاب شعر أي طالب بن عبد المطلب وأخباره» (١)، وعقب على ما ذكر من كتب أي هفان ـ ومنها شعر أي طالب ـ عن مؤلفها بسندين اثنين.

الأول: عن ابي احمد عبد السلام بن الحسين الاديب البصري (ت٥٠٥هـ) عن أبي عبد الله محمد بن عمران بن موسى بن سعيد المرزباني (ت٣٨٤هـ) عن أبي احمد يحيى بن علي بن يحيى بن ابي منصور المنجِّم (ت٥٠٠هـ) عن أبي هفان .

⁽١) الرجال:١٦١.

⁽٢) اكان عالما باللغة والأدب والقرآن، صدوقاً اديباً، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: ٢/ ٩٥.

⁽٣) اكان راوية للادب، صاحب اخبار، وتواليف كثيرة، وكان ثقة في الحديث، وفيات الاعيان وأبناء أنباء الزمان: ٣/ ٤٧٦.

⁽٤) كان راوية للشعر والاخبار، له مصنفات عديدة ،ظ: وفيات الاعيان وأبناء أنباء الزمان: ٣/ ٢٤٤-٢٤٧.

⁽٥) كان شاعرا وراوية وعلّامة اخباريا ، وله مصنفات عديدة، ظ: وفيات الاعيان وابناء ابناء الزمان: ٣/ ٥٦.

الثاني: عن ابي الحسن بن الجندي أحمد بن محمد بن عمران (ت٣٩٦هـ) عن محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسين الانباري النحوي اللغوي (ت٣٢٨هـ) عن أن هفان ".

وهذان السندان الجيدان المرفوعان عن أبي هفان من علماء رواة القرنين الثالث والرابع يوثقان شعر أبي طالب تماماً.

و مما يزيد في توثيقه ما أورده البغدادي (ت١٠٩٣هـ) من أشارات ثلاث في خزانة الادب عن ديوان أبي طالب، ذكر الاولى عندما سرد الأصول والدواوين التي اعتمدها في تصنيف كتابه من دون ان يومىء الى اسم صانع الديوان، فذكر «ديوان أبي طالب عم النبي عَلَيْوَاللهُ "فحسب، ويبدو ان البغدادي اعتمد في كتابه على ديوان أبي طالب ـ صنعة أبي هفان ـ نتبين هذا الامر من تعليقاته على احد قصائد أبي طالب في شرحها ، قال: «وقال أبو هفان: ثبالة عرضٌ من اعراض مكة... " وقوله: «قال أبو هفان: المولى: ابن العم ... " (أ)

والاشارة الثانية، خمص بها صانع المديوان، فقال وهمو يعلق عملي قميدة

⁽١) من علماء اللغة والادب له مصنفات عديدة، ظ: الرجال: ٦٧.

⁽٢) «كان من اعلم الناس بالنحو والأدب، واكثر حفظ ... وكان صدوقا فاضلا دينا خيرا ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: ١/ ٢١٤.

⁽٣) ظ: الرجال: ١٦١.

⁽٤) خزانة الادب: ١/ ٢٠.

⁽٥)م.ن: ۱۰/۲۷۰.

⁽٦) م.ن: ۱۱/ ۲۷۱.

أبي طالب النونية: «واما على رواية أبي هفان عبد الله بن احمد المهزمي، فإنَّ بعده ... {البيت} »(۱).

واما الاشارة الثالثة، فذكر اسم صانع الديوان حمزة نقلا عن ابن حجر العسقلاني (ت٢٥٨هـ)، قال: «قال ابن حجر: رأيت لعلي بن حمزة البصري جزءاً جمع فيه شعر أبي طالب»(٢).

وقد وصلت هاتان الروايتان الينا، وقضية نسبتهما الى صانعهما من الامور المسلم بها لا تحتاج الى مزيد من البحث.

₩ رواة الديوان:

سبق ان ذكرنا ان ديوان أبي طالب دوِّن بروايتين:

الأولى: حملت اسم صانعها «عبدالله بن احمد بن حرب بن مِهْزَم بن خاله» (٣) المعروف بكنيته أبي هفان وهو «راوية عالم بالشعر والغريب» (١) و «من النحاة اللغويين الادباء» (٥) ، وهو «في جملة شعراء المحدثين وكان اخباريا راوية مصنفا» (١) ، له سبعة

^{(1) 9.6: 1/753.}

⁽٢) خزانة الادب: ٢/ ٧٦، بلوغ الإرب في معرفة احوال العرب: ١/ ٣٢٤، ولم اعشر على هذه الاشارة في الاصابة لترجمة أبي طالب، ظ: الاصابة في تمييز الصحابة: ٤/ ١١٥ - ١١٩.

⁽٣) الرجال: ١٦١، نزهة الالباء في طبقات الادباء: ١٤١.

⁽٤) سمط اللآلي: ١/ ٣٣٥.

⁽٥) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: ٢/ ٣١.

⁽٦) الفهرست: ٢٢٣، ظ: طبقات الشعراء: ٤٠٩.

مصنفات (۱) ، اخذ عن رواة عصره شعر أبي طالب (۱) ، ومنهم أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٦هـ) المثنى (ت ويب الاصمعي (ت٢١٦هـ) وعبد الملك بن قريب الاصمعي (ت٢١٦هـ) وعمه خالد بن حرب المهزمي (۱) ، وأبو محلم محمد بن سعد (ت٢٤٨هـ). (١) .

اما الرواية الثانية: فحملت اسم صانعها الاديب اللغوي ابي القاسم علي بن حزة البصري التميمي^(۵)، وهو من «اعيان اهل اللغة الفضلاء المتحققين العارفين بصحيحها من سقيمها»^(۱)، ذُكر له ثمانية مصنفات^(۱)، اخذ عن رواة عصره شعر أبي طالب^(۱)، ومنهم:

أبو رياش احمد بن ابراهيم القيسي (ت٩ ٣٤هـ) (٥) ، وأبو بشر احمد بن ابراهيم بن معلى بن اسد (ت بعد • ٣٥هـ) (١٠٠ ، وابو احمد عبد العزيز بن يحيى بن احمد بن

⁽١) ظ: الديوان: ١٠ - ١١.

⁽۲) ظ:م.ن: ۲۸.

⁽٣) لم اعثر على سنة وفاته.

⁽٤) كان عالما في اللغة والادب، وكان شاعرا كثير الحفظ، له مصنفات، ظ: طبقات النحويين واللغويين: ١٩٠ - ١٩١، وإنباه الرواة على أنباه النحاة: ٤/ ١٦٧.

⁽٥) ظ: الفهرست: ٢٢٤.

⁽٢) معجم الأدباء: ١٣/ ٢٠٨.

⁽٧) ظ: الديوان: ٤٩ - ٥١ .

⁽٨) ظ:م.ن:٧١-٩٤.

 ⁽٩) كان اديبا لغويا راويا، واخباريا نسابة، كثير الحفظ، ظ: نـشوار المحـاضرة واخبـار المـذاكرة: ١٢/٤،
 ويتيمة الدهر في محاسن العصر: ٢/ ٣٥٢، وانباه الرواة على انباه النحاة: ١/ ٢٥.

⁽١٠) كان راويا اخباريا، وثقة في الحديث وحسن التصنيف، ظ: الفهرست: ٣٣٧، الرجال: ٧٥.

عيسى الجلودي (ت ٣٣٠هـ)(۱)، وابو محمد هارون بن موسى التلعكبري (ت٣٨٥هـ)(۱).

🞇 جمع شعره:

قام بجمع شعر أي طالب مجموعة من المعنيين بالدراسة مما وقع بأيديهم من شعره في عدد من الكتب المخطوطة والمطبوعة ، وكان مما ظفرنا به سبع نسخ من ديوان أبي طالب، او ما شابه هذا العنوان، تحمل بين طياتها تصحيح الديوان ، او جمع وشرح الديوان، او جمع وتحقيق، لمحققين عدة، وقد وقفنا على ذكر هذه النسخ واهم من حققها وعلق عليها، وهي على النحو الآي بحسب سنة الطبع:

ا ديوان شيخ الاباطح أبي طالب - جمع أبي هفان عبد الله بن احمد المهزمي رواية عفيف ابن اسعد عن عثمان بن جني (ت٣٩٢ هـ)، صححه وعلى عليه العلامة السيد محمد صادق آل بحر العلوم طبع في مطبعة الحيدرية في النجف سنة ١٣٥٦ هـ ١٩٣٦ م.

٢ ـ غاية المطالب في شرح ديوان أبي طالب عم النبي عَلَيْنِ لَجَامِعه وشارحه
 محمد خليل الخطيب طبع في مطابع طنطا في مصر سنة ١٣٧١هــ ١٩٥١م.

٣ _ شعر أبي طالب واخباره والمستدرك عليه للاديب اللغوي أبي هفان عبدالله ابن احمد المهزمي، تحقيق قسم الدراسات الاسلامية، مؤسسة البعثة في قسم _ ايران سنة ١٤١٤هـ.

⁽١) كان اخباريا، ثقة في الحديث وحسن التصنيف، ظ: الفهرست: ٣٣٧، والرجال: ٧٥.

⁽٢) كان ثقة معتمدا لا يطعن في حديثه له مصنفات ، ظ: الرجال: ٣٤٣.

٤ ـ ديوان أي طالب عم النبي عَلَيْظُهُ جمعه وشرحه الدكتور محمد التونجي الصادر عن دار الكتاب العربي في بيروت عام ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.

٥ _ ديوان أبي طالب _ صنعة أبي هفان، حققه الـشيخ محمد حسن آل ياسين (د.ت).

٦ ديوان أبي طالب بن عبد المطلب لصانعه علي بن حمزة البصري التميمي،
 حققه الشيخ محمد حسن آل ياسين، في بغداد لسنة ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.

٧ ـ وقد جمع المحقق الشيخ محمد حسن آل ياسين النسختين المذكورتين في نسخة واحدة بعنوان ديوان أبي طالب بن عبد المطلب صنعة أبو هفان، وصنعة علي بن حمزة، الصادر عن دار الهلال للطباعة والنشر في بيروت لسنة ١٤٢١هـــ بن حمزة، الصادر عن دار الهلال للطباعة والنشر في بيروت لسنة ١٤٢١هــ بن حمزة، المادر عن دار الهلال للطباعة والنشر في بيروت لسنة ١٤٢١هـ. م.

وهذه النسخ المذكورة جاءت بروايتين:

الأولى: سمّى أبو هفان صدر نسخته «شعر أبي طالب عم الرسول عَلَيْكُ »، واحتوت هذه النسخة على ثلاثين نصا اقل هذه النصوص بيتان، واكثرها مائة واحد عشر بيتا، وضم الديوان اربعائة وثلاثة وعشرين بيتا، وبيتين مكررين.

طبعت هذه الرواية بعنوان «ديوان شيخ الاباطح أبي طالب» صححه وعلق عليه السيد محمد صادق آل بحر العلوم في العراق بمطابع الحيدرية في النجف الاشرف لسنة ١٣٥٦هـــ ١٩٣٦م، في اربعين صفحة.

ثم أُعيد نشر رواية أبي هفان للديوان باسم «غاية المطالب في شرح ديوان أبي طالب عمم النبي عَلَيْوَالله » لجامعه وشارحه: محمد خليل الخطيب، في مصر لسنة السنة على ستة

وخسين نصا، وضم خسمائة وثمانية وخسين بيتا، أي بزيادة على النسخة التي نشرها السيد محمد صادق بحر العلوم بمائة وثلاثة وثلاثين بيتا، وقد اهتدى محمد خليل الخطيب، وصديقه السيد احمد صقر بدار الكتب المصرية الى قبصائد لأبي طالب عم النبي لأبي هفان عن نسخة بخط ابي الفتح عثمان بن جنبي دوَّنها عنه محمد محمود الشنقيطي، فضلا عما عشر عليه من مظان اللغة والادب والسير، حتى تهيأ له الاستدراك على ما وجده في دار الكتب المصرية من شعر أبي طالب (۱)، وصدَّر الديوان بالمقدمة التي ضمَّنها ترجمة عن الشاعر.

ثم صدرت هذه الرواية بعنوان «شعر أبي طالب واخباره والمستدرك عليه» لصانعه أبي هفان عن نسخة بخط ابي الفتح عثمان بن جني، حققه مجموعة من المحققين في قسم الدراسات الاسلامية في مؤسسة البعثة التابعة الى قم في ايران لسنة 1818هـ 1991م، وقد اوماً المحققون ألى ان الطبعة نقلت عن رواية أبي هفان ونسخة ثانية بخط ابي الفتح عثمان بن جني وثالثة برواية علي بن حمزة التميمي، فضلا عن الطبعتين السابقتي الذكر، وهما: ديوان شيخ الاباطح أبي طالب، وغاية المطالب في شرح ديوان أبي طالب.

ويبدو أن المحققين قد غضوا الطرف عن مقابلة الرواية التي ذُكرت لأبي هفان مع رواية علي بن حمزة، ولم يستدرك عليها شيئا اطلاقا^(٣)، بخلاف ما ذكروه في

⁽١) ظ: غاية المطالب في شرح ديوان أبي طالب (المقدمة): ٣- ٤.

⁽٢) ظ: شعر أبي طالب واخباره والمستدرك عليه (المقدمة): ١٨.

⁽٣) ظ: الديوان (آل ياسين): ٩٠ ، ٢٣٩، ٢٩١، ٢٥١، في هـذه الـصفحات نـصوص لعـلي بـن حمـزة التميمي لم نعثر عليها في رواية ابي هفان في نسخة شعر ابي طالب وأخباره والمستدرك عليه طبعة قم.

اعتمادها في مقدمة الديوان.

فقد فحصنا الديوان صنعة على بن حمزة، فلم نعشر على النصوص المذكورة بأرقامها (٢٧، ٤١، ٤١، ٤٧) اما ما ورد في نصوص المستدرك فقد خُرِّ جَتْ من المضان وليس من الرواية المذكورة.

وبلغ عدد ابيات الديوان خمسائة وتسعين بيتا مع المستدرك، أي بزيادة اثنين وثلاثين بيتا عن الطبعة الثانية.

ووقف الدكتور محمد التونجي على هذه الرواية وصدَّرها بعنوان «ديوان أبي طالب عم النبي عَلَيْوَاللهُ » الصادر عن دار الكتاب العربي في بيروت لسنة ١٤١٨هـ ـ طالب عم النبي عَلَيْوَاللهُ » الصادر عن دار الكتاب العربي في بيروت لسنة ١٤١٨هـ من ١٩٩٨م، فكان مجموع الديوان ستهائة وبيتين اثنين مع ما استدركه من ابيات لم تذكر في رواية أبي هفان (۱) ، وبلغ عددها مائة وتسعة وسبعين بيتا، وبزيادة على ما استدركته مؤسسة البعثة باثني عشر بيتا.

وكان الدافع لعمل الدكتور محمد التونجي ما سوغه من قول: «رأيت ان شعره متفرق بين كتب اللغة والنحو والادب، والتاريخ، ثم عثرت على كتاب (غايمة المطالب في شرح ديوان أبي طالب) للشيخ الازهري محمد خليل الخطيب، فرأيته ضمَّ جزءا كبيرا من شعره إلا أن النقص بادٍ فيه، ثم ان الروايات تختلف كما أنَّ

⁽۱) ذكر التونجي في المقدمة: ٦، انه وقف على رواية علي بن حمزة، وقد فحصنا الرواية المذكورة فوجدنا نصوصا لم ترد في نسخة التونجي، ظ: الديوان (آل ياسين): ١٤٩ – ١٦٥، ١٦٥، ١٦٥، ١٨٥، ١٨٥، ١٨٥، ١٨٥، ١٨٥ ومقطوعات ويبدو انه جمع ابيات رواية ابي هفان مع مستدركه في نسخة الخطيب لأنه اعتمد عليه في تخريج جميع النصوص واستدرك على ما لم يجده في هذه النسخة من المظان.

عرض الشعر الذي اتبعه الخطيب ينقصه المنهج العلميُّ ناهيكم عن أنَّ مطبع منذ حوالي خمسين سنة»(١).

وتكفل الدكتور محمد التونجي بذكر مقدمة بترجمة موجزة عن الشاعر، واورد الشعر المستدرك في ثنايا الديوان مع ترتيب حروف روي نسخة أبي هفان.

اما الرواية الثانية: فهي رواية على بن حمزة التميمي فسمى صدر نسخته «ديوان جمع فيه شعر أبي طالب عم النبي عَلَيْوَالله » احتوت هذه الرواية على اربعة وخمسين نصا اقل النصوص بيت واحد واكثرها مائة وخمسة عشر بيتا، وضم الديوان خمسائة وثلاثة وتسعين بيتا، بزيادة على ابيات رواية أبي هفان مائة وثمانية وستين بيتا.

وقد وقف الشيخ محمد حسن آل ياسين على الروايتين المذكورتين ونشرهما، كل رواية مفصولة عن الاخرى بعنوان «ديوان أبي طالب بن عبد المطلب»، ثم ضم الروايتين الى بعضها في كتاب واحد وبالعنوان نفسه على نحو اصل رواية أبي هفان، واصل رواية على بن حمزة، وصدَّر المحقق الديوان بمقدمة طويلة تضم ترجمة عن الشاعر وترجمة عن صانعي المديوان واصفا منهجه في «تحرير المنص وتصويبه واخراجه اقرب ما يكون الى اصل مؤلفه، بعيدا عن الشروح والتعليقات التفصيلية التي لا تدخل في صلب عملية التحقيق، باستثناء شرح بعض الكلمات الغريبة والمفردات الغامضة التي لم يفسرها الصانعان» (").

وجعل المحقق لكل نص رقها خاصا به، ولكل بيت في النص مثل ذلك، ثم ألحق في الديوان التخريجات لرواية على بن حمزة مع الاشارة الى الاختلاف عن رواية

⁽١) ديوان أن طالب عم النبي عَيْنَالُمُ (المقدمة): ٥.

⁽٢) ديوان أن طالب بن عبد المطلب (المقدمة): ٥٣.

أبي هفان، وبيَّن الاصل والمصادر الاخرى.

وبها أن المحقق الشيخ محمد حسن آل ياسين ضم رواية أبي هفان وعدد ابياتها الربعهائة وثلاثة وثلاثة وثلاثة وشلاثة وعشرون بيتا الى رواية علي بن حمزة وعدد ابياتها خمسهائة وثلاثة وتسعون بيتا، فكان عدد ابيات الروايتين ألفاً وستة عشر بيتا، فاذا حذفنا الابيات المشتركة بين الروايتين وعددها مائة وستة وسبعون بيتا، فإنه يبقى من الابيات ثهانهائة واربعون بيتا، واستدرك المحقق على الروايتين مائة وواحداً وعشرين بيتا، فكان مجموع ابيات الديوان تسعهائة وواحداً وستين بيتا وهذا الجهد عمل قيم لا يستهان به موازنة مع جهود سابقيه.

ويبدو أن المحقق لم يطَّلِع على نسختي الخطيب والتونجي، فلم يـشر الى هـاتين النسختين (١)؛ وبذلك كله لاحظنا أن هذا الديوان تضافرت عـلى جمعـه جهـود كبـيرة استعان اصحابها بها توافر لديهم من مصادر.

اما ما استدركته على الديوان فواحد وستون بيتا ومشطورا(")، يخرج منها بيتان مذكوران في القصيدة القافية في الديوان ويضاف الى العدد اربعة ابيات ما استدركت عليه مؤسسة البعثة، وخمسة ابيات في نسخة محمد التونجي لم يذكرها محمد حسن آل

⁽۱) ثم شارك مجموعة من المؤلفين فأصدروا ديوان أبي طالب ضمن الموسوعة الشعرية الصادرة من بيروت لسنة ٢٠٠٤م، وضم الديوان ستهائة وثلاثة ابيات تصدر الديوان بمقدمة موجزة جدا عن الشاعر، ورتبت النصوص بحسب حروف الروي ولا تسعفنا النسخة التي بين ايدينا لمعرفة المزيد من التفاصيل حول وصف الديوان، فهي مسحوبة من القرص (الموسوعة الشعرية) تفتقد مزايا التحقيق العلمي من عدم ذكر الرواية والتخريجات والاستدراكات الي آخره.

⁽٢) ظ: المستدرك على الديوان «في نهاية الاطروحة».

ياسين، فيصبح شعر أبي طالب الذي ظفرنا به ألفاً وتسعة وعشرينَ بيتاً وشطراً.

ومع هذه الجهود كلها التي تضافرت في جمع شعر أبي طالب والاستدراك عليه، يبقى قسم منه ضائعا، فاذا كان العدد الاكبر يمثل شعره الديني، فلا بد من أن اشعاره في الاغراض الاخرى كثيرة، وان ما عُثر عليه من ابيات متفرقة من الكتب ما هي سوى اجزاء متفرقة من قصائد ضائعة، لا ريب في أنها كانت تامة فلم يبق منها إلا هذه الابيات المعدودة، وعسى ان تجود المظان التي لم تقع بين ايدينا والمظان غير المحققة بها يعثر الباحثون عليها لاعادة جمع شعر أبي طالب بصورة افضل مما سبق.

تعددت المصادر التي حملت الينا شعر أبي طالب نتيجة لتنوع موضوعاتها واتجاهاتها واهدافها، وبحسب الاتجاه العلمي الذي اختطه اصحاب هذه المصادر وهي أدبية ولغوية وتاريخية ودينية.

ذكرنا آنفا ان هناك جهودا حثيثة تضافرت لجمع شعر أي طالب تمثلت بصنعتين: صنعة أبي هفان ، وصنعة علي بن حمزة، وقام جماعة من المعنيين بالشعر بالاستدراك على هاتين الصنعتين لديوان أبي طالب من المصادر.

ومن الطبيعي ان تحفل مصادر الادب بهادة شعر أبي طالب إلى جانب النظرة الادبية والنقدية المتفحصة التي تلقي بعض الاضواء في هذا الشعر وتساعد على توثيقه، ومنها البيان والتبيين للجاحظ (ت٥٥٥هـ) فقد اورد بيتا واحدا("، و في كتابه الاخر (البرصان والعرجان والعميان والحولان) أورد ستة أبيات ("، وجاء في

⁽١) ظ: السان والتسن: ٣٠/٣.

⁽٢) ظ: البرصان والعرجان والعميان والحولان: ٢٧، ٢٨.

العقد الفريد لابن عبد ربه (ت٣٢٨هـ) بيتُ واحدٌ (ا)، ولا شك في أن هذه الأبيات القليلة هي أبيات مختارة من نصوص سواء أكانت قصيدة أو مقطوعة وكل مصدر من هذه المصادر ينفرد عن الآخر بهذه الأبيات، فليس ثمة تشابه بينها مما يمنحها الجديد ضمن الشعر المجموع.

ومن كتب الادب العامة التي حفلت بكثير من اشعار أبي طالب كتاب خزانة الادب للبغدادي فقد بلغ عدد الابيات الواردة فيه مائة وثلاثة ابيات أن وعلى الرغم من أن البغدادي متأخر، أفاد بها لديه من خبره وعلم ودراية واسعة بها قدمه من شروح للابيات الشعرية التي اوردها، ولا سبها فيها يتعلق بظاهرة توثيق شعر أبي طالب وانتحاله.

ومن المصادر الادبية العامة التي ترجمت عن الشعراء، كتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام (ت ٢٣١هـ) الذي قسم كتابه على شعراء جاهليين واسلاميين وترجم لشعراء المدن، ومنهم أبو طالب في مكة فاثنى عليه ببراعة شعره وجودته ولكنه ذكر بيتا واحدا^(٣) من القصيدة اللامية لاستشهاد في التنبيه على قضية زيادة شعره وهو يحاور الاصمعى.

ومن التراجم الادبية الاكثر شهرة كتاب الاغاني لابي الفرج الاصفهاني (ت٥٦٥) فقد حوى كتابه سبعة ابيات (شعر أبي طالب.

⁽١) ظ: العقد الفريد: ٣/ ٢٤٢.

⁽٢) ظ: خزانة الادب: ١/ ٢٢٥، ٢/ ٥٥- ٥٧، ٢٧، ٨٧، ٣/ ٢٩٦، ٤/ ٢٤٢، ٥٤٢، ٥٧٥، ٦ / ٢٩١،

⁽٣) ظ: طبقات فحول الشعراء: ١/ ٢٤٤.

⁽٤) ظ: الاغاني: ٨/ ١٠١.

اما دواوين الشعر التي تضمنت شعر أبي طالب فمنها كتاب الحماسة البصرية لصدر الدين البصري (ت٩٥هـ) الذي أورد ستة ابيات (١).

ولا ضير من الاشارة إلى الدواوين الخاصة التي ضمت شعر أبي طالب ومنها شعر ابنه طالب فقد تمثل في شعر أبي طالب ضمن قصيدته البائية بستة ابيات "، وضمن شعر حسان بن ثابت الانصاري بيتا واحدا "، وسنتحدث عن هذا الامر في توثيق شعره.

وتشترك المصادر النحوية واللغوية بعنايتها بشعر أبي طالب وغالبا ما يكون الاستشهاد بنيف أو بضعة ابياتٍ ونادرا ما تزيد عليها، واقدم مصادر النحو هو الكتاب لسيبويه (ت ١٨٠هـ)، وقد أورد فيه ثلاثة شواهد شعرية (أ)، وذُكِرَ في المقتضب لابي العباس المبرد (ت ٢٨٥هـ) شاهدان اثنان (أ)، وفي تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الادب في علم مجازات العرب لابي الحجاج السنتمري (ت ٢٧٤هـ) ثلاثة ابيات (أ)، وفي سمط اللآلي لابي عبيد البكري (ت ٢٨٧هـ) بيت واحد (أ)، وفي الأمالي الشجرية لابن الشجري (ت ٢٤٥هـ) بيتان اثنان (أ)، وفي شرح واحد (أ)، وفي الأمالي الشجرية لابن الشجري (ت ٢٤٥هـ) بيتان اثنان اثنان اثنان (أ)،

⁽١) ظ: الحياسة البصرية: ١/ ١١ ١، ٢/٢.

⁽٢) ظ: مجموع شعر قريش في الجاهلية والاسلام (اطروحة): ٩٥١، ديوان أي طالب: ١٨٣.

⁽٣) ظ: شرح ديوان حسان بن ثابت: ١٣٤، ديوان أبي طالب: ٣٣٢.

⁽٤) ظ:الكتاب: ١/ ١١١ - ٨٠٤، ٣/ ٢٦١.

⁽٥) ظ: المقتضب: ٢/ ١١٤، ١٣٢.

⁽٦) ظ: تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الادب في علم مجازات العرب: ١٠٨، ١٣٤.

⁽٧) ظ: سمط الكرلي: ١/٢٦٥.

⁽٨) ظ: الامالي الشجرية: ٢/٦٠١، ٣٧٥.

جمل الزجاجي لابن عصفور الاشبيلي (ت٦٦٩هـ) بيتان اثنان اليضا، وفي شرح جمل الزجاجي لابن هشام الانصاري (ت٧٦١هـ) بيت واحد (أوفي مغني اللبيب عن كتب الاعاريب للمؤلف نفسه خمسة ابيات (أوفي شرح شواهد المغني للسيوطي (ت٩١١هـ) اثنا عشر بيتا (أ).

وافادت كتب اللغة والمعجهات من تفسير الالفاظ بالاستشهاد بابيات منفردة من شعر أبي طالب لأنها تابعة لمنهجها وموضوعاتها في بيان دلالة الالفاظ التي تقتضي الاستشهاد، ومنها كتاب المعاني الكبير لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) الذي أورد بيتا واحدا^(۱)، والاشتقاق لابن دريد الأزدي (ت ٢٣١هـ) أورد ثهانية ابيات^(۱)، والزاهر في معاني كلهات الناس لابي بكر الانباري (ت ٣٢٨هـ) أورد سبعة ابيات^(۱)، والبارع في اللغة لأبي علي القالي (ت ٣٥٥هـ) أورد بيتين اثنين (١٠٠هويوان المعاني لابي هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) اورد بيتا واحدا^(۱) الى اخره.

ويرتبط شعر أبي طالب بسيرة ابن أخيه محمد عَلَيْنَ الله ارتباطا وثيقا ويعدُّ شعره

⁽١) ظ: شرح جمل الزجاجي لابن عصفور: ١/ ٥٦٠، ٢/ ١٤٩، ١٨٩، احد الابيات مكرر.

⁽٢) ظ:شرح جمل الزجاج لابن هشام: ١٧٦.

⁽٣) ظ: مغنى اللبيب عن كتب الاعاريب: ١/ ١٨٠، ٢٩٧، ٣٧٥، ٢/ ٨٠٥ ٨٤٠.

⁽٤) ظ: شرح شواهد المغنى: ١/ ٣٩٦، ٣٩٧، ١/ ٢٨٦ - ١٨٨.

⁽٥) ظ: المعاني الكبير: ٢/ ٨٨٨.

⁽٦) ظ: الاشتقاق: ٨٨، ٩٧، ١٥٠، ٢٦٦.

⁽٧) ظ: الزاهر في معاني كلمات الناس: ١/ ٢٣٦، ٢٣٦، ٢٣٩، ٣٠٢، ٣٦٧.

⁽٨) ظ:م.ن:١/ ٤٧ ٥، ٢٥٢.

⁽٩) ظ: ديوان المعاني: ١/٣٧.

وثيقة لدعم الأحداث التاريخية، وقد احتوت هذه المصادر مادة غزيرة من شعر أبي طالب؛ لأنَّه يحمل سيرة النبي عَلَيْقِهُ من كفالة عمه أبي طالب له وتربيته ورعايته وحمايته وحياطته ونصرته ومؤازرته الى وفاته.

فشعر أبي طالب في سيرة النبي تمثل الحقبة التاريخية لتاريخ الاسلام منذ بنوع فجره الى ما قبل الهجرة بقليل، واهم المصادر التاريخية التي ضمنت شعر أبي طالب السير والمغازي لابن اسحاق (ت٥١هـ) فأورد في سيرته مائتين وثلاثة وعشرين بيتا(١)، ونحن امام هذا الشعر في حذر، غير ان ابن هشام (ت٢١٣هـ) يبدد الحيطة والحذر، لأنه نظر الى الشعر الوارد في سيرة ابن اسحاق وفحصه وعرضه على رواة اللغة واثبته من غير أن يشكك في شعر أبي طالب الوارد في سيرة ابن اسحاق، فاورد بحسب محل الاستشهاد في السيرة النبوية بهائتين وثهانية عشر بيتا(١).

ومن المصادر التي عنيت بشعر السيرة النبوية، ولا سيما شعر أبي طالب، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام للسُهيلي (ت ٥٨١هـ) فبذل السُّهيلي جهداً قيماً في شرح اشعار أبي طالب الواردة في السيرة من الفاظ استغلق فهمها واغمض اعرامها".

وتلت سيرة ابن هشام كتب أُخرى عيال عليها ومنها السيرة النبوية لأبي الفداء

⁽۱) ظ: السير والمغازي: ۳۵، ۷۷- ۷۷، ۷۸، ۱۶۸، ۱۶۹، ۱۵۰، ۱۵۰، ۱۵۰، ۱۵۰، ۱۵۰، ۱۵۰، ۱۵۰- ۱۵۰، ۱۵۰- ۱۵۰، ۱۵۰- ۱۵۰، ۱۵۰ م ۱۵۰، ۱۲۰، ۱۲۰، ۱۲۰، ۱۲۰، ۱۷۰- ۲۰۸، ۱۷۰۰.

 ⁽۲) ظ: السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٢٥٥، ٧٢٧ - ٨٢١، ٢٦٩، ٢٧٢ - ٢٨٠، ٢٣٣ - ٣٣٣، ٢٥٦ ٣٥٣، ٢٧٧ - ٢٧٧، ٨٧٧ - ٣٨، ٢/ ١٥،٤، ١٩ - ٢٠، ٣/ ٢٤.

⁽٣) الرَّوض الأُنف في تفسير سيرة ابن هشام: ٢/١٥- ١٢،١٦- ١٣١، ١٣٢ - ١٣٢، ١٣٣ - ١٣٣، ١٣٣ - ١٣٣،

اسماعيل بن كثير (ت٤٧٧هـ) فأورد مائة وسبعة وستين بيتا(١)، وفي البداية والنهاية في التاريخ للمؤلف نفسه ذكر مائة واربعة وخمسين بيتا(١).

ومن المصادر التاريخية كتب التراجم التي حفلت بشعر أبي طالب، فورد في أنساب الأشراف للبلاذري (ت٢٧٩هـ) اثنان وثلاثون بيتا (٣)، وفي الاصابة في تمييز الصحابة للعسقلان (ت٢٥٨هـ) أربعة ابيات (١٠).

وحفلت مصادر العقائد التي تبحث عن موضوعات دينية تتصل بعقيدة أي طالب بشعر وفير، ومنها النكت الاعتقادية (في ايهان أبي طالب) للشيخ المفيد (ت ١٣٣٤هـ) ذكر تسعة وستين بيتا (ق)، وفي كتابه الفصول المختارة أورد ثلاثة وعشرين بيتا (أ)، وفي كنز الفوائد للكراجكي (ت ٤٤٩هـ) اورد تسعة واربعين بيتا (أ)، وفي مناقب آل أبي طالب لابن شهراشوب (ت ٨٨٥هـ) اورد مائة وستة عشر بيتا (أ)، وفي الحجة على الذاهب الى تكفير أبي طالب للسيد فخار الموسوي (ت ٢٣٠هـ)

⁽۱) ظ: السيرة النبوية لابن كثير: ١/ ٧٠، ١٧٩، ١٩٤ - ١٩٥، ٢١١، ١٦٤ - ٢٧١، ٢٨١ - ١٨٥ . ٢٨١ . ١٨٥ - ١٨٥ . ٢٨١ . ١٨٥ . ١٩٥ . ١٨٥ .

⁽٢) ظ: البداية والنهاية في التاريخ: ٣/ ٤٢، ٨٨- ٤٩، ٤٩، ٥٩، ٥٧- ٥٧، ٩٨، ٩٨ - ٩٨.

⁽٣) ظ: انساب الاشراف: ١/ ١٠٠، ٢/ ٣١- ٣٢، ٣٣- ٣٣، ٣٣، ٤١، ٤٠ . ١٥.

⁽٤) ظ: الاصابة في تمييز الصحابة: ٤/ ١١٥ – ١١٦.

⁽٥) ظ: النكت الاعتقادية (ايهان أبي طالب): ١٨ - ٢٢، ٢٩ - ٤١.

⁽٦) ظ: الفصول المختارة: ٢٨٦-٢٨٦.

⁽٧) ظ: كنز الفوائد: ١/ ١٧٢، ١٧٩ - ١٨٢، ٢٧١.

أورد مائتين وثلاثة واربعين بيتا (١٠) ، وفي شرح نهم البلاغة لابن ابي الحديد (ت٢٥٦هـ) أورد مائة وثمانية وخمسين بيتا (١٠٠٠هـ)

وما يبعث على الاطمئنان في هذه النصوص انها جاءت متواترة ومتشابهة، وقد اوماً ابن أبي الحديد إلى هذا الامر فقال: «فكل هذه الاشعار قد جاءت مجيء التواتر؛ لأنّه إن لم تكن آحادها متواترة، فمجموعها يدل على امر واحد مشترك، وهو تصديق محمد عَلَيْ الله ومجموعها متواتر كما أنّ كل واحدة من قتلات على علينيا الفرسان منقولة آحادا، ومجموعها متواتر يفيدنا العلم الضّر وري بشجاعته... »(").

ومن هذا كله فلا بد من توثيق شعر أبي طالب قبل دراسته.

₩ توثيق شعره:

في دراستنا لتوثيق شعر أبي طالب تبين لنا امران اثنان:

الأول: وجود اشارتين إلى الوضع في المظان القديمة:السيرة النبوية لابن هشام وطبقات فحول الشعراء لابن سلام وهاتان الاشارتان لا تشمل الوضع في شعر

⁽۱) ظ: الحجة على الذاهب الى تكفير أبي طالب: ۱۸۸ – ۱۸۹، ۱۹۲ – ۱۹۲، ۱۹۲ – ۱۹۲، ۱۹۲ – ۱۹۲، ۱۹۲ – ۱۹۲، ۱۹۲ – ۱۹۲ ، ۱۹۲ – ۱۹۲ ، ۱۹۲ – ۱۹۲ ، ۱۹۳ – ۱۹۳ – ۱۹۳ ، ۱۹۳ – ۱۹۳ – ۱۹۳ ، ۱۹۳ – ۱۹۳ ، ۱۹۳ – ۱۹۳ ، ۱۹۳ – ۱۹۳ ، ۱۹۳ – ۱۹۳ ، ۱۹۳ – ۱۹۳ ، ۱۹۳ – ۱۹۳ ، ۱۹۳ – ۱۹۳ ، ۱۹۳ – ۱۹۳ ، ۱۹۳ – ۱۹۳ ، ۱۹۳ – ۱۹۳ ، ۱۹۳ – ۱۹۳ ، ۱۹۳ – ۱۹۳ ، ۱۹۳ – ۱۹۳ ، ۱۹۳ – ۱۹۳ ، ۱۹۳ – ۱۳۳ – ۱۳۳ – ۱۳۳ – ۱۳۳ – ۱۳۳ – ۱۳۳ – ۱۳۳ – ۱۳۳ – ۱۳۳ – ۱۳۳ – ۱۳۳ – ۱۳۳ – ۱۳۳ – ۱۳۳ – ۱۳۳ – ۱۳۳ – ۱۳

⁽۲) ظ: شرح نهج البلاغة: ۱۶/ ۵۱، ۵۷ - ۵۸، ۲۱ – ۲۲، ۲۲ – ۳۳، ۲۶، ۷۱ – ۷۷، ۷۷ – ۷۷، ۷۷ – ۷۷، ۷۷ – ۲۷، ۷۷ – ۲۷، ۷۷ – ۲۷، ۷۷ – ۲۷، ۷۷ – ۲۷، ۷۷ – ۲۷، ۷۷ – ۲۷، ۷۷ – ۲۷، ۷۷ – ۲۷، ۷۷ – ۲۷، ۷۹ م. ۷۹، ۷۸ – ۲۷، ۷۷ – ۲۷، ۷۷ – ۲۷، ۷۹ م. ۷۹، ۷۹ م. ۷۹، ۷۹ م. ۷۹

⁽٣) شرح نهج البلاغة: ٧٨/١٤.

أبي طالب وانها خصتا القصيدة اللامية فحسب.

ونجد في الكتب الحديثة اشارات الوضع والنحل في شعره، للمستشرقين بلاشير وكارل بروكلهان واتبعها كاتبان من كُتَّاب العرب وهما محمد السيد كيلاني والنجار.

الامر الثاني: انتحال عدد من المقطعات والأبيات في شعر أبي طالب.

إنَّ اقدم اشارة وصلت الينا من مظان علماء القرن الثالث الهجري في الوضع الذي اصاب احدى قصائد أبي طالب وليس شعره أو في نسبة ابيات القصيدة، هي إشارة ابن هشام، فقد ذكر ما صح له من القصيدة اللامية، وعزف عن ذكر ما لم يصح لديه منها واردف بها يضعِّف درجة هذه الصحة في تعقيبه على القصيدة بعد ان أورد منها أربعة وتسعين بيتا، قال: «هذا ما صح لي من هذه القصيدة وبعض اهل العلم بالشعر ينكر اكثرها» (۱).

فيتضح من عبارة ابن هشام انه حصر الشك والانكار في «بعض أهل العلم بالشعر» بخلاف أكثر علماء الشعر الذين لا ينكرونها، ولايشككون في صحة نسبتها إلى أبي طالب، وكلام ابن هشام هذا يقلل الشك ولايقطع به، ولم يذكر ابن هشام أسماء هؤلاء القلة من علماء الشعر الذين استرشد اراءهم في حكمه على القصيدة، واكتفى بتعميم قوله: «وبعض أهل العلم ...» وربما عزف عن ذكر أسمائهم للاختصار، أو لأنه لم يجد داعيا لهذا الامر، لأن ما يهمه ذكر ارائهم فحسب، ولو صرح بأسمائهم؛ لساعدنا على معرفة مكانتهم العلمية للوصول إلى مسوغات لارائهم التي تجد طريقها في الحكم الصائب والدقيق بهذا الشأن.

⁽١) السيرة النبوية : ١/ ٢٨٠.

ومما يضيق دائرة الشك ويحصرها، ان هؤلاء القلة من علماء السعر لم يـذكروا قائلا اخر لنص القصيدة اللامية في الوقت الـذي يقتضي منهم معرفتهم بقائلها ماداموا لا يقرون صحة نسبتها، وهذا يجعل انكارهم ضيقا.

وربها ما صح عند ابن هشام صح عند غيره، وما انكره هو انكره بعض أهل العلم بالشعر، فتكون القصيدة الموجودة موثقة عنده وعند غيره وما تركه منها تركه لأنه لم يصح، ولأن بعضهم انكره لذلك كله، فمن المرجح أن تكون القصيدة طويلة جدا، ولعلها تقترب من الملحمة التي تؤرخ معارضة زعهاء قريش للاسلام.

إنَّ تعليق ابن هشام بالشك في ابيات من القصيدة اللامية لا في نسبة قائلها في قوله: «وبعض أهل العلم بالشعر ينكر اكثرها» من غير ان يردف بقوله «له» مما يجعل الانكار ينسحب إلى أبيات القصيدة ولا يقتصر على نسبتها الى أبي طالب وهذا ما يومىء إلى أن هذه الابيات موضع الشك هي من صنع الواضعين، وضعت لاسباب سياسية، ولا سيها ان في القصيدة تعريضا ببعض شخصيات زعماء قريش الذين كان لابنائهم فيها بعد اثرهم السياسي في تولية دفة الحكم في العهدين: الأموي والعباسي.

فكأن هؤلاء القلة من أهل العلم اسقطوا الأبيات الشعرية من القصيدة اللامية التي تسيء إلى مسامع السلطة الحاكمة، فحكموا عليها بالوضع فيها، وجاء من بعدهم تبع قال بقولهم، لما لهذا القصيدة من وضع خاص يعرفه ابن هشام وغيره.

وقد حرص ابن هشام على ذكر رأي بعض اهل العلم للأمانة العلمية وإن كان يخالف رأيه وقد خفف من حدة الشك إلى أقل قدر بمكن، فاثبت ما اعتقد بصحته، وإن خالفهم، وهذا الامر يدل على ان الشك في أبيات من القصيدة ضعيف لا تؤيده أدلة قاطعة، على أن ابن هشام ابقى الشك بدرجة ترجيحية، ليتيح الفرصة أمام الباحثين بأن يأتوا بأدلة غائبة عنه تمكنهم من محوه أو تثبيته. وهذا يحملنا على البحث في المصادر الاخرى التي وردت فيها القصيدة اللامية لمعرفة سندها وصحته، لنصل الى الحكم السليم.

فقد حددت القصيدة في الديوان صنعة أبي هفان المهزمي البصري بسند صحيح قال: «انشدني عمي خالد بن حرب عن عبد الله بن العباس بن الحسين بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب _ رضوان الله عليهم _ " (") وأورد القصيدة في مائة واحد عشر بيتا (") واختلفت الاراء في سبب انشائها، فمنهم من قال إنه «لما خشي أبو طالب دهماء العرب ان يركبوه مع قومه، قال قصيدته التي تعوذ فيها بِحُرَم مكة ومكانه منها، وتودد فيها أشراف قومه، وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم في ذلك من شعره أنّه غير مُسلِّم رسول الله عَلَيْ الله عَلَيْ الله على حصيحة والزيادة في القصيدة في الشّعب وفي بعض أبياتها ما يؤكد ذلك (") وهي صحيحة والزيادة في القصيدة الاتعني الشك في بعض أبياتها، وقد عقب ابن أبي الحديد في معرض حديثه عن أشعار أبي طالب التي تدل على ايهانه فقال: «فكل هذه الاشعار قد جاءت مجيء التواتر ... ما قولكم في القصيدة اللامية التي شهرتها كشهرة «قفا نبك» وإن جاز الشك فيها او في شيء من ابياتها جاز الشك في «قفا نبك» وفي بعض ابياتها» (").

⁽١) الديوان: ٦٩.

⁽Y) ظ:م.ن: ۷۰- ۸۵.

⁽٣) السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٢٧٢، السيرة النبوية لابن كثير:١/ ٤٨٦، البداية والنهاية في التاريخ: ٣/ ٥٣.

⁽٤) ظ: خزانة الادب: ٢/٥٨.

⁽٥) شرح نهج البلاغة: ٧٨/١٤.

وعرف ابن كثير ما آلت اليه القصيدة من تشكيك ابن هشام فذكرها في السيرة النبوية (۱) والبداية والنهاية في التاريخ (۱) فأورد ثلاثة وثهانين بيتا، وعقب عليها بعدما ذكر نص ابن هشام قال: «قال ابن هشام: هذا ما صح لي من هذه القصيدة، وبعض اهل العلم بالشعر ينكر اكثرها قلت: هذه قصيدة عظيمة بليغة جدا لايستطيع يقولها إلا من نُسبت اليه، وهي افحلُ من المعلقات السبع! وأبلغ في تأدية المعنى منها جميعها، وقد أوردها الاموي في مغازيه مطولة بزيادات اخر والله أعلم الهدى منها جميعها، وقد أوردها الاموي في مغازيه مطولة بزيادات اخر والله أعلم (۱)

⁽١) ظ: السيرة النبوية: ١/ ٤٨٦ - ٤٩١.

⁽٢) ظ: البداية والنهاية في التاريخ: ٣/ ٥٣ - ٥٧، وقد زادت اللجنة المحققة تسعة ابيات من سيرة ابن هشام ظانة انها سقطت منه والصحيح ان ابن كثير اخذ القصيدة من مصدر اخر بدليل تعليقه الذي سنذكره في المتن.

⁽٣) السيرة النبوية لابن كثير: ١/ ٤٩١، البداية والنهاية في التاريخ: ٣/ ٥٧.

⁽٤) ظ: السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٢٧٢ - ٢٨٠، السيرة النبوية لابن كثير: ١/ ٤٨٦ - ٤٩١، (على ترتيب القصيدة).

 ⁽٥) الاموي: واحد من اثنين: إما ان يكون يجيى بن سعيد الاموي (ت١٩٤هـ)، وإما ان يكون ابو العباس الوليد بن مسلم (ت١٩٥هـ)، وكلاهما له كتاب في المغازي، أخذ منها البخاري (ت٢٥٦هـ) وللطبري (ت٢٥٩هـ) في تاريخ الامم والملوك، ظ: تدوين السيرة النبوية ودراستها (بحث): ٢٥٦.

يعقب على كلام ابن هشام على صحة القصيدة على الرغم مما ورد فيها من زيادة أنه «لايستطيع يقولها إلا من نُسبت اليه»؛ لبراعتها وبلاغتها في تأدية المعنى المقصود في الأبيات جميعها، ولهذا فضلها؛ لأنها أفحل من المعلقات السبع.

وما ذكر ابن كثير من الزيادات للقصيدة في مغازي الاموي، لا يقصد بها انه يشكك في بعض أبياتها، وانها أراد أنها وردت في روايات اخرى بعدد أكثر من الأبيات التي أوردها، وانتخب منها ما يناسب الاستشهاد.

واتفق بعض العلماء على أن عدد أبيات القصيدة اللامية بلغ مائة وعشرة ابيات، فقد أورد العيني (ت٥٥٨هـ) قوله: «قصيدة طنانة من بحر الطويل وهي مائة بيت وعشرة اولها:

إمن الطويل} بــصغواء في حــقّ والاعنــد باطـــلِ

خلـــــيليَّ مــــــا أذني لأولِ عـــــــاذلٍ

وآخرها قوله:

ومعليب في الدنيا ويسوم التَجادلِ ووالسدةُ رؤياهسا غسير آفسلِ»(١) ولاشك أن الله رافسع امسره كما قد أري في السوم والامس جدَّه م

وذكر القسطلاني (ت٩٩٣هـ) في ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري عن القصيدة اللامية قوله: «قصيدة جليلة بليغة من بحر الطويل وعدة ابياتها مائة بيت وعشرة أبيات قالها لما تمالاً قريش على النبي عَلَيْ الله ونفروا عنه من يريد الاسلام» (").

⁽١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري: ٧/ ٣٠، الابيات في الديوان: ٧٠، ٨٥.

⁽٢) ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري: ١٩١/، ٢٣٨، ظ: شرح المواهب اللدنية: ١٩١١.

إنَّ اتفاق بعض العلماء على عدد أبيات القصيدة اللامية وخاتمتها يجعلنا مطمئنين الى ان ما ورد من عددها في الديوان صنعة أبي هفان، اما البيت الزائد فلا يشكل كبير اهمية لصحة ما مثبت من عددها فضلا عن أنَّها موثقة.

أما ماورد من ذكر أبيات القصيدة في مظان الأدب واللغة والتاريخ وغيرها بغير هذا العدد، فاصحابها غير معنيين بايرادها كاملة، فمن حقهم ان يأخذوا محل الشاهد وترك ما لا يعنيهم منها، ولذلك نجد اللغوي السهيلي في كتابه: الروض الأنف في تفسير السيرة النبوة لابن هشام يعلق لغويا على أبيات القصيدة اللامية التي تستدعي التعليق، ويعزف عن الأبيات التي لا تحتاج الى تعليق "، وعبد القادر البغدادي وهو متخصص بالأدب واللغة والنحو في كتابه خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب انتخب من القصيدة اللامية أربعة وأربعين بيتا شارحا إياها وعزف عن بقية أبيات القصيدة؛ لأنّه لا يلتمس فيها صعوبة لتوضيحها؛ والتعليق عليها ".

اما الاشارة الثانية، فهي التي وردت لابن سلام في كتابه طبقات فحول الشعراء، وربها اطلع ابن سلام على رأي ابن هشام وهو بصري النشأة "، واديب اخباري نسابة "، وابن سلام من ائمة أهل الادب البصريين، وله علم بالشعر والاخبار "، فكلاهما بصري، فذكر له رأيه وعاضده ابن سلام وزاد عليه قائلا:

⁽١) ظ: الرَّوض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام: ٢/ ١٦- ٢٨.

⁽٢) ظ: خزانة الادب: ٢/ ٥٨- ٧٥.

⁽٣) ظ: السرة النبوية لابن هشام (المقدمة): ١٧.

⁽٤) ظ: شذرات الذهب: ٢/ ٤٥.

⁽٥) ظ: إنباه الرواة على أنباه النحاة: ٣/٣٤، معجم الادباء: ١٨/ ٢٠٤.

«وكان أبوطالب شاعرا جيد الكلام، ابرع ما قاله قصيدته التي مدح فيها النبي عَلَيْوَاللهُ:

[من الطويل]

واسيضُ يُسْنَسْقى الغَهامُ بوَجهِهِ ربيعُ الينامي عِصمةٌ للأراملِ

وقد زيد فيها وطُوِّلت ورأيت في كتاب يوسف بن سعد صاحبنا منذُ اكثرَ من مئة سنة، وقد علمتُ ان قد زاد الناس فيها، ولا ادري أين منتهاها وسألني الاصمعيُّ عنها فقلت: لا! »(١٠).

لاحظ ابن سلام أنَّ القصيدة اللامية «قد زيد فيها وطوّلت» نظرا لما قراه من كتاب يوسف بن سعد قبل مائة سنة ثم عقب عليه انه علم «ان قد زاد الناس فيها»، فالكتاب الذي اطّلع عليه ابن سلام قبل مائة سنة، اقرب الى عهد بداية التدوين وهذا التقادم في زمن الرواية يجعلنا في اقل تقدير مطمئنين إلى صحة الروايات التي دوًّنها يوسف بن سعد «وهو اقدم جدا من ابن سلام» (") التي أخذها من أفواه الرواة، ومن اصولها الأولى، وهذه الروايات بطبيعة الحال متعددة، فيها زيادات وبعض الاحايين فيها نقصان بحسب ما تروى اليه من ابيات وبالضرورة ان ماوجده ابن سلام في الكتاب المذكور زيادة في بعض المرويّات فعلق عليها ، ولكن هذه الزيادات لم تكن دخلية على شعر أبي طالب فقال ابن سلام بزيادتها في المصدر الذي بين يديه، ولم يقل انها حملت على قصيدة أبي طالب وهي ليست له، بدليل انه لم يذكر عدد أبيات القصيدة، والسبب في هذا يسير فهو في حيرة من امره غير متيقن من

⁽١) طبقات فحول الشعراء: ١/ ٢٤٤ - ٢٤٥.

⁽٢) م.ن: ١/ ٢٤٥ الهامش.

عددها، لذلك يصرح: «ولا أدرى أين مُنتهاها».

أما قوله: «رأيت في كتاب يوسف بن سعد صاحبنا منذ اكثر من مئة سنة»، فإنا إذا استبعدنا مقصد ابن سلام ان يوسف بن سعد جمحي مثله، ففي النص شيء غامض، فليس من المعقول أن يصاحب ابن سلام رجلا ألَّف كتابا مُنذ اكثر من مائة سنة، وعمره اثنتان وتسعون سنة (۱).

وابن سلام لا يشك في صحة القصيدة، وهذا ما يؤكده للأصمعي حينها سأله عن القصيدة المذكورة فاجابه: «فقلت: صحيحة جيِّدة»، وهذا يعني أن الاصمعي قد عرضها عليه، فأكد ابن سلام صحتها ثم سأله: اين منتهاها ؟ فأجابه بعدم معرفته بمنتهاها، مما يؤكد انه لم يشكك في بعض أبيات القصيدة، وانها لم يعرف اين تنتهى شأنه شأن الاصمعى.

وربها أن طول القصيدة غير المألوف في الشعر القرشي بها انهاز به من قيصائد قصيرة ومتوسطة الطول ومقطعات (٢)، هو ما جعل العلماء يتساءلون عن منتهاها ولا سيها الاصمعي.

اما ما جاء في كتب الأدب الحديثة حول ظاهرة الوضع والنحل في شعر أي طالب ما ردده بلاشير في كتابه تاريخ الأدب العربي، فقد ارتباب من شعر مؤسس الاسلام والناصر لدين الله والحامي لرسوله، لأن مواقفه البطولية موافقة لقطع شعرية مرتبطة بظرف الموقف نفسه فقال: "يبدو أبو طالب في كتب السيرة التي تروي حياة مؤسس الاسلام حاميا للدين الجديد، ولا يستغرب أن تكون الأخبار

⁽١) ولدابن سلام ١٣٩هـ، وتوفي سنة ٢٣١هـ.

⁽٢) ظ: مجموع شعر قريش، ملحق في الاطروحة (شعر قريش في الجاهلية وصدرالاسلام).

التي تصف مواقفه مفصولة من قطع شعرية مرتبطة بالظروف الموصوفة.

ان تلك القطع الشعرية ذات الاسلوب غير الموقّق مدعاة للشك في نظر أكثر من مؤرخ شرقي، وهي في الواقع تشبه إلى حد بعيد القطع الماثلة في اقوال القصّاص، وبها أن اغلبها وارد في اخبار السيرة لابن اسحاق (المتوفى حوالي ١٥١هـ/ ٢٦٨م) فهي اذن سابقة لهذا التاريخ ومندمجة بصورة طبيعية في حركة فكرية مناصرة للعلوية التي من شأنها الصعود إلى ابعد ما يمكن في الماضي بالنضالية الحتمية لعلي وأبيه في سبيل انتصار الاسلام، ولا يسعنا الاحتفاظ بهذه القطع في سبيل استحضار الشعر في مكة في اوائل القرن الاول الهجري/ السابع الميلادي» (١٠).

⁽١) تاريخ الادب العربي (بلاشير): ٢/١٣٧- ١٣٨.

ويقدم بلاشير دليلا وهِنَا اخر يضعِّف من درجة انكاره وانكار اكثر من مؤرخ شرقي كما يدعي «ان تلك القطع الشعرية ذات الاسلوب غير الموقَّق مدعاة للشك في نظر اكثر من مؤرخ شرقي».

إنَّ كلام بلاشير غير دقيق؛ لأنَّه لم يقدم أي انموذج شعري يمكن من خلاله ان نلتمس منه الاسلوب غير الموقّق في نظر أكثر من مؤرخ شرقي، فكلامه فيه تعميم إذ لم يذكر أي اسم من أسهاء أولئك المؤرخين، ليساعدنا على معرفة مكانتهم العلمية لنصدر حكما موفقا وسليما.

اما بشأن تعليقه على الأسلوب غير الموفق لهذه القطع الشعرية التي استدعت الشك، فهذه المزية تعزز من ضعف ادعائه وارتياب حول شعر أبي طالب؛ وبها ان شعر أبي طالب يحمل خصائص شعر قريش، فقد اشار ابن سلام إلى أهم مزية لهذا الشعر الكفيلة بدحض حجة بلاشير، فقال ابن سلام:

«واشعار قريش اشعار فيها لين فتشكل بعض الاشكال» (١) على النقاد وغيرهم، وأراد ابن سلام أنَّ قريشا انهازت بسهولة الألفاظ ورقتها «وهذا آتِ من اثر البيئة الحضرية فيها» (١).

وهذا الامر لايتعارض مع فصاحتها فمن المعلوم ان قريشا كانت تنتقي افصح الألفاظ، وأكثرها إبانة في التعبير، واوقعها معنى في اذن السامع، واسهلها لفظا في النطق وألينها، وهذا مما انهاز به شعر أبي طالب.

 ⁽١) طبقات فحول الشعراء: ١/ ٢٤٥.

⁽٢) شعر قريش في الجاهلية و صدر الاسلام (اطروحة): ١٣٣.

وقد حاولنا أن نتفحص في مظان السير القديمة والمتأخرة ()، فلم نعشر في حدود ماوقع بين ايدينا من مصادر على أنَّ احدا من المؤرخين قد شكك في شعر أبي طالب ما خلا بعض ابيات القصيدة اللامية التي ذكرها ابن هشام في سيرته التي تطرقنا اليها آنفا وهي قصيدة وليست قطعة شعرية، وهذا ينفي جميع ادعاءات بلاشير غير المستندة الى دليل صحيح يقوم حجته ونظريته في انكار اكثر الشعر العربي قبل الاسلام وصدره التي لا تقوم على الاستقراء الكامل لكتب السير كلها ولا سيها شعر أبي طالب الموجود فيها.

أما قول بلاشير من إن القطع الشعرية «تشبه الى حد بعيد القطع الماثلة في اقوال القصاص» فهذا لا يسوغ الشك فيها؛ لان بعض المناسبات والاحداث التاريخية قيلت فيها اشعارٌ صحيحة، ولكن بلاشير مصر على انكار القطع الشعرية

⁽۱) ظ: السير والمغازي لابن اسحاق ت ۱ ۱ ۱ هـ، السيرة النبوية لابن هشام ت ۲ ۱۳هـ، تاريخ البعقوبي لابن واضح ت ۲ ۹۲هـ، مروج الذهب ومعادن الجواهر للمسعودي ت ۲ ۳ هـ، البده والتاريخ للمطهر المقدسي ت ۳۵ هـ (منسوب)، الرُّوض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام للشهيلي ت ۱۸ ۵ هـ، الكامل في التاريخ لعز الدين بن كثير ت ۲ هـ، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير لابن سيد الناس ت ۳۶ هـ، السيرة النبوية، البداية والنهاية في التاريخ لابي الفداء أبي اسماعيل بن كثير ت ۷ ۷ هـ امتاع الاسماع بها للنبي عَيَّمُولُهُ من الاحوال والاموال والحموال والحموال والخدة والمتاع للمقريزي ت ۸۵ هـ، تاريخ الخميس في احوال أنفيس نفيس للديار بكري ت ۲ ۹ هـ، مسمط النجوم العوالي في ابناء الاوائل والتوالي لعبد الملك المكبي ت ۱ ۱ ۱ هـ، السيرة النبوية انسان العيون في سيرة الأمين المأمون للحلبي (ت ٤٤ ١ ١ هـ)، والسيرة النبوية والآثار المحمدية لاحمد زيني دحلان (ت ٢٠ ١ ١ هـ)، تمثيلاً لا حصراً، ولم نعشر على أي لون من الوان التشكيك في شعر أبي طالب من قبل المؤرخين في كتب السير المتقدمة والمتأخرة.

المنسوبة إلى أن طالب في كتاب السير والمغازي لابن اسحاق فقيال: «وبها ان اغلبها وارد في احبار السيرة لابن اسحاق (المتوفي حوالي ١٥١هـ/ ٧٦٨م) فهي اذن سابقة لهذا التاريخ ومندمجة بصورة طبيعية في حركة فكرية مناصرة للعلوية التي من شأنها الصعود إلى ابعد ما يمكن في الماضي بالنضالية الحتمية لعلى وابيه في سبيل انتصار الاسلام»، إنَّ كلام بلاشير تنقصه الدقة، صحيح ان ابن اسحاق اورد في سيرته شعر أبي طالب مقترنا بمناسبته ولكنه في الوقت نفسه كان ابن اسحاق يعني بالاسانيد ويلزم نفسه بذكرها، ومما يجعلنا مطمئنين لما ورد من شعر أبي طالب في السيرة أن ابين هشام عقب على ابن اسحاق في سيرته بالتحرير والاختصار والنقد، فحذف «من الشعر ما لم يثبت لديه، ثم استقصى وزاد بها يملك من علم، ويسترشد من فكرة فجاءت السيرة على ما ترى معروفة به، منسوبة إليه حتى ليكاد الناس ينسون معمه مؤلفها الاول: ابن اسحاق»(١)، ولم يرد عن ابن هشام أنه شكك في القطع الشعرية وهو يستشهد بها لأبي طالب، فقد رواها ابن هشام بالاسانيد نفسها التي ذكرها ابن اسحاق، وهذا ما يضعّف انكار بلاشير من ارتيابه باسانيد السير والمغازي لابن اسحاق على الرغم من ان ضعف الحديث سندا لا يخوله ضعفه متنا، فقد يبرد مرويبا باسانيد أخر صحيحة.

وما يومىء اليه بلاشير بان هذه الاشعار موضوعها في غورها التاريخي من

⁽۱) السيرة النبوية لابن هشام (المقدمة): ١/ ١٦، ويحتمل ان بلاشير نظر في قول ابن سلام: «وكان ممّن أفسد الشعر وهَجَّنهُ وحمل على غثاء منه محمد بن اسحاق... » طبقات فحول الشعراء: ١/ ٧، مترهما، فابن سلام قصد ان ابن اسحاق اورد اشعارا لرجال ونساء لم يقولوا شعرا، ونسب شعرا لاقوام من عاد وثمود، ولم يقصد انه حمل على شعر أبي طالب ظ: م.ن: ١/٨.

قبل اشياع العلوين؛ لبيان العمق التاريخي النضالي للامام على وأبيه عليه الشيعة لايحتاجون ان يؤكدوا الاثر البطولي والنضالي لعلي وأبيه في سبيل انتصار الاسلام امام العرب؛ لأنَّ تاريخها معروف لجميع المسلمين، وربا التجأ بلاشير الى هذا التعليل ليسوغ ما ذهب اليه من نظرية عدم صحة أكثر الشعر العربي في مرحلتي قبل الاسلام وصدره مستندا إلى أدلة عقلية وليست نقلية.

وكارل بروكلهان من المستشرقين الذين شككوا في أن بعض شعر أبي طالب عم النبي عَيَيْنِهُ منحول؛ لأنّه يدور حول ما وقع بين النبي وقريش من احداث، وان مؤرخي السير زينوا سيرة الرسول بشعره لدعم سرد الاحداث، وهو تشكيك لايقوم على علم ويقين صحيحين، فقال: «ولعل بعض هذا الديوان صحيح لتناسب صداه مع حقيقة مواقف أبي طالب، ولكن اكثره منحول، لان الدواعي توافرت عند المحدثين لتزين سيرة النبي في اوائل عهد النبوة أيضاً بكثير من الأشعار بعد ان كثرت الأشعار في سيرته بالمدينة، كما أن شيعة على أرادوا أن يشيدوا بمعاونة ابيه للنبي، ليضعوه بذلك في مكان بارز، ولابد ان هذا الشعر وضع من قديم، لانه لم يزل يذكر بني هاشم امة واحدة ، لم تفترق بعد الى علويين وعباسيين، ومن ثم ظننت صحة هذا الشعر، فقد روى ابن اسحاق اكثره في سيرة النبي "(")، كور كارل بروكلهان ما ردده بلاشير في حديثه عن السيرة النبوية وركز على امرين: الاول الانتحال في بعض اشعار الديوان، والثاني الوضع فيها ذكرته السيرة.

فذكر في النص أن «بعض هذا الديوان صحيح»، فهو يستبعد نسبة الديوان كله معللا ذلك «لتناسب صداه مع حقيقة مواقف أبي طالب» المشرفة في الاسلام

⁽١) تاريخ الادب العربي (بروكلهان): ١/ ١٧٥.

وصاحب الرسالة، ولكنه يستدرك ان اكثر شعر أبي طالب منحول، وهو لم يـومئ الى الشعر الذي حمله على التشكيك بنسبته إلى أبي طالب، ولم يـذكر مثالا واحدا ليـدل بذلك على ما قرره في قوله «ولابد أن هذا الشعر وضع من قديم» لكننا نجده منساقا وراء دواعي النحل إلى ثلاثة عوامل: الاول، ذوقي وهو وضع اشعار على لـسان أبي طالب لتزيين اخبار النبي في السيرة، يريد أنَّ الشعر يزيد استاع العربي لما يـروى مـن قصة او خبر.

ولا يخفى ان السيرة النبوية ليست حكاية أو قصة أو أسطورة تنزين بالسعر ؟ لكي يحلو الاستماع اليها والتلذذ باحداثها ؛ لأنّها تتحدث عن مواقف معارضة المشركين لرسول الله عَيْنِاللهُ واضطهادهم له في اوائل البعثة.

اما العامل الثاني، فهو العامل السياسي، فقد اوماً اليه ابن سلام (۱)، وربيا اطلع عليه بروكليان واستند اليه، ففسر وجود الوضع والانتحال في شعر أبي طالب إلى هذا العامل الذي يلحظ أثره في السيرة النبوية ولا سيها في شعر أهل مكة الذي كان له أثر كبير في الدعوة الاسلامية في الحقبة الزمنية للبعثة النبوية أي «في اوائل عهد النبوة» وفيه حملت قريش لواء العداء ضد الدعوة وصاحبها ومن معه من المسلمين وعلى مستويين: الحرب والشعر، وبعد فتح مكة واسلام أهلها بقي أثر الشعر ضئيلا في رسول الله فياسا لشعراء اهل المدينة «بعد ان كثرت الاشعار في سيرته في المدينة» ثم توالت الازمان، فرفع العباسيون شعار العداء للعلويين، فناهض شعراء المسيعة السلطة الحاكمة فاشادوا بمعاونة أبي طالب ابي الامام علي «ليضعوه في مكان بارز» وهذا ما قصده بروكليان.

⁽١) ظ: طبقات فحول الشعراء: ١/١٤.

وكلامه هذا يصح لو كان الامام علي عليه وابوه من قبيلة لم يكن لها مشاهد مؤثرة في نصرة رسول الله ، فالامام لا يحتاج لان توضع لأبيه أشعار في أوائل عهد النبوة؛ لتعرف مكانته بين العرب فأبو طالب الداعي للاسلام والكفيل والمؤيد والناصر والمؤازر والحامي لرسول الله عليه واحد مؤسسي دعائم الدين الاسلامي، فقد اعز الله رسوله بعمه أبي طالب عميد الهاشميين والمطلبيين ورئيس مكة وحاكمها، وشرف نسبه ينبلج من النسب النبوي ، ومواقفه في زمن البعثة وغيرها كفيلة في تخليده بالذاكرة على مر الاجيال، فلا يحتاج من شيعة الامام أن يضعوه في مكان بارز كها زعم بروكلهان.

اما العامل الثالث، فهو الرواية فقد تراجع بروكلمان عن كلامه في نحل الشعر فقد لأبي طالب وما اسند إليه من وضع بقوله: «ومن ثم ظننت صحة هذا الشعر فقد روى ابن اسحاق اكثره من السيرة» وهذا هو الاهم عند بروكلمان ظنه بصحة الشعر؛ لأنّه روي بسيرة ابن اسحاق.

ويحسن بنا الايماء الى أن ابن اسحاق اعلم الناس في السيرة على الرغم مما قال فيه ابن سلام (۱) بعدم درايته في الشعر وكان ذلك فيما يخص الشعر الذي ينسب الى قومي عاد وثمود البائدتين، والاقوام غير عربية، ثم جاء ابن هشام بعده، ففحص الاشعار ونقحها في صح عنده اثبته، وما لم يصح عنده وشك فيه اشار الى عدم صحته، أو اهمله (۱).

⁽١) طبقات فحول الشعراء: ١/٨.

⁽۲) ظ: السيرة النبوية : ۱/ ٦٦ ، ١٦٦ ، ٣٧٢ ، ١٦٨/٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٤ ، ١٧٢ ، ٢٨٢ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٣ ، التعليقات الاتيـة: (قال ابن هشام: هذا ما صح له مما روى ابن اسحاق منها)،(وهذا ما صح له منها) =

وفي قراءة فاحصة لكلا الكتابين: السير والمغازي لابن اسحاق () والسيرة النبوية لابن هشام لم يحذف شيئا مما النبوية لابن هشام لم يحذف شيئا مما ذكره ابن اسحاق في كتابه ما خلا ابيات من القصيدة اللامية وعلى على هذا الامر جمهور مؤرخي السير كها ذكرنا آنفا، وهذا كفيل بصحة ما ورد من شعر أبي طالب في سيرة النبي ورد لما ذكره بر وكلهان في هذا الصدد.

وعمن جارى آراء الكتاب المستشرقين الغربيين بعض كُتَّاب العرب في الادعاء بالوضع والنحل لقصائد أبي طالب، وهما محمد سيد كيلاني و النجار، اما الأول: أخذ في كتابه اثر التشيع في الادب العربي يطلق كلاما عاما غير موثق من أنَّ ادباء الشيعة «وضعوا كثيرا من القصائد ونسبوها إلى أبي طالب ليثبتوا بذلك اسلامه، وحسن بلائه في الدين ودفاعه عن النبي وحمايته له، وجهاده في سبيل الاسلام، فما ينسب اليه قوله:

وربقى منها بيت تركناه) ،و(البيت الثاني عن غير ابن اسحاق) و(تركنا منها بينا واحدا)، (واكثر اهل العلم ينكرها لسعد)،(واكثر اهل العلم بالشعر ينكر هذا الشعر لابي جهل)، (وبعض اهل العلم بالشعر ينكر هذا لمكرز)، (وهذه الرواية لهذا الشعر مختلطة ليست بصحيحة البناء)، (وهذا اصح اشعار اهل بدر)، (وبعض اهل العلم ينكرها لهند)، (واكثر اهل العلم بالشعر ينكرها لهند) تمثيلاً لا حصراً.

⁽۲) ظ: السير النبوية: ١/ ١٣٥، ١٢٧ - ١٦٨، ٢٧١ - ١٨٠، ٢٣٣ - ٣٣٣، ٢٥٦ - ٣٥٣، ٧٧ - ٨٥٠، ٢٨٠ عند ١٥٠، ٨٧ - ٣٥٠، ٢٨٠ مري ٢٤ عند ١٥٠، ١٩٠ - ٢٠٠ مري ٢٤ عند ١٥٠ مري ٢٤ عند ١٥٠ مري ٢٤ عند ١٥٠ مري ٢٤ عند ١٥٠ مري ٢٠٠ مري ٢٠

(من الطويل)

وقد قطّعوا كسلَّ المُسرى والوسسائلِ وقد طساوعوا أمسرَ العسدةِ المُزايسل»(١)

ولما رأيت ألفوم لا ودَّ فيهم وقد ما رايد و الأذي

ذكر الكيلاني كلاما عائما مشابها فيه لآراء المستشرقين في تعليل الوضع والنحل الذي اصاب شعر أبي طالب من وضع اشياع العلويين لكثير من القصائد ونسبوها الى أبي طالب، فلم يذكر الكيلاني القصائد المزيفة الكثير التي مُحِلت على شعر أبي طالب - ما خلا بيتين اثنين من القصيدة اللامية _ ولم يبين اثر الوضع في هذه القصائد الكثيرة التي ادعاها، واي منها منسوب إلى أبي طالب؛ ليتسنى فحصها وتحقيقها، لنقف على الصحيح منها.

ومما يبطل إنكار الكيلاني قصائد أبي طالب التي ادعى الزيف فيها ويضعف صحة كلامه تعليله لظاهرتي: الوضع والنحل في شعر أبي طالب وهو ان اشياع العلويين ارادوا ان يثبتوا «بذلك اسلامه، وحسن بلائه في الدين ودفاعه عن النبي وحمايته له، وجهاده في سبيل الاسلام، فما ينسب اليه... » البيتان.

إن تعليل الكيلاني لما يتسم به أبو طالب من روح نضالية مجاهدة ومتفانية في سبيل تثبيت دعائم الاسلام في شعره من دواعي نسبته إليه؛ لأن شعره يتسم بهذه الروحية السامية وما تضمنته القصيدة اللامية يقوي صحة القصيدة وان كلا البيتين المذكورين آنفا في ديوان أبي طالب صنعة أبي هفان وعلي بن حمرة، وقد وردت القصيدة فيها بسند صحيح وسليم (٢٠).

⁽١) اثر التشيع في الادب العربي: ٦٩.

⁽٢) ظ: الديوان: ٦٩- ٧٠، ١٩٠ - ١٩٢، ١٩٢- ٣٠٤.

وواضح أن الكيلاني لم يطلع على ديوان أبي طالب مخطوطا أو منشورا وكتابه سابق في التأليف قبل نشر الديوان؛ مما اسقط حجة انكاره لشعر أبي طالب.

اما الثاني: ما ذهب اليه الاستاذ النجار وهماً في هامش كتاب الكامل في التاريخ إلى أنَّ القصيدة البائية المرفوعة منحولة، وانها له بائية مجرورة معقبا على ما ورد في متن الكتاب الذي أورد ابياتا منها في امر الصحيفة الجائرة وأكل الأرضة لها لما فيها من ظلم وقطيعة رحم، فقال أبو طالب قصيدته البائية ومنها هذه الابيات الثلاثة:

{من الطويل}

متى ما يخبر عائبُ القومِ يُعجَبُ وما نقموا من ناطقِ الحقَّ مُعربُ ومن يختلق ماليس بالحقُّ يكذبُ() وقد كان في امر الصحيفة عبرة عساللة مسنهم كفرهم وعقوقهم فاصبح ما قالوا من الامر باطلاً

قال النجار: «ارى اثر الصنعة ظاهرا في هذه الابيات ونحن تحرينا كتب السير والتواريخ ومجموعة قصائد أبي طالب التي شرحها على فهمي مفتي بلاد الهرسك فلم نجد له بائية مرفوعة، وإنها له بائية مجرورة وأولها:

{من الطويل}

ألا ابلغاء عني على ذات بينا لؤياً وخصا من لوى بني كعبِ ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً نبياً كموسى خُطَّ في اولِ الكُتُبِ

بل المعروف أن أبا طالب قال في امر الصحيفة قصيدته الدالية وهـي كـما رواه

⁽١) الكامل في التاريخ: ٢/ ٢٦،ظ: الديوان: ٩٥- ٩٦، ٢٢٩.

ابن هشام وغيره.... {الابيات} "(١).

نبه النجار على الأبيات الشعرية المذكورة في متن كتاب الكامل في التاريخ لابن الاثير (ت ٦٣٠هـ) انها مصنوعة وان أثر الصنعة ظاهر فيها، ولكنه لم يبين هذا الاثر، ومن ثمَّ انه تحرى كتب السير والتواريخ ومجموعة قصائد أبي طالب فلم يعشر عليها.

إن كتب السير والتاريخ غير معنية باشعار أبي طالب وغيره؛ لأنها متخصصة لغرض معين وإن كانت مادة الأدب تفيد من التاريخ في معرفة مناسبة النص، ولاسيما ان كتب التاريخ لا تعبأ بالشعر إلا قليلا؛ لأنها تعني بالاحداث التاريخية، ويبدو أن النجار لم يستقر مصادر شعر أبي طالب؛ فقد تحرينا عن القصيدة البائية، فعثرنا عليها كاملة ومجتزأة في مظان السير والعقائد والأدب؛ ومنها: السير والمغازي لابن اسحاق (۱)، والنكت الاعتقادية للشيخ المفيد (۱)، ومناقب آل أبي طالب لابن شهر اشوب (۱)، والحجة على الذاهب الى تكفير أبي طالب (۱).

والمتأخرة: بحار الانوار للمجلسي (ت١١١هـ)(١) ، والغدير في الكتاب والسنة والأدب للأميني (ت١٣٩هـ)(١) ، والقصيدة مبثوثة في ديوان أبي طالب

⁽١) الكامل في التاريخ: ٢/ ٦٢ ، الهامش، ظ: الديوان: ٢١١ – ٢١٣، البائية الثانية المجرورة.

⁽٢) ظ: السبر والمغازي: ١٦٤.

⁽٣) ظ: النكت الاعتقادية (ايهان أبي طالب): ٣٣- ٣٤.

⁽٤) ظ: مناقب آل أي طالب: ١/ ٥٨.

⁽٥) ظ: الحجة على الذاهب الى تكفير أن طالب: ٢٠٤.

⁽٦) ظ: بحار الانوار: ٣٥/ ٩٥.

⁽٧) ظ: الغدير في الكتاب والسنة والادب: ٧/ ٣٦٧.

صنعة أبي هفان (۱) ، وصنعة على بن حمزة (۱) ، ويبدو أنَّ علي فهمي الذي جمع شرح اشعار أبي طالب لم يطلع على هاتين الصنعتين، ولا الاستاذ النجار مما دعا الاخير إلى التشكيك في نسبة القصيدة إلى أبي طالب .

ورأي النجار يفتقر الى الدقة فالقصيدة البائية التي علق عليها بائيتها مجرورة وليس مرفوعة ، وتوجد قصيدة اخرى أشار اليها بائيتها مجرورة ايضا، فالمدة التي بقي فيها أبو طالب في الشّعب ثلاث سنين وهي مدة كافية لان يصدر منه اكثر من نتاج شعري ابداعي في مخاض معاناة الحصار في الشعب ومن هذا النتاج القصيدتان المكسورتان وغيرهما ".

اما ظاهرة الاضطراب في رواية الشعر ونسبته إلى قائله ف «مشكلة صعبة المسالك يمكن ان تصادف الباحث في كل دراسة يتجه بها الى ادبنا القديم، ولاسيها أدب الجاهلية وصدر الاسلام، ذلك لأن تشابه الأسهاء أحيانا يميل بالرواية إلى الوهم والاضطراب بين هذا وذاك، وأسرة الشاعر أيضاً ربها أوقَعَت في الوهم إن كان فيها من يقرض الشعر، وكذلك شهرة الشاعر بلونٍ مُعيَّنٍ من الشعر يمكن ان يوقع في الوهم والاضطراب مع من اشتهر بهذا اللون أيضا... وكذلك نجد اضطرابا في نسبة الاشعار إلى اصحابها لا لشيء إلا بسبب الوهم أو عدم التَّبُّت من الرواة، وهذا كثير جدا في ادبنا القديم» (4)، فضلا عن تشابه النصوص الشعرية التي تكون على وزن وقافية واحدة.

⁽١) ظ: الديوان: ٩٥- ٩٦.

⁽۲) ظ:م.ن: ۲۲۹-۲۲۰.

⁽٣) ظ:م.ن: ۲۲، ۲۲۰ - ۲۲۸، ۲۳۲ – ۲۳۷. بحسب مناسبتها.

⁽٤) العجاج عبدالله بن رؤبة ، حياته ورجزه: ١٥٦.

ويمكن أن نُصَنِّف المقطوعات والأبيات الشعرية المتدافع عليها في شعر أبي طالب بحسب اهميتها الى انواع وهي كما يأتي:

النوع الاول: عدم تثبّت الرواة من نسبة شعره الذي يرجع الى سبب الوهم، ومنه: البيتان اللذان هما لأبي طالب ونسبا وهما الى غيره، ما نسبه السّهيلي من شعر لأبي سفيان في رثاء مسافر بن ابي عمرو فقال: «وذكر شعر مسافر بن ابي عمرو بن أميةوهو الذي يقول فيه أبو سفيان:

إمن الخفيف} ليت شعري مُسافر بن ابي عمد رو وليست يقو لهُسا المحرزونُ بسوركَ الميتُ الغريسبُ كها بسو ركَ نسضحُ الرمسان والزينسونُ في شعر يرثيه به (۱).

وقد علق البغدادي على هذين البيتين «والبيتان المذكوران أولا من تسعة أبيات لأبي طالب عم النبي عَلَيْ الله أن أرثى بها مسافرا المذكور وبعدهما... {الابيات} ونسب السُّهيلي هذا الشعر لابي سفيان» (").

إنَّ نسبة البيتين المذكورين في القصيدة النونية لأبي سفيان وهم وقع فيه السّهيلي للأسباب الآتية: انَّه انفرد بهذا القول، والقصيدة مثبتة في ديوان أبي طالب صنعة أبي هفان، وعلي بن حمزة، وموثقة في اربعة وعشرين مصدراً في نسبتها إلى

⁽١) الرُّوضِ الأُنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام: ١/٢٦٩.

⁽٢) خزانة الادب: ١٠/ ٤٦٦ - ٤٦٨.

⁽٣) ظ:الديوان: ١٠٤ - ١٠٥، ٢٦٣ - ٢٦٣، ٢٢٥ - ٢٢٦.

أبي طالب، ثم أن رواية السُّهيلي متأخرة عن صناعة شعر أبي طالب، زدعم يروى أن أبا طالب كان نديم لمسافر بن أبي عمرو بن امية بن عبد شمس (۱)، وكان مسافر قد دخلته علة، فخرج ليتداوى في الحيرة فهات، فرثاه أبو طالب بقصيدته النونية (۱)، وهذا كله مما يدحض نسبتها إلى ابي سفيان بن حرب، ويقوي نسبتها إلى أبي طالب.

ومما ينسب لغير أبي طالب وَهما بسبب عدم التثبُّت من نسبته قوله:

[من الوافر]

محمد تُفد نفسك كلُّ نفس إذا ما خِفْت من شيء تبالا اله

وهو من الشواهد التي استشهد بها النحاة في باب الحذف، ومنه حذف لام الامر للضرورة الشعرية، والبيت متنازع النسبة بين أبي طالب والاعشى وحسان بن ثابت عند البغدادي في خزانة الادب فقال «... والبيت لا يعرف قائله ونسبه الشارح... لحسان وليس موجودا في ديوانه وقال ابن هشام (في شرح الشذور): قائله أبو طالب عم النبي عَيَّمِولَهُ، وقال بعض فضلاء العجم (في شرح ابيات المفصل): هو للاعشى»(1).

ولم تسعفنا كتب اللغة التي استشهدت بالبيت في معرفة أي من الشعراء الثلاثة ينسب البيت؛ لأنّها لم تنسبه إلى أحد ما خلا الكتابين المذكورين في النص (٥)،

⁽١) ظ: المحبر: ١٧٤ - ١٧٥.

⁽٢) ظ: خزانة الادب: ١٠/ ٤٦٨.

⁽٣) الديوان (التونجي): ٦١، التبال: الهلاك.

⁽٤) خزانة الادب: ٩/ ١٤.

⁽٥) ظ: ضرائر الشعر: ١١٧، الهامش ذكر المحقق كتب اللغة التي ذكرت البيت بنسبة وبلانسبة.

ولم نعثر عليهما في ديواني: حسان بن ثابت والاعشى "، بيد أنَّ البيت ورد ذكره في غاية المطالب في شرح ديوان أبي طالب الذي استدركه محمد خليل الخطيب جامع الديوان وشارحه"، وفي ديوان أبي طالب عم النبي عَلَيْلُهُ الذي استدركه محمد التونجي جامع الديوان وشارحه أيضا"، والبيت ليس عما يدل على أنَّ صاحبيه: الأعشى أو حسان، فمعناه يتردد كثيرا ضمن اسلوب أبي طالب الشعري في فداء النبي بنفسه وأولاده وأخوته وعشيرته والذود عنه حتى الفناء"، وبهذا كله نرجح نسبة البيت إلى أبي طالب.

ويلحظ عدم التثبُّت من رواية النص وهماً وذلك بسبب تشكيك الرواة بدلالته وهو ما جاء في كتاب الدرجات الرفيعة من تشكيك للعلماء في البيت الخامس من المقطوعة الشعرية التي قالها أبو طالب في نصرة النبي محمد عَلَيْمِاللهُ:

{من الكامل}

حتّى أوسَّدَ في السَّرُابِ دفينسا ابسشرُ وقُرَّ بسذاكَ منكَ عيونسسا فلقسدَ صدقتَ وكُنتَ قبلُ امينا

والله لسن يسصلوا السك بِجَمْعِهِم المسض لامرك ما عليك غضاضة ودعوتنى وزعمت أنك ناصح تلا

⁽١) ظ: ديوان الأعشى، وشرح ديوان حسان بن ثابت الانصاري، لم نعثر على البيت.

⁽۱) ط. ديوان الأعسى، وسرح ديوان حسان بن نابت الأنصاري، لم تعبر على البيد

⁽٢) ظ: غاية المطالب في شرح ديوان أبي طالب: ١٧٧.

⁽٣) ظ: الديوان (التونجي): ٦١.

⁽٤) ظ: الديوان: ١٥٩، ١٦٠، ١٧٠، ١٧١ – ١٧١، ١٧١، ١٧١، ١٨١، ١٨١، ١٨١، ١٩١، ١٩١، ١٩١٠ م ١٢١ - ١٢١، ١٢١ و ١٢٠ - ١٢١ م ١٢٠ و ١٢٠ - ١٢١ م ١٢٠ و ١٢٠ - ١٢١ م ١٢٠ و ١٢٠ - ١٢٠ م ١٢٠ و ١٢٠ - ١٢٠ م ١٢٠ و ١٢٠ م ١٢٠ م

وعرضت دبناً قد علمت بأنه لله و لا المكامة أو أحاذ رسمة

فقال صدر الدين الشيرازي (ت١١٢٠هـ): «قال بعض علمائنا اتفق على نقل الابيات الأربعة قبل البيت الخامس مقاتل والثعالبي وابن عباس والقاسم وابن دينار وزاد أهل الزيغ والضلال البيت الخامس ظلما وزواً اذ لم يكن في جملة ابياته مسطورا ولم ينتبهوا للتناقض الذي فيه ومنافاته باقي الابيات» (۱۳، واتبع هؤلاء العلماء أحمد زيني دحلان (ت١٣٠٤هـ) ونجم الدين العسكري (ت١٣٩٥هـ) وعبد الله الخنيزي (٥٠٠٠٠).

إن خشية هؤلاء العلماء من أن يكون البيت الخامس ضمن أبيات المقطوعة، وانكارهم له، يعود إلى أنّهم يبحثون عن قضية عقائدية، فالمقطوعة المذكورة تأصل اسلام أبي طالب وايهانه الصحيح، والبيت الخامس ينفي اسلامه وايهانه متوهمين ذلك وهذا ما اكده الشيخ المفيد (٢) السابق لهم لدحض الارتباب في صحة نسبة البيت إلى أبي طالب، والمجلسي (١)، وصدر الدين الشيرازي (١)، والاميني (١)، فالبيت الخامس

⁽١) الديوان: ١٨٩، أوردت البيت ضمن المقطوعة لما أثير حوله من نقاش يوجب ذكر المقطوعة.

⁽٢) الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة: ٤٤.

⁽٣) ظ: اسنى المطالب في نجاة أبي طالب: ٤٧.

⁽٤) ظ: أبو طالب حامى رسول الله عَنْظُمْ وناصره: ٤٩.

⁽٥) ظ: ابوطالب مؤمن قريش: ١٥٣.

⁽٦) ظ: الفصول المختارة من العيون والمحاسن: ٢٨٥-٢٨٦.

⁽٧) ظ: بحار الانوار: ٣٥/ ١٧٦- ١٧٧.

الذي قاله أبو طالب حين اجمع على نصرة ابن أخيه ومؤازرته والذود عنه عندما اظهر مشركي قريش عداوتهم له من ضمن أبيات النص المذكور آنفا للأدلة الآتية:

أولا: دليل نقلي ونستدل به على حجتين:

أ ـ إنَّ البيت يتناسب و مناسبة النص، فقد ذكر صاحب السير والمغازي، مجيء رجال قريش إلى أبي طالب، فتحدثوا معه «وقالوا: ما نحن بـا اباطالب، وان كنت فينا ذا منزلة بسنك وشرفك وموضعك، بتاركي ابن أخيك على هـذا حتى نهلكه أو يكف عنا ما قد اظهر بيننا من شتم آلمتنا، وسب ابائنا، وعيب ديننا، فإن شئت فـاجمع لحربنا، وإن شئت فدع، فقد اعذرنا إليك، وطلبنا التخلص من حربك وعداوتك فكل ما نظن ان ذلك مخلصا، فانظر في امرك، ثم اقض الينا قضاك... فقال ابوطالب: والله ما كذّبنا ابن أخي فارجعوا ... ثم قال أبو طالب من شعر قاله حين اجمع لـذلك من نصرة رسول الله عَلَيْ فاردعوا عنه على ما كان من عداوة قومه وفراقهم لـه» ("): الابيات المذكورة.

ويظهر الحوار الذي دار بين مشركي قريش وأبي طالب، أنه مؤمن بها جاء به ابن أخيه بيد أنّه اراد ان يخمد ثورة المشركين ضد ابن أخيه ، ويتقي أوار الحرب المزمعين على اضرام فتيلها بينهم وبين رسول الله ومن يسانده ويؤازره ويناصره، ليكف بذلك شرهم عنه، وفي الوقت نفسه يحمل نفسه على تطييب خواطرهم بأنه معهم عند مقابلته اياهم ليتسنى له الوقت الكافي لمعاضدة ابن أخيه ومحاماته؛ لأن

⁽١) ظ: الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة: ٤٤.

⁽٢) ظ: الغدير في الكتاب والسنة والادب: ٧/ ٣٣٥.

⁽٣) السير والمغازى: ١٥٤ – ١٥٥.

دعوته ما تزال في بدايتها، ولو ابدى أبو طالب اسلامه للقي من مشركي قريش العنت والاذى والبلاء والجهد مثلها لقي ابن أخيه وأصحابه، وان قوله لابن أخيه:

ل و لا المَلام أو أُحاذر سُبَةً لوجدتني سمحاً بذاكَ مُبيانا

لا ينافي اسلامه «لأن مفهومه لولا حذار الشغب من قريش وخوف الفتنة التي توجب المسبة عندهم لاظهرت ما تدعوني اليه وبينته على رؤوس الاشهاد وهذا لا ينافي اسلامه باطنا واعتقاده الحق»(۱).

ب حجاء البيت ضمن ابيات المقطوعة مثبتاً في الديوان بروايتي أبي هفان وعلي بن حمزة وموثقة من كتب السير والتاريخ والعقائد والأدب والنحو في عشرين مصدراً".

ثانيا: الدليل الفني:

تتكرر دلالة البيت مع بعض ألفاظه ضمن اسلوب أبي طالب الشعري وهو في صدد نصرة رسول الله عَلَيْظُهُ واتباعه على نحو ما نجده في قوله في القصيدة اللامية:

{من الطويل}

تجررُّ على أشياخِنا في المحافلِ من الدهرِ جدّاً غيرَ قولِ التَّهازُلِ^{(٣} ف والله ل ولا أن أج يُ ، ب سُبَّةٍ لكُنَّا التَّبِعْنَا أُ على كلِّ حالةٍ

وقوله في القصيدة المبمية:

⁽١) الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة: ٤٤.

⁽٢) ظ: الديوان: ٨٧، ١٨٩، ١٩١- ٢٩٢.

⁽٣) م.ن: ١٨٤.

{من المتقارب} فل ولاحذاري نشا سُبَّة يُسشِدُ بها الحاسدُ المُفعَ مُ فُل ولاحذاري نشا سُبَّة يُسشِدُ بها الحاسدُ المُفعَ مُ ورهبة عسار عسال أسرت إذا ما أنسى ارضَا الموسِمُ لتابعت مُ غسيرَ ذي مريسة ولوسيءَ ذو الرغم والمُحرَمُ (۱)

ويومى، خطاب أبي طالب في استعماله هذا الأسلوب إلى الحكمة في مسايرة مشركي قريش لما تقتضيه مصلحة الاسلام في ايهامهم انه على ملتهم؛ ليصون رسول الله عَلَيْوَالله من بغضهم وعداوتهم له فلا يعمدوا إلى مفاجأته بشيء يسوءه في امر رسول الله، لما يتيقنون من محبة أبي طالب له، وفي الوقت نفسه يصرح بتصديقه والايمان بمعتقده كما اومأت مضمونها في شعره، وعلى هذا فالبيت من صلب المقطوعة لأبي طالب.

النوع الثاني: عدم تثبت الرواة من نسبة النص وهذا يعود إلى أنَّ كلا الشاعرين من اسرة واحدة، أو لتشابه الموضوع أو لكليهما معا، ومنه ما ذهب إليه النويري (ت٧٣٣هـ) في نهاية الأرب في فنون الأدب إلى نسبة ثلاثة أبيات من القصيدة اللامية إلى العباس بن عبد المطلب في مدح النبي عَنْ الله وهما، وهي لأبي طالب، فقال «وفيه عليه السلام يقول عمه العباس رضي الله عنه وارضاه:

{من الطويل} ربيع اليتامى عِصمة للأرامل فهم عند أفي نعمة وفضائل

وابسيضُ يُستَسقى الغسمامُ بوجهِــهِ تُطيهُ فَي المُستَّدِ الْمُستَّدِ الْمُستَّدِ اللهُ مَانُدُ مَانُ اللهُ المُستِّ

⁽١) م.ن: ٩٣، نئا: ما تُخبِر به عن الرجل من حسن وسوء، السبة: العار، يشيد: يفشي، المفعم: الممتليء، الموسم: المجتمع ويقصد به موسم الحج، ذو مرية: ذو شك، المحرم: ذو الحرمة.

وميزانُ حـــقٌ لا يخــيسُّ شــعبرةً ووّزانُ عــدلِ وزنــهُ غــيرُ عائــل (١)

وردت هذه الأبيات في القصيدة اللامية المشهورة في مدح أبي طالب للنبي محمد عَلَيْ الله في ديوانه صنعة أبي هفان وعلي بن حمزة وهي موثقة (")، وقد درج على ذكرها أرباب السير كما مر بنا آنفا، وقد توهم النويري حين نسب هذه الابيات الى عم النبي عَلَيْ الله العباس، وربما قصد عمه أبا طالب، فتوهم فذكر عمه العباس، إنَّ غلط النويري في نسبة الأبيات يرجع إلى أن كليهما من أعمام رسول الله.

ونسب البيت الأول كهال الدين الدميري (ت ٨٠٨هـ) إلى عبد المطلب فغلطه القسطلاني فقال: «وهذا البيت من أبيات في قصيدة لأبي طالب على الصواب وقول الدميري وتبعه جماعة انه لعبد المطلب غلط» (" وانها يقطع المشك فيه قول الرسول الله فلها الرسول الله فلها الرسول الله فلها الله فلها الله فلها وحديث الاستسقاء، لما اقحط أهل المدينة استسقى لهم رسول الله فلها رأى السحاب حول المدينة كالاكليل قال رسول الله عَيَيْنِ " (لو ادرك أبو طالب هذا اليوم لسرّه، فقال له بعض اصحابه: كأنك يها رسول الله اردت قوله: وابيض يستسقى الغهام بوجهه (البيت على قال: اجل " فهذا نص صريح لرسول الله عَيَيْنِ الله الله منه عذا البيت أبو طالب .

وتأخر ترتيبه في القصيدة بعد ثلاثة وعشرين بيتا.

⁽۱) نهايسة الارب في فنسون الادب: ۱۸/ ۲٤۱، ظ: السديوان: ۷۰، ۴۸، بساختلاف الروايسة، وترتيسب الاسات، فقد ورد الست الثاني: «ملوذُ به الهلاك...»، والست الثالث مرواية:

[«]بعيزان قسط لا يَفيضُ شعيرةً له شاهدٌ من نفسه حتى عادلِ»

⁽٢) ظ: الديوان: ٦٩– ٨٥، ١٩٠– ١٩٨، ٢٩٢– ٣٠٤.

⁽٣) شرح المواهب اللدنية: ١٩١١.

⁽٤) السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٢٨٠- ٢٨١.

وربها اوقع كهال الدين الدميري في غلط نسبة البيت لعبد المطلب لتشابه موضوع النص الشعري فقد ذكر ان عبد المطلب كان يستسقي أيام القحط في مكة بالنبى عَلَيْظِهُ عندما كان طفلا صغيرا(۱)، وكذلك أبو طالب استسقى به أيضا(۱).

إنَّ عدم تثبُّت الرواة من نسبة النص اوقعهم في الوهم على الرغم من انه لأبي طالب بن عبد المطلب من غير منازع عليه، فتارة ينسب الى اخيه العباس بن عبد المطلب، وتارة ثانية ينسب البيت الى ابيه عبد المطلب؛ لانهم جميعا من بيت واحد، ولتشابه مناسبة الموضوع المطروق في الاستسقاء برسول الله لأبي طالب وأبيه.

ومن ألوان الاضطراب نسبة النص الشعري لشاعرين لأنها من اسرة واحدة على نحو ما تنازع في نسبة القطعة الاتية لأبي طالب وابنه طالب في مديح النبي عَلَيْهِ :

إذا قيل: مَن خيرُ هذا الدورى أن المناف لعبد منساف أب المناف لعبد منساف أب لقد حسلً مجد دُبني هاشم وخسيرُ بندي هاشم احمد دُ

⁽١) ظ: انساب الاشراف: ١/ ٨٣، الرُّوض الأنُّف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام: ٢/ ٣٠- ٣١.

⁽٢) ظ: الخصائص الكبرى: ١/ ٨٦.

⁽٣) الديوان: ٣٣٨، قبيلاً: القبيلة، أناف: ارتفع، النثرة: كوكبان بينها قدر شبر وفيها لطخ بياض، ويقال لها أنف اسد، ويذكر ان طالبا كان محبا للرسول عَلَيْنِ وله فيه مدائح، ظ: مجموع شعر قريش ملحق في الأطروحة «شعر قريش في الجاهلية وصدر الاسلام»: ١٦١- ١٦١.

عزا الشيخ المفيد القطعة الى أبي طالب ('')، وعزاها الشيرازي ('') الى ابنه طالب، وتنازعت نسبة القطعة بين أبي طالب وابنه طالب في آن معا، عند ابن ابي الحديد ('') والمجلسي ('') وجامع غاية المطالب في شرح ديوان أبي طالب لمحمد خليل الخطيب ('')، ومحققي ديوان أبي طالب: محمد التونجي ('')، ومحمد حسن آل ياسين ('')، ومحقق مجموع شعر قريش في الجاهلية وصدر الاسلام لمحمد ساري ('').

وعلى الرغم من أن الشيخ المفيد اسبق في رواية النص المذكور يبقى الترجيح في نسبته امرا صعبا؛ لان غاية الشيخ المفيد صحة اثبات ايهان أبي طالب من خلال النص، وكذلك غاية الشيرازي اثبات اسلام طالب ويبقى النص متنازع النسبة بينها ما لم نعثر على دليل قوي يحسم الأمر في اثبات نسبته الى احدهما.

ومن هذا اللون الأرجوزة البائية التي نسبت لأبي طالب تارة، ولطالب تارة ثانية، أو كليهما معا :

⁽١) ظ: النكت الاعتقادية (ايمان أبي طالب): ٣٥.

⁽٢) ظ: الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة: ٦٣.

⁽٣) ظ: شرح نهج البلاغة: ١٤/ ٧٨.

⁽٤) ظ: بحار الانوار: ٣٥/ ١٦٤- ١٦٥.

⁽٥) ظ: غاية المطالب في شرح ديوان أبي طالب: ٥٠-٥١.

⁽٦) ظ: الديوان (التونجي): ٤٤.

⁽٧) ظ: الديوان: ٣٣٨.

⁽٨) مجموع شعر قريش ملحق في الاطروحة «شعر قريش في الجاهلية وصدر الاسلام»:١٦١.

{من الرجز}

يـــارب إمّـا نُخـر رِجَنَّ طـالبي في مِقْنَـب مِ المقانـب فل يكُن المغلـوبُ خـيرَ الغالـب ولـيكن المحسلوبُ خـيرَ العالـب

ومما يرجح نسبة الارجوزة طالبا ان مناسبة النص تفيد انها له، فبعد انتهاء معركة بدر التي أُخرج اليها طالب مكرها جرت محاورة بينه وبين بعض قريش «فقالوا: والله قد عرفنا أن هواكم مع محمد فرجع طالب إلى مكة فيمن رجع، وقيل: إنها كان خرج كرها فلم يوجد في الأسرى ولا في القتلى ولا فيمن رجع إلى مكة وهو الذي يقول.... {اشطر الرجز}» (۱).

إن نسبة الارجوزة إلى أبي طالب وهم يرجع الى عدم التثبُّت من الاسم، ولأنَّ كلا الشاعرين من اسرة واحدة، ومنه ما نسب الى الامام على بن أبي طالب عليم وهو لأبيه (٣) وهو لا يحتاج الى كثير مناقشة.

والنوع الثالث في عدم التثبت من رواية الشعر المتدافع عليه لاحد الساعرين هو التشابه في وحدة الوزن والقافية ومنه: ما ذكر في أسماء النبي عَلَيْهِ في فاورد صاحب الخزانة «ورأيت (في المواهب اللدنية) قال مؤلفه: ثم إن في اسمه محمد خصائص منها أنه تعالى شقه من اسمه المحمود كما قال حسان بن ثابت:

⁽١) الديوان (التونجي): ٢٥، المقنب: الجماعة من الخيل، او نحوها.

⁽٢) الكامل في التاريخ: ٢/ ٨٥.

⁽٣) ظ: الديوان: ١٥٠، ٣٣٤.

{من الطويل}

من الله من نبور يلوخ ويُسشهدُ إذا قال في الخمس المؤذنُ اشهدُ فذو العَرُش محمودٌ وهذا مُحمَّدُ أغررُ عليه للنبوةِ خساتمٌ وضمَّ الإله أسمهِ النبيِّ إلى اسمهِ وشعَّ للهُ مسن اسمهِ ليجِلَّهُ وشعَّ للمِ

... ثم قال صاحب المواهب: وأخرج البخاري في تاريخه المصغير من طريق على بن زيد قال: كان أبو طالب يقول: وشقَّ له من اسمِهِ ليجِلَّهُ... {البيت} »(١).

لاشك في أن البيت الثالث الذي ذُكِرَ في القصيدة الدالية لحسان بن ثابت، هو لأبي طالب لأنَّ رواية شهاب الدين احمد القسطلاني (ت سنة ٩٢٣هـ) متأخرة عن رواية ابي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، وقد أورد البيت غير واحد من مؤرخين وأدباء وعلماء "، والبيت مما ضمنه حسان بن ثابت وبهذا جزم أحمد زيني دحلان الشافعي "، وعبد الحسين أحمد الاميني (، وعبد الرحمن البرقوقي مقتى وشارح ديوان حسان بن ثابت ".

وسبب نسبة هذا الاضطراب يرجع إلى تشابه قصيدي: أبي طالب وحسان بن ثابت المذكور البيت في كلتيهما، اذ يتشابهان في وحدة الوزن والقافية فنضلا عن

⁽١) خزانة الادب: ١/ ٢٢٥، ظ: شرح ديوان حسان بن ثابت: ١٣٤، اختلاف رواية البيت الاول:

 ^{«...} من الله مَشْهُوذٌ يَلُوحُ ويُشْهَدُه.

⁽٢) ظ: الغدير في الكتاب والسنة والادب: ٧/ ٣٣٥.

⁽٣) ظ: أسنى المطالب في نجاة أبي طالب: ٤٦.

⁽٤) ظ: الغدير في الكتاب والسنة والادب: ٧/ ٣٣٦.

⁽٥) ظ: شرح ديوان حسان بن ثابت: ١٣٤ الهامش.

الموضوع، فموضوع كلتا القصيدتين في مدح النبي محمد عَلَيْوَاللهُ (١).

ومن هذا اللون من عدم التثبُّت في الرواية الذي يرجع الى تشابه القصائد في الوزن والقافية ما ينسب الى غير أبي طالب وهو له، ما نسبه ابن كثير في السيرة النبوية، وهي أربعة إبيات إلى ورقة بن نوفل بعد ان أورد له قصيدة من اثني عشر بيتا أردف قائلا: «وزاد الاموي

{من الطويل}

وكان له فضلٌ على الناس راجحُ تسلألاً فيسه بسالظلام المسسابحُ تُخسبُ اليه السيعملاتُ الطلائحُ (٢)» يعلَّق في أرساغهنَّ السلائحُ (٢)»

فمتّبعٌ دين الذي أسّس البنا وأسّس بُنيانا بمكة ثابتاً مثابا لافناء القبائل كلّها

وقد تفرد ابن كثير بهذه الرواية، ولم اقف في المصارد المتقدمة في نسبتها الى ورقة بن نوفل، ولم اعثر عليها في مجموع شعره ضمن القصيدة الحائية له أمّ ويبدو أنّ الأموي الذي زادها في القصيدة الحائية لورقة؛ لأنّها على الوزن والقافية نفسها، ومن المرجح انها لأبي طالب لما ذكرته المظان الاتية:

أورد أبو بكر الانباري (ت٣٢٨هـ) البيتين الثاني والثالث في الزاهر في معاني

⁽١) ظ: الديوان: ٢٣٤ - ٢٣٦ (القصيدة)، ٣٣٢ (المستدرك) مع الهامش.

⁽٢) السيرة النبوية لابن كثير: ١/ ٢٦٩، اليعملات: جمع يعملة، وهي الناقة النجيبة، والطلائح: المتعبات، الحراجيج: الطوال.

⁽٣) ظ: ورقة بن نوفل حياته وشعره (بحث): ١٧٥.

كلمات الناس، ولم يعزها الى أي شاعر، بيد أنَّ محقق الكتاب حاتم صالح الضامن عزاهما إلى أي طالب مستدلا على ما ذكره ابن منظور في لسان العرب (۱)، وعزا أبو منصور الازهري (ت٣٩٢هـ) في تهذيب اللغة البيت الثالث الى أبي طالب "، وروي البيت لابن منظور صحيح النسبة لأبي طالب فقال: «وانشد الشافعي بيت ابي طالب:

إمن الطويل عند المنافِيا عند المنافِيا عند المنافِيات المنافِق المنوق المنافِق المنافِق المنافِق المنافِق المنافِق المنافِق المنا

وقال ثعلب: البيتُ مثابةٌ وقال بعضهم: مثوبةٌ ولم يقرأ بها» ("، ويلحظ في النص ان ثعلبا (ت٢٩١هـ) لم يعترض على نسبة البيت لأبي طالب، وانها رواه هو وغيره له.

واتبع ابن منظور الزبيدي (ت١٢٠٥هـ) فذكر البيت لأبي طالب طالب والبيت مذكور في المستدرك من ديوان أبي طالب (٥٠).

ولا نستبعد أن القطعة التي ذكرها ابن كثير رواية عن الاموي أنها لأبي طالب، لأنَّها وحدة شعرية تحمل فكرة الاشادة بالنبي عَلَيْظِيمُ الذي كان له اثر في بناء

⁽١) ظ: الزاهر في معاني كلهات الناس: ١/ ٢٥٠ مع الهامش.

⁽٢) ظ: تهذيب اللغة: (ثوب)، وعجز البيت م.ن: (ذمل).

⁽٣) لسان العرب: (ثوب)، وعجز البيت، م.ن: (ذمل)، وتختلف الرواية عـن ابـن كشير: ٩... تُخُبُّ اليـه اليَعْملاتُ الذواهِ أَرِهِ.

⁽٤) ظ: تاج العروس: (ثوب)، وعجز البيت: م.ن: (ذمل).

⁽٥) ظ: الديوان: ٣٤١.

الكعبة، وفي شعر أبي طالب ما يدلنا على ذلك أيضا (١)، اما اللغويون الذين لم يستشهدوا ببقية ابياتها فهذا يعود؛ إلى أنَّهم معنيون بايراد الشاهد اللغوي فحسب.

ونعود فنقول إن هذا الاضطراب يرجع إلى أنَّ الأُموي توهم نسبة الأبيات الى ورقة واتبعه ابن الاثير في ذكرها بعد ان أورد القصيدة الحائية لورقة بسبب الوزن والقافية التي عليها القصيدة المذكورة.

ومما تقدم نتبين أن الاضطراب في رواية شعر أبي طالب مما نسب إليه، أو لغيره، أو له ولغيره في آن معا يرجع إلى الوهم في عدم تثبّت الرواة لنسبته للاسباب التي تشكل بعض الاشكال عليهم، فمنها: تباين معنى النص وهما، أو تحريف اسم منشيء النص، أو لتشابهه في الموضوع المطروق، أو لتشابهه في وحدتي: الوزن والقافية، وبهذا كله نكون قد ميزنا شعر أبي طالب من غيره من السعراء، ونطمئن على الاستشهاد به؛ لتأكد نسبته إليه في دراسة الفن والموضوع لشعر أبي طالب.



(۱) ظ:م.ن: ۳۳۸.

الدراسة أولاً: في الموضوع

إنَّ الأدب ولاسيما الشعر لا ينحصر في موضوعات معينة، لأنّه يمثل الحياة العامة باحداثها ومواقفها المتعددة التي أثرت في نفس الشاعر وفكره ووجدانه، وان كل لحظة انفعال يمر بها الشاعر لها سياتها وطبيعتها الخاصة التي تدفعه إلى قول الشعر ليعبر عن ذلك كله، ولذلك تعددت موضوعاته، بيد أنَّ الباحثين اعتادوا على تصنيف الشعر إلى موضوعات قيِّدت بالرثاء والفخر والمديح والهجاء إلى آخره، وهي موضوعات تقليدية معهودة قبل الإسلام، وقد طرأ عليها في فجر الإسلام بعض التغيير والتحوير والتطوير واستحدثت موضوعات جديدة في معانيها تنسجم مع المرحلة الجديدة للحياة الإسلامية، ومبدائها كشعر الدعوة الدينية وغيرها.

وقد طرق أبو طالب بعض الموضوعات القديمة والموضوعات الجديدة فسجل موضوع الرثاء قبل الإسلام، ولم يسجل شيئا منه في الإسلام، بيد ان بعض النصوص ارتدت معاني جديدة لم يتناولها الشعراء قبله.

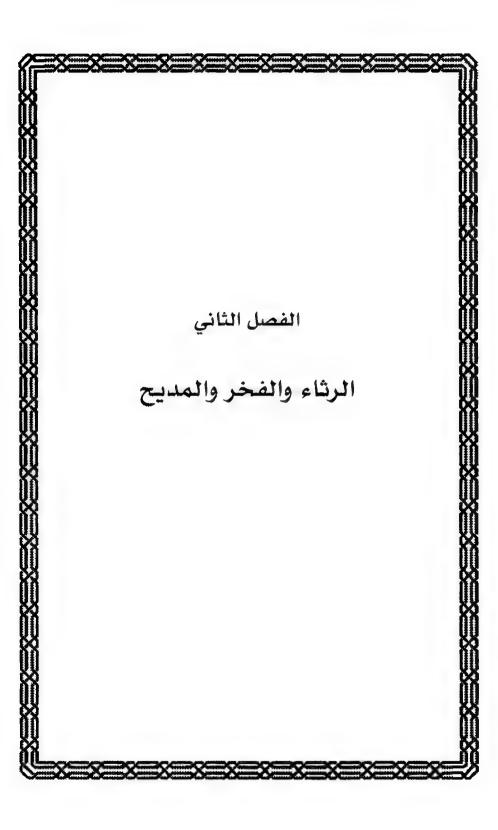
وحفلت الموضوعات الشعرية؛ الفخر والمديح والعتباب والهجاء ببصبغة

متطورة تأثرت معانيها بواقع حدث الإسلام الكبير، وما رافقه من تغيير في واقع المجتمع القرشي خاصة والعربي عامة.

اما الألوان الشعرية التي فرضها الواقع الإسلامي الجديد في الايمان بالله ورسوله ونصرته وتأييده والدفاع عنه، فهي مما لاشك فيه ذات طابع جديد، وان كان لها جذور في الشعر العربي من معاني التوحيد، والاجارة، إلا انها في ظل الإسلام اكتست معاني إسلامية جديدة اقترنت بصاحب الرسالة الرسول محمد عَلَيْواللهُ في اشهار الشعر سلاحا من اسلحة الدعوة الإسلامية بوجه مشركي قريش، ووسيلة لتقرير العقيدة.

ونأى أبو طالب في شعره عن موضوع الغزل، فلم نعثر على شيء منه، ويبدو أنَّ الشاعر تحرج من ان يطرق هذا اللون من الشعر؛ لأنَّه من الموحدين، ولأنَّه لا يتناسب ومكانته الاجتماعية وهو رئيس قريش وحاكمها، وان اغلب شعره الذي وصل الينا يمثل مرحلة متأخرة من حياته، وأبو طالب وان كان مقلا قبل الإسلام، فإنه غير ذاك بعد مجيء الإسلام؛ ذلك بأنَّ حدث الإسلام العظيم فجر قريحته الشعرية إلى فن الدعوة الإسلامية الجديدة الذي يعد رسائل شعرية موجهة إلى قومه في دعوتهم إلى نصرة رسول الله المنتيالية وتأييده ومؤازرته والدفاع عنه، لما رأى من قريش معارضة شديدة للرسول.





مفتتح الفصل علاقة الرثاء بالفخر والمديح

أوماً بعض النقاد القدامى إلى أن ثمة علاقة بين الرثاء والمديح، فجعلوا الرثاء فناً تابعاً للمديح، فقال ابن سلام ما نصه «ان التأبين مدح الميت والثناء عليه... والمدح للحي» (()، وتابعه قدامة بن جعفر (ت٣٣٧هـ) في ربط الرثاء بالمديح فقال: «ليس بين المرثية والمدحة فصل إلا أن يذكر في اللفظ ما يدل على انه لهالك مثل: كان، وتولى، وقضى نحبه، وما اشبه ذلك، وهذا ليس يزيد في المعنى ولا ينقص منه، لان تأبين الميت انها هو بمثل ما كان يمدح في حياته (())، ونهج ابن رشيق القيرواني (ت٥٦٥) هـ) المنهج نفسه في تلك الاحكام، فقال: «وليس بين الرثاء والمدح فرق إلا انه يخلط بالرثاء شيء يدل على ان المقصود به ميت مثل كان أو عدمنا به كيت وكيت وما يشاكل هذا ليعلم انه ميت (())، على ان الحال النفسية التي يكون عليه الراثي

⁽١) طبقات فحول الشعراء: ١/ ٢٠٩.

⁽٢) نقد الشعر: ١١٨.

⁽٢) العمدة: ٢/ ١٤٧.

ساعة الابداع الشعري لا تستوي مع الحال النفسية التي يكون عليها المادح، فالراثي وهو يمدح الفقيد انها يرثيه بعاطفة حزينة وموجعة، والمادح انها يمدح بعاطفة الاعجاب بالقيم الاصيلة التي يتوسمها بالممدوح، ونفسه تشع بهجة وسرورا.

بيد أنَّ هناك رابطا قويا في الحالين، وهو ان الراثي عندما يمدح اثار الفقيد لمن حوله من المستمعين، فيريهم في فقيدهم اسمى صور الكمال التي تثير فيهم عاطفة الاعجاب والحزن الممزوجة بخسارة الميت، فيدفعهم الى بكائه اعجابا بها يمتلك من صفات وحزناً واسفاً وحسرةً لفقده (١).

وعندما يمدح الساعر الممدوح، وهو يرسم صور الاعجاب فيه باعلى درجات الكمال، فإن المادح والمستمعين سيكونون مدفوعين بعاطفة الاعجاب ومتوسمين عمل الممدوح بالفضائل الجليلة، والاعمال الخالدة، والسجايا الحميدة، والماثر العريقة التي اشاد بها الشاعر؛ ليعمل الممدوح جاهدا؛ لتحقيقها والارتقاء اليها بأبهى صورة.

اما علاقة الفخر بالمديح، فتكمن في أن كلا الضربين يتغنى بهما الشاعر بالفضائل الكريمة، والخصال الجليلة، والافعال الطيبة، والسجايا النفسية والحسية الحميدتين، فالفخر والمديح يصبان في مجرى واحد، فقد عد الفخر من باب المديح، وانها هو «المديح نفسه، إلا أن الشاعر يخص به نفسه وقومه، وكل ما حسن في المدح حسن في الافتخار، وكل ما قبح فيه قبح في الافتخار» "على الرغم من وجود فارق بينها من «ان المادح يجوز له ان يصف ممدوحه بالحسن والجمال، ولايسوغ للمفتخر

⁽١) ظ: الرئاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام: ٥٧، شعر الرئاء في العصر الجاهلي: ١٥٨.

⁽Y) Ileaci: 7/731.

ان يصف نفسه بذلك»(١).

فنقطة الالتقاء بين هذه الموضوعات الثلاثة، جعلتنا نــدرجها في فـصل واحــد طارقين المعاني القديمة والمتطورة والجديدة في اثناء عرض كل فن منها .

الرثاء :

فن من فنون الشعر العربي المعروفة قبل الإسلام، وهو وسيلة يعرب بها المرء عن خلجات نفسه واتراحها عندما يمر بتجربة مؤلمة تفقده أحَد ذويه من الأهل والأقارب والأصدقاء وغيرهم، فيبكيه بدموع سجام، وبحرارة محرقة، وهو يصور خسارة الفقيد بموته متفجعا بين اللهفة والحسرة، فسبيل «الرثاء ان يكون ظاهر التفجع بين الحسرة، مخلوطا بالتلهف والاسف والاستعظام، ان كان الميت ملكا أو رئيسا كبيرا» (" وفي اثناء ذلك كله قد لاينسى الشاعر ان يثني على الفقيد ويذكر خصائله باحساس صادق وحزن عميق، وقلب ملتهب لفراقه، وهذا ما يقرب لنا ما أورده الأصمعي حين سأل أحَد الأعراب: «ما بال المراثي اشرف اشعاركم؟ قال: لأنا نقولها وقلوبنا محترقة» (").

ونتيجة للتباين الحاصل بالتعبير عن الاحاسيس بألم الفراق، والشعور بالحزن، والتفجع بالمصاب اتخذ الرثاء صورا تمثلت بالندب والتأبين والعزاء.

⁽١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ٣٥٢.

⁽٢) العمدة: ٢/ ١٤٧.

⁽٣) العقد الفريد: ٣/ ١٦٢، نهاية الارب في فنون الأدب: ٥/ ١٦٢.

_الندب:

يعني البكاء على الميت، وتعداد محاسنه، والثناء عليه (1)، والنواح بكلام حزين مفجع يجعل عيون الباكين تذرف الدموع الغزار، وأكبادهم تحترق من شدة المصاب لفراق الفقيد.

إن نظرة فاحصة في النصوص التي وردت في ديوان أبي طالب بحسب كثرة ورودها تكشف انه رثى نادبا أفراد أسرته: أخويه: عبد الله والد الرسول عَلَيْوالله والزبير وهما من أمه وأبيه، وأباه عبد المطلب، وخاليه: هشام بن المغيرة، وأبا أمية بن المغيرة، ونديمه مسافر بن أبي عمرو(").

وكان رثاؤه لأخويه أكثر بروزا في الديوان، ومن ثم لأبيه وخاليه ونديمه وتبرز هذه الظاهرة لشدة الرابطة الأسرية التي تربط الأخ بأخيه، ففقد الأخ عند الرجل القوي قاصم للظهر (٣)؛ لان الأخ سند الرجل ومعتمده إمام محن الحياة ومعتركها.

وفَقَدَ أبو طالب عزه وسنده المعتمد عليه عبد الله (١)، ولاستكمال حزن أفراد

⁽١) ظ: لسان العرب: «ندب».

⁽۲) ظ: الديوان: ۹۷، ۹۸، ۹۹، ۱۰۵ – ۱۰، ۱۳۲، ۱۳۲، ۱۳۱، ۱۶۹، ۱۲۱، ۱۳۳ – ۱۳۳۰ (۲) ط: الديوان: ۳۲۷ – ۱۳۳۰ (۲) ط: الديوان: ۳۲۷ – ۱۳۳۰ (۲) ط: الديوان: ۳۲۳ – ۱۳۳۰ (۲) ط: الديوان: ۳۲۷ – ۱۰۵ (۲) ط: الديوان: ۳۲۷ – ۱۰۵ (۲) ط: الديوان: ۳۲۰ (۲) ط: الديوان: ۲۰۰۱ (۲) ۱۰۵ (۲) ط: الديوان: ۲۰۰۱ (۲) ط: ۱۰۵ (۲)

⁽٣) ظ: ديوان المعانى: ٢/ ١٨٤.

⁽٤) عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم الملقب بالذبيح، وهو والد الرسول عَلَيْقُهُم، خرج في تجارة الى بـلاد الشام، وفي طريق عودته الى مكة تُوفي في المدينة وله خمس وعشرون سنة، ظ: الـسير والمغازي: ٣٢- ١٨١ الطبقات الكبرى: ١/ ٨٨- ٨٩، تاريخ الخميس في احوال أنفس نفيس: ١/ ١٨٢ - ١٨٣.

أسرته، ندبه أبو طالب وبكاه أبوه وأخوته بدموع غزيرة، فقال نادباً:

{من البسيط}

وَلا عَسلي عَسلى قَسرُم لَنسا سَسنَدِ
وَمسا بِقَلبسي مِسنَ الآلامِ وَالكَمَسدِ
بِكُسلِّ دمَسع عَسلى الخَسدَّينِ مُطَّرِدِ
إِذْ كَانَ مِنها مُكانَ الروحِ في الجَسَدِ(')

عَيْنَسَى إِنْسَذَنِ بِبُكَاءٍ آخِسَرَ الأَبَسِدِ أَشْكُو الَّذِي بِي مِنَ الوَجِدِ الشَّديدِ لَـهُ أَضَحَى أَبِسُوهُ لَسهُ يَبَكَسَى وَإِخُوتُسهُ لَسوعَاشَ كَانَ لِفِهِسَر كُلِّهَا عَلَساً

إن شدة المصاب جمدت دموع الشاعر، لذلك يخاطب عينيه بان تجودا عليه بالبكاء، فذرف الدموع يكشف ما لها من أثر في إطفاء لظى الوجد، وحرقة الفؤاد ولهيب العبرة؛ لأن كتمان البكاء يصدع القلب، ويؤلم النفس، ولاسيما إذا كان الفقيد في مقتبل عمره، يُتَوسَّم به تحقيق الأماني في حياته، فبكى أبو طالب أمنيته الضائعة التي اختطها الموت عندما خطف أثر أخيه؛ لأنه لو عاش لكان علما متألقا في قريش، فخدعه أمله، وهذا الوصف له بالغ الأثر في نفوس سامعيه.

وبعد وفاة أخيه عبد الله بثماني سنين (")، تُوفي أبوه عبد المطلب، فندبه أبو طالب من قلب مكلوم نافذ إلى اعماق وجدانه، وهو يصور دقة احاسيسه بفاجعة وفاته، فهول المصاب ابكى العيون عليه، وارسل الدموع مدرارا فقال:

إمن البسيط على البسيط إلى البسيط أبك معها في المسلم المسينة بيت الله والكرم والكرم المسينة بيت الله والمسينة بيت والمسينة والمسينة بيت والمسينة والمسينة بيت والمسينة والمسي

⁽١) الديوان: ٩٨.

⁽٢) ظ: تاريخ اليعقوب: ٢/ ١٠.

بَكَتْ قُرِيشٌ أَباهِا كُلِّها وَعَهل الْيَامِها وَجِماها النابِتِ السَّعَمِ صَفِيُّ بَكِّي وَجودي بِالسَّمُوعِ لَهُ وَأَسْعِدي بِا أُمَيْم اليَومَ بِالسَّجَمِ نُجِبِكِ نُسوةُ رَهِ لَم مِن بَنِي أَسَدٍ وَالغُرِّ زَهرَةَ بَعدَ العُرْبِ وَالعَجَمِ أَلُمْ يَكُونُ ذَيْنَ أَهِ لِ الأَرضِ كُلِّهِم وَعِصمَةَ الخَلْقِ مِن عادٍ وَمِن الْرِمِ ("

إنَّ استعمال الشاعر لفظ (أب) لعبد المطلب يوضح مكانة المندوب في قومه، فهو لاشك يحنو عليهم حنو الاب فكأن لهم ابا، وهم يجلونه اجلال الاب فكانوا له ابناء.

وأبو طالب عندما يرثي أباه انها يرثي بيت الدين وشعيرة الكرم بفقدانه، فمصابه شبيه مصاب بيت الله الحرام بفقده إياه، وهذه من المعاني الجديدة التي زادها أبوطالب في فن الرثاء، ومن المعروف ان اباه عبد المطلب كانت سدانة الكعبة في يده، ومن الرجال المشهورين بمكة في الكرم، وقد اقترنت السيادة بكرم صاحبها؛ ولهذا بكت قريش أباها عهاد البيت، وطالب أبو طالب أختيه: صفية وأميمة بان تجود عيناهما بالدموع السجام لأبيهها؛ لتظل العيون سخية له، وهو يصدر احاسيس الشجن ضمن اطار الاسرة.

ولكي يستكمل الشاعر مقومات الحزن في الأسرة والمجتمع القرشي بعدان وصف بكاء قريش بشكل عام، وصف مشاركة نساء قريش من بني اسد وزهرة، وهن يشاركن بنات الفقيد في النواح والبكاء، وخص الشاعر هذين البيتين؛ لأن أسد

 ⁽١) الديوان: ٩٧، العادي: الباغي والظالم، والأرم: الآكل، شيبة: اسم عبد المطلب سمي بذلك، لانه
 كان في رأسه شيبٌ منذ ولادته، وهو أول من خضب بالسواد، ظ: الطبقات الكبرى: ١/ ٨٦ - ٨٧،
 عمدة الطالب في انساب آل أبي طالب: ٢٤.

أخو عبد المطلب، وزهرة من اصهاره، فأدرار الدموع، وطلب البكاء والنحيب، ومشاركة قريش رجالا ونساء لحزن أهل الفقيد ترسم صورة واحدة لفداحة فقدان عبد المطلب عمود الدين وسيد الكرم، والشاعر عاجز عن بلوغ الغاية التي يستحقها المرثي، فالأسى والبكاء لايفيان بحقه؛ لأنَّ الراحل زين أهل الارض، وعصمة الخلق جميعهم.

وتحدرت دموع أبي طالب على وجنتيه بسخاء، ونفسه تنفث الحسرات المحرقة على أخيه الراحل الزبير(١)، الذي كان أحد حكام قريش(١)، وسيد من ساداتها وسخيا كريا، وعلما باسقا، فقال نادبا أخاه:

إمن الخفيف عسبرة عسلى الوَجناتِ قَد مَرَ نها عَظيمَة الحسسراتِ الشبكت عسبرة عَسلى الوَجناتِ قَد مَرَ نها عَظيمَة الحسسراتِ الأخ سَسبيّد في السنّد وي السنّداتِ الساداتِ الله المنات الساداتِ الله الله الله المناطق ا

إنَّ بكاء الشاعر على اخيه يفسر حسرات نفسه الملتهبة من اغوارها، ولكي يريحها؛ اطلق العنان لدموعه ان تسيل مدراراً؛ ليشفي غليله المحرق، ويمنح الراحة لقلمه.

⁽۱) الزبير بن عبد المطلب، ويكنى أبا طاهر، وأبا ربيعة، وهو أخو عبد الله والد الرسول عَلَيْهِ من أمه وأبيه، وكان من أشراف قريش وحكامها، وهو أول من تكلم في حلف الفضول ودعا إليه، مات ورسول الله ابن بضع وثلاثين سنة، ظ: المحبر: ١٣٢، ١٦٤ - ١٦٧، المعارف: ٢٠٤، أنساب الأشراف: ١/٧٠، ٢/ ١١ - ٢٠.

⁽٢) ظ: المحبر: ١٣٢.

⁽٣) الديوان: ٩٩.

وقد يكون احد بواعث البكاء على الفقيد رؤية ابنه، فيبعث في النفس الأسى والحزن والكاء، فقال:

{من الطويل}

بفُرْقَدةِ حُرِّ مسن أبسيْنَ كِرامِ بسرَ خلي وقد وَدَّعْتُده بسسَلام وقد نساش بسالكَفَّيْنِ ثِنْدي زِمسامِ تجسودُ مسن العينَسيْنِ ذاتَ سِرجَام (۱) تَسَرِنَ مسن بعسُد هِسم هُمَ مَنْسهُ بأحمد لَكَسا أَنْ شَسدَدْتُ مَطِيَّسي فلمَ ابكسى والعِسِسُ قدد قُلْسصت بنسا ذكرتُ أبساهُ ثهم رَقرَقستُ عَسبْرَةً

عبر أبو طالب عن هذا المعنى عندما كان عازما على الرحيل إلى بلاد الشام للتجارة (۲) وأى النبي محمد عَلَيْ أَنْ وهو في كنفه عندما كان صغيرا ان الراحلة تهيأت ايذانا بالسفر، اخذ بزمام ناقة عمه وبكاه تعلقا به، فأثار أبو طالب مشهد بكاء ابن أخيه و تعلقه بالراحلة، فتداعت له ذكرى أخيه الراحل عبد الله والد النبي، فانهمرت عيناه بالدموع السجام، وبكاءه بالدموع الغزيرة يدل على وفائه لذكراه، وحسرة لفراقه.

وقال أبو طالب في قصيدة «رثى بها أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وكان ختنه، فخرج تاجرا إلى الشام فهات بموضع يقال له سرو سحيم» (") ناديا إياه مذه الأبيات:

⁽۱) م.ن: ۱۳۲.

⁽٢) ظ: السير والمغازى: ٧٣.

⁽٣) خزانة الأدب: ٤/ ٢٤٤، سرو سحيم: موضع في بلاد هذيل، ظ: معجم البلدان:٣/ ٢١٧.

(من الطويل)

أرقت ودَمع العَينِ في العَينِ غائرُ كَانَ فِراشي فَوقَه نارُ مَوقِدٍ عَلى خَيرِ حافٍ مِن قريشٍ وَناعِلٍ الآإِنَّ ذادَ الرَكِب غَديرِ مُسدانع

وَجادَت بِها فيها الشُّؤونُ الأَعاوِرُ مِنَ اللِّسلِ أَو فَسوقَ الفِراشِ السَّواجِرُ إِذَا الخَسيرُ يُرجى أَو إِذَا السَشَرُّ حاضِرُ بِسسروِ سُحِم غَيَّنُهُ المَقسابِرُ (۱)

وثمة علاقة بين العين وما تفيض من الدموع الكثيرة وعدم رقادها، وما يتبع ذلك كله من سهر الشاعر فالليل مجلب للاحزان وهذه صورة معبرة عن حال المصاب تكشف معاناته في الليل، فيحس فراشه نارا، غمرته دموعه الحارقة كالسيل، لفقدان خاله أبي أمية الذي كان يتصدى لاداء الخير، ولدفع الشر.

_ التأبين:

ومن صور الرثاء التأبين، وهي صورة تختلف عن الندب، فالشاعر لايظهر حزنه فحسب، وانها يتجاوزه ليعبر عن حزن الجهاعة وما فقدته من عزيز عليها لما لهذا الفقيد الراحل من أثر بيِّن فيهم بها يتحلى من صفات كريمة، وخلال بهية، وشهائل رفيعة، واعهال جليلة، فالتأبين ليس نواحا ونشيجا، وانها هو أقرب إلى الثناء منه إلى الحزن الخالص، فاذا خرَّ نجم لامع من المجتمع، اشاد الشعراء بمنزلته السامقة،

⁽۱) الديوان «التونجي»: ٥٥، زاد الركب: لقب أبي أمية، وكان أزواد الركب في قريش ثلاثة: أبو أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، ومسافر بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس، وزمعة بن الأسود ابن عبد المطلب بن أسد بن المُعزَّى، وانها قيل لهم أزواد الركب؛ لأنهم إذا سافروا لم يتزود معهم أحد، ظ: خزانة الأدب: ٢٤٦/٤.

وكأنهم يريدون ان يصوِّروا فداحة خسارة الناس فيه؛ لذلك كان التأبين ضربا من التعاطف الاجتماعي يعبر الشاعر فيه عن حزن الجماعة بفقده، فيسعى لتسجيل فضائله بالحاح، وكأنه يريد أن يحفرها في ذاكرة الناس على مر الاجيال(١٠).

وبعد ذكر تجربة الحزن التي يعانيها الشاعر حين يفارق احباءه واعزاءه وندبه لموت الفقيد وذرف عينه الدموع المحرقة حزنا واسى عليه، يجد الشاعر سبيلا إلى ذكر مناقب الفقيد وخصائله، وهذا الامر مُستَحسَن في المراثي، «فأحسن الشعر ما خلط مدحا بتفجع» (")، أي مدح مناقب الراحل وسجاياه وفضائله وشهائله الحميدة التي يتحلى بها، فتعلو من شأنه أمام الناس لتجعله مثالا سامقا يتوق اليه الجميع، ومن اهم الفضائل التي أبنها ابوطالب في احبابه الراحلين إلى الحياة الآخرة: شرف السيادة، وعلو المجد، ونقاء النسب، والشجاعة الفائقة، واغاثة الجائع، وشعيرة الكرم، والتجمل بالصبر "".

إنَّ اعتزاز العربي بعلو مكانته وعظم سيادته وعراقة نسبه لايدانيه أي اعتزاز ومن كانت هذه صفاته وجب على الشاعر الحديث عنها، ولاسيها اذا كان الفقيد أباه، أو أخاه، وقد أوما أبوطالب إلى هذه القيم في مراثيه، فأبَّن أخاه الذي كان سخيا شريفا في قومه وسيد الناس حيا وميتا، وكأن أبا طالب يريد أن يرثبي فضائله وخلائله وسجاياه وشائله الجليلة بموته فقال بعد ان بكاه ("):

⁽١) ظ: الرثاء: ٦.

⁽٢) التعازي والمراثي: ٢٧.

⁽٣) الديران: ٩٨، ٩٩، ٩٩، ١٠٤، ٨٣٢، ٣٢٣، ٥٣٣.

⁽٤) ظ: الديوان: ٩٩.

(من الخفيف)

تَ قَدياً وَشَابِدُوا الْمَكُرُ ماتِ

 فِ بَني مِ نَجابَ قَ وَالْبَناتِ اللّهِ وَالْبَناتِ اللّهِ وَالْبَناتِ اللّهِ الْمَيْدُ الأَمواتِ (١)

 تَ وَمَنْ ماتَ سَيِّدُ الأَمواتِ (١)

سَيِّدٌ وَإِنْ سَادَةٍ أَحَرَزُوا اللَّهِ مَسَيِّدٌ وَإِنْ اللَّهُ عَسَلَهُ عَسَلَهُ وَعُسَلَهُ مِسْنَ بَنْ مَ اللهُ عَبِّلَةً الأَحْسِاءِ ذَا الْخَلْسَ حَسِبُهُم سَيِّدٌ الأحْسِاءِ ذَا الْخَلْسَ

وهذه من المعاني القديمة التي ابن بها أبو طالب اخاه الزبير بن عبد المطلب في الاشادة بجليل فضائله، فهو سيد السادات في العلو والمجد والكرم من بيت لا يبلغ مفاخره علو منزلته وشرف نسبه، فالزبير من بني هاشم بن عبد مناف بن قصي، وهؤلاء جميعهم سادات الدنيا، فجمع الزبير شرف النسب وشرف الكرم، فهو شيد المكرمات مع ابائه، وقد اقترنت فضيلة الكرم بالسيادة؛ لأنها من سجايا السيد الشريف، وهذا ما عرف عنهم من سعة كرمهم، وكثرة معروفهم ".

وبعد أن ندب أبو طالب أباه حزنا وشجى وبكاء أبنه بفضائله الجليلة على الناس جميعهم، ومنها السيادة والكرم والشجاعة، فالسيادة في نظر الناس تعني القوة والمنعة والحماية، أي جزء من الشجاعة، ولا يكون السيد ذا هيبة ومحرزا المجد ما لم يكن معقلا يُلجا اليه في الشدائد، ويلوذ به الناس عند الحاجة، فهو الجواد السخي؛ لأن «السخاء اخو الشجاعة، وهما في أكثر الأمور موجودان في ذوي بعد الهمة

⁽۱) م.ن: ۹۹.

⁽٢) ظ: السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ١٢٣- ١٢٤.

⁽٣) ظ: الديوان: ٩٧.

والاقدام والصولة»(")، وعبد المطلب له باع في قومه؛ فهو رئيسهم واحد حكام العرب في قريش(")، الذي لايتقدم عليه احد برايته التي يحملها وهو يدافع عن الابطال، وهو القائم على اعهار بيت الله الحرام، فامتلأت الكعبة نورا، وانجلى الجدب عن الناس بفضله، ولعظم قدره وسيادته وشرفه وشجاعته وكرمه التي تعلو على سادات القوم، وجب على الابن أن يندب أباه مفتخراً على أهل الفخر بقوله: { من السبط}

لَسهُ فَسِضائِلُ تَعلسو سسادَةَ الأُمُسمِ وَالمُخنَسْ صَوْلُهُ فِي النساسِ وَالسنّقَمِ غَسداةً بَحْمسي عَسنِ الأَبطسالِ بِسالعَلَم نسوراً فَيَجْلس كُسوفَ القَحْسطِ وَالظُّكم بسذاكَ فُسطِّلَ أَهسلُ الفَحْسِ وَالقِسدَم (٣) ك انَ السنُه جاعَ الجَسوادَ الفَسردَ سُسؤدَدُهُ مُسؤدَدُهُ مُسنعَى أَبسو الحَسارثِ المَسأمولُ نائِلُسهُ هُسوَ السرَّئيسُ الَّسذي لا خَلْسقَ يَقدمُسهُ العسامِرُ البَيست بَيستَ اللهَ يَمسلاهُ رَبُّ الفِسراش بسصَحْن البَيستِ تَكرمَسةً

إنَّ تأبين أبي طالب والده عبد المطلب في هذا المقام يعد معنى جديدا، فهو يتجاوز التأثير الاجتهاعي ضمن اطار الاسرة إلى ما هو أعم وأشمل، وهو الجانب الديني، فعبد المطلب رجل الدين المسؤول عن سدانة الكعبة؛ ولانه السيد الشريف والعالي المقام «فكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة وكان بنوه يجلسون حول فراشه حتى يخرج اليه، لايجلس عليه احد من بنيه إجلالاً له» (") وإعظاماً لمكانته.

⁽١) صبح الاعشى في صناعة الانشا: ٢/ ١٥.

⁽٢) ظ: تاريخ اليعقوبي: ١/ ٣٢٠.

⁽٣) الديوان: ٩٧.

⁽٤) السيرة النبوية لابن كثير: ١/ ٢٣٩.

ويبدو أنَّ أبا طالب في رثائه لأبيه يؤكد الجانب السياسي الذي يتمتع به في سيادته على قريش، وعلى المقام الديني، وفي هذا المقام وذاك يصوِّر فداحة فقدانه التي لحقت بالدين والدنيا.

وحينها أصابت بني قيس أيام من الجدب التجأوا إلى عبد المطلب لجاهه، ليشفع لهم بالسقيا من عند الله، ودعا الله بنزول الغيث، فها برحوا حتى انعم الله عليهم بالمطر فارتوت أرضهم.

وكأن أبا طالب أراد أن يبين جاه أبيه عند الله ومكانته الجليلة ومنزلته الرفيعة التي تفوق سائر الناس، وإن وفأة والده عبد المطلب تمثل خسارة كبيرة لقومه وعشيرته، فقال مجيبا وفدا قد عزّوه بوفاة والده:

{من الطويل}

من الغيث رجّاسُ العَشِيِّ بَكُورُ بمكَّة يسدَعو والمياهُ تَغُورُ بمكَّة يسدَعو والمياهُ تَغُورُ ورُ بمكَّة مَدورُ مَسونُ مُهُنَّ دَرُورُ وسطاباتِ مَسزنٍ صَسونُ مُهُنَّ دَرُورُ وقد عَضَها دَهر وقد المحسر أكسبُ عَثُورُ ورد بسسَيْبَة غيثاً فالنبات نَسضيرُ (١)

أبونا شفيعُ الناسِ حتى سُقُوا بِ وَ وَنحنُ سُفُوا بِ وَ وَنحنُ سَنِينُ الْمُحْلِ قَامَ شَفِيعُنا فلسم يسبرح الأقوامُ حتى رَأَوْا بها وقسيسٌ أتتنَا بَعْدَ دَأْمُ وشدّةً والمُ حتى سقى اللهُ أرض سهم

ومن المعاني الجديدة التي زادها أبو طالب في هذا المقام الكرامة التي منحها الله والده عبد المطلب بالاستسقاء "بركة دعائه أيام الجدب والقحط في مكة، فقد

⁽١) الديوان: ١٤٩، غيث رَجّاس: ذو رعد شديد الصوت، بكور: مُبكّر في وقته، أكب: كثير العثار.

⁽٢) ظ: أنساب الأشراف: ١/ ٨٣، الخصائص الكرى: ١/ ٨٠، حديث الاستسقاء.

«توالت على قريش سنون مجدبة حتى ذهب الزرع وقحل الضرع، ففزعوا وقالوا: قد سقانا الله بك مرة بعد اخرى فادعُ الله أن يسقينا ... فها راموا حتى انفجرت السهاء بهائها وكظ الوادى بثجه» (١٠).

ـ العزاء:

العزاء في الأصل الصبر، والتعزية التصبير والحمل على الصبر بـذكر مـا يـسلي المصاب ويخفف حزنه ويهون عليه مصيبته، والعزاء الصبر على كل ما فُقِدَ "، ثم حُدِّد استعمال اللفظ بمصيبة الموت، فالعرب كانوا في الجاهلية يتحاضون على الصبر ويعرفون فضله، ويعيرون بـالجزع أهله ايشارا للحزم وتزينا بـالحلم، وفرارا من الاستكانة إلى حسن العزاء "، ويحاول الشاعر في التعزية أن يتطرق إلى المعاني التي تخفف وقع اثر المصاب على أهل الراحل، ويتخذ العزاء أساليب وألوانا متعددة في التعبير تبعا لقدرة الشاعر الابداعية وتأثره بالمصاب، وعلاقته بصاحب المصيبة.

ومن ألوان العزاء، تسلية النفس بالصبر، وهذا ما فعله أبو طالب في رثائه لصديقه مسافر، فهو لايعزي أهل الفقيد بمصاب صديقه ونديمه وخليله مسافر بن أبي عمرو(1)، وانها يعزي نفسه بفقده، لأن المصاب ليس مصاب أهله فحسب، وانها

⁽١) تاريخ اليعقوبي: ٢/ ٩- ١٠.

⁽٢) ظ: لسان العرب: «عزا».

⁽٣) ظ: التعازي: ٧٥، التعازي والمراثي: ٤.

⁽٤) ظ: المحبر: ١٧٤، مسافر بن ابي عمرو بن أمية بن عبد شمس، كان سيدا وجوادا في قومه، وهـو أحـد أزواد الركب الذي سبق ان ترجمنا عنه ص: ٧٣- ٧٤، مات بالحيرة في الجاهلية، ظ: خزانة الأدب: ٤/ ٢٤٦، ٨/١٤١، ١٤٧١، ٤٧١.

مصابه هو أيضا، فقال في قصيدته النونية التي رثاه بها، وقد كان مسافر قد أصيب بداء في بطنه فخرج ليتداوى في الحيرة فهات بهبالة (١):

إمن الخفيف} كسم خليل وصاحب وابس عسم وحسيم قفَست عليه المَنسونُ وحسيم قفَست عليه المَنسونُ وتَعرَّيستُ بسسالجلاةِ والسسطَبْ و وإنّ بسسماحبي لَسسطنينُ (٢)

ويجد أبو طالب في العزاء سبيلا الى التأسي بمن فقد؛ لان الموت سيحل بفنائه في يوم من ايامه، وهذا يهون عليه المصاب؛ ولأن الانسان ضيف بين أهله وخلانه يقاسي المتاعب من غربة ومرض وهموم، ثم يرحل إلى العالم الآخر، لايذكر ماكان يعانيه، وكأن الشاعر بعد أنينه وبكائه على صاحبه رأى ان كل ما يفعله من أمر البكاء لا يغني عنه شيئا؛ لأن محنة الموت محنة الناس جميعا، فوجد في العزاء بالصبر خير سلوى لأحزانه.

ونجد في شعر أبي طالب صورة أُخرى من صور العزاء، وهي ان يكون الشاعر المُعزَّى من قبل الناس والمُعزِّي نفسه في آن معا، فعندما «سارت وجوه قيس وهذيل وأسد ومن داناهم من مضر، حتى أتوا قبر عبد المطلب فأقاموا عليه أياما، ونحروا مطاياهم، وحلفوا ألا يدخلوا مكة إلاحفاة حُسرا وجاؤوا أبا طالب يعزونه» (ن) بمصاب والده الجسيم، ويسألون ان يكون بخلافته جبر ما انكسر، وان

⁽١) ظ: الديوان: ٢٦٣، هبالة: موضع من مياه بني نمير، ظ: معجم البلدان: ٥/ ٣٩٠.

⁽۲) م.ن: ۲۲۳.

⁽٣) ظ:الديوان: ٢٦٣.

⁽٤) م.ن: ١٤٧.

يرتفع به ذكر العرب، فقد كان عبد المطلب شفيعا لمن شفع، لاتخمد ناره، ولايخاف جاره، الملك المتوج، الوارث الجود عن الجدود ()، فأراد المعزون بتعزيتهم بيان منزلة عبد المطلب عند الله والناس فقد كانت قريش تستسقي بشفاعته عند الله ايام الجدب، لعظم قدره وجليل مكانته، فيعودون منه مستبشرين، وهم يتوسمون في أبي طالب الخير في خلافته إياه، فهو «وارث الجود، ومحل الوفود، وانها تلد الاسود الاسود» ()، ففي عقب عبد المطلب الخير والصلاح والفلاح، فأجاب أبو طالب المعزين:

إمن الطويل إمن الطويل أنتُم على هُلْكِ سيد قصى نحبه والدائراتُ تدورُ وَلِي الرابُ وَالدائراتُ تدورُ فَاللَّغُ مَا الله المونَ بِغبطَة وصِرْتُم الى ربِّ إليه نصميرُ (٣)

والحقيقة التي لا مناص منها في ظل الدين الحنيف تؤكد ان مرد الانسان إلى الله، ولا سبيل له في الفرار، فالموت تاج فوق رؤوس الناس، ولاينبغي للمرء ذي العقل الراجح والمتزن والمؤمن بقضاء الله أن يجزع، أو يفعل ما لا يليق بمعتقده ودينه وسلوكه القويم، وهذا ما كان واضحا في معتقد أبي طالب، لأنه من الموحدين، فقد وجد في الرثاء له طريقا اخر بصورة تباين مثيلتها في الجاهلية يظهر فيها الايمان بقضاء الله، فكان جواب أبي طالب «فإنَّ الى الله الرُّجعَى وهو الحيُّ الذي لا يموتُ وما سواهُ ميت طوبى من كان في الحياة حسن العمل، وفي دهره قصر الأمل، ويكون بدله خير بدل» (أ)، فأبو طالب يدرك ان الموت الذي أخذ أباه لابد من أن يأخذه

⁽١) ظ: م.ن: ١٤٧ - ١٤٨.

⁽۲) م.ن: ۱٤۸.

⁽٣)م.ن: ١٤٩.

⁽٤)م.ن: ۱٤٨.

يوما، وعليه أن يستجيب لامر الله؛ لأن الجميع مردهم اليه.

ومن صور التأسي والعزاء تذكير أهل الفقيد بمنزلته ومكانته وفضائله، فعزى أبو طالب عمرو بن هشام ابن خاله هشام بن المغيرة، متوسما الخير فيه، في عظيم المحن والمصائب مثلما يفعل أبوه فقال:

{من الطويل}

لِفَقَدِ أَبِي عُسِنْهَانَ وَالبَيِتُ وَالجِحِرُ إِذَا عَسرَكَ النساسَ المَحْساوِفُ وَالفقرُ الفقرُ تَلسوذُ وَأَبتسامُ العَسشيرَةِ وَالسسّفرُ وَقَلَ لَعَمري لَسو فَدَوهُ بِهِ السَّطرُ لَنَرِجُوكَ في جلِّ المُهيّاتِ بِا عَمرُو(١)

فَقَدنا عَميدَ الحَيِّ فَالرُكنُ خاشِعٌ وكانَ هِسشامُ بسنُ المُغديرَةِ عِسممَةً بِأَبِياتِسهِ كانَست أَرامِسلُ قَومِسهِ فَسوَدَّت قُسريشٌ لَسو فَدَته بِسشَطرِها نَقسولُ لِعَمسرو: أَنستَ مِنسهُ، وَإِنَّنسا

إنَّ موت هشام مصاب جلل خشع له الحجر الأسود والكعبة والذي حولها استعظاما للحدث، وهذه من المعاني الجديدة التي زادها أبو طالب في العزاء، وهو يركز على الصفات التي يتحلى بها الفقيد، الذي كان حاميا ومانعا للناس، فهو ملاذ الفقراء والأرامل والأيتام والمسافرين، فموته ترك فراغا كبيرا لهؤلاء القوم، وللذلك

⁽۱) الديوان: ٣٣٥، أبو عثمان كنيته هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عصر بن مخزوم، والد أبي جهل من سادات العرب في الجاهلية، وكان رئيس مخزوم في حرب فجار، وكان يؤرخون في مكة بوفاته، ظ: جهرة أنساب العرب: ١٤٤/١، والتبيين في أنساب القرشيين: ٣١٦، عمر و بن هشام: كان يكنى في الجاهلية أبا الحكم، وكناه رسول الله عَلَيْنِ أبا جهل، وكان أحد مشايخ قريش ومن اشد المشركين إيذاء للرسول والمسلمين، قُتِلَ كافرا في معركة بدر في السنة الثانية للهجرة، ظ: السيرة النبوية لابن هشام: المرسول والمسلمين، قُتِلَ كافرا في معركة بدر في السنة الثانية للهجرة، ظ: السيرة النبوية لابن هشام:

فان قريشا تفديه بنصفها، وهذا قليل بحقه، ومن هنا تتضح مسوغات مبالغة الشاعر في رثائه.

والنعي له علاقة وثيقة بالرثاء فهو يعني اعلان موت الفقيد وإشهاره، «فيقال: نعي الميت ينعاه نعيا إذا اذاع موته وأُخبر به، وإذا ندبه» (() ومن هنا تبرز حقيقتان: الأولى: اشاعة خبر موت الفقيد بين الناس، والثانية ارتباط نعي الميت بندبه أي بذكر محاسنه وصفاته وشهائله وخلاله الحميدة، وبتأبينه بالبكاء عليه وذرف الدموع الغزار، وبتعزية أهله بمصابهم إلى آخره.

ومما ورد في شعر أبي طالب في صدد النعي باعلان موت الفقيد، واشاعة خبره بين الناس، الصورة التي رسمها عندما فقد أخاه وسنده في النائبات، فتردت حاله ساعة ابلاغه خبر هلاكه حينها نادى الناعي بموت أخيه الزبير، تُبين حزنه العميق النافذ إلى اعهاق شعوره، ففقده لأخيه اضناه وهزل جسده، ولوعته الصادقة اشابت رأسه، وكأن صحة الشاعر ذهبت بذهاب أخيه حسرة عليه، فليس بعده سند في المحن والشدائد فقال:

إمن البسيط على البسيط على المن البسيط إلى المن البسيط إلى أن البسيط المن أوحد تني للنائبات وقد خلّلتَ لحمي وامسى الرأسُ مُشتَهِبا من كان سرُّ بهلكٍ للرُبير نقد نادى المُنادى برُبر إنه أسبجبا (٢)

ومن سبل النعي ندب الشاعر الفقيد وتأبينه بالخصال والقيم الحميدة، فعندما

⁽١) لسان العرب: «نعا».

⁽٢) الديوان: ١٦٩، خللت لحمي: قبل ونحف من الهزل، والمشتهب: الذي غلب بياضه سواده، والشجب: الهلاك.

نادى الناعي برحيل أبي امية بن المغيرة اصابت الحيين: كعب وعامر بموته فاجعة كبيرة بخلاف ما كان يتنادى الناس بالبشارة لوصوله سالما من رحلته في بـلاد الـشام فيصبح اهل مكة في غمرة من الفرح والحبور لمجيئه، فقال:

{من الطويل}

وَقَد فُحِعَ الْحَبِّ انِ كَعبٌ وَعامِرُ تَقَدَّمهُ تَسسْعَى إِلَيْسا البَسشائِرُ كَسسَتْهُم حَبسيراً رَيْسدَةٌ وَمَعسافِرُ مُحَعجِعَةً كسومٌ سِسمانٌ وَبسافِرُ زُواهِستُ زُهسمٌ أَو يَحساضَ بَسازِرُ إِذَا عَسدِموا زَاداً فَإِنَّسكَ عساقِرُ تَنادُوا بِأَنْ لا سيَّدَ الحَيِّ فيهِم وَكَانَ إِذَا يَاتِي مِنَ السّامِ قافِلاً فَيُصَابُحُ أَهِلُ اللهِّ بيضاً كَانَّها فَيُصَابُحُ أَهِلُ اللهِّ بيضاً كَانَّها تَسرى دارَةً لا يسبرحُ السدّهر عِندها إذا أَكَلَتْ يَوماً أَندى الغَدَ مِثلها ضَروبٌ بِنَصلِ السَّيفِ سُوقَ سِمانِها ضَروبٌ بِنَصلِ السَّيفِ سُوقَ سِمانِها

شِراعِيَّةٍ تَصفَرُّ مِنها الأَظافِرُ(١)

فَيسالَسكَ مِسن نساعٍ حُبيستَ بِٱلْسةٍ

وكأن الشاعر هنا ينعى الفقيد ويشيع خبر موته بين الناس في البيتين الاول والثاني في الوقت الذي كان هول إعلان موت أبي أمية له وقع نفسيٌ كبيرٌ عليه جعله يطلق العنان للسانه بالدعاء على الناعي بان يوجه الله له حربة طاعنة تبلغ بها موته على خبره المشؤوم، وكأن الشاعر لايدرك ماوقع فعلا بعد ان ينعى اجلَّ الصفات التي يتحلى بها الفقيد، وهي فضيلة الكرم، والشاعر عندما ينعى كرم خاله، انها يظهر

 ⁽١) الديوان (التونجي): ٥٩-٤٦، الزواهق: مفردها زاهقة وهي السمينة، البهازر:البُهـزُرة: وهـي الناقـة
 العظيمة، كعب وعامر اولاد لؤي بن غالب بن فهر، يـدخلان في النـسب النبـوي،ظ: جهـرة أنـساب
 العرب: ٢/ ٤٦٤.

الدافع الروحي لأبي أمية في حبه لهذه القيمة، لأنَّه ينحر أفضل ما عنده من الإبل لاطعام الفقراء والضيوف، يريد أن يصور أن خاله كثير العطاء سخي جواد من سادات مكة، فبكرمه حاز المجد والعلى.

إن إيغال الشاعر بتفاصيل الحديث عن كرم الفقيد يجعل تبيين هول فقده واضحا يشترك فيه اغلب الناس الذين عرفوا هذه الصورة منه.

واذا كان للندب والتأبين نصيب وافر في قصيدة الرثاء، فانها لن تخلو من النعي فقد يشترك الندب والتأبين والنعي في آن معا، فنعى أبو طالب نديمه بمعاني الوفاء للصديق، وهو ينتحب بكاء وحزنا وألما عليه نادبا ومؤبنا فقال:

إمن الخفيف}
رو وَلَي ـ تُ يَقوهُ اللّه حرونُ
كَ؟! وَهَ لِ أَق لَ مَتْ عَلَي هِ المَن ونُ؟
ر لآبائِ ـ كَ الَّت ـ ي لا تَم ونُ
ت وَمِ ن دونِ مُلْتَق الْ الحُجُ ونُ
ر كَ نَ ضِحُ الرُّم انِ وَالزَّيتُ ونُ
ق فقد وضِرْتَ لَ يسَ دونَ سكَ دُونُ
كَي فَ إِذ رَجَمْت كَ عِن دي الظُّن ونُ
رَة حَق ـ ا وَحُلَّ ـ قَ لا تَخُ ـ وْنُ
أَنْ مَاءَه ا عَلَي كَ السَّمُ ونُ السُّمُ ونُ الْ

لَيتَ شِعري مُسافِرَ بنَ أَبِ عَموْ أَبُ عُموْ أَبُ عُموالَ مُسافِرَ بنَ أَبِي عَموْ أَيُ شَيءٍ دَه الدَّ أَوغ اللَّه مَسالًا أَوغ اللَّه مَسالًا أَنسا حاميات مِشالِ آبائي الرُّه مَس مَستُ صِدقٍ عَسلى تَبَالَة أَمسي بُسورِكَ المَيْستُ الغَريبُ كسابو كُنستَ بِي مسرَّةً وَفُوقَ لَكَ لا فَسو كُنستَ بِي مسرَّةً وَفُوقَ لَكَ لا فَسو كَانَ مِنسكَ المَيْق بِنُ لَيسَ بِسشافٍ كُنستَ مَسولٌ وَصاحباً صادِقَ الجِب فَعَلَيسكَ السَّلامُ مِنسي كَنْسيراً فَعَلَيسكَ السَّلامُ مِنسي كَنْسيراً

⁽۱) الديوان: ١٠٤، تبالة: موضع ببلاد اليمن، أو من أرض تهامة في طريق اليمن، ظ: معجم البلدان: ٢/ ٩٠٠. والحجون: موضع مقابر أهل مكة، ظ: معجم البلدان: ٢/ ٢٢٥.

يريد الشاعر أن يداوي جراحه وهو يبكي الفقيد؛ ليسكن غليان جوفه، وفوران دموعه، وصوت أنينه، وفي هذا كله تتدفق عواطفه ويشتد الغلو في ذكر محاسن الفقيد فتتفاعل لدى الشاعر مشاعر مختلفة من بكاء ومديح، ليبين مقدار الحزن الذي يكتنفه عند سماع خبر موت الفقيد، فنبأ وفاة مسافر كان خطبا جلبلا، وفاجعة مؤلمة، وخسارة عظيمة للشاعر _ الذي كان نديا له _ فلم يصدق موت صاحبه لمفاجأته بوفاته، ولكنه سرعان ما ادرك بيقين ان سلامة صديقه امر محال بعدما سمع خبر نعي وفاته، فقد كان مسافر نعم ابن العم والصديق والخليل الذي لايخون صاحبه، فعليه السلام مودعا ما دامت العين تذرف الدموع.

ومما تقدم يتبين: أنَّ رثاء أبي طالب جاء على ثلاث صور: الندب والتأبين والعزاء، فورد الرثاء مادياً في أكثر الاحايين بالبكاء، وذرف الدموع على الفقيد الراحل، والتركيز على الفضائل الخُلُقية من شرف السيادة، وعراقة الأصل، وعلو النسب، وشعيرة الكرم وغير ذلك من الصفات، وغياب الصفات الخلقية مثلها كان معهودا في الشعر الجاهلي، وفي العزاء شاعت روح ايهانية في التسليم بقضاء الله وقدره في المصاب، اما ارتباط النعي بصور الرثاء، فقد كان النعي يهدف إلى إشاعة خبر الموت أو مواساة أهل الفقيد، وقد ركز الشاعر على ما يمكن أن يميز رثاءه من غيره من الشعراء فخشوع الحجر والبيت معنى لانجده عند غيره من الشعراء.

₩ الفخر:

مزج بعض الباحثين بين الحماسة والفخر (١)، وجعلهما في باب واحد للروابط

⁽١) ظ: أدباء العرب في العصر الجاهلي وصدر الإسلام: ١/ ٤٦، الفروسية في السعر الجاهلي: ٣٤٣- ٢٤٣.

الوثيقة بينها، فالحماسة تعني الفخر بالنفس والإباء، وذكر البطولات والوقائع، ووصف الحرب وأدواتها من سلاح وخيل وعدة، ومن مظاهر قيم البطولة: الشجاعة والإقدام والجرأة والمنعة والمحاربة والشدة والصبر إلى آخره.

وباب الفخر يعنى المباهات بالنسب والسيادة والمجد والكرم والاخلاق الكريمة فضلا عن الاشادة بالأعمال الحربية، وقيم البطولة من شهامة، ومروءة، وقوة، وشجاعة، وإقدام، وخبرة حربية، وتضحية، وصبر، ورئاسة، وكثرة عددية، ومجد حربي، فالحماسة وردت ضمن معاني الفخر، فهما صنوان متلازمان يسيران في خط واحد لايمكن الفصل بينهما، فهي الفخر بعينه الذي يرتفع فيه صوت الـذات أو الجهاعة أو كلاهما في آن معا، فالحهاسة والفخر يصدران من صفات جليلة وفضائل حيدة تمثلتها النفس العربية قبل الإسلام، اما في عهد الرسالة فكانت تسبغ عليها روح الايهان، وتأييد رسالة السهاء، والوقوف بجانب صاحب الرسالة، والدفاع عنه وحمايته ومناصرته وشد أزره، وهي من الموضوعات المهمة في شعر أبي طالب(١)، يجد الشاعر فيها منفذا ليتغنى من خلالها بالمثل العليا، والسجايا المعنوية، والفضائل المادية التي تتناسب وطبيعية شخصيته المعتبدة بنفسها، وروحيه المتوهجية بالانفية والشموخ، ومجده الكريم، فيشيد بفخره الديني الـذي يرتبط بقيم السماء، والـدين الجديد والإيمان بالله، ومؤازرة رسول الله عَلَيْظَة ونصرته، وهو في ذلك كله مدفوعا بحماسته الدينية إلى الفخر بالقيم الاجتماعية التي باركها الإسلام وحث عليها على

مستويين: الفخر الذاتي الذي يتغنى فيه الشاعر بمناقبه ومحاسنه وفضائله، والفخر الجماعي الذي يتباهى فيه بنسب قومه الهاشمي ودفاعهم عن نبي الله والذود عنه، وحمايتهم له، وبجليل اعمالهم قبل عهد الرسالة وبعدها.

ومن سهات الفخر الديني التي تتجلى في أبهى صورها في شعر أبي طالب فخره بحماية رسول الله عَلَيْظُهُ، فقانون الحماية في المجتمع العربي قانون اجتماعي فرضته طبيعة حياة العرب الذي يفسر قوة روح الأواصر والتهاسك في المجتمع الواحد كما ذكرنا آنفا، وقد اكتسب هذا القانون في عهد الرسالة معنى جديدا لايتمثل بحماية الفرد فحسب، وانها يتمثل بحماية الدين الجديد، وصاحبه، وتأييده، ومناصرته، ومؤازرته، والحفاظ عليه، وحماية اصحابه حتى يشتد ساعده، ويظهر دينه إلى النور، ووجد صاحب الرسالة في عمه خير حام وناصر ومؤازر ومدافع، والى هذا المعنى يتباهى أبو طالب بعدم خذلان النبي متوعدا اعداءه بقطف الرؤوس، والهزيمة عند المواجهة، فقال:

{من المنسرح}
يَخُذُلُدهُ مِسن بَنِسيّ ذو حَسسِ
منّا ومسنكم هناك بالقُسضُبِ
مزْدودُها نحسو وِجْهَة الهَربِ
مردودُها نحسو وِجْهَة الهَربِ
مسرِ وبالمُرهفات كاللَّمسبِ
نصربُ عنه الأعداء كالشَّهُبِ
فسنحنُ في الناس ألأمُ والعَربُ

وَاللهُ لا أَخِ لَذُلُ النَبِ عَيْ وَلا حَتَّى تَرُوْنَ الرَوْوسَ طائحةً وَلا حَتَّى تَروُنَ الرووسَ طائحة ونرجع الخيل بعد مَ شَيّبا حتى تَرى الجِدِّ حينَ يُقْضَبُ بالسُ نحن وهذا النبعيُ أُسرتُ لهُ النبعيُ أُسرتُ لهُ إِنْ نِلْنُم وه بُكُ لَ جَمْوِك مِ

⁽١) الديران: ١٧١ - ١٧٢.

ويعاضد أبو طالب نبي الله على اعدائه ويطلب منه اظهار دعوته، ويقدم نفسه قبل نفس النبي دفاعا عنه مفتخرا:

(من البسيط)

لا يَمنَعَنَّ كَ مِن حَسِقٌ تَقومُ بِسِهِ إبسراقُ أبدٍ ولا إرعدادُ أصواتِ فلا يَمنَعَنَّ فَ مِن حَسِقٌ تَقرمُ بِسِهِ وَدُونَ كُفُّ كَ فَا الْمُلِسَاتِ (١)

إن كف أبي طالب هنا ليست كفا كغيرها من الاكف، فهي كف الثقل الاجتماعي والديني والاخلاقي الذي يجسده بيت عبد المطلب، ولذلك اشار إلى كفه لا من قلة وانها من قوة وكثرة.

وإيهان أبي طالب بالدين الجديد جعله يفتخر بحماية رسول الله والـذود عنه ضد معارضيه، فهو سخي النفس في فداء نبي الله؛ لان الله ـ بــلا ريــب ـ مظهـر دينه ورافع شأنه في الدنيا والآخرة، فقال:

(من الطويل)

وَجُدتُ بِنَفَ سِي دُونَ هُ وَحَمِنُ هُ وَ وَدافَعتُ عَنهُ بِالطُّلَى وَالكَلاكِ لِ وَدَافَعتُ عَنهُ بِالطُّلَى وَالكَلاكِ لِ وَجُدَاد لِ (") وَلا شَدِن الدُّنيا وَيَومَ التَّجادلِ (")

ومن أوضح ملامح الفخر العقائدي في شعر أبي طالب في دفاعه عن الدين الجديد، ونصرة الإسلام المتمثلة بحامل لواء الإسلام بوصفه النبي محمداً قوله:

⁽١) الديوان: ٢٠٨.

⁽٢) م.ن : ٨٥، الطلُّ: الاعناق، الكلاكل: عظام الصدر.

{من الطويل}

أُقْسِمُ عَسِلَى نَسَصْرِ النبِسِيِّ مُحمِّدٍ أَقَاتِسِلُ عندهُ بالقنا والقَنابِلِ(١)

ومن مظاهر المعاني الاجتماعية المنبثقة من القيم الدينية صلة الرحم، وهي احدى دعائم البناء السليم للمجتمع الذي نقاها الإسلام من براثن الجاهلية من ظلم واسراف "، فلم تعد صلة أسرية فحسب، وانها صلة واجبة اوجبها الإسلام، وصلة الرحم في شعر أبي طالب نابعة من قداسة قرابته لنبي الله عَلَيْنَا التي فرضت عليه هايته، فضلا عن ايهانه بها جاء به ابن أخيه، فعمل جاهدا على ديمومتها عندما افتقده وظن أن قريشا اغتالته، فهب مخاطبا قريشا، ومفتخرا باخلاصه في رعايته لآل محمد، غير قاطع رحمه مهها نجم عن ذلك من حروب متوعدا الفهريين الذين عزموا على غير قاطع رحمه مهها نجم عن ذلك من حروب متوعدا الفهريين الذين عزموا على قتل محمد زورا وظلها بحرب لاهواد لها ان نفذوا ما عزموا عليه فقال:

{من الوافر}

وَكُ لُ سَرائِ رِمِنه ا غُ لُورُ وما تَتل و السفاسِرَةُ السشُهُورُ وَوَدُّ السحَدرِ مِنْ مِن وَالسخَميرُ وَلَ و جَرَّت مَظالِها الجَرورُ لَقِ دُماً حالً عرصتَهم ثُبُ ورُ ويستهوى حلُ ومُهم الغُ رورُ ألا أبلِسغ قُريسشاً حَيسثُ حَلَّست فَسإِنِّ وَالسفَوايِحُ عادِيساتٍ لاَلِّ عُمَّسسادٍ راعٍ حَفْسسيظٌ ولَستُ بِقِساطِعٍ رَحْسي وَوُلسدي فيسسا لله درُّ بنسي قُسسي قُسسي عسشية ينتحُسونُ بسامر إفسك

⁽١) الديوان: ٢٥٨، القنابل: الجماعات من الناس والخيل.

⁽۲) ظ: البقرة / ۲۱۵، النساء / ۳۱، الانفال / ۷۰.

ف الا وأبيك ما صَدَقَتْ قريشٌ و الا أمَّ ت رشاداً إذ تُ شِيرُ أيامُ جمعُهم أفناء فهر بقنط بقنط بحمد و الأمسر رُوْرُ الا ظلَّ تُ حُلسومُهُم جميعاً واطلت تُ عَقْلُ حَسربِ الا تَبورُ الا ظلَّ تُ حُلسومُهُم جميعاً واطلت تُ عَقْلُ حَسربِ الا تَبورُوا أنسرضي مسنكم الحُلساءُ هسذا وما ذاكُ مرضيّ لي أنْ تَبُسورُوا بُنَسيَّ أخي ونوطُ القلب منّي وأبيضَ ماؤه غَسدَقُ كثيرُ وتسشربُ بعدهُ السّبانُ ريّاً وأحمدُ قسد تسضَمَّنَهُ القبورُ وكيف يكونُ ذاكُ من قريش ومامناً السضر ماقةُ والفُتُ ورُ⁽¹⁾

من الملاحظ أن فخر أبي طالب هنا قد تخلص من الرداء القبلي، فهو يخاطب قومه مهددا ومؤنبا، ويفخر بنفسه، وهذا ما لم نعهده عند غيره من الشعراء "، فلم يعد فخر الشاعر فخرا بالقبيلة وانها هو فخر بالنفس او بالرهط الادنى من قومه، وهذا جاء بفعل العقيدة، ومن هنا لم يقسُ الشاعر على قومه وهو يؤنبهم على فعلهم، وانها حاول ان يستثير الحكهاء منهم بان لايقبلوا هذا الامر، ولاسيها أنه يشعر أن قريشا تحفظ له مكانته فيها من حيث علو المقام فلا بأس من تأنيبهم من هذا الطرف أو ذاك.

ومن مستلزمات قانون الحماية الشجاعة التي كانت قبل الإسلام لها غايتها في الدفاع عن النفس ضمن إطار القبيلة، فاضحت في الإسلام لها غايات سامية وهي

⁽۱) الديوان: ٢٤٢ - ٢٤٣، الضوابح: الخيل التي لا يكون لانفاسها صوت عند العدو، السفاسرة: اصحاب الاسفار وهي الكتب، الشهور: العلماء، صدر البيت الحادي عشر غير مستقيم.

⁽٢) ظ: تمثيلا لا حصرا: شرح المعلقات العشر واخبار شعرائها: ١٣٧ - ١٥٣، (معلقة عمرو بمن كلثوم)، ديوان الأعشى الكبر: ١٨١ - ١٨٩، ٢٥٩ - ٢٦٥.

نشر الدعوة الإسلامية، وحماية رسول الله، واعلاء كلمة الحق.

ويسمعنا أبو طالب صوته في فخره بفروسيته التي هي أظهر مجالات الشجاعة وهو يذود من دون رسول الله محذرا الفهريين الذين إئتمروا على قتل رسول الله بحرب تفور منها الدماء، مانحا النبي محمدا عهدا بالحفاظ عليه ونصرته من شيخ هجر المعايب والفواحش، وعندما يفتخر بمجانبة الاثام والابتعاد عنها؛ فهذا يدل على أنه شخصية قويمة على هدى التوحيد، فقال:

{من الوافر} لــــئن هَــــدَرَتْ لـــــــــــــدورُ أضارتُ حانَ تحزيُهُ الأماورُ إذا مسا ناكنسا أمسر كسسر كــــان زهاءهـــا رأس كبـــير وكسانَ النَّقسعَ فسوقهم يشسورُ وحسولُ النّسارِ آسادٌ تزيررُ تخالُ دماءها قلدراً تفسورُ بـــوادرُ لا يقــومُ لهــا تُبـيرُ إذا ما الأرضُ زَلْزَلَكَ النالِي بك البدُّهاءَ أو سيالَتْ بحيهِ رُ

عسلي دمساء بسدن عساطِلاتٍ وقسامَ السضّاربونَ بكُسلِّ ثَغْسر لتَعتر فُنَّنسي في السيصَّف قُسدُماً أرادي مـــرَّة وأكـــرُّ أُخــرى أذودَهُ ـــم بــابيضَ مـــشرقً اذا سيالَتْ مُحَلِّحَ فَي اللهِ اللهُ اللهِ المِلْمُ المِلْمُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ المُحْالِّ اللهِ اللهِ المِلْمُلِي المِلْمُلِي المِلْمُلِي اللهِ المِلْمُلْمُ اللهِ المِ عِمّعــة الـصفوفِ أسـودُ فهـر كسأنَّ الأفسقَ محفسوفٌ بنسار هنالك يا بُنَي تكونُ منسى كدَهدَهَـةِ الصُّخورِ من الروابي وقسيعٌ دونَ نفسسكَ إنْ أرادُوا

⁽١) ظ: الديوان: ٢٤٢ - ٢٤٣.

. . . .

لك الله الغداة وعَهد أن سيخ تجنّب ألف والفج ورد الفجور ال

وجد الشاعر في تصوير المعركة سبيلا لتصوير بلائه والاشادة بنفسه وهو يمزج بين الفخر والوعيد.

ويأبى أبو طالب الضيم، فيدافع عن الحق الذي انزله وحي السماء مستنكرا ان يضام «النبى محمد» (٢) وهو على قيد الحياة، فقال مفتخرا بشجاعته:

وهذه من المعاني التي ارتـدت حُلَّـة إسـلامية تـتجلى بهـا بـروز فكـرة الفـداء للنبي ﷺ.

ومن أظهر ملامح الشجاعة الصبر، والفخر بقيم الصبر من المعاني القديمة

⁽۱) الديوان: ٢٤٣- ٢٤٤، ظ: م.ن: ٢١٠، عاطلات: الحسان وعيطل الناقة في حسن منظر وسمن، أرادي: أناضل وادافع، غوور: ذهب في الأرض، التجليح: الحملة والإقدام الشديد، الزهاء: الشُخوص، رأس كبير: أي الجيش على حياله.

⁽٢) ظ: الديران: ٣٣٣.

⁽٣) م.ن: ٣٣٣، القرم: السيد، الاغر: الشريف، البطاح: مفردها الأبطح، وهي حصى الوادي اللين في بطن المسيل، النجيع: الدم الذي يضرب لونه إلى السواد، العرين: مأوى الأسد بين الشجر.

التي تمثلها العربي في مواجهة معترك الحياة، ومداليلها تتسع لتشمل مختلف اسبابها، وقد اكتسى هذا المعنى حُلَّة جديدة في عهد الإسلام تزين صاحبه بالإيهان الذي عدَّ من سجايا القلوب المؤمنة، فمن المفاخر الذي يعتز بها أبو طالب الصبر والثبات في المواقف الصعبة، واوقات المحن، وهو يذود عن رسول الله، ويُصبِّر نفسه على من خذله من بني عبد مناف، ولاسيا بني عبد شمس ونوفل في تخلفهم عن نصره ونصرة رسول الله (۱)، تاركهم للزمن لعله يجد سبيلا لاصلاحهم فقال:

{من الطويل}

ولا لكم فينسا قِسصَاصٌ ولا وتُسرُ فصَبْري وإبقائى لكمى يُقْبَلَ السَّهُرُ (٢)

ألَ تعلموا أناب بدار مصنعة في الله تعجبوا ألى صبرت عليهم

ولما آوى بنو هاشم مع رسول الله عَلَيْ إِلَيْهُ إِلَى السَّعب، وقد تحالفت عليهم قريش وكتبوا الصحيفة، كان مدلول الصبر سبيل أبي طالب الى النصر متدرًعا نفسه به عن مقاتلتهم، فحبس نفسه منهم بقناته وسيفه البتار الذي هو من تراث حِمْير، يريد أنَّه لامثيل له فأنشد:

{من الطويل}

وَقَد قَطَع وا كُلَّ العُرى وَالوَسائِلِ وَقَد طاوَعُوا أَمْرَ العَدوِّ المُزايِلِ يَع ضُونَ غَيظًا خَلفَن ا بِالأَنامِ لِ ⁽۱) ظ:م.ن: ۲۸۱، ۲۲۲.

⁽٢) الديوان: ٢٢٢.

صَبَرتُ أَحُم نَفسي بِصَفْراء سَمحَةٍ وَأَبيَضَ عَضب مِن سيوفِ المقاولِ(١)

لم يحدثنا التاريخ عن معارك بين المسلمين والمشركين في مكة استعملت فيها السيوف، بيد أنَّ الشاعر سلك هذا السبيل ليبعد أذى المشركين عن النبي عَلَيْنِهُ من دون ان يقع قتال فعلي، وهذا الشعر أقرب إلى الفخر الممزوج بالتهديد الذي سنتحدث عنه لاحقا(").

ومن أوضح معالم الصبر الحلم والعفو، وهما من القيم العربية التي لها علاقة وثيقة بالكرم، وهما دليلان على صفاء القلب، وسعة الصدر، وطيب النية، فتغنى أبو طالب بحلمه وعفوه في الوقت الذي له القدرة على انصاف نفسه من خصمه، فأعدً عفوه ضربا من فضيلة الكرم:

(من البسيط)

قابلت تُجهلَهُ مُ حلكاً ومغفرة والعفوُ عن قُدرة ضربٌ من الكَرَم (٣)

ويمتزج الفخر الفردي بالفخر الجهاعي؛ لذوبان شخصية الفرد بالجهاعة للاواصر الوثيقة التي تربط الشاعر بقومه ومجتمعه، فهو يتكلم بلسان حال قومه في المهات فيظهر صوت الشاعر الذاتي مرة، وصوت الجهاعة بلسانه مرة أخرى، أو كليهها في آن معاً، ومعاني الفخر الجهاعي في شعر أبي طالب تمثلت بالافتخار بشرف قومه الهاشمي الطيب، ومجدهم الباسق، ومآثرهم الجليلة في رعايتهم للبيت الحرام،

⁽۱) الديوان: ١٩٠، الاظنة: مفردها ظنين، وهو الرجل المنهم، الصفراء: القوس، والعضب: القاطع، والمقاول: الملوك والرؤوساء، «ويحتمل ان السيف من هبات الملوك لأبيه؛ فقد وهب ابن ذي يزن لعبد المطلب هبات جزيلة حين وفد عليه مع وفد قريش يهنئونه بظفره بالحبشة»، خزانة الأدب: ١/ ٦١.

⁽٢) ظ: الفصل الرابع مبحث (التحذير والتهديد): ١٥١-١٥١.

⁽٣) الديو ان: ٣٤٣.

وسقاية الحجيج، وحمايتهم لنبي الهدى ومساندتهم له في دعوته إلى آخره.

ومن مظاهر الفخر الجاعي الاجتماعي الفخر بالنسب الذي يفسر حرص العربي على تعليقه بأرومته، ومباهاته بالانتماء إليها، وفي شعر أبي طالب تبرز سمات الاعتزاز بنسبه متعددة الجوانب بين شرفه، وعلوه، ونقائه، وطيبه، الذي جمع فيه طابع الفخر قبل الإسلام وروح الإسلام (")، وقد يكون الفخر من نتاج التعريض، فيقود الشاعر إلى تسجيل مآثر قومه ومناقبهم مقابل تجريد الخصم منها في المنازعات والخصومات"، فعندما ناصب أبو لهب العداوة رسول الشيئي من ناصبه، وكان أبو لهب لأم خزاعية وأبو طالب وعبدالله والد النبي والزبير لفاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، فأغلظ أبو طالب القول لأبي لهب"، وهو يفاخر بأمه التي حملت بأولادها للطيب والطهر وبفحلها عبدالمطلب، فحَرَم أبو طالب أبا لهب من فضيلتين: فضيلة مصاحبة اخوته ومؤازرتهم، وفضيلة مشاركة أخويه في الأفراح والأتراح فقال:

إنَّ السريع على السريع الطُّهُ السريع الطُّهُ السريع الطُّهُ السريع الطُّهُ السريع الطُّهُ السريع السريد ا

فحُرِمتَ منّا صاحباً ومؤازراً وأخاً على السَّرّاءِ والسفُّر (١)

⁽۱) ظ: الديوان: ١٧١، ١٧٥، ١٧٧، ١٨٠، ١٨٢، ٩٣، ١٩٦، ١٩٨، ١٩٨، ٣٣٢.

⁽٢) ظ: تاريخ الأدب العربي (بلاشير): ٢/ ٢٩٠.

⁽٣) ظ: السير والمغازي: ١٥٠.

⁽٤) الديوان: ١٨٠.

وتفاخر أبناء أم الزبير دليل على عراقة اصلها، وحسن تربيتها لاولادها.

وسجل أبو طالب فخره باسم بني هاشم فافتخر على قريش بفضيلة عبد مناف بسرها وخالصها وبنو هاشم اشرف من بني عبد مناف والمصطفى محمد من بنى هاشم، فهو اكرمهم فقال:

{من الطويل} فَعَبِدُ مَنسافِ سِرُّهسا وَصَسمِهُا فَعَبِدُ مَنسافِ سِرُّهسا وَصَسمِهُا فَقَديمُها فَقسي هاشِم أشرافُهسا وَقسديمُها هُو المُصطَفى من سِرّها وَكَريمُها (١)

إِذَا إِجْتَمَعَت يَوماً قُرَيشٌ لِفَخَرِ الْحَارِ الْحَصَلَةُ أَشْرَاكُ عَبِدِ مَنَافِها وَإِنْ فَحَرِت يَوماً فَدِ إِنَّ مُحَمَّداً

إن افتخار الشاعر على قريش بعبد مناف، وافتخاره على عبد مناف ببني هاشم، وافتخاره على الجميع بالنبي محمد عَلَيْهُ أَهُ، فهو لايقلل من شأن قريش، وانها علا شرفهم؛ لأن النبي اشرفهم.

ويتباهى أبو طالب بفضيلة أُخرى انهاز بها قومه فنضلا عن نسبهم، وهي فضيلة سيادتهم في قريش بمكة، فقال:

{من الطويل} وَآل قُصِيِّ فِي الخُطِوبِ الأَوائِسلِ وَآل قُصِيِّ فِي الخُطِوبِ الأَوائِسلِ وَنَحَنُ الدِّرى مِن غالبٍ في الكَواهِلِ وَنَحَنُ الدِّرى مِن غالبٍ في الكَواهِلِ وَلاحسالَفوا إلا شِرارَ القَبائِسلِ

وَنَحِنُ الصَّميمُ مِن ذَوْابَةِ هاشِمِ وَإِنَّ لَنا حَوْضُ السَّقايَةِ دونهم فَا أَدركوا ذَحلاً وَلا سَفَكوا دَماً

⁽١) الديوان : ١٧٥، (سرها أي وسطها ... يكون الوسط مدحا وان ذلك في موضعين في وصف الشهود وفي النسب»، الرَّوض الأُنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام: ٢/ ١٢.

⁽٢) الديوان: ١٩٦، الذحل: الحقد والعداوة.

لقد تولى أمر سيادة مكة قصي بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب جدهم الذي جمع امر قريش في بداية عهده «فكانت اليه الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء، فحاز شرف مكة كله ... فكان امره في قومه من قريش في حياته، ومن بعد موته، كالدِّين المُتَبع لايعمل بغيره» (۱)، وكان رئيسا مطاعا معظها، ثم تولى الرفادة وسقاية الحجيج هاشم بن عبد مناف (۱)، ومن هذه المأثرة ارتفع صوت أبي طالب بوجه مشركي قريش في المفاضلة بالاشادة بعراقة أرومتهم من بني هاشم وآل قصي، وان لهم شرف سقاية حجاج بيت الله، وانهم ارفع نسبا في قريش فضلا عن أنهم انهازوا بمكارم الاخلاق.

ومجد أبي طالب عريق يرجع إلى أفضل أبناء بني هاشم وبهذا كله ارتبط فخره الجهاعي _ في بعض الأحايين _ بمجد آبائه وسيادتهم وعلوهم ورفعتهم بين العرب، فعزهم قديم، ومقامهم عظيم، ونسبهم عريق، فهم اصحاب السيادة والقيادة والحكم في قريش توارثوها عبر الاجيال من قصي بن كلاب إلى أن انتقلت بيد أبيه عبد المطلب الذي كان أحد حكهاء العرب (")، فكانت بيده أمر السقاية والرفادة وإلى هذه المأثرة والمجد المنيف الواضح أشاد أبو طالب بفخره، وهو يتباهى بانهم يجيرون الفقراء ويكرمونهم فقال:

⁽۱) السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ١٣٤ - ١٢٥، ظ: السيرة النبوية لابن كثير: ١/ ٧٩، وللمزيد من التوضيح حول السقاية والحجابة والرفادة والندوة واللواء، ظ: العقد الفريد: ١/ ٢٣٥ - ٢٣٧، وتاريخ التمدن الإسلامي: ٢٩ - ٣٠.

⁽٢) ظ: السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ١٢٤ - ١٣٧.

⁽٣) ظ: تاريخ اليعقوبي: ١/٢٢٠.

فَإِنَّ إِمَكَّ مَ قَلِ الْأَعْلَ مِ الْعِرْ وَالْحَطَ رُ الْأَعْظَ مُ الْأَعْظَ مُ وَمَ الْأَعْظَ مُ الْأَقْفِ وَمَ الْأَقْفِ مَ مَ اللَّهِ وَمَ اللَّاقِ الْأَقْفِ مَ مَ اللَّاقِ اللَّاقِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّ

ويفخر أبو طالب بعزة قومه ومجدهم وكرمهم الذي كان له وشيجة بالسيادة في فخره الجاعي، فلا يوجد حضري في مكة امشالهم في العزة والمجد والرفعة، فمجدهم في بطن مكة عميق، نشأوا حين كان الناس قلة، وهم كرماء يطعمون حين يبخل الناس، ولهذا كله فان حمدهم يزداد على مر الأيام، فقال:

{من الطويل}

نَمَسنُ يَسكُ ذَاعِسزٌ بِمكةَ تالِيدٍ فعزَّتُنِسا في بطسنِ مكةَ الْعَلَدُ عَلَيْ الْعَلَدُ عَلَمُ الْعَلَدُ عَلَمُ الْعَلَدُ عَلَى الْعَلَمُ الْعَلَمُ عَلَوْنَا بهسا والناسُ فيها أذلَّةٌ فلم ننفك نيزدادُ عيزاً ونسُحمَدُ ونُطعِمُ حتّى يستركَ الناسُ فيضلَهُ إذا جُعلت أيدي المُقصصِّرِ تُجمَدُ (٢)

ويومىء الشاعر من طرف خفي إلى فضل جده هاشم على قومه، «وهـو أول

⁽١) الديوان: ٩٤، الخطر: المال والشرف والمنزلة وارتفاع القدر، الأزم: الجدب والمُحُل، القتار: ريح الشواء.

⁽۲)م.ن: ۲۳۰.

من اطعم الثريد بمكة »(١).

ويرتفع صوت أبي طالب بفخره الجهاعي بذكر خصال بني هاشم الذين انهازوا عن غيرهم من قريش التي تنادت على أذيتهم، بالاشادة بجميل صنيعهم، وتمجيد افعالهم، والتغني بمآثرهم المجيدة قبل الإسلام، فكانوا لايوافقون على ظلم الناس ويردون المتكبرين إلى الضعة والذل، وكانوا حماة قريش يدافعون عن حصونهم وبيوتهم، وهم السادة الأعلون، والبرية كلها تدين لهم بالخضوع والانصباع.

فتباهى أبو طالب في الإسلام لما رأى من قومه ما يسره من جدهم معه وحدبهم عليه، فمدحهم وذكر قدمهم، وذكر فضل النبي عَلَيْنِا فيهم (٢) فقال:

{من الطويل}

إذا ما ثنوا صُعرَ الخدودِ نُقيمُها وَسَمْرِ الخُدودِ نُقيمُها وَسَمْرِ بُ عَسَ أَحجارِها مَن يَرومُها بِأَكنافِنا تَنْدى وَتَنْمى أُرومُها فَكنافِنا تَنْدى وَتَنْمى أُرومُها فُكم مِرمَةٌ لا يُستطاعُ قُرومُها وَيُكرمُهُم مِلاَرض عِندي أَديمُها (٣)

وَكُنّا قَدِياً لا نُقِدِرٌ ظُلامَةً وَنَحمي حِاها كُلَّ يَدوم كَريَةٍ بنا إنتَعَشَ العدودُ اللَّويُّ وَإِنَّا هُمُ السادَةُ الأَعْلُونَ فِي كُلِّ حالَةٍ يَدينُ هُمم عُللُ الرِيَّةِ طاعَةً

وفاخر أبو طالب بالمعاني الانسانية وهو يومىء الى حلف الفضول الذي

⁽١) السيرة النبوية لابن هشام: ١٣٦/١.

⁽٢) ظ: الديوان: ١١٣.

⁽٣) م.ن : ١١٣ – ١١٤، الذواء: الذي جف وذبل، ملأرض: لهجة عربية تدمج من الجارة بمجرورها.

شارك فيه بني هاشم في دفع الظلم عن الناس، وحماية الجار وغير ذلك (١)، فتباهى بقدم مجد قومه، وحمدهم في تولي امور الناس في الحل والربط، ودفع الظلم، فهم يبلغون ما يريدونه من غير شدة وعنف، ويعملون لصالح عشيرتهم، ولذلك كله نالوا من أعدائهم الطلاقة والعفو الذين يحمدان عليهما وود الناس لهم، فقال في قصيدته التي مدح فيها النفر الذي سعوا في نقض الصحيفة مفتخرا بقومه:

{من الطويل}

لديكَ البيانُ لو تكلَّم أسودُ وكُنَّا قدياً قبلها نتودَّدُ ونُدركُ ما شِننا ولا نتبددُ نجلٌ إذا شننا بغور وننجدُ طلاقة عفو والطلاقة تحمَدُ (٢) وكانَ على النَّعتِ الذي قالَ عالِمٌ:
منى شاركَ الأقوامُ من جلِّ أمرِنا
وكُنَّا قديمًا لا نقرُ ظُلامةً
وظل لا فناء العشيرة صالحٌ
ونلنا كثيراً حيث نلنا من العدا

وسعى رسول الله على الموظيف عوامل الحماية المتاحة له كالاحتماء بعمه وعشيرته التي انهازت بالوجاهة والمنعة والبطولة، فعشيرته مثل بقية القبائل العربية ذات الحمية على افرادها، فقد «منع الله {مشركي قريش} رسوله بعمه أبي طالب، وقد قال أبو طالب حين رأى قريشا تصنع ما تصنع في بني هاشم وبني عبد المطلب،

⁽۱) ظ: السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ١٣٣- ١٣٥، الرَّوض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٢٤٢ - ٢٤٨، الكامل في التاريخ: ٢/ ٢٥ - ٢٧، وأول من دعا لحلف الفضول وكان سببا لقيامه الزبير بن عبد المطلب أخو أبي طالب وعم الرسول عَلَيْقِهُ، ظ: الرَّوض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٢٤٢.

⁽٢) الديوان: ٢٣٦ - ٢٣٧، أسود: اسم جبل، ظ: معجم البلدان: ١/ ١٩٢.

دعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله عَلَيْ والقيام دونه، فاجتمعوا إليه وقاموا معه واجابوا إلى ما دعاهم إليه من دفع عن رسول الله ... فلما اجتمعت بنو هاشم وبنو عبد المطلب معهم ورأى أن قد امتنع بهم وان قريشا لن يعادوه معهم قال أبو طالب، وبادى قومه بالعداوة، ونصب لهم الحرب» (۱) فجهر بصوته مفاخرا بعشيرته تارة، وبنفسه تارة أُخرى في آن معا، لنصرة رسول الله وحمايته من اعدائه فقال:

{من المتقارب}

بِسيضٍ نَسلالاً كلمسع السبروقِ حسذارَ البسوادرِ وَالْخَنفَقيسقِ هِاتِسةَ حسامٍ عَلَيسهِ شَسفيقِ دَبيسبَ البِكارِ حسذارَ الفَنبقِ كسا ذارَ لَيستٌ بغيسلِ مَسضِيقِ (٢) نَصَرْنا الرَّسولَ رَسولَ اللَهِكِ بِصَرْبٍ يُسذِيبُ بسدونَ التهابِ أَذُبُّ وَأَحَسى رَسولَ اللَهِكِ وَمسا إِن أَدُبُّ لأعدائِسهِ وَلَكِسن أَسيرُ هُسم سامِناً

ولم يفخر أبو طالب بمآثر قومه من بني هاشم على اساس الروح القبلية، وانها فخر بمآثرهم على اساس انهم حماة صاحب الدعوة الإسلامية، فعندما خرج قومه من الشّعب ومزقت الصحيفة، شكا أبو طالب ظلم قريش (")، وافتخر بفتيان قومه الكرماء في دفاعهم عن رسول الله عَلَيْقَ فقال:

⁽١) السير والمغازى: ١٤٨ - ١٤٩.

⁽٢) الديوان: ١٧٤، الخنفقيق: الداهية، الفنيق: الفحل المكرم عند اهله، الغيل: عرين الأسد وموضعه.

⁽٣) ظ:م.ن: ٧٢٧ - ٢٢٨.

ولية نُقساذِف دونَسه بسالراجمِ مَكَّن من العلباءِ من نسلِ هاشمِ فَمَنْ قالَ: لا، يَقرَع بِها سِنَّ نادِمِ

ويتباهى أبو طالب بحماية بني هاشم لرسول الله عَلَيْظُةُ بوجه نفر من قومه الذين ناهضوه وأرادوا قتله، فهم يذودون عنه بأيديهم الهاشمية القوية، وفعلهم هذا مدعاة للفخر والشرف فقال:

{من الطويل}

لِسدى غُرْبَسةٍ مِنْسا وَلا مُنَفَسرًبِ مُرَكَّبُهِسا في النساسِ خَسيرُ مُرَكَّسبِ مُرَكَّبُهُسا في النساسِ خَسيرُ مُرَكَّسبِ طَلائسحٍ جنبسي نَخلَسةٍ فَالمُحَسَّبِ لِنَحلِفَ بُطسلاً بِسالعَنيقِ المُحَجَّسبِ وَمسا نسالَ إسلام النَبِسيِّ المُقسرَّبِ (٢)

فَ لا تَح ب سبونا مُ سلِمينَ مُحَمَّداً سَ نَمنَعُهُ مِنْ ا يَ لَدُ هاشِ مِبَّةٌ وَلا وَالَّذِي تَخُدِي لَهُ كُلُّ نصورة يَميناً صَدَقنا اللهُ فيها وَلَم نَكُن نُفارِقُ هُ حَتِّى نُقَتَ لُ حَولَهُ

مما تقدم يتبين: أن فخر أبي طالب لم يكن من قبيل التبجح والادعاء على غرار العرف السائد في المجتمع العربي قبل الإسلام، وانها كان فخره بمحامد قومه والتغني بفضائلهم يوفر له الرفعة والجاه والقوة والمنعة وهو يتصدى لاعداء الرسالة

⁽١) م.ن: ٢٢٨، الدسيعة: العطية الجزيلة.

 ⁽۲) م.ن: ۲۲۹- ۲۳۰، يخذي: يسرع، الطليح: الهزيل، جنبا نخلة: واديان قرب مكة، ظ: معجم البلدان: ٥/ ٢٣٠.
 البلدان: ٥/ ۲۷۷، والمُحَصَّب: «موضع رمي الحجر بمني»، معجم البلدان: ٥/ ٦٣.

ليحميها، ويحمي صاحبها في المرحلة التمهيدية للدعوة الإسلامية التي واجهت معارضة من رجال مشركي قريش خشية ان تؤدي الى وأدها.

وركز أبو طالب في فخره على معاني الفخر بالصبر والكرم والنسب والدفاع عن النبي عَلَيْوَاللهُ ومزج ذلك كله بها لايقطع الصلة بينه وبين قومه الأدنين من بني هاشم وعبد المطلب، فقد استطاع ان ينحو بالفخر منحى اخر اذكان يفخر برهطه الادنين من دون قومه من قريش، وكانت السمة البارزة في فخره هي مزجه بالتهديد والوعيد.

₩ المديح:

من أبرز فنون الشعر العربي فن المديح، يثني به الشاعر على الممدوح، فيتغنى بفضائله الجليلة، ويشيد بخلاله العظيمة، ويعدد شائله الحميدة، وغاية الساعر من المديح تخليد قيم المديح التي يترسم فيها صورة الاعجاب والثناء والتقدير للمدوح، فاعجاب الساعر بالفضائل الانسانية وتأكيدها هي دعوة إلى الاهتداء إليها، والاقتداء بها، وتمثلها - اذا كانت غائبة عن المدوح - والشاعر يدفع الممدوح للتوجه إليها والإلتزام بها ؟ لأنها الصورة المثلى التي يتمناها عليه ، ويتمناها المجتمع العربي.

وهو في الوقت نفسه عندما يمدح القيم والمعاني والسجايا والمناقب، فانه يمدح نفسه ويخلدها بذكرها؛ لأنه يؤمن بها ايهانا عميقا، وإذا تحقق الدافع النفسي والدافع الفني مع ايهانه بالقيم التي يعتقدها، وتمتعه بالخيال الخلاق، وبراعة الاداء، استطاع ان يرفع الممدوح بتمجيده إياه؛ لامتلاكه الصدق الفني في التعبير.

وقد أبقى الإسلام على كثير من القيم الجاهلية التي تتناسب والحياة الجديدة في ظله، فاعتز بالقيم العربية الاصيلة، واكبر عليها، وحث على التمسك بها، بيد أنّها اكتسبت معاني جديدة تبعا لغاياتها التي تمثلت بارضاء الله ونيل ثوابه.

والتغيير الذي طرأ على هذا الفن متمثلا بالتوجه العام الذي توجه به السعراء في اشعارهم نحو الالتزام بالقيم والمباديء التي ارتضاها العربي قبيل البعثة، والقيم الجديدة التي جاء بها الإسلام مثل الايهان الصادق، وتقوى الله، والعدل وغيرها(")، فضلا عن القيم الموروثة مثل: الكرم، والشجاعة، وعراقة النسب، والصدق، والحلم، والصبر... إلى آخره. وانشطر فن المديح في شعر أبي طالب إلى تجاهين:

- الأول: المديح النبوي:

المدائح النبوية لون من ألون التعبير الفني يراد بها التقرب إلى الله بنشر محاسن الدين والثناء على شمائل رسول الله عَلَيْ الله والتغني بصفاته، وهي تصدر عن قلوب مفعمة بالايهان الصادق لله ولرسوله (٢)، ومدح الحق تبارك وتعالى نبيه في التنزيل الحكيم: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظَيْمٍ ﴾ (١) الذي تمثلت به مكارم الاخلاق التي ارتضاها العربي قبل الإسلام وبعده متمثلة بالخلق الرفيع الذي زاد عليه بالسهات الدينية.

وتعد مدائح أبي طالب لرسول الله النواة الأولى لنشأة المدائح النبوية، فمدحه

⁽١) ظ: الأمالي في الأدب الإسلامي: ١٧٩.

⁽٢) ظ: المدائح النبوية: ١٧ - ١٨.

⁽٣) القلم/ ٤.

بوقت مبكر قبل غيره من الشعراء (١) ، ومنها وجدت سبيلها إلى مديح الصفات الخلقية ، وهي ليست مدائح مادية لشخصية النبي بقدر ما هي مدائح لعظمة مكانته ، وجليل قدره ، وسمو رفعته بوصفه نبيا صاحب رسالة سهاوية ، أُرسل إلى الناس كافة بدين الهدى ليخرجهم من ظلهات الكفر إلى نور الإيهان ، فرسم أبو طالب صورة جبينه في القصيدة الرائية حين افتقده وظن ان قريشاً قتلته (٢) ، فقال:

إمن الوافر} أيا إبنَ الأَنفِ أَنف بَنعى قُصَى كَأَنَّ جَبِينَكَ القَمَرُ المُنعِرُ (^{")}

فها يعنيه القمر من نور وسمو ورفعة هو شأن النبي عَلَيْظُهُ فلم يكن المقصود بالجمال المادي فحسب، وهو كذلك أيضاً عندما أجادت قريحة أبي طالب في كشف جمال وجه النبي بهاءً ونوراً في قوله:

(من الطويل)

أَغْــرُّ كَــضوءِ البــدرِ صــورةُ وجهــهِ جــلا الغــبمَ عنــهُ ضَــوؤهُ فتوقَّـدا (١)

⁽۱) عزا زكي مبارك نشأة المدائح النبوية إلى أقدم ما مدح به الرسول عَيَنِيْ القصيدة الدالية للأعشى، والقصيدة اللامية لكعب بن زهير، ثم قرر ان كلتا القصيدتين ليست من المدائح النبوية في شيء؛ لأن الأعشى لم يقل الشعر وهو صادق النية في مدح الرسول، وانها اراد التقرب منه، ولم يمدح كعب الرسول إلا لينجو من الموت، فكانت نشأة المدائح في شعر حسان بن ثابت، ظ: المدائح النبوية: ١٩- الرسول إلا لينجو من الموت، فكانت نشأة المدائح في شعر حسان بن ثابت، ظ: المدائح النبوية: ١٩- ٢٥، وقد اغفل ذكر أبي طالب الذي مدح النبي في زمن البعثة أي قبل الهجرة، على أننا وجدنا ان الأعشى وكعباً وحساناً قد مدحوا الرسول بعد الهجرة، من هنا نقرر ان نشأة المدائح النبوية كانت في شعر أبي طالب، فهو أول من تشرف بمدح النبي عَيْنِيْ قبل غيره من الشعراء.

⁽٢) ظ: الديوان: ٢٤٢ - ٢٤٤.

⁽٣) الديوان: ٢٤٤.

⁽٤) م.ن: ١٥٠.

وفي القصيدة اللامية التي أنشدها في الشّعب الذي آوى اليه بنو هاشم مع رسول الله لما تحالفت عليهم قريش وكتبوا الصحيفة (۱) اشاد أبو طالب بحسن خلق رسول الله، فجاله فاق جمال اهل الدنيا، فقال:

{من الطويل}

لَعَمْسري لَقَد كُلِّفتُ وَجداً بِأَحَد وَإِخوَتِهِ وَأَبَ المُحِسبِ المُواصِلِ لَعَمْسري لَقَد كُلِّف وَجداً بِأَحَد وَالْمِن المَسلول (٢٠) فَ السدُنيا جَسالاً لأهلِها وَشيناً لَسن عادى وزَيْسنَ المَسلول (٢٠)

ونعت ابوطالب طلعة الرسول البهية بـشعلة النـار المضيئة في يـد حاملها في ضبائه، فقال:

{من الطويل}

حَــزِيمٌ عــلى جُــلِّ الأمــور كأنَّــهُ شِــهابٌ بكفِّــي قـــابس يتوقَّــدُ (٣)

وهذه إشارة إلى الهداية التي جاء بها النبي عَلَيْكِالله وللصفات، الخُلقية المعنوية التي يتحلى بها نبي الهدى الحظ الاوفر من شعر أبي طالب، فكان الرسول المقام العالي للخُلق الكريم، وما بعث إلا ليتمم مكارم الاخلاق، فمدحه أبو طالب بشرف النسب، وصدق القول، وشعيرة الكرم، والتجمل بالحلم إلى آخره.

فمن القيم السامية التي يتشرف بها العرب عراقة النسب الزكي، وطهارة

⁽۱) ظ: الدران: ۱۹۰–۱۹۸.

⁽٢) م.ن: ١٩٧، أخوته يريد أولاده الذين كانوا كأخوته وهم: طالب وجعفر وعقيل وعلي، دأب المحب: عادته وطعه.

⁽٣) م.ن: ٩٠.

المنبت الطيب، وقد أشاد أبو طالب بهذه الفضيلة الكريمة لاصل الرسول فهو فرع باسق في المجد من شجرة عتيقة الاصل في الحسب والنسب خالص المنبت في طهارته وزكاته، فأحمد من أكارم بني هاشم وبني هاشم من أكارم وبني عبدمناف، فقال:

{من الطويل}

وَإِن حُصِّلَت أَشْرافُ عَبِدِ مَنافِهِ اللهِ فَفَيِ هاشِمَ أَشْرافُهِ وَقَدِيمُها وَقَدِيمُها وَقَديمُها وَقَديمُها وَقَديمُها وَكَريمُها اللهِ فَحَدرت بَومِ اللهِ فَحَدرت بَومِ اللهُ عَمَّداً اللهُ هُوَ اللهُ صطَفَى مِن سِرّها وَكَريمُها (١)

وزاد أبو طالب معاني إسلامية في مديحه لابن أخيه، فهو المصطفى الذي اختاره الله لأداء رسالته، ومديح رسول الله المستقلط يعني فخراً لأبي طالب بنفسه، فإن قلت هنا إنه مديح فلا بأس، وإن قلت فخراً فيمكن أن يكون.

وأثنى أبو طالب على ابن أخيه عندما تعرض لأذى عبد الله بن الزبعرى السهمي، ونفر من رجال قريش فحمل عليهم أبو طالب، ومسح رؤوسهم بالفرث والدم، واصاب ابن الزبعرى حتى ادمى انفه "، شم قال: «سألت من أنت؟ أنت محمد بن عبد الله، ثم نسبه الى آدم عليه إلى أثم قال: انت والله اشر فهم حياً وارفعهم منصبا» "أنت النبي محمد الطيب المنبت، الكريم النسب، من أصل عمرو بن عبد مناف الرجل الأوحد الذي هشم الثريد لقومه بمكة أيام القحط، فأضحى صنيعه من بعده سنة متبعة وهو يومىء إلى النبى قائلاً:

⁽١) الديوان: ١٧٥.

⁽٢) ظ: بحار الانوار: ٣٥/ ١٢٦.

⁽٣) ظ: بحار الانوار: ٣٥/ ١٢٧.

إمن مجزوء الكامل} أن ـــت النبِ ـــي مُحَمَّ ـــد قــــرمٌ أَعَــــر مُ مُــسوَّدُ أَكِـــر مُ مُــسوَّدُ أَكِـــر مُــرمُ أَعَـــرمُ مُــرمُ أَعَـــرمُ مُــرم اللَّهِ لِــــلهُ لِمُـــالهِ اللَّهِ لِـــالهُ لِمَــالهُ اللَّهِ حَـــدُ اللَّهِ مَــالهُ اللَّهِ حَـــدُ اللَّهِ مَــالهُ اللَّهِ اللَّهُ اللْمُلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُلِمُ اللَّهُ اللْمُلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُلْمُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُلْمُ اللَّهُ اللْمُلْمُ اللَّهُ اللْمُلْمُ ال

(١) الديوان: ٣٣٣، الربيكة: الأقط والتمر والسمن مع الطحين، أنكد: مشؤوم.

⁽٢) الشعراء/ ٢١٩.

⁽٣) ظ: مجمع البيان في تفسير القرآن: ٧/ ٢٠٧.

⁽٤) الايضاح: ١٧٥، المطالب العالمية بزوائد الثمانية: ٤/ ١٧٧، اشار رسول الله عَيَّمِيُّ الى دعوة النبي إبراهيم في قوله: ﴿...وَاجْنَبُنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدُ الأَصْنَامِ ﴿ ١٣٥.

فأودعه في النسب الهاشمي الزكي النقي، فتغنى أبو طالب بانتهاء الرسول إلى النسب الهاشمي، فقال:

{من الطويل}

وَلَكِنَّــهُ مِــن هاشِــم في صَــميمِها إلى أَبحُـرٍ فَــوقَ البُحـورِ صَــوَافِ (١)

ويجاهد أبو طالب نفسه وابنه على المُطَلِّدِ في فداء النجيب وابس النجيب، فهـ و السيد الشريف في قومه، الكريم في أرومته، فقال:

{من الخفيف}

قد بـ ذلناكَ ـ والـ بلاءُ عـ سيرٌ ـ لِفـ داءِ النَّجيبِ وابِ نِ النَّجيبِ النَّجيبِ النَّعبِ النَّعب النَّعب

وسجية الكرم خصلة اصيلة في طبع العربي تمثلها الشعراء في عصر قبل الإسلام "، وحث الإسلام على التحلي بها(1) ، وقد تمثلت ملامح شخصية الرسول الخلقية السامية بالكرم الذي ارتسم بانموذج الرجل الجواد، فمدح أبو طالب ابن أخيه حين اجتمعت قريش على خلافه، بأنه خير من وطىء الثرى ثقة وقت المحن والشدائد جوادً بهاله، فقال:

{من الطويل}

وما إنْ جنينا في قريش عظيمة سوى أنْ مَنَعنا خيرَ من وطيءَ التُّربا

⁽١) الديوان: ١٧٧.

⁽۲)م.ن: ۲۲۰ - ۲۲۱.

⁽٣) ظ: الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام: ٥٨.

⁽٤) ظ: نهاية الارب في فنون الأدب: ٣/ ٢٠٥ - ٢٠٥.

أخا ثقة للنائباتِ مُرزَّأً كريمًا نئاهُ لا لئما ولا ذَربا(١)

ورسول الله كريم الاصل يُستَبشَر الخير بوجهه الكريم أيام الجدب والقحط التي تصيب القوم، فطلعته تثري بالرفد والعطاء، فهو رجل فياض الكرم، ومن تعاليمه الحث على اكرام الضيوف، وبهذه السمات المعنوية الخُلقية الرفيعة في شخصية الرسول أوما أبو طالب، فقال:

{من الطويل}

مِنَ الأَكرَمِينَ فِي لَوِيِّ بِنِ غَالِبٍ إِذَا سِيْمَ خَسَفاً وَجُهُهُ بَرَّبَّلُهُ طَوِيلُ النَّجَادِ خَارِجٌ نِصفُ سَاقِهِ عَسلَى وَجهِ وِيسْقِي الغَسامُ وَيُسْعِدُ عَظِيمُ الرَّمَادِ سَسيَّدُ وَإِسنُ سَيْدٍ يَخُضُّ عَلَى مَقْرِي الضَّيوفِ وَبِحُشُدُ (٢) عَظَيمُ الرَّمَادِ سَسيَّدُ وَإِسنُ سَيْدٍ يَخُضُّ عَلَى مَقْرِي الضَّيوفِ وَبِحُشُدُ (٢)

وتغنى أبو طالب في مدائحه النبوية بالقيم الدينية التي تمثلت في شخصية ابن أخيه المتصلة بالنبوة، وتصديق الرسالة، ودعوة الناس لاتباعه، ودعوته للدين الجديد، وتأييد الله له، وطلب الشفاعة، ونزول الوحى إلى غيرها ألله من السهات

⁽١) الديوان: ١٨٣، المرزأ: الذي يصيب الناس من ماله ونفعه كثير، الذرب: الحادُّ السليط اللسان.

⁽٢) الديوان: ٩٠، وصدر البيت الثاني والثالث غير مستقيمين، ومن تعاليم السنة الشريفة التي اكدها أبوطالب في شعره ان الكرم شعبة من شعب الإيهان قال رسول الله عَلَيْكِيلُهُ: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليْكُرُمْ ضيفَهُ"، صحيح البخارى:١١٢/٤.

النبوية التي هي جزء من متطلبات الدعوة الإسلامية.

ومن أجل هذه السهات التي اكرم الله بها نبيه لتبيين جلالة مكانته وقدره، اشتقاق اسم محمد من اسم صاحب العرش المحمود، ودلالة الاسم جديدة غير معهودة من قبل، فقال أبو طالب:

(من الطويل)

لَقَد أَكرَمُ اللهُ النَبِيَّ مُحَمَّداً فَأَكرَمُ خَلَقِ اللهِ فِي النَّاسِ أَحَدُهُ وَالْمَاسِ أَحَدُهُ وَالْمَدَرَمُ اللهُ النَّاسِ أَحَدُهُ وَالْمَدُ اللهُ مِن إِسَمِهِ لِيُجِلَّهُ فَذَو العَرشِ عَمو و لا وَهَذَا مُحَمَّدُ (١)

وقد فاض كرم الحق تبارك وتعالى على نبيه في تبيين علو مقامه الشريف فذكر اسمه في الكتاب المقدس، وهو الأمين في تبليغ رسالة الله التي استودعها في قلبه من وحيه، سديد القول، فقال أبو طالب:

⁽۱) الديوان: ٣٣٢، محمد سيّاه به جده عبد المطلب بالهام من الله، وقد حمى الله أن يُسمّى احد باسم أحمد، أو محمد قبل زمانه، اما أحمد الذي ورد ذكره في الكتب وبشرَّت به الانبياءُ فمنع الله تعالى بحكمته ان يُسمّى أحد غيره، كيلا يدخل لبسٌ على ضعيف القلب، أو شك، وكذلك محمداً أيضا، فلم يُسمّ به أحد من العرب ولا غيره إلى أن شاع قبيل ميلاده ان نبيا يُبعث اسمه محمد فتسمّى قوم قليل من العرب أبناءهم به رجاء ان يكون أحدهم هو، وهم محمد بن أحيحة بن الجلاح الأوسي، ومحمد بن مسلمة الانصاري، ومحمد بن براء البكري، ومحمد بن سفيان بن مجاشع، ومحمد بن حران الجعفي، ومحمد بن خزاعي السلمي، ظ:عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير: ١/ ٣٠ - ١٣، السيرة النبوية لابن كثير: ١/ ١٩٠، الخصائص الكبرى: ١/ ٧٠ – ٧٠، السيرة النبوية (انسان العيون في سيرة الأمين والمأمون): ١/ ٧٨ – ٩٠، وضمَّن حسان بن ثابت البيت الثاني في شعره، ظ: ديوان حسان بن ثابت البيت الثاني في شعره، ظ: ديوان حسان بن ثابت البيت الثاني في شعره، ظ: ديوان حسان بن

{من الطويل}

فــسمّاهُ ربِّي في الكناب محمَّداً

نبعيٌّ أتى من كلِّ وجه بخطِّه

وإنْ قالَ قولاً كان فيه مُسدَّدا (١)

أمين على ما استودعَ اللهُ قَلبَهُ

وحاول أبو طالب توكيد مباديء الإسلام في اذهان الناس في علاقة صاحب الرسالة بالله، فيمدحه مرة أُخرى بفضيلة النبوة التي كرمها الله بها، فهو أفضل الناس، كريم الاصل والاخلاق، رشيد مؤيد من عند الله، يسعى لبناء مجد عشيرته، والقائد فيهم، محمود السجال، وصادق القول، ومن جيش بني هاشم تابع لإمرته ومؤيدين من الله بالنصر والسداد، فقال:

{من الطويل}

_إذا عُدَّ ساداتِ البريةِ _ أحْمَ لُهُ وَالْحُلَقِ الْمُؤَّلِدُ الْمُؤَّلِدُ الْمُؤَّلِدُ الْمُؤَّلِدُ

ألا إنَّ خير الناسِ نفسساً ووالداً نبسيُّ الإلسهِ والكسريمُ بأصلِهِ

إذا - نَحنُ طُفنا في البِلادِ - ويَمْهِدُ طِلاعِ المسدى لاغبيرَ ذلكَ يجهدُ عظيمُ اللِّواءِ أَمْدُهُ السَّدِّهُ يُحْمَدُ كَالسَدِّهُ يُحْمَدُ كَالسَدِّهُ يُحْمَدُ كَالسَدِّهُ يُحْمَدُ كَالسَدِّهُ يُحْمَدُ كَالسَدُ هُو يُحَدِّدُ كَالسَدُ هُو يُحَدِّدُ كَالسَدُ هُو يُحَدِّدُ لَكُورِ الكنابِ في صَسفيحٍ يُحَلَّدُ كَالسَدُ عَلَيْ الكنابِ في صَسفيحٍ يُحَلَّدُ كَالْمُ المَالِي في صَسفيحٍ يُحَلَّدُ كَالْمُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلْهُ عَلَيْهُ عَلِيمُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْ

وَيَبني لأفناء العَشيرَةِ صالِحاً ويبني كثيراً حيث كان من العِدا هـو القائدُ المُهدى به كلُّ مِنْسَرٍ إذا قال قولًا لا يُعادُ لقولِهِ

⁽۱) الديوان: ١٥٠، الكتاب: يراد به الإنجيل، ظ: الطبقات الكبرى: ٣٦٠-٣٦٣، ذكر صفة رسول الشَّكَالِيُّةُ في التوراة والإنجيل.

بجيش له من هاشم يتبعونَه يُسلِّدُهم ربُّ السوري ويؤيِّدُ

ومدح أبو طالب رسول الله بحسن الصفات الحسية والمعنوية بتعبير صادر من قلب محب ومؤمن بالنبي ودينه، وهو يتأمل الخير منه، فاذا قاسه حكام العرب بغيره عند المفاضلة، فهو المفضل؛ لأنّه النبي ذو الحسب والسيادة والعلم والرشد، ولم يتخذ وليا إلا الله لايغفل عنه ابدا، ويدعو أبو طالب رب العباد أن يؤيده بنصر من عنده، ويظهر دينه دينا ثابتا دائها، فقال:

(من الطويل)

إذا قاسَدهُ الحُكَلم عُنِد النفاض سلِ له إرثُ مجد ثابت غيرَ ناصلِ يسؤولُ إليه العِلْمُ ليس بجاهِلِ يُسوالي الإله ليس عندهُ بغافلِ وأظهَرَ ديناً حَقَّدهُ غَيرُ ذائسل (٢) فَمَ ن مِثْلُ هُ فِي الناسِ أَيُّ مُؤَمَ لِي جَمِ لُ الْمُحَيِّ الماجد وابن ماجد حَل مُ رَشيدٌ سيدٌ وابن ماجد حَل مُ رَشيدٌ سيدٌ وابن ما سيد {...} عادلٌ وابن عادلٍ فَاتِّ لَذَ وَ رَبُ العب الدِينَ صرِهِ

والصدق من القيم الخُلقية الجليلة التي اتصف بها نبي الله واثنت عليها الشرعية الإسلامية، وقريش تعلم بصدق رسول الله قبل البعثة، ولكنها ترفض الانصياع لأمر دعوته، فافصح أبو طالب وهو في الشّعب منددا باهل الباطل الذين يعلمون ان ابن أخيه لاينطق زورا وبهتانا، وهو لايعبأ بها يقولون، فقال:

 ⁽١) الديوان: ٩٠- ٩١، طلاع: اعتلى على ملته، المنسر: الجيش، الوحي: الكلام والكتاب الخفيان،
 الصفيح: الحجر.

⁽٢) الديوان: ١٩٧- ١٩٨، {...} بياض في الديوان.

إمن الطويل} فقَد عَلِموا أَنَّ إِبنَنا لا مُكَدَّبُ لَد عَلِموا أَنَّ إِبنَنا لا مُكَدَّبُ لَد عَلِموا أَنَّ إِبنَنا لا مُكَدَّبُ لَا يَعنى بقَولِ الأَباطِلِ

وصفة الصدق إحدى صفات رسول الله التي عهدها أبو طالب بابن أخيه منذ كان طفلا صغم ا، فقال:

إمن مجزوء الكامل} ولَقَدد عَهِد دُنُكَ صدادِقً في القدول لا تَتَزَبَّ دسكُ مدا ذِلستَ تَنطِتُ بِالدهوا بو وَأندت طِفل لَ أَمدر دُ(٢)

وصدق رسول الله من الفضائل التي انهاز بها فهو برهان على صحة نبوته، ففي القصيدة التي ذكر فيها أبو طالب قصة الصحيفة، ان العرب كانوا يعرفون دين إبراهيم، فاستنكر ظلمهم بمن يدعو إلى البر والتقى والصلاح، وقد اعتبروا في أمر الصحيفة، فمحا الله ما جاء فيها من كفر قريش وعقوقهم، وأثبتت الأرضة التي قضمت الصحيفة ان كل ما ادعوه باطل وما هو إلا كذب وافتراء، من أجل هذه الآية أظهر الله محمداً صادقا فيها ذكره من فعل الأرضة، وسينصره الله باهل العقير ويثرب، فتغنى بصدق رسول الله عَيَالِيّة .

فقال:

{من الطويل} وَما ذَنْبُ مَن يَدعو إِلَى اللهِ وَحدَهُ وَدينٍ قَديمٍ أَهلُهُ غَيرُ خُيّبِ

⁽١) الديوان: ١٩٨.

⁽۲) م.ن: ۳۳۳.

وَما ظُلْمُ مَن يَدعو إِلَى البِرِّ وَالتَّقَى وَقَد جرِّ بُوا فِيها مَسضى غِبَّ أَمرِهِم وَقَد جرِّ بُوا فِيها مَسضى غِبَّ أَمرِهِم وَقَد كسانَ في أَمرِ السَصَحيفَةِ عِسبرَةٌ عسا اللهُ مِنها كُفررَهُم وَعُقروقَهُم وأَصببَحَ ما قالُوا مِن الأَمرِ باطِلاً وأَصبر باطِلاً فَينا مسصَدقاً

وَرَأْبِ النَّاى بِالرأَي لاحِينَ مَسْعَبِ
وَمَا عَالُ أُمَسِراً كَمَسنْ لَمَ يُجَسِرِّ بِ
أَسَاكَ بِهِا مِسن غائِسٍ مُتَعَسِطِّبِ
وَمَا نَقَمُ وا مِن صادِقِ القَولِ مُنْجِبِ
وَمَن يَخْتَلِق ما لَيسَ بِالْحَقِّ بُكُذَبِ

وَيَنْ صُرُهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ الله

بِأَهـلِ العُقَـيرِ أَو بِـسُكَّانِ يَشـرِبِ (١)

ولا نستبعد أن يكون النبي محمد عَلَيْقَ أخبر عمه أبا طالب بالهجرة إلى يشرب قبل وقوعها، ليطمئنه على انتصار الإسلام، فضلا عن أن أبا طالب سمع من احبار يهود بني قريضة أن ابن أخيه «نبي وانه لانبي بعده، واسمه أحمد، ومهاجره إلى يثرب» (") فأومأ في مديحه الى هذا الامريقينا لهجرته وتصديقا لبعثته.

وعما تقدم يتبين: أن أبا طالب افاض في مدح الرسول في تعداد سبجاياه المادية والمعنوية الصادرة عن قلب محب، ونفس معجبة، وروح مؤمنة، وعقيدة راسخة، وايهان قوي، وتصميم ثابت بالنبي ودعوته.

ومما يلحظ أن أبا طالب لم يعنِ عناية كبيرة في رسم الملامح الخلقِية في تبيين هيأة الرسول المنظور إليها، وانها اكتفى باللمحة السريعة، ووجمه عنايته حـول بيـان

⁽۱) الديوان: ٩٥- ٩٦، الثأى: اصلاح الفساد، المشعب: الطريق، العُقير: بلدة بالبحرين، ظ: معجم البلدان: ٤/ ١٣٨.

⁽٢) السيرة النبوية لابن كثير: ١/٢١٤.

صفاته الخُلقية والقيم الدينية، فمدح مكارم الأخلاق التي تربى عليها العربي التي تجري على وفق ما كان مألوفاً عند العرب من انهم ينظرون إلى الأفعال التي تخلدهم، فضلا عن مدح الرسول بوصفه نبي الامة الذي بلَّغ رسالة السهاء ونشر تعاليمها، فشخصيته تستحق الثناء والتبجيل.

_ الثاني: المديح العام:

ويراد بالمديح العام الذي أشاد به أبو طالب بحق الآخرين ما خلا مديحه لرسول الله الله الله الله الله الله الله عن حضّ المدوحين لمؤازرة رسول الله طمعا في مناصرته ومحاماته، أو تعبيرا عن إسداء معروف، أو حق احسان للذين ساندوا الرسول، ووقفوا بجانبه لمواجهة اعداء الدعوة.

ومعاني المديح التي تمثلت بالخصال الرفيعة والاخلاق الكريمة، والقيم الجليلة، والمباديء العظيمة هي نفسها التي اكبرها العربي وأجلها، فكانت موضع اعجابه وتمييزه، وحرص أبو طالب على مديح فضائل الآخرين من بعض رجال قريش تقويها لمواقفهم الجليلة، واعترافا بنبل أفعالهم، وإكبارا لشجاعتهم في نقض الصحيفة "، فأثنى عليهم بالحزم والرشاد وحسن التدبير، فقد اجتمعوا كالملوك بلهم أعز منهم وأعلى في موضع الحجون في الليل، واتفقوا على نقض الصحيفة في

⁽۱) ظ: الديران: ١٩٠، ١٩٧، ٢٠٦، ٥٣٢، ٨٣٢، ٢٣٩ - ٧٤٢، ١٤٠، ٢٥٩، ١٤٠، ١٤٦.

⁽٢) ظ: السير والمغازي: ١٥٩ - ١٦٢، السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٣٧٤ - ٣٧٧، السيرة النبوية لابن كثير: ٢/ ٤٤ - ٤٦، امتاع الاسماع بها للنبي عَلَيْكُ من الاحوال والاموال والحفدة والمتاع: ١/ ٤٤، تفاصيل خبر نقض الصحيفة.

الصباح، فقال:

{من الطويل}

جَــزى اللهُ رَهطــاً بِــالحجونِ تَــابَعوا تُعــوداً لَــدى رُكــنِ الحَطــيمِ كَــانَّهُم قَـضَوا ما قَـضَوا في لَـيلِهِم ثُـمَّ أَصبَحوا وآخــرُ مــسرورٌ بنــاتُ فـــؤادهِ وسازَع فيهـا كــلُ صــقر كانَــهُ

عَسلى مَسلاٍ يَهسدي لَخِسيرٍ وَيُرشِسدُ مَقاوِلَسةٌ بَسل هُسم أَعَسزٌ وَأَنجَسدُ عَسلى مَهَسلٍ وَسسائِرُ النساسِ رُقَّسدُ نحسشُ علینسا بالمغیسبِ وتُوقِسدُ شِسهابٌ بِكَفّسي قسابِسِ يَنُوقَّسدُ(1)

وقد يمدح أبو طالب افرادا لعمل سامٍ قاموا به من مثل موقف زهير بن أبي أمية، وهو أحد الرجال الذين نقضوا الصحيفة، فتغنى أبو طالب بفضائله: قرابته منه، وجليل كرمه، ونبل نسبه، وصدق قوله، واصالة مجده، وعظيم شجاعته، فقال:

{من الطويل}

زُهيرُ النَّدى ذو المُكرماتِ الفواضلِ وذو مَصْدقِ عند اختلافِ الغَوائلِ قصدياً لعمري في بيان ونائللِ فنعم ابن أُخت القومِ فيها ينوبُهُم كريمُ النّشا جَلْدُ القُوى ذو حفيظةٍ فنى لم يسزلُ يَسمو الى المجدِ والعُلا

⁽۱) الديوان: ٢٣٥، الرهط: الجهاعة وهم النفر الذين نقضوا الصحيفة وانكروها وهم خمسة: هشام بن عمرو بن الحارث وزهير بن أبي أمية بن المغيرة، والمطعم بن عدي، وزمعة بن الأسود بن عبد المطلب، وأبو البخترى بن هشام، ظ: البداية والنهاية في التاريخ: ٣/٩٣ - ٩٦، والحجون: اجبل بأعلى مكة عند مدافن اهلها، معجم البلدان: ٢/ ٢٢٥.

أشمُّ من الشُّمِّ البهاليلِ، ينتمي إلى حسب في باحةِ المجدِ فاضل (١)

فمديح أبو طالب لموقف زهير الشجاع في إنقاذ المسلمين وفك حصار الشّعب منهم من دواعي اعجابه بها صدر عنه في هذا التوجه.

وينتقي أبو طالب الفضائل التي يعتز بها العربي ويحفل، ليقدم صورة جليلة بحس الشاعر، فيرى أن أبا قيس بن الأسلت لايقل عن زهير في اتجاهه المحمود على أثر قصيدته البائية (التي عظم فيها حرمة البيت، ونهى قريشا عن محاربة رسول الله على الأذى عنه، ذاكرا فضلهم، فتغنى أبو طالب بمديحه طمعا بنصرته لرسول الله، فهو نقى الأرومة وطيب الأصل، وسيد الندى، فقال:

{من الطويل} بها يتلو (...) المبدارسَ وَسُعطَ المَحَاربِ قَرِيعُ النَّدى وابنِ الكرام الأطائبِ (٣)

وينصرُ ابنسي كسلٌ بسرٌ وعسالٍ ومشلُ أبي قسيس المصفّى من الخنسى

وحماية الجار منقبة نُحلقية عظيمة تزاد على مناقب السيد الكريم، ففي القطعة

⁽۱) الديوان: ۱۹۷، أخت القوم: عاتكة بنت عبد المطلب، النشا: الربح الطيبة، زهير بن أبي أمية بن المغيرة بن عمرو بن مخزوم، وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب شقيقة أبي طالب، وهو من المستهزئين المغيرة بن عمرو بن مخزوم، وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب شقيقة أبي طالب، وهو من المستهزئين الغيرة بن عمرو بن مخزوم، وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب شقيقة أبي طالب، وهو من المستهزئين الفين أمّان على نقض الصحيفة، أختلف في سنة وفاته، ظ: الكامل في الناريخ: ٢/ ٥٠، الإصابة في تمييز الصحابة: ١/ ٥٥٠ - ٥٥٣/ ٣٥٨ - ٣٥٨.

⁽٢) ظ: السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٣٨٣ - ٢٨٦.

⁽٣) الديوان: ٢٠٦، (...) بياض في الديوان، أبو قيس بن الأسلت من بني وائل الأوسي؛ مختلف في اسمه فقيل: الحارث، أو عبد الله، أو صيفي، أو حرب، أو صرمة، وأختلف في إسلامه، وهو شاعر قال اشعارا يحث فيها قومه على الإسلام، ولم يذكر سنة وفاته، ظ: الإستيعاب في معرفة الأصحاب: ١٦٠/٤، الإصابة في تمييز الصحابة: ٤/ ١٦١- ١٦٢.

البائية التي بعثها أبو طالب الى نجاشي الحبشة يحثه فيها على إكرام المهاجرين (١) نعته بافعال الخير كلها اللازمة فيه، وبسخاء كرمه، فعطاياه وافرة تصل إلى من يدخل في جواره، عزيز المجد فلا يتعب من في حماه، فقال:

{من الطويل} وأسبابَ خَدِرٍ كُلُّها بِسكَ لازِبُ وأسبابَ خَدرٍ كُلُّها بِسكَ لازِبُ بعديشُ بجدواكَ الطَّريدُ المُصاقِبُ كريمٌ فلا يشقى لديكَ المُجانِبُ (٢)

تَعلَّ مِ بِ اللَّهُ زَادَكَ بَ مِ اللَّهُ وَادَكَ بَ مِ اللَّهُ وَادَكَ بَ مِ اللَّهُ وَادَكَ بَ مِ اللَّهُ و وَأَنَّ لَكَ مَ لِبُ ذُو سِ جَالٍ غَزِيرَ وَ وإنَّ كَ عَ لِزٌ والملوكُ أَذِلَ هُ مَ

وحمدَ اصحاب رسول الله جوار النجاشي الذي أحسن إليهم " فاشاد أبو طالب بحسن جواره وكرمه لهم، فقال :

{من الطويل} جسوارَ كسريم سسيِّد ذي فواضلِ مليكٌ عجسيرٌ للسضِّعافِ الأراملِ (*)

فب قَمُم ربُّ العب ادِ ب دارِهم جوارَ النجاشيِّ الذي ليس مثْلَهُ

ولنصرة النجاشي المسلمين ومحاماته لهم، نال حقا عليهم لجليل فضل تكرمه، فاستحق الثناء، فقال أبو طالب فيه:

{من الطويل} لفَ ضِلِكَ إلا أُرْجِعُ وابالنَّكرُم

وإنك ما يأتبك منّا عصابةٌ

⁽١) ظ: البداية والنهاية في التاريخ: ٣/٧٦.

⁽٢) الديوان: ٢٤٧، المصاقب: المجاور، المجانب: الذي صار جنبه ودخل في حماه.

⁽٣) ظ:م.ن: ٢٥٧.

⁽٤) م.ن: ٢٥٨.

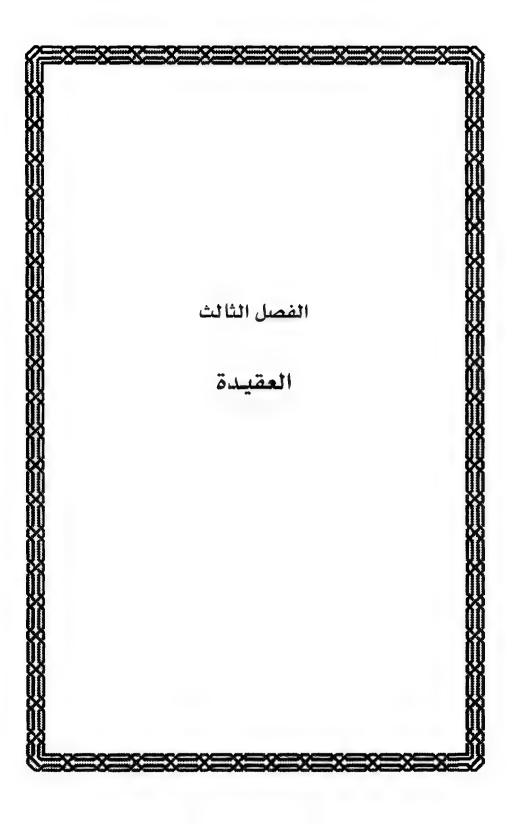
بنذلت لهم عُرف ولم تبغ عنهم فنلت بها حَقَّا على كُلِّ مُسْلِم (١)

ومديح أبي طالب ينأى عن المبالغة غير الواقعية فلا يشيد بفضائل الممدوح إلا بها فيه من السجايا والخصال المحمودة، فيتوجه إليه بهالة من الثناء.

وصفوة القول: إن مدائح أبي طالب نابعة من عقيدة ثابتة بالقيم العربية الأصيلة التي تمثلت في المجتمع الإسلامي بمعاني مثالية ذات رؤية إسلامية، وتبرأت مدائحه عن غاية في طلب مأمول؛ لأنه كان شيخا ذا مكانه عالية معتدا بنفسه، وأنفته، وكبريائه، فمدائحه صادرة عن إيان صادق بصاحب الرسالة، موجهة إليه، وإلى من سانده وآزره وحاماه في محنته، فلم يمدح ملكا أو أميرا أو رئيس قبيلة؛ لأنه هو مهوى مدائح الشعراء لمكانته ومنزلته، اما ما مدح به النجاشي فلأنه أجار المسلمين.



⁽١) الديوان: ٢٥٩.



مفتتح الفصل شعر العقدة

اضطربت معالم الحياة الدينية قبيل ظهور الإسلام في بلاد العرب فتصدعت القيم الانسانية والعقائدية (أ) وكان بزوغ فجر الإسلام حدثا تاريخيا مهما في الجزيرة العربية، اخذ فعله في نفوس الناس و لا سيما الشعراء فعمل على تنقية عقيدة العرب في التوحيد من الشرك الذي شابها من قبل، ويعد زيد بن عمرو بن تُفيل (أ) وورقة بن نوفل (أ) وغيرهما عمن مثلوا تلك العقيدة في اشعارهم بيد أنَّ فكرة التوحيد في زمن البعثة اصبحت فكرة ثابتة وواضحة في دين جديد قائم بذاته، ونبي مرسل يدعو الناس إلى هذا الدين، وصار لهذه المعاني حضور واسع في شعر من اسلم من الشعراء وفي مقدمتهم أبو طالب.

⁽١) ظ: تاريخ العرب قبل الإسلام (القسم الديني): ٥/ ٥٦-٩٥، دراسات في التاريخ الإسلامي: ٢١- ٢٤.

⁽٢) ظ: زيد بن عمرو بن نفيل حياته وما تبقى من شعره (بحث): ٩٠ – ٩٢.

⁽٣) ظ: ورقة بن نوفل حياته وشعره (بحث): ١٧٨ - ١٧٨.

إنَّ جيء الإسلام بمباديء جديدة خلق في نفوس الشعراء شعرا تلوح فيه تلك المباديء؛ لأنَّ الإسلام حفز الشعراء الذين استبشرت نفوسهم العبادة الحقة ودواعي النزعة الروحية الجديدة إلى التعبير عن ايهانهم بها يملكون من وسائل، وكان الشعر وسيلة هذا التعبير ()، وكان أبو طالب السابق قبل غيره من الشعراء في هذا الباب، فقد انيط بشعره الملتزم الاسهام في موقف النصرة والمحاماة لصاحب الرسالة في خطاب تبليغي موجه إلى أبنائه وأخوته وعشيرته يحثهم على الذود عن الرسالة وصاحبها ومساندته ومؤازرته والدفاع عنه بهايستطيعون.

وفي شعر العقيدة لأبي طالب نصيب وافر منه، لأنه ألصق الفنون الشعرية بحياته وفي هذا النمط من شعره عبر عن المعاني الإسلامية الجديدة المتعلقة بالايهان بالله وحده وبرسله، والكتب المنزلة على رسله، ويوم البعث، والدعوة الى الوحيد، وتصديق رسول الله عَلَيْوَاللهُ، وببعثته الشريفة، وبها جاء به من تعاليم سهاوية ارتسمت في شخصيته، والزام طاعته، واتباعه، وحمايته، ومناصرته، وبذل النصيحة في السير على هديه، والدعوة الى الصبر، وجهاد اعدائه، والوصية بنصرته إلى آخره.

التوحيد :

إنَّ مما يدين به المرء لوجود خالقه ووحدانيته أنه لا مثيل له، وليس له شريك في الملك، ومتفرد بصفات الكمال كلها، والايمان برسله، والكتب المنزلة عليهم، وهذه من المعاني التي تجسد عقيدة التوحيد، فالتوحيد الركن الأول للإسلام.

⁽١) ظ: شعر العقيدة في عصر صدر الإسلام: ٦٠.

فعندما شرع رسول الله عَلَيْهِ بَبليغ دعوت الجميع الناس على مباديء الإسلام (۱) ، دعا عمه اباطالب، فكان الناصح في دعوته، والصادق في حديثه، والأمين في تبليغ رسالة السهاء، فقال أبو طالب:

{من الكامل}

فَلَقَد صَدَقتَ وَكُنْتَ قِبلُ أَمِنا مِسن خَسيرِ أَدبِانِ البَرِيَّةِ دينا لَوَجَدتَنى سَدمحاً بِذَاكَ مُبينا^(۲) وَدَعَ وتَنِي وَزَعَم تَ أَنَّ كَ ناصِحٌ وَعَرَض تَ مِنْ اللَّهِ وَزَعَم تَ أَنَّ كَ ناصِحٌ وَعَرَض تَ بأَنَّ مُ أَلَى المَدِينَ الْمَالِمَ المَلامَ المَلْ

كان أبو طالب على يقين من صدق الرسول محمد عَيَالِللهُ قبل البعثة وبعدها، ومعرفته بأفضلية الدين الإسلامي على غيره من الأديان؛ لأنه يتوافق مع ملة نبي الله إبراهيم عليها أبو طالب وأهله، ومما لاشك فيه أن أبا طالب اطلع على عقائد النصارى واليهود في رحلاته الى الشام واختلاطه باهلها، وبأهل خيبر وتيهاء من اليهود، بمعنى ان معرفته لافضلية الإسلام نابعة من معرفة صادقة، بيد أن خشية

⁽۱) عندما كُلف الرسول عَيَّانِ ببليغ دعوته زاد النوتر في صفوف رجال قريش، ففكروا في قتله، ولكن رأى عقلاؤهم من الحكمة الذهاب إلى أبي طالب، وهم يحملون في حديثهم معه نغمة الرجاء تارة، والتهديد تارة اخرى، فأبى رسول الله عَيَّانِ إلا ان يصدع بامر الله بكلمة الحق، وتنزيهه عن عبادة الاوثان وهو يقول لعمه أبي طالب: «أي عم أو لا أدعوهم إلى ما هو خير لهم منها؟ كلمة يقولونها تدين لهم بها العرب ويملكون رقاب العجم، فقال أبو جهل: ما هي؟ وأبيك لنعطينكها وعشر أمثالها، قال تقولون: لا إله إلا الله فثارت حفيظة رجال قريش لمنع المد الإسلامي بالوسائل كلها، ظ: السير والمغازى: ١٢٣/، الكامل في التاريخ: ٢/ ٤٤، البداية والنهاية في التاريخ: ٣/ ١٢٣.

⁽٢) الديوان: ١٨٩.

أبي طالب ملامة قريش جعلته يكتم إسلامه ولا يظهره، وكأنه قطع الطريق على من يلومه، وإلا فإنه كان مفصحا عما اعتنق من الدين الجديد، وله علم ودراية بتعاليمه ومبادئه، ولذلك فضل الدين الإسلامي على غيره من الأديان، فافصح بعقيدته الصادقة عنه، والتصديق بصاحب الدعوة، وهما حقيقتان من حقائق الإيمان.

وأمسى أبو طالب معلناً توحيده بالله وحده لا شريك له، وهو يهتف:

{من الوافر}

مَلِيكُ الناسِ لَيسَ لَـهُ شَرِيكٌ هُــوَ الوَهِـابُ وَالْبُـدِي الْمُعِيدُ وَمَـن نحـتَ السَماءِ لَـهُ عَبِيدُ (۱)

جمع أبو طالب السهاوات والارض بتوحيدها لله، والاعتراف بربوبيته، فعبودية الجميع تجسد التوحيد بمعانيه كلها.

وفي النص أكثر من شاهد على توحيد أبي طالب ففي قوله: «مليك الناس ليس له شريك»، فهو يخلع انداد الجاهلية من دون الله جميعها، والله متفرد في الملك ومتفرد بكمال صفاته «المليك، والوهاب، والمبدي، والمعيد» فعظم الشاعر اسماء الله بذكر صفاته، فهو المليك الغني عن العباد وعن جميع المخلوقات، وهو الوهاب الوافر العطاء، والمبديء الخلق ابتداءً والمعيد المنشيء خلقه نشأة أخرى بعد الموت، وفي ذكر الصفتين المبديء والمعيد ايهاءتان الى حقيقة الايهان بالبعث بعد الموت، وثمة شيء اخر أفصح عن ايهان أبي طالب يوثقه شعره، وهو حقيقة العبودية لله وحده فكل ما في السهاوات، وما في الارض خاضع ذليل منقاد لصاحب الملك، وهذه من المعاني

⁽١) الديوان: ١٥٨.

الجديدة التي لم تكن معهودة قبل الإسلام.

ويؤكد أبو طالب توحيده لله تعالى عندما مضى إلى امره خلاف قريش فيها أراد رسول الله عَلَيْهِ واجتماع قومه على عداوته وخلافه (١) بعد أن شاع الاسلام، فقال:

{من الطويل}

فـــو الله لـــولا الله كلشيء غـــبرُّه لأصبحتُم لا تملكـون لنــا سربــا(")

أخذ ابوطالب على نفسه رفع شعار التوحيد في مخاطبة قريش فقال: «فوالله لولا الله لا شيء غيره» كلمة قالها بوجه مشركي قريش ليحثهم عليها، وللاقرار بها، وهي تومىء الى عقيدة التوحيد إيهاءً صريحاً واضحاً.

ولأبي طالب أثر فعال في حركة الدعوة الإسلامية للخروج بها من مكة إلى الحبشة ويظهر بصورة جلية في الأبيات التي بعثها إلى ملك الحبشة يحفه فيها على حسن جوار المهاجرين المسلمين من مكة إليه "، ويدعوه إلى اعتناق الدين الإسلامي الجديد لتوحيد الله، وتصديق نبيه، وما نزل عليه من كتاب الله الذي يضارع ما أنزل على النبين: موسى وعيسى عليقي وما نزل على النبي محمد علي النبي عمد الله يقرأه اليهود في توراتهم والنصارى في انجيلهم، فهو دين الهدى الناطق بالصدق لا ريب فه، فقال:

⁽١) ظ: السر والمغازى: ١٥٠.

⁽٢) الديوان: ١٨٣، السرب: الطريق.

⁽٣) ظ: السير والمغازى: ١٥٠.

وزيرٌ لِوسى وَالمَسِحِ بِنِ مَرِيمِ؟ فكُلُّ بِأَمِرِ الله يَهدي وَيغمِمُ بصدقِ حَديثٍ لا حديثِ التَّرَجُّمِ فيإنَّ طَريقَ الحَقِّ لَيسَ بِمُظلِمُ أَتَعلم مَليكَ الحُبِيشِ أَنَّ مُحَمَّداً أتى بِهُدى مِشلَ الَّذي أَتَيا بِه وَإِنَّكُهُمُ تَعلونَهُ فِي كِتَابِكُم فَالا تَجعَلُواللهُ نِدَّا وَأَسلِمُوا فَالا تَجعَلُواللهُ نِدَّا وَأَسلِمُوا

بيَّن أبو طالب جملة من فضائل الإسلام فدين محمد عَلَيْكِالله قد بشرت به الكتب السهاوية، فكان احبار اليهود، ورهبان النصارى يترقبون ظهوره، وبشَّر وا ببعثة النبي المرتقب بالشواهد والدلائل والآيات والمعجزات، فكانت وثيقة لمصحة نبوته الشريفة، والكتاب المنزل عليه من عند الله للحقائق التي تضمنتها الكتب السهاوية التي اوحى الله بها إلى النبيين: موسى وعيسى عَلِيْكِالله وأول شيء صدع فيه رسول الله في تبيلغ رسالته هو التوحيد، ونفي عبادة الانداد من دون الله، لأن الله خالق كل شيء، له ما في السهاوات، وما في الارض، فمن حقه ان تكون العبادة خالصة له وحده بلا شريك.

وعقيدة أبي طالب في الايمان بالله لا تنفك عن عقيدته في الايمان برسله، وتصديقه وتأييده لهم جميعا، فلا فرق بينهم؛ لأن مقتضى الايمان واحد، وواجب على كل مسلم بها اكدته الشريعة الإسلامية، فضلا عن ان عقيدته تلزمه بان يحث الناس على اتباع منهج الحق؛ لأنه طريق مشع بنور الهداية بعد ان اكتنفت غياهب الظلام في العقيدة الجاهلية.

⁽١) الديوان: ٢٥٩، في البيت الثاني إقواء.

ويومض البيت الرابع إلى عقيدة النصارى التي تجعل المسيح ابنا شه (أوان تبني أبي طالب دعوة ملك الحبشة لاعتناق الدين الإسلامي الجديد وتقديمه الحجة والبرهان من كتب النصر انية نفسها، لها اثرها العميق في نفس النجاشي حتى اعلن إسلامه (أ).

التصديق:

إنَّ تصديق الرسول بكل ما يتحدث به من وحي السهاء وتأييده هو الركن الثاني للإسلام، فمدح أبو طالب صدق نبي الله عَلَيْظِهُ في شعره إلى جانب موقف المشركين المنكرين لدعوته بها جاء من صدق القول المنزل من عند الله، فقال:

{من المتقارب}

وقَــوْلٍ لأَخْمَــدَ: أنــتَ امــرُوٌ خَلُـوفُ الحـديثَ ضَعيفُ الـسَّبَبُ وإنْ كــانَ احمــدُ قــد جــاءهم بِحَــقٌ ولم يَـــاْتِهم بالكَـــذِبْ ""

وعندما آذن الله للرسول بنشر دعوته للاقربين من بني هاشم وعبد المطلب، ورفع كلمة الحق بينهم كذبوه، وعابوا عليه دينه، ومن عشيرته الاقربين عمه أبولهب، وكان ذلك الأمر في بداية الدعوة الإسلامية، فاشاع في سوق ذي المجاز (1)، بانه

⁽١) ظ: العهد الجديد: ٣٢٦- ٣٤٣، الرسالة إلى العرانيين، الاقسام: ١- ١٣.

⁽٢) ظ: السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٣٤١، البداية والنهاية في التاريخ: ٣/ ٨٤.

⁽٣) الديوان: ١١٥، السبب: الوصلة من الصلة والاتصال.

⁽٤) ظ: مناقب آل أبي طالب: ١/ ٥١.

كذاب، فانتفض أبو طالب باعلان صدق مقال ابن أخيه وانه رسول من الله، وقرآنه صادق منزل من ذي العزة، فأنشد:

(من البسيط)

أنت الامينُ الله لا كَذِبُ والصادقُ القِيلِ لا لهو ولا لَمِبُ أنت الرسولُ رسولُ الله نعلمُهُ عليكَ تنزلُ من ذي العزّةِ الكُتُبُ(١)

إنَّ تركيز أبي طالب على صدق رسول الله عَلَيْوَلَهُ يحقق لـه امرين: الأول، أنه يحرص على تذكير قريش بهذا اللقب (الصادق الأمين) الذي عرف بـه المصطفى في الجاهلية، فها عدا مما بدا، فهم يُصدِّقون قبل، ويُكذِّبون بعد، والثاني انه صادق حقا كها يؤمن هو والمسلمون بكل ما جاء بـه، فأوما في قوله: «أنت الأمينُ أمينُ الله لا كذب، وأنت الرسولُ رسولُ الله نعلمه» باليقين الذي لايقبل السك على إيانه بالله، وان ابن أخيه الصادق الأمين مبعوث من عند الله؛ لأن أبا طالب آمن بغيب السهاء المبشرة ببعثته قبل ان يبعث في الوقت الذي كان قومه يعبدون الأصنام:

{من الطويل}

وبالغيــبِ آمنّـــا وقـــد كـــان قومُنـــا يـــصلُّون للأوثـــانِ قبـــلَ محمــــدِ (٣)

وهذا دليل موثق من شعر أبي طالب يؤكد إيهانه بغيب الله بها أخبر به، واطلع عليه، واعتقد به، معلناً تصديقه ببعثة النبي المنتظر.

ولما قعدت قريش برسول الله عَلَيْظِهُ في القبائـل بالموسـم وزعمـوا أنَّـه سـاحر

⁽١) الديوان: ٣٢٩.

⁽۲) م.ن: ۲۳۴.

أقسم أبو طالب جهد ايهانه بان ابن أخيه ليس ساحرا ولا كاذبا، وما قالته قريش زورا ومهتانا، فقال:

{من الكامل}

كسذبُوا وربِّ الراقسصاتِ الى الحَسرَمُ وهدو الأمينُ على الحرائسبِ والحُرَمُ ومسضتْ مقسالتُهم تسسيرُ إلى الأُمَسمُ (۱)

زعمت قريشُ أنَّ احمد ساحرٌ ما زلت أعرفُه بصدقِ حديثه بَهَنُوه لاسُعِدوا بِقَطْر بعدما

وأبوطالب ما زال يعرف صدق حديث ابن أخيه المعهود، فقد كان النبي عَلَيْظِهُ صادقا وظل على صدقه وهو امين على ما أنتمنه على ماله وحريمه، فالصدق والامانة كلاهما من صفات الانبياء يريد انها من صفات نبى الله محمد عَلَيْظِهُ.

ولما انتشرت دعوة رسول الله عَلَيْقِ للهُ لَتُوحِيد الله في صفوف قريش «اشتد اذى أبي جهل بن هشام للنبي عَلَيْقِه وعناده له، قال أبو طالب له: متهددا، وبالحرب متوعدا، ولرسول الله عَلَيْقِه ، ولدينه محققا ومعتقدا» ("):

{من الكامل}

فتميّسزوا غيظ أبسه وتقطَّعسوا سيقومُ بسالحَقِّ الجسليِّ ويسصدعُ زالت جدودُك تستخفُّ وتظلعُ وعنادَه من أمرهِ ما تسمعُ (٣)

صدق ابسنُ آمنة النبسيُ محمدً إن ابسنَ آمنة النبسيَ محمداً ان ابسنَ آمنة النبسيَ محمداً فاربغ أبا جهل على ظلَع فا

⁽١) م.ن: ١٨٥، الحريبة: المال، والجمع حرائب.

⁽٢) الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب: ٢٩٢.

⁽٣) الديوان: ٣٣٩.

سجل الشاعر اعلانا اخر بصدق نبوة ابن أخيه في شعره: «صدق ابن آمنة النبي محمدا»، ويؤكد تكرارا «ان ابن آمنة النبي محمدا» وقد جاء بالحق الواضح، وصدع بها امر الله تعالى بدعوته، وركز أبو طالب على نسب النبي إلى أمه؛ ليؤكد حقيقة، وهي أن نسبه من طرف أبيه معروف، اما ذكر نسب أمه، فربها أراد به أن يستميل أهلها إلى ابن أختهم، فضلا عن شرف نسبها الذي يفخر به.

وعقيدة الشاعر الراسخة في الايهان بالله ورسوله، كانت دافعا لان يتحدى صناديد الشرك، ومنهم أبو جهل الذي كان يدعى أبا الحكم في الجاهلية، فسهاه الرسول مَنْ أبا جهل، لجهله ومكابرته في عدم انباعه، وها هو أبو طالب يستعمل الاسم نفسه، فينهاه عن الحاق الأذى برسوله، ومن عناده في قتاله؛ لأن النبي محفوف برعاية الله وتأييده ونصرته.

وعما يلحظ أن الشاعر وقف بوجه أبي جهل لا لعصبية ابن أخيه وانها بصدق دعواه؛ لذلك ركز على صدق دعوته ونبوته، والحق الذي جاء به، وهنا تغيير فيها كان ساريا بين العرب من عصبية النسب إلى عصبية العقيدة.

ومن دلائل التصديق بالله ورسوله:

ـ أولاً: المعجزة :

أيَّد الباري تبارك وتعالى الرسل بالمعجزات التي تؤكد صدق نبوتهم، فالمعجزة سمة مقترنة بالانبياء والمعجز يجريه الحق على يد الرسل اقناعا للمعارضين، وتأييداً لدعوتهم، «وشاء الله ان تكون معجزة كل نبي من جنس ما يبرع به قومه؛ لكي تـؤثر في نفوسهم، وتستولي على عقولهم، فيسرعوا بالتصديق، ويبادروا إلى الايهان وهـو ما

يسعى إليه كل نبي مرسل "(1)، فكانت المعجزات دلالة واضحة وبرهانا ساطعاً على الايهان بصدق النبوة.

ومن المعجزات التي شاهدها أبو طالب "، واشاد بها لابن أخيه الرسول الكريم عَلَيْ الله المنزل عليه القرآن المجيد من الله العزيز الذي لا تدركه الابصار، فها نُزّل عليه من سورة «صاد»، وسور «حاميم» من العجائب التي يستأنس بها القلب، ويرتاح لها الفؤاد، فتستحق الاكبار والتعظيم فقال:

{من البسيط}

مُنَــــزَّلِ فِي كنـــابِ اللهِ معلـــومِ مـــا تنـــزَّلُ فِي صــادٍ وحــاميمِ فيــه بــصائرُ مــن حــقٌ وتعظــيم (٣) وقد أتانسا بحقٌ غير ذي عوج فيه عجائسبُ يرتساح الفوادُ لها من العزيز الذي لاشيءَ يدركُهُ

إنَّ نزول القرآن الكريم على النبي محمد عَلَيْهُ معجزة عقلية تحدى بها العرب جميعا وهم اهل الفصاحة والبيان ،ولا سيها سورة «ص» التي تفتتح بالحرف نفسه، والسور التي تضمنت الحرفين (حاميم) التي تفتتح بها السور: غافر، وفصلت، والشورى، و الزخرف، والدخان، والاحقاف، على الترتيب القرآني و «الحواميم

⁽١) دراسات في الادب الإسلامي: ٢٨.

⁽٢) ان ما نزل من القرآن الكريم في مكة هو ست وثهانون سورة، فلو فرضنا ان أبا طالب شهد نزول خسين سورة خلال زمن البعثة، فهذا يعني انه اطلع على كم وافر من السور المكية التي تتحدث عن التوحيد والعقيدة أكثر من حديثها عن التشريع كها هو معروف.

⁽٣) الديوان: ٢٤١.

ديباج القرآن» (١) ويسمين عرائس القرآن (٢)؛ لفضلهن، وهذه دلائل جلية على صدق ما جاء به النبي من الله تعالى، ليمضي في تبليغ رسالته في دعوته الى التوحيد، وازالة ظلام الشرك والوثنية من الفكر الجاهلي.

وأفصح أبو طالب عن معجزة حسية حصلت لابن أخيه قبل بعثته السريفة عندما اصاب القحط في مكة، وقد استحضرها وهو في حصار الشّعب ساعة نظم القصيدة اللامية «التي تعوذ فيها بحرم مكة وبمكانه منها، وتودد فيها أشراف قومه، وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم في ذلك من شعره انه غير مسلّم رسول الله عَلَيْظِيّهُ ولا تاركه لشيء أبداً حتى يهلك دونه» (").

فببركة وجه ابن أخيه استمطر الغهام، وهو ملجاً الأرامل والأيتام، يأتي إليه فقراء عشيرته من آل هاشم، فيكونوا في نعمة تزيد عليهم حتى يغدقوا بها على غيرهم، فقال أبو طالب:

{من الطويل}

وَأَبِبَضَ يُستَسقى الغَامُ بِوَجهِهِ ربيع البَّامى عِصمَةٌ لِلأَرامِلِ وَأَبِبَضَ يُستَسقى الغَامُ بِوَجهِهِ وَأَواضِلُ اللهُ عِندَهُ فِي نعمَةٍ وَقُواضِلِ (اللهُ عِندَهُ فِي نعمَةٍ وَقُواضِلِ (اللهُ عِندَهُ فِي نعمَةٍ وَقُواضِلِ (اللهُ عِندَهُ أَلَى اللهُ عَندَهُ عَندَهُ أَلَى اللهُ عَندَهُ عَندَهُ عَندَهُ اللهُ عَندَهُ اللهُ عَندَهُ عَندَهُ عَندَهُ عَندَهُ عَندَهُ عَندُ عَندَهُ عَندَهُ عَندَهُ عَندَهُ عَندَهُ عَندَهُ عَندُ عَندَهُ عَندُ عَندُ عَندَهُ عَندُ عَندُ عَندُ عَندَهُ عَندُ عَندَهُ عَندُ عَندُ عَندَهُ عَندُ عَنْ عَندُ عَندُ عَندُ عَنْ عَندَ عَندُ عَنْ عَندَ عَندَ عَندَاءُ عَندَ عَندُ عَندُ عَندُ عَندُ عَندُ عَندُ عَندَاءُ عَندُ عَنْ عَندُ عَنْ عَندُ عَندُ عَندُ عَنْ عَندُ عَنْ عَندُ عَنْ عَندُ عَندُ عَندُ عَندُ عَندُ عَندُ عَندُ عَندُ عَندُ عَنْ عَنْ عَندُ عَندُ عَندُ عَنْ عَندُ عَنْ عَنْ عَنْ عَندُ عَنْ عَندُ ع

إنَّ من ارهاصات النبوة رعاية الله تعالى للمصطفى وهو صغير ما روي ان القرشيين شكوا إلى أبي طالب القحط في مكة، فقالوا: «يا أبا طالب، اقحط الوادي،

⁽١) كنز العمال في سنن الاقوال والافعال: ١٤٤/١.

⁽٢) ظ: الجامع لاحكام القرآن: ١٥/ ٢٨٨.

⁽٣) السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٢٧٢، ظ: الديوان: ١٩٨ – ١٩٨.

⁽٤) الديوان: ٥٥.

واجدب العيال، فهلم واستسق، فخرج أبو طالب ومعه غلام كأنه شمس دُجن تجلت عنه سحاب قثماء، وحوله أغيلمة فأخذه أبو طالب فالصق ظهره بالكعبة ولاذ باصبعه الغلام، وما في السهاء قزعة فاقبل السحاب من ها هنا وها هنا واغدق واغدودق وانفجر له الوادي واخصب البادي والنادي»(1).

ولا يخفى وقع معنى البيتين في نفس المصطفى عَيَّالِكُم موقعا حسنا فيها تلمح اليه الرواية: ان اهل المدينة اصابهم قحط شديد _ بعد بعثته _ فاستغاثوا بالرسول فاستسقى لهم، فها لبث ان جاء المطر، ما خشي من أهل المدينة من الغرق، فشكو ذلك الى رسول الله عَيَّالُهُ (" فقال: «اللهم حوالينا ولا علينا، فانجاب السحاب عن المدينة حتى استدار حولها كالإكليل. فضحك رسول الله عَيَّالُهُ حتى بدت نواجذه، ثم قال: لله دُّر أبي طالب! لو كان حيا لقرت عينه. من ينشدنا قوله؟ فقام على عليه فقال: يا رسول الله، لعلك اردت: وابيض يُسْتَسْقَى الغهامُ بوجهه) قال: اجل ، فأنشده أبياتاً ورسول الله يستغفر لأبي طالب على المنبر» " فقول رسول الله: «لله در أبي طالب...» تصريح منه على أن أبا طالب لو رأى مشهد استسقاء رسول الله، لخالجه شعور الحبور والسرور والفرح ولقرت عيناه، لانه مطمئن القلب ، ثابت العقيدة على يقين ان ابن أخيه له وافر

⁽۱) الخصائص الكبرى: ١/ ٨٦، سمط النجوم العوالي في انباء الاوائل والتوالي: ١/ ٣٦١، كأن شمس دُجُن: ذات يوم داجن أي مظلم، وحوله أغيلمة: تصغير أغلمه جمع غلام، قزعه: القطعة من السحاب، أغدودق: كثر قطره، ظ: شرح المواهب اللدنية: ١/ ١٩٠.

⁽۲) السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٢٨٠- ٢٨١، صحيح البخاري: ١/ ٢٣٩- ٢٤١، صحيح مسلم: ١/ ٣٩٣، دلائل النبوة لابن نعيم: ٣٨٣ «حديث الاستسقاء».

⁽٣) شرح نهج البلاغة: ١٤/ ٨١، ظ: شرح شواهد المغني: ١/٣٩٨، بحار الانوار: ٣٥/ ١٦٨. الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة: ٧٥.

البركة، وشرف المنزلة، والمكانة السامقة، وجليل الاثر عند ربه، فمنحه هذه الكرامة الجليلة، فمما لا شك فيه أنَّ استذكار الرسول لحادثة الاستسقاء القديم بحضور أبي طالب يؤكد تصديقه به قبل البعثة، فمدحه بالاستسقاء بوجهه.

ومن الآيات ما جاء في خروج النبي محمد عَلَيْهُ وهـو صـغير مـع عمـه أبي طالب الى الشام، آية الغمام التي اظلته فسجلها أبو طالب في شعره:

ف ذلك من اعلام وبيان وبيان وليس نهارٌ واضعٌ كظ الام

رأى الراهب صفات وعلامات استدل بها على أنه النبي الموعود في كتبهم، شاهد غهاما تظله من بين القوم، فإذا وقف وقفت واذا سار سارت، فنظر الى الغهام حتى اظلت الشجرة التي تحتها ومالت اغصان الشجرة عليه، فأدرك الراهب أن هذا الحدث العجيب لا يكون إلا لنبي مرسل فنزل من صومعته "، ووقف امام النبي عمد منحني الرأس معظها اياه، ثم ضمه إلى نحره، وصدره جذلا ببشارة النبوة، ودوّن أبو طالب هذه الحادثة في شعره عندما بُعِث ابن أحيه، ليؤكد أن الله تعالى كان

⁽١) الديوان: ١٦٦ – ١٦٧.

 ⁽۲) ظ: الطبقات الكبرى: ١/ ١٥٤، دلائل النبوة لابن نعيم: ١٢٦، دلائل النبوة ومعرفة احوال صاحب الشريعة - البيهقي: ٢/ ٢٧، إعلام الورى بأعلام الهدى: ١٧، ، صفة الصفوة: ١/ ٣٣، عيون الاثر في فنون المغازى والشمائل والسر: ١/ ٤١.

يرعاه من صغره بهذه الدلالة، ويدعو من شهد معه هذه الحادثة ليتذكرها فيشهد بذلك، ولا نستبعد ان هذه الحادثة كانت معروفة عند قريش قبل البعثة فأبو طالب يعيدها على مسامع قريش وكأنّه يدعوهم إلى الايهان بالنبوة بعد أن آمنوا بهذه الحادثة التي طرقت مسامعهم.

إنَّ تدوين أبي طالب لهذه المعجزة في شعره، وجعلها من العلامات الدالة على نبوة ابن أخيه دليل منه على تصديقه، وعما يؤكد يقين أبي طالب في التصديق هو إخبارُ الراهب بحيرا له عن نبوة ابن أخيه، وذكر البشائر الدالة عليه وهو يوصيه «لاتخرجن بابن اخيك إلى ما ههنا فإنَّ اليهود أهل عداوة، وهذا نبي هذه الامة، وهو من العرب، واليهود تحسده تريد أن يكون من بني اسرائيل، فاحذر على ابن أخيك» (۱)، وما كان كلام الراهب إلا خشية على النبي من العيون التي تترقبه حسداً على نبوته.

ومما لاشك فيه أن الراهب بحيرا قد قرأ في الكتب السهاوية ان هذا الزمان زمن بعثته عَلَيْكُولُهُ . وأشار أبو طالب الى آبة اخرى، فابن أخيه الأمين والحبيب المصطفى بين عباد الله، والمهاب بينهم، معلم بخاتم النبوة، فالجاهل فيه ليس كالعالم به، فقال:

(من الطويل)

بخــــانمِ ربِّ قــــاهرٍ للخَــــوانِمِ ومــا جَاهــلٌ في فعلــه مثــل عَــالمِ^(٢) أمين حبيب أفي البلادِ مُسسوَّماً يسرى الناسُ برهاناً عليه وهيبةً

⁽١) الطبقات الكبرى: ١/ ١٥٥.

⁽۲) الديوان: ۲۲٤، يريد بالخواتم الرجال اصحاب الخواتم، وخاتم النبوة: شامة خضراء أو سوداء عتفرة في اللحم، أو كغدة عند غضروف كتفه اليسرى مثل التفاحة، ظ: الرَّوض الأُنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٣١٥- ٣١٦.

فخاتم النبوة آية موثقة بالشاهد والدليل وبرهان واضح على صدق نبوة ابن أخيه، ويريد الشاعر أن يدعو قريشا إلى الايهان به وتصديقه ونصرته (١)، فقال وهو يذكر صفة النبي عَلَيْظِهُ المعلم بخاتم النبوة:

{من البسيط}

ف آمنوا بنبسيِّ - لا أبسا لكُسمُ - ذي خساتم صساغه السرحمنُ مختسوم (٢)

وذكر أبو طالب معجزة أخرى لابن أخيه - بعد بعثته - وهي «أن أبا جهل بن هشام جاء الى النبي عَلَيْظِهُ ومعه حجر يريد أن يرميه به إذا سجد رسول الله عَلَيْظِهُ ، فرفع أبو جهل يده فيبست على الحجر، فرجع وقد التصق الحجر بيده، فقال له اشياعه من المشركين: أجبنت؟ قال: لا ولكني رأيت بيني وبينه كهيأة الفحل يخطر بذنبه بذنبه هأ فأنشد أبو طالب ابياتاً متعجباً وموثقاً لهذه المعجزة في القصيدة التي حذر فيها قومه من انكارهم لبعثة رسول الله (3):

{من المتقارب}

عَجائِ بُ فِي الحَجَ رِ اللَّهِ صَقِ إلى السمّابِرِ السمّادِقِ المُتَّق بِي عَلَى رغم ذا الخائنِ الأَحَقِقِ وَأَعجَبُ مِن ذَاكَ مِن أَمرِكُم بِكَفَّ الَّذِي قَامَ من حِينِهِ فَأَيبَ سَهُ اللهَّ فِي كَفِّ سِيهِ

⁽١) الديوان: ٢٤١.

⁽۲) م . ن: ۱ ۲ ۲ .

⁽٣) الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب: ٢٢٣، ظ: شرح نهج البلاغة: ١٤/ ٧٤، البداية والنهاية في التاريخ: ٣/٣٤، الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة: ٥٣.

⁽٤) ظ: الديوان: ٢٥٥.

أُحَيهِ __ قِ مُحْـرومِكُم إِذْ غَـوى بغَـيّ الغُـواةِ وَلَم بَـصدقِ (١)

فهذه الأبيات أقرب إلى الهجاء مع دعوة التصديق التي يدعو اليها أبو طالب فهو يذكر أبا جهل بها وقع له ورواه بنفسه، وهذا ادعى للتصديق، فإن لم يُصدِّق بها وقع له فهو احمق، وتفصح الابيات أيضاً عن التصديق برسول الله المُعالِقة بالمعجزة التي شرف الله رسوله، وخصه بها، تعظيها لمكانته عنده، وتأييدا لنصرته.

ومما تقدم يتبين: أن ذكر أبي طالب العلامات والآيات والمعجزات التي حركت شاعريته تنم عن غاية في نفسه، وهي دعوة عشيرته وقومه لتصديق رسول الله علم أنه وليكونوا جميعا صفا واحدا تحت راية الإسلام في نصرة حاملها، وتأييده واتباعه، ومن ثم شمول دعوته البلاد العربية عامة ، ومن حولها، وكان لسان أبي طالب جهادا شعريا لاستجلاب قريش إلى الدعوة الإسلامية، وهو يقدم الدلائل والبراهين المشهودة على صدق نبوة رسول الله عَلَيْظِيَّة .

ـ ثانياً: النصرة:

النصرة منقبة خُلقية جليلة يثنى عليها الرجل الكريم الفاضل في قومه يسرى من الواجب عليه حماية من يطلب منه الجوار ونصرته، فجذورها متأصلة في سجية العربي المجبول على الغيرة، وحفظ الحرمة، وصيانة العرض، وتعدمن فضائل العربي التي تستحق الاشادة والافتخار، فمنعة المنصور منعة للناصر، والحاق الأذى به يتبعه إلحاق الأذى له، وتمثل صورة حية وصادقة للحياة الاجتماعية عند العرب، وقانونا مستمدا اصوله من التضامن الاجتماعي بينهم، ونجد اشارات ثرة لهذه

⁽١) الديوان: ٢٢٥- ٢٥٦.

الفضيلة تغنى بها الشعراء قبل الإسلام(١).

اما في ظل الإسلام فاتخذت طابعا دينيا في أكثر الاحايين لمساندة الدعوة الإسلامية، ويتبنى أبو طالب نصرة ابن أخيه التي كان مبعثها الاعتقاد السليم بها جاء به النبي المبعوث تَنْيُواللهُ ؛ ولان حمايته حق مفروض عليه، وواجب موكل اليه اسنده والده عبد المطلب له؛ لأن نبوته بشرت بها الكتب السهاوية القديمة التي كان والده قد قرأها، وانبأه بها زدعلى أنَّ النصرة تكفلتها عادات المجتمع العربي وتقاليدهم، فأعلن أبو طالب نصرته وحمايته لابن أخيه ليجهـر بدعوتـه المباركـة «اخـرج ابـن أبي فإنـك الرفيع كعبا؛ والمنيع حزبا، والأعلى أبا، والله لا يسلقك لسان إلا سلقته ألسن حداد، واجتذبته سيوف حداد، والله لتذلنَّ لك العرب ذل البهم لحاضنها، ولقد كان أبي يقـرأ الكتاب جميعا ولقد قال: إن من صلبي لنبياً لوددت انى أدركت ذلك الزمان فآمنت بـ ه فمن أدركه من ولدى فليؤمن به» (١)، وافتخر أبو طالب بشعره بنصرته لرسول اللهُ عَلَيْكُ وحمايته له عندما اضحى في قريش اتجاهان متـضادان: الأول، اتجـاه المسلمين في سريان المد الإسلامي بين رجال قريش والثاني، اتجاه المشركين المنضاد والثنائر على المد الإسلامي، وبات أبو طالب يخشى أن يعلن هذان الاتجاهان حرباً لايعرف عقباها، ويأبي الرسول إلا ان يمضي في تبليغ رسالة السماء بقوة وعزم وصرامة.

فلما رأى أبو طالب قوة ابن أخيه وايمانه، وثبات عزيمته، واصراره على المبدأ قال له يطيب خاطره، ويوعده بالنصرة مرة أخرى «أمض على امرك وافعل

⁽١) ظ: الفروسية في الشعر الجاهلي: ٢٨٤، ٢٨٨، ٣٠٨.

 ⁽٢) الغدير في الكتاب والسنة والادب: ٧/ ٣٤٩، نقلا عن نهاية الطلب وغاية السؤل في مناقب آل
 الرسول لإبراهيم بن محمد الدينوري.

ما احببت فوالله لا نسلمك لشيء ابدا (١) وأنشد:

{من الكامل}

وَاللهِ لَسن يَسصِلوا إِلَيكَ بِجَمعِهِم حَتَّى أُوسَّدَ فِي السَّرُابِ دفينسا المَّسَوِ لَا مَسكَ عُيونسا المَ

يعد أبو طالب الركيزة الأولى لدعائم الإسلام في نصرته لرسول الله عَلَيْهِ الله عَلَيْهِ الله عَلَيْهِ الله عَلَي سلامته وحمايته ومؤازرته له طول مدة البعثة حتى عماته، فقد فداه بنفسه وحافظ على سلامته بقوة، وكان يحنو عليه حنان المشفق على ولده المحب له، فوجّه أبو طالب شعرا إلى خصوم رسول الله عَلَيْهِ مهدداً ومتوعداً، على الرغم من ان المواجهة لم تقع بين الطرفين قال:

{من المتقارب}

بِسيضٍ تَسلالا كلمسع السبُروقِ حسدارَ البسوادر وَالحَسنفَقيقِ حِمايَسةَ حسامٍ عَلَيهِ شَسفيقِ دَبيسبَ البِكارِ حدارَ الفَنيسقِ دَبيسبَ البِكارِ حدارَ الفَنيسقِ كسازارَ لَبستُ بِغيسلٍ مَسضيقِ (٣)

نَصَرُنا الرَّسولَ رَسولَ الْلَبكِ بِصَرُنا الرَّسولَ الْلَبكِ بِصَرِنا الرَّسولَ الْلَبكِ بِصَرْنِ التهابِ أَذُبُّ وَأَحْسي رَسولَ الْلَبكِ وَأَحْسي رَسولَ الْلَبكِ وَمَا اللَّلِيكِ وَمَالْفِيلِ الْمُلْكِ الْمُعدائِ اللَّهِ وَلَكِسنَ أَسُلُ الْمُعدائِ السيامِ اللّهِ اللّهُ اللّهِ اللّهُ اللّهِ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ

⁽۱) السير والمغازي: ١٥٤، ظ: أنساب الأشراف: ١/ ٢٣٠، مناقب آل أبي طالب: ٥٣/١، شرح نهج البلاغة: ١٤/ ٥٤، شرح شواهد المغنى: ٢/ ٦٨٧.

⁽٢) الديوان: ١٨٩.

⁽٣) الديوان: ١٧٤، الخنفقيق: الداهية، البكار: مفردها البكرة وهي انشى من الإبل، الفنيق: الفحل المكرم عند أهله لايؤذى ولا يركب لكرامته، الغيل: عرين الأسد وموضعه.

إنَّ نصرة أبي طالب لابن أخيه اساسها الهداية، ونصرة الدين، واعلاء كلمة الحق التي بُعث المصطفى من أجلها وهو يردد «نصرنا الرسول رسول المليك، أذبُّ وأحي رسول المليك» فنصرة أبي طالب متأتية من التصديق برسالة رسول الله عَلَيْظِهُ والاقرار بانها رسالة سهاوية، وهاتان حقيقتان من حقائق الايهان بالله، والتصديق برسول الله، والنسليم بها.

ولما رأت قريش نصرة أبي طالب لرسول الله وحماية قومه عنه، جاء نفر من قريش لأبي طالب يسامونه على ابن أخيه، فيعطونه عمارة بن الوليد؛ ليكون نصره وميراثه له على ان يدفع إليهم ابن أخيه، فغضب أبو طالب ونهرهم، فهموا بقتل نبي الهدى (۱).

فخاطبه رجال قريش حين طلبوا منه النبي عَلَيْظُ ليقتلوه على ان يعطوا بدله ولدا من عندهم إذ سألوه ان يتنازل عن مناصرة نبي الهدى؛ ليكون في نصرتهم، وطالبوه بتسليم احمد لهم على ان يعطونه مكانه ولدا آخر منهم، بيد أنّه لا يحفل بها يقولونه، فالله إلهه مانعه على من يريد الكيد برسوله من بني لؤي بن غالب، فلا يعطي ابن أخيه ليقتلوه، ويرعى ابنهم ليتبناه، فهذا لن يكون ابدا، ولن ينقض عهداً قد قطعه على نفسه في تربية أحمد ورعايته وحمايته، فقال:

{من الطويل}

وَ غالِبُ لَنسا غَسلابَ كُسلِّ مُعالِبِ بَنِيساً وَلا تَحَفسل بِقَسولِ المُعاتِسبِ عَسلى كُسلِّ بساغٍ مِسن لُسؤيِّ بسنِ غالِسبِ

يقولونَ لي: دَعْ نَصرَ مَن جاءَ بِالْهُدى وَسَالًم إِلَيْسَا أَحَسداً وَإِكفلسن لَنا فَقُلستُ لُمُسَاءً اللهُ رَبِّ وَنساصِري

⁽١) ظ: السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٢٦٧، أنساب الأشراف: ١/ ٢٣١.

أأُجْــزِركم ابنــي وأُخفِــرُ ذِمَّتــي واكفـل إبنـاً لابـن عَمَّـى وصــاحبى (١)

وأبو طالب صاحب عقيدة راسخة في الايهان بالله ينبهنا عليها شعره: «يقولون لي: دع نصر من جاء بالهدى» حال قوله، وليس حال قول المشركين، فاقرً بلسانه بان رسول الله الدليل الهادي إلى اخراج الناس من ظلمات الكفر والضلال إلى نور الهداية والايهان.

وأبو طالب صاحب قدم ثابتة في الإسلام يقول: «الله ربي وناصري» فالله ملاذه ومانعه وحاميه من شرور الناس، ومحمد مَيْ الله نبي الهدى كافله وناصره، فنفسه دونه في الملهات، لاظهار دعوته ونشرها في أرجاء بلاد الله.

وأبو طالب ليس ناصر الابن أخيه فحسب، وانها متبنياً لدعوته فيخاطب أخاه أبا لهب، وبني هاشم جميعا، وصديقه أبا عهارة، وآل بيته كلهم داعيا لنصرة ابن أخيه ولدعوته؛ لصلة الرحم، ولقرابة النسب، فيأمرهم بان يكونوا له يدا واحدة في اشهار سيوفهم بوجه أعدائه دفاعا عنه وعونا له، فإن لم يفعلوا، فلم يبق له سوى خيار واحد وهو أنّه سينصره، ويدافع عنه الذين يخذلونه بصولته:

{من الخفيف}

وَبَنَــي هاشِـم جَميعاً عِزينا وانِ طُــراً وأَسْرَق اجمعينا مَ سناءً وكان في الحسر دينا ري وَجُـري يقَـولتي الخاذلينا

قُسل لِعَبدِ العُسزّى أَخسي وَشَسقيقي وصسديقي أبي عُسسمَارة والاخسس إنْ يكسنْ مسا أتسى بسه أحسدُ البَسوْ فساغلَمُوا أَنْنسي لَسهُ ناصِرٌ دهس

⁽۱) الديوان: ۲۰۵.

وقف أبو طالب سداً منيعاً لحاية ابن أخيه ودعوته، فأخذ على عاتقه مناشده آل بيته وأخوته وعشيرته والمقربين ولا سيما الوليد بن المغيرة، وكأن الخطاب موجّه إليه قبل بني هاشم، لأنه أحد عظاء قريش وهو واحد من اثنين تقال فيهما الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا القُر آنُ على رَجُلٍ مِنْ القَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ " فجعله أبو طالب من أهل بيته في دعوته في الوقوف إلى جانب رسول الله عَلَيْهِ الله وهماية رسالته، فاستعطفهم بصلة الرحم ووشائج النسب متوسما فيهم الخير في نصرته.

وخطاب أبي طالب يؤمى، إلى أن نصرته لابن أخيه محكومة بتصديقه "إن يكن ما أتى به احمد اليوم سناءً وكان في الحشر دنيا، فاعلموا انني له ناصر دهري... " فوشيجة النسب، وصلة الرحم لم تدع أبا طالب الى حماية نبي الله فحسب، وانها عقيدته تدعوه إلى الافصاح بتصديق رسالته، وتأييد دعوته، ويريد أبو طالب أن ينبه آل بيته وأخوته وعشيرته والمقربين له جميعهم إلى أن قريشا مهما سعت جاهدة لاطفاء نور الإسلام ودعوة رسول الله فلن تستطيع أبدا.

ويتبنى أبو طالب الدعوة الإسلامية مرة أُخرى، وابلاغها إلى من اتصف بفضيلة الكرم، والمكانة السامقة من قبيلة كنانة، قد جاءكم رسول مبعوث من الله

⁽۱) الديوان: ۱۰۰، أبو عهارة: الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، ويكنى ابا عبد شمس أيضا، والوليد من المستهزئين المؤذين لرسول الله عَيَّالِللهُ مات بعد الهجرة بثلاثة اشهر أو نحوها، ودفن بالحجون، ظ: أنساب الأشراف: ١/ ١٣٣ – ١٣٣، ٢٣٢.

⁽٢) والثاني أبو مسعود عمرو بن عمير الثقفي سيد ثقيف، ظ: السيرة النبوية لابن هشام: ٢/٩.

⁽٣) الزخرف/ ٣١.

يقدم لكم الأعمال الصالحة، فأيدوه وانصروه؛ لأنه ملتحف برداء رباني:

(من الخفيف)

قُسل لِسَن كَانَ مِسن كِنانَـة في العِس زِ وَأَهسلِ النَّسدى وَأَهسلِ الفعسالِ الفعسالِ قَسد أَتساكُم مِسنَ اللَيسكِ رَسولٌ فَساقبَلوهُ بِسصالِحِ الأَعسسالِ وانسصروا أَحَسداً فَالِنَّ مِسنَ اللَّس سه رِداءً عليسهِ غَسيرَ مُسدَالِ (۱)

ومرة أُخرى يؤكد أبو طالب: أن ابن أخيه رسول مبعوث من عند الله (أتاكم من المليك رسول)، وعلى الناس قبول تعاليمه؛ لأنها هبطت من وحي السماء فيها الرشاد والفلاح للناس جميعا، فاعلن أبو طالب عقيدته في الايمان بالله تبارك وتعالى والتصديق برسول الله المبعوث من عنده عَلَيْظِهُ.

ولما حلَّ في صفوف المسلمين بعض الأمن والاستقرار، اجتمعت قريش على أن يكتبوا كتابا يتعاقدوا بموجبه على مقاطعة بني هاشم وعبدالمطلب "، فخطاب أبوطالب مشركي قريش، ولاسيما بطن كعب بن لؤي بن غالب، يعلمهم باستمراره في مؤازرته النبي محملة ويحذرهم مغبة معاداته، مستنكرا علمهم بمعرفته وحملهم على معاداته، فهو مثل موسى ورد ذكره في كتب الانبياء، وانه محفوف بهالة من حب

⁽۱) الديوان: ۲۰۷، كنانة: بطن من بطون قريش تدخل في النسب النبوي، ظ: أنساب الأشراف: ۱/ ۱۵ – ۳۵.

⁽۲) وتشمل بنود المقاطعة: حصار بني هاشم وعبد المطلب في شّعب أبي طالب، ويمنع الدخول إليهم، والخروج منهم، ولا يتزوجون منهم، ولا يزوجونهم، وتمنع الامدادات الغذائية والتعامل التجاري، ولا يرفع الحصار عن أبي طالب وعشيرته إلا ان يسلم محمدا عَيْنِينَ أو يموتوا جميعهم، ظ: السير والمغازى: ١٥٦، السيرة النبوية لابن كثير: ٢/ ٤٤.

الله الذي منحه لعباده لمحبة رسوله، فورب الكعبة لا نسلم محمدا أو نخذله في شدته: {من الطويل}

لُؤَيّاً وَخُصّامِن لُؤَيَّ بَني كَعبِ نَبيّاً كَموسى خُطَّ فِي أَوَّلِ الكُنسِ وَلا خَسبَرَ مِّسَن خَسصَّهُ اللهُ بِالحُسبِ

أَلا أَبلِغ عَلَى ذَاتِ بينِ الْمُ أَبلِغ عَلَى ذَاتِ بينِ الْمُ اللهِ عَلَى ذَاتِ بينِ الْمُ مَعَلَم وَ المَ أَلَمُ تَعلَم وا أَنْ علي و أَن العِب الدِيحَبِّ قَالَ المُعَالِم عَبِّ فَي العِب الدِيحَبِّ قَالَ المَّالِم المَّ

.

فَلَــسنا ـ وبيــتِ الله ـ نُــسلِمُ أَحَــداً

لِعَزَاء مِن نَكْبِ الزَمانِ وَلا كَربِ(١)

ففي النص جملة من الدلائل الموثقة في تصديق أبي طالب لنبوة رسول الله عمد عَلَيْهِ ألله ، فهو يذكر بطن كعب بن لؤي معرفتهم ببعثة النبي التي وردت بشارته بانه خاتم الانبياء على لسان جدهم كعبا الذي كان له علم ودراية واحاطة بكتب الانبياء: التوراة والانجيل، فها جاء في خطبته التي تضمنت العديد من الوصايا قوله: «... واعظموا هذا الحرم وتمسكوا به فسيكون له نبأ، ويبعث منه خاتم الانبياء بذلك جاء موسى وعيسى... » " فها على بطن كعب إلا التصديق بها جاء به من الكلام الالهي، ويومىء خطاب أبي طالب إلى ايهانه العميق وإسلامه الراسخ؛ لأن المرء لابدعو إلى الايهان والتسليم ما لم يكن مؤمنا مسلما صادق العقيدة، وهو يرفع هتافه «ألم تعلموا انا وجدنا محمد نبيا ... »، وقد اكد صدقه بها اوما إليه بان النبي محمد شبيه بموسى عليظ وزاد في تصديقه تأكيدا (خُطَّ في أولِ الكُتبِ)، فهذا دليل آخر على أنّه بُشِّر بمقدمِه ونبوتِه كل نبي له كتاب، ومن ثمة فهو ينبه على حقيقة عقائدية

⁽١) الديوان: ٢١١-٢١٢.

⁽٢) أنساب الأشراف: ١/ ٤١، ظ: الكامل في التاريخ: ٢/ ١٦.

أُخرى (ان عليه في العباد محبة ... خصه الله بالحب)، فقد حاز النبي محمد عَلَيْواللهُ محبة الله، ومحبة الناس فهو أفضل خلق الله؛ لأن الله تبارك وتعالى خصّه من دون عباده بفضيلة النبوة.

فنصرة أبي طالب لرسول الله لها جذور متأصلة في عقيدته الثابتة في الايمان بالله، وبمحمد رسول الله، وبالتصديق برسالته وبالرسل من قبله، وبالكتب المنزلة عليهم، وهذا يشير إلى أن أبا طالب له سبق حسن في الإسلام.

ويحمي أبو طالب المستضعفين من المسلمين ويدافع عنهم، وينصر كل من اعتنق الإسلام، واستنار بهديه، فهذا عثمان بن مظعون الصحابي الجليل يلقي ألوانا من العذاب والعنت عندما اسلم، فطلب جوار الوليد بن المغيرة فأجاره، ولما رأى عثمان ما في اصحاب رسول الله عيد الله عثمان ما في اصحاب رسول الله عيد أله من البلاء وهو يروح ويغدو في امان الوليد بن المغيرة، ردَّ جواره؛ ليكون في جوار الله، فحدث ان اعتدى عليه احد رجال قريش ولطم عينه، فأصابها(۱)، فغضب أبو طالب غضبا شديدا لهذا الامر، واستنكر انكار قريش في تصديق النبي، وما جاء به، فهو واضح مستقيم، تبينه وتفسره آيات ياسين، والشاعر في ذلك كله يريد من قريش اما ان يكفوا اذاهم بلين، واما ان يؤمنوا بالدين الجديد، فقال:

{من البسيط}

أُصبَحتَ مُكتَئِبًا تَبكي كَمَحرونِ؟ يَغشونَ بِالظُّلم مَن يَدْعو إِلى الـدِّينِ؟ أَمِن تَسذَكُر دَهس خَسير مَسأمونِ أَمْ مِسن تَسذَكُر أَقسوام ذَوي سَسفَه

- - - -

⁽١) ظ: أنساب الأشراف: ١/٢٢٨، والبداية والنهاية في التاريخ: ٣/ ٩٢ - ٩٣.

أَلا يَـــرَوْنَ ـ أَذَلَ اللهُ جَمعَهُـــمُ ـ _ إذا يَلطِمــونَ وَلا يَخــشَونَ مُقلَتـــهُ

أَنْسَا غَسِضِبنا لِعُسِثْهَانَ بِسِنِ مَظْعَسُونِ؟ طَعنساً دِراكساً وَضَرِبساً غَسِيرَ مَرهسُونِ

. . . .

وَنَمنَعُ السَصَّيمَ مَسن يَبغِي مَسضامَننا ومُرهَف اتِ كَانَّ اللِسحَ خالطَها حَنِّى تُقِرَّ رِجسالٌ لا حُلومَ لَها أو يُؤمِن وابِكت إلى مُنوزُل عَجَسِ يَاني بِأَمرِ جَالِيٌّ غَدرٍ ذي عِسوَج

بِكُلِّ مُطَّرِدٍ فِي الكَفَّ مَسنونِ يُشْفَى بِسا الدَّاءُ مِن هامِ المَجانينِ بَعددَ الصَّعوبَةِ بِالإسماحِ وَاللَّينِ عَلى نَبِيٍّ كَموسى أو كَذي النُّونِ كَسما تَبَسبَّنَ فِي آيساتِ باسينِ (1)

يتجرع أبو طالب المرارة من فعل مشركي قريش في تعذيبهم المسلمين والنيل منهم، ليفتنونهم عن دينهم؛ وليرجعوهم إلى ملتهم القديمة، وأبو طالب يزداد اصرارا في نصرة النبي؛ ليصدع بامر الله تعالى ويمنع مشركي قريش من إيذاء أصحابه والله أن فلا يرضى أن ينال احداً من المسلمين ضيم، أو أذى من (يدعو إلى الدين) الجديد، وهو يتحدى المشركين بالقرآن المجيد الذي انزله الحق تبارك وتعالى على نبيه، فبهرهم به وسحر عقولهم، فوصف بالعجب، لم تشهد العرب قبله، وما يقوله النبي ليس بقول شاعر و لا بقول ساحر.

ويؤكد أبو طالب نبوة ابن أخيه (نبي كموسى أو كذي النُّون) ، ويعلن ايهانه بالرسل وبرسالاتهم، وبها جاء به النبي محمد المُنْ أمر واضح ومستقيم وصفته آيات ياسين وبينته (٢).

⁽١) الديوان (التونجي): ٩٤ – ٩٥، دراكا: متنابعا، المطرد: المستقيم وهو وصف للرمح المقدر.

⁽٢) ظ: يس/ ١ - ٤.

ومما تقدم يتبين:

إنَّ مواقف أي طالب الجهادية لنصرة دين الله ومحاماة رسوله، وأصحابه تنم عن إيان صادق بالشريعة الإسلامية منذ مهدها إلى أن ترسخت دعائمها، وهو ناصر لكل من يعتنقها، مانع للضيم لكل من يستجير به، ومن مظاهر النصرة ما يأتي:

- الحث على الصبر:

تحولت فضيلة الصبر من اطارها النفسي إلى اطارها العبادي عندما اقربها الشريعة الإسلامية (۱) بانها كنز من كنوز الايمان (۱) فحث أبو طالب عليها في شعره عندما ازمعت قريش على ادخال بني هاشم وبني عبدالمطلب عشيرة رسول الله علي في الشّعب وباتت تخطط لاغتيال رسول الله، فاوجس أبو طالب منهم خيفة، وكان في الشّعب وباتت تخطط لاغتيال رسول الله، فاوجس أبو طالب منهم خيفة، وكان لاكثيرا ما يخاف على رسول الله علي البيات إذا عرف مضجعه، فكان يقيمه ليلاً من منامه، ويضجع ابنه علياً مكانه، فقال على ليلة: يا أبت، إنى مقتول (١) (١).

والامام لايخشى الموت وهو يدافع عن ابن عمه، وانها أراد أن يبين طاعته لأبيه، في فداء نفسه لابن عمه ونصرته له، وهو لا يقل عن فداء أبيه بنفسه لابن أخيه، فحثه أبو طالب على التحلي بالصبر وحضه على طاعته، فهذا اولى له من الجزع؛

⁽۱) ظ: تمشيلالا حصرا: هود/ ۱۱۵، النحل/ ۱۲۷، لقمان/ ۱۷، الاحقاف/ ۳۵، الطور/٤٨، المعارج/ ٥، البلد/ ۱۷.

⁽٢) ظ: كنز الفوائد: ١/ ١٤٠.

⁽٣) شرح نهج البلاغة: ٤/ ٦٤، ظ: بحار الانوار: ٣٥/ ٩٣، الدرجات الرفيعة في طبقات السبيعة: ٤٢، و حان على طلط لل البيرى أحداً يسب النبي عَلَيْكُ إلا وثب عليه، وكان في كل يوم يجيء إلى أبيه مضروبا مشجوجا فقال له في ذلك أبو طالب ... {الابيات} الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب: ٢٧٧- ٢٧٧، ظ: الديوان: ٢٢٠.

لأن الموت امر محتوم على كل انسان، وان البلايا جسام، وسهام المنايا عظام، وقد تصيب، أو تخطئ، وكل امرىء مهما طال عمره آخذٌ بنصيب منها، فقال:

{من الخفيف} كُسلُّ حَسيٌّ مَسصيرُهُ لِسشَعُوبِ لِفِسداءِ النَّجيبِ وَابِنِ النِجيبِ قِسبِ وَالباعِ والفناءِ الرَّحيبِ فَمُصيبٌ مِنهَ وَغَسيرُ مُسصيبِ آخِدُ مِسن سسهامها بدنوب(۱)

إصطبر يا عَلَيُ فَالصَبرُ أَحجى قَد بَالِناك وَالسَبلاء عسيرُ وَالسَبلاء عسيرُ لَا لَفُ النَّسِ النَّا الْفَا الْأَغُرِّ ذِي الْحَسَبِ النَّا الْفَا الْمُنْ الْمُنْمُ الْمُنْمُ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْمُ الْمُنْمُ الْمُنْمُ الْمُعْمُ الْمُنْمُ ال

إن حثّ أبي طالب ولده على الصبر لا لأنه كان خانفا؛ وإنها ليؤكد حرصهم جميعا على نصرة رسول الله، فكان أبو طالب متفانيا في نصرة ابن أخيه؛ لان يفدي ابنه له، ويبدو أنَّ الدافع الديني عند أبي طالب أقوى وأعظم من الدافع العاطفي لوشائج القربى، فمها بلغ المرء من وشيجة النسب، وصلة القرابة، وحبه لابن أخيه، لا يرضى أن يتعدى على معتقداته، وأن يقام دين محل دينه ما لم يكن مؤمنا إيهانا عميقا بالدعوة الإسلامية، ومعتنقا إياها، وهذا ما تترجمه افعال أبي طالب، وتهالكه في بذل نفسه وولده دون نبي الله على الله عبر عب بالصبر ويحث عليه؛ لأن الرجال الصابرين المؤمنين هم الذين ينهضون باعباء الدعوة الإسلامية ونشرها. ويدعو أبو طالب اخاه الحمزة _ عندما اسلم _ الى التجمل بالصبر والثبات؛ لتحمل أعباء الرسالة المحمدية، ويحثه على اتباع رسول الله علي الله عن ويناشده مناصرته:

{من الطويل}

اصَبِرْ أَبِا يَعِلَى عَلَى دينِ أَحَدِ وَكُنْ مُظْهِراً لِلدينِ وُفَّقتَ صابِرا

⁽١) الديوان: ٢٢٠- ٢٢١، أحجى: أولى، شعوب: المنية.

وَحُط مَن أَتى بِالحَقِّ مِن عِندِ رَبِّهِ فَقَد سَرَّن إِنْ قُلتَ إِنَّكُ مُسسُلِمٌ وَبادِ قُرَيسُماً بِالَّذِي قَد أَتَيتَهُ

بِسِدِقِ وَحَـقٌ لا تَكُـن حَـزَ كـافِرا فَكُـسن لِرَسسولِ اللهِّ فِي اللهِّ نساصِرا جهاداً وَقُل: ما كانَ أَحَدُ ساحِرا(''

انصاع حمزة بن عبد المطلب (رضى الله عنه) لدعوة أخيه أبي طالب عندما طلب منه الانضواء ضمن اتباع ابن أخيه، واتباعه ومناصرته «فكان حمزة ممن اعز الله بـه الدين»(٢) بعد أبي طالب، وما عليه إلا ان يتجرع الصبر محتسبا في سبيل الإسلام ولم تثن عزيمة أبي طالب عداوة قريش له ولابن أخيه، فقد كان طول رفقته معه صادقا به مؤيدا لدعوته، صحيحا في اعتقاده وهو يردد (وحُط من أني بالحقِّ من عند ربِّه • بصدق وحقَّ ...) فهذا اعلان ساطع بالايهان بالله، والتصديق برسول الله عَيَاللهُ، ودخول عم النبي الحمزة (رضى الله عنه) الإسلام دعـم للرسـالة المحمديـة، وقـوة، ومنعه لحامل الرسالة في نظر اعدائه والمناوئين له، فكان لإسلامه أثر بالغ في نفس أبي طالب (فقد سرني إنْ قلتَ إنَّك مُسلمٌ)، فيمتليء حبورا لإسلام أخيه، ويأمر بالانصياع واقتفاء اثر مسيرة رسول الله، ونصرته ومؤازرته، (فكن لرسول الله في الله ناصرا)، فنصرته لرسول الله مبعثها مرضاة الله وليس رابطة القربة فحسب، ويلزم أبوطالب أخاه باعلان إسلامه امام رؤوس الشرك من قريش واعلامهم بأن ابن أخيه رسول من عند الله صادق القول وليس ساحرا بحسب زعم مشركي قريش. وإسلام حزة (رضى الله عنه) يعنى قوة ركني: النبي عَلَيْهُ وأبي طالب، واعلاء كلمة الدين، واضعاف قريش، بل إن إسلامه اقترن بضربه لأبي جهل لأنه أساء للمصطفى عَيَيْظُهُ.

⁽١) الديوان: ٢٥٣ - ٢٥٤، أبو يَعْلَى: كنية الحمزة بن عبد المطلب.

⁽٢) السير والمغازي: ١٧٢.

ودعوة أبي طالب لأخيه الحمزة إلى التجمل بالصبر والثبات على دين رسول الله عَلَيْ الله عَلَيْ الله عَلَيْ الله عَلَيْ وَ إِلَا الله عَلَيْ عَلَيْهِ أَلِي الله المحيحة بالإسلام.

_ النصيحة:

هو الشعر الذي يوجِّه إلى الأبناء والأقارب، عندما تكون غمامة تحجب الحق من ظهوره، ويراد به الخير في ملازمة الحق واتباعه باخلاص وتفان، فاذا كان لاجل الله عبرت النصيحة عن صدق الاعتقاد، والوحدانية، واخلاص النية في عبادة الله، والتصديق برسوله، والكتاب المنزل عليه، والانقياد له.

والانقياد يعني إرداف منهج رسول الله على هداه وافعاله والسير على هداه في طاعته، وكان هذا منهج أبي طالب في نصحه فقد وجه نصحه إلى أولاده، ولاسيها أمير المؤمنين باتباع النبي عَلَيْوَالْمُ وحضّه على نصرته، وهو يقول له: «يابني الزم ابن عمك فانك تسلم به من كل بأس عاجل وآجل» (1) وأنشد:

⁽۱) الديوان: ۱۷۰، شرح نهج البلاغة: 18/ ۷۰، الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة: ٥٤، وذكر في إسلام أميرالمؤمنين عليه الله قال: «أي بُنيّ؛ ما هذا الدين الذي أنت عليه القال: ياأبت؛ آمنتُ بالله وبرسول الله، وصدقته بها جاء به، وصليت معه لله واتبعته... قال له: أما انه لم يَدْعُك إلا إلى خير فالزمه السيرة النبوية لابن هشام: ٢٤٧/١، ظ: الفصول المختارة: ٢٨٣، الإصابة في تمييز الصحابة: ١١٦٨.

ان تحنّث النبي عَيَّالَهُ في غار حراء، ولا يعلم أبو طالب وهو كفيله، يخالف منطق الاشياء، واحسب أن أبا طالب لم يفاجأ بنبوة المصطفى، وإنها كان ينتظرها، وسؤاله عن ابنه كان من أجل الاقرار بالدين، فهو استفهام للتقرير.

{من الكامل}

إِنَّ الوَثْيَفَ لَهُ لُكِرُوم مُحَمَّدٍ فَاشْكُدُ بِصُحبَتِهِ عَلَيُّ بَدَيكا(١)

لما كان اتباع النبي ونصرته السبيل إلى النور والهداية، واساس العقيدة في الايهان بالله ورسوله، امر أبو طالب ولده أمير المؤمنين عليم بتأييد ابن عمه في الاحوال كلها وملازمة صحبته، وامتثال أوامره، والشد على ساعديه، فنصرة أمين الله نصرة للدين الجديد وتقوية لدعائمه.

ويسلك أبو طالب منهجا واضحا في النصيحة لأبنائه طاعة لرسول الله عَلَيْهِ فقد كان «إسلام جعفر بامر أبي طالب ... مرّ أبو طالب ومعه ابنه جعفر برسول الله عَلَيْهِ وهو يصلي، وعلي عن يمينه، فقال أبو طالب لجعفر: صل جناح ابن عمّ ك، فجاء جعفر فصلي مع النبي عَلَيْهِ فلما قضى صلاته قال له: يا جعفر؛ وصلت جناح ابن عمك، إنّ الله يعوضك من ذلك جناحين في الجنة» (٢٠ فحث أبو طالب ولديه: على وجعفر المنهولا على اتباع النبي ونصرته عند احتدام الشدائد، وتأزم الكرب، فعندما يكونان مستعدين لملاقاة المحن يفاخر بها حينها ينتسب إلى المآثر ويحامي هو واسرته من دون النبي في مواجهة اعدائه؛ لأنهم يعدون أمة وحدهم، لعزتهم ومنعتهم، فأنشد:

⁽١) الديوان: ١٧٠.

⁽٢) الديوان: ١٧١، بحار الانوار: ٣٥/ ١٢١، يراد في الصلاة: ركعتان قبل طلوع الشمس، وركعتان قبل غروبها، كانتا في اوائل الإسلام، قبل ليلة الاسراء، كان يقوم بها الرسول عَيْنَا في اوائل الإسلام، قبل ليلة الاسراء، كان يقوم بها الرسول عَيْنَا قبل بعثته، ولا بجوز حمل هذه الصلاة على الصلوات الخمس المفروضة؛ لأنها فرضت ليلة الاسراء، ظ: الرَّوض الأُنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٤٢٣ - ٤٢٤، وكانت الصلوات الخمسة فرضت بعد موت أبي طالب بنحو سنة ونصف، فقد توفى في السنة العاشرة من البعثة.

عِندَ إحتِدامِ الأُمدورِ وَالكُدرَبِ سَامَيتُ أَو أَنتَمدي إِلى حَدسَبِ } (١) أخدى ابدن أُمّدي مِدن بَدينِهِم وَأَبِ

إِنَّ عَلِيِّا اَ وَجَعفَ رَا ثِقَت مِي إِذَا اللَّهِ الللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ الللَّهِ الللْمُعِلَّ اللَّهِ اللَّهِ الللَّهِ الللَّهِ الللَّهِ اللَّهِ الللْمُعِلَّ الللَّهِ الللَّهِ الللْمُعِلَّ اللْمُعَالِمُ اللَّهِ اللْمُعَالِمُ الللْمُعِلَّ الللْمُعَالِمُ اللْمُعَالِمُ اللَّهِ الللْمُعَالِمُ الللْمُعَالِمِلْمُ اللْمُعَالِمُ اللْمُعَلِمِي الْمُعَالِمُمِمِ الللْمُعِلَّ الْمُعَالِمُ اللْمُعَالِمُ اللْ

بَخذُله مسن بَنِسيَّ ذو حَسسب

نفربُ عنه الأعداء كالشُهُبِ فسنحنُ في النساس الأمُ العَسرب نحن وهنذا النبي أُسرتُ فَ إِنْ نَلْنُمنوهُ بكنل بَمْعِكسم

عا لا شك فيه أن الشعر يشيع في مكة والمشركون لا يؤمنون و لا يفهمون قوة العقيدة التي تحكم العلاقات بين المسلمين، فخاطبهم أبو طالب بها يفهموه هم، فهو ينصر المصطفى عَلَيْ الله ويدعو بنيه للنصرة لهذا السبب، ثم يقفيه بعقيدته الراسخة في الدين. ويبدو أن الدوافع المحركة لنصرة أبي طالب ابن أخيه عَلَيْ الله أنه ابن شقيقه من أمة وأبيه، فنصرته محكومة بصلة الرحم هذا من جهة ومن جهة أخرى انه نبي الأمة، وحامل رسالة جديدة تحمل افكاراً وعقائد تصطدم مع افكار المشركين وعقائدهم، وأصحاب الكتب الساوية على السواء، فكان لابدله من الحفاظ على حياة

⁽۱) الديوان: ۱۷۱ - ۱۷۲، والبيت بين القوسين اضافة في الديوان نفسه صنعة (أبي هفان): ١٣٧، أخبى ابن أُمي: يريد أن أم أبي طالب وأم عبد الله والد الرسول عَلَيْنِ واحدة فهي (فاطمة بنت عصرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي) أنساب الأشراف: ١/ ٨٨.

النبي عَلَيْهُ ومعاضدته، وشد ازره، لتخرج رسالته إلى النور وتمحو ظلام الجاهلية.

ونصيحة أبي طالب ولديه: على وجعفر عليه في الانتضام لابن عمها، والانضواء تحت شريعته، وحثها على نصرته، وعدم خذلانه، والثناء عليها، وجوده بنفسه وولده، وتأييده بقلبه ولسانه وسيفه، واخلاصه وتفانيه لمحبته، تلويح واضح على إيهان أبي طالب المقترن بالتصديق (لا اخذلُ النبيّ، وهذا النبيّ)، فقضية نصرته ابن أخيه وحمايته له ليست نصرة عم وحماية لابن الاخ فحسب، وانها قضية عقيدة ذات جذور عميقة ترتبط بالايهان.

ويغض أبو طالب الطرف عن مواقف أبي لهب في عداوته لرسول الله وتكذيبه له، ومعاونته لمشركي قريش في الكيد منه، ويدعوه ناصحا وموجها له ان ينضم لركب المسيرة المحمدية مخاطبا اياه؛ لدفع الظلم عن ابن أخيه لما في عمله هذا من الصلاح والعلو والشموخ، ويستجلب أبو طالب ابا لهب لمحاربة الاعداء ويستقطبه لمناصرته، ومناصرة رسول الله، ويحذره من العجز الذي لا يليق به، ومحاربة قومه، وهم لم يحاربوه ولم يخذلوه في الاحوال كلها، وقد كذبت قريش في زعمها بان قوم النبي محمد سوف يخذلوه ويقهروه، فهدد الشاعر قريشا بانها سترى حربا تشن عليهم في الشّعب ليس لها قائم ان ارادت قريش ذلك، فقال:

{من الطويل}

لَفي رَوضَةٍ مسا إِن يُسسام المَظالِسا أَبسام المَظالِسا أَبسا مَعْتَسبٍ ثَبِّست سَسوادَكَ قسائِما تُسسَبُّ بِهسا إِمّسا هَبَطستَ المَواسِسا فَإِنَّسكَ لَمُ تُحُلَق عَسل العَجسزِ جساثما

إِنَّ اِمسرَءا أَبسو عُتَيبَةَ عَمُّهُ اللهِ عُتَيبَةَ عَمُّهُ عُمُّهُ اللهِ اللهُ وَأَلِسَ مِنهُ نَصيحَتي -: وَلا تَقبَلَنَ اللهَ هرَ ماعِشتَ خُطَّةً وَوَلًّ سَبيلَ العَجيزِ - وَيْكَ - مِنهُمُ

أَخا الحَربِ يُعطى الخسفَ حَتَّى يُسالما وَلَمَ يُسالما وَلَمَ يُسالما وَلَمَ يُسالما

وَحارِب فَإِنَّ الحَربَ نِصفٌ وَلَن تَرى فكب ف وَلمَ يَجن واعلَي فَا جنايةً

••••

كَـــذَبتُم وَبَيـــتِ اللهُ يُبـــزى مُحَمَّــدٌ وَلَمَّا تَـرَوا يَوماً لَـدى السَّعب قـائِما(١)

خاطب أبو طالب أخاه بكنيته محاولا ان يحرك في نفسه وشائج الرحم لابن أخيه، فدعاه إلى نصرته وهو بهذا ناصح له باخلاص، وهذا نمط من الخطاب فيه روح إسلامية تتمثل بخفض الجناح واللين وصلة الرحم متلمسا وسيلة النصح والارشاد تارة، والحث والتحضيض تارة اخرى في استقطاب اخيه ابي عتبة، ليلتحق بالقافلة المحمدية ما استطاع؛ لأن أباعتبة من كبار خصوم رسول الله على أبن البالغ في قرارات المشركين، فلعله في مخاطبته اياه يخفف من وطأة تحامله على ابن أخيه، وحقده وكيده لدعوته، ويستجلب نصرته له؛ لأن قانون الحماية عرف اجتماعي فرضته طبيعة الحياة العربية، وطبيعة القربي لابن أخيه.

ومرة اخرى يخاطب أبو طالب أبا لهب ناصحا وحاثا له على نصرة رسول الله واعانته على اعدائه والدفاع عنه من اذى المشركين (٢) فقال:

⁽١) الديوان: ١٧٨، ابو عتبة: عبد العزى ابو لهب.

⁽٢) إنَّ سبب نظم القصيدة يرجع إلى أن أبا سلمة عبد الله بن عبد الاسد المخزومي، وأمة برّة بنت عبد المطلب من المسلمين الذين عُذِّبوا في إسلامهم، عذبه قومه وطلبوا منه الرجوع الى ملته القديمة، فهرب منهم، واستجار بخاله أبي طالب، ليمنعه من عداوة قريش، فطالب بنو مخزوم به، فأبى أبو طالب ردَّ جواره، وكثر لغط بني مخزوم فيه، فدافع أبو لهب عنه وعن حاميه، فطمع أبو طالب بها سمع من مناصرة أخيه له فقال هذه القصيدة ناصحا موجها، ظ: السير والمغازي: ١٦٤، اسد الغابة في معرفة الصحابة: ٣/ ٢٩٥، البداية والنهاية في التاريخ: ٣/ ٩٣.

عَجِبتُ لِحِلم بِاابنَ شَيبَةَ عِازِبِ يَقُولَ وَنَ: شايع مَن أَرادَ مُحَمَّداً أضاميم إمّا حاسِدٌ ذو جناية فَــلا تَــر كَبَنَّ الــدَهرَ مِنــهُ ذِمامَــةً وَلا تَترُكنهُ مساحَييت لِمُعظم وَراجِم جَمِيعَ الناس عَنهُ وَكُن لَهُ فان له قُربى لديك قريبة ولكنه من هاشم في صميمها فإن غَمضِبَت مِنهُ قُربِشٌ فَقُسل لها: فَسها بالنسا يَغسشَونَ مِنسهُ ظُلامَسةً وَلَكِنَّا أَهِ لَ الْحَفِ النَّهِ وَالنَّهِ فَ النَّهِ فَ النَّهِ فَ النَّهِ فَ اللَّهِ فَ اللَّهِ اللَّهِ ال

بــسوء وتُــم في أمـرو بخِــلانِ وَإِمِّسا قَرِيبٌ مِنسكَ غَسيرُ مُسصافِ وَأَنْسَتَ إِمْسُرُقٌ مِسِن خَسِيرِ عَبْسِدِ مَسْافِ وَكُنِن رَجُلِلاً ذَا نَجِلَةٍ وَعَفِانِ وإبلافهم في النساس خَسيرُ إلافِ وَزيراً عَلَى الأَعداءِ غَدِرَ مُجانِ ولسيس بذى حلف ولا بمُنضاف إلى أبحر فوق البحرو صواف بَنَى عَمِّنَا مِا هاشِمٌ بِضِعافِ وَمسا بسالُ أَرحسام هُستكنَ حَسوافِ وَعِدِّ بِبَطحاءِ الحطائم وافِ

حاول أبو طالب ان يحرك في أخيه أبي لهب العصبية للرحم من توجيهه لنصرة النبي عَيَيْظِهُ فتتجه نصيحته بالاشادة ببيان فضائله (وأنت امرؤ من خير عبد مناف)؛ ليستقطبه إلى صفه، وصف ابن أخيه؛ وليمهد لما يملي به بجملة من النصائح «لاتركبن الدهر منه ذمامة، ولاتركنه ما حييت لمعظم، وكن رجلا ذا نجدة وعفاف،

⁽۱) الديوان: ۱۷۷، شيبة هنو عبد المطلب، عازب: غائب، سخاف: نواقص، الأضاميم: مفردها الإضهامة وهي الجهاعة.

وراجم جميع الناس عنه، وكن له وزيرا على الأعداء غير مجافِ»، ومن شمّ يستعطفه بقرابته برسول الله (فان له قربى لديك قريبة)، فيرى أبو طالب أنَّ من باب الحكمة ان يستثير عواطف أخيه بمناشدة من هذا المسلك، فنصرته نصرة للرحم، والتقاليد التي تربى عليها وسط المجتمع العربي؛ ليوجب أبو طالب كف عداوة أبي لهب لرسول الله، واذاه له، وليمسك عن مساعدة مشركي قريش الناصبين العداوة لرسول الله ولدعوته، وليربك مخططاته ضد رسول الله، ولاحباط عزيمته في مواصلة عداوته له، ولتكسير شوكته في نظر مشركي قريش، وليفتح أبو طالب آفاقا جديدة لرسول الله في تبليغ دعوته.

ـ الوصية:

عرفت الوصية في شعر أبي طالب سبيلين: الوصي في رعاية ابن أخيه وحفظه، ومعاضدته، الوصية في شعر أبي طالب سبيلين: الوصي في رعاية ابن أخيه وحفظه، ومعاضدته، ودفع الضيم عنه والموصى في دعوة الأهل والعشيرة لمناصرة رسول الشَّمَيَّةُ في نشر دعوته ومؤازرته وهذا الطابع الذي يطبع شعر أبي طالب من إمارات ايمانه بنبوة ابن أخيه، وتصديقه بهاجاء من عند الله وتأييده للرسالة المكلف بها لأن أباطالب كان له علم ببعثة ابن أخيه منذ نعومة اظفار المبعوث ولاسيها عندماكان جد النبي عبدالمطلب يردد «ان لابني شأنا» (") استنادا لما بشر به من أهل الكتاب من أنه نبي هذه الأمة (")،

⁽١) ظ: المعمرون والوصايا: ١١٧- ١٦٧.

⁽٢) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي: ١/ ٢٧٠، ظ: أسنى المطالب في نجاة أبي طالب: ٤٠.

⁽٣) ظ: السير والمغازي: ٧٥، ، الطبقات الكبرى: ١١٨/١، أمتاع الأسماع بما للنبسي عَلَيْكُ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع: ٤/ ٣٦- ٣٧، سمط النجوم العوالي في انباء الاوائل والتوالي: ١/ ٢٧٠.

ومثل هذه العبارات كانت تطرق مسامع أبي طالب، فقال لبعض من كان بمكة من أهل العلم عندما ظهرت على ابن أخيه علامات النبوة: «لقد انبأني أبي عبد المطلب بأنه النبي المبعوث وأمرني أن استر ذلك لئلا يغرى به الأعادي» (1)، وهذا ما تؤيده المعجزات التي حصلت للنبي وهو صغير تؤكد نبوته.

وتذكر المظان ان عبد المطلب جد الرسول عَلَيْظُ اوصى ابنه عبد مناف المصطفى فقال:

{من الرجز}

أؤصِيكَ باعبد مناف بَعدي بِمفرد بِمسد أبيسهِ فَسردِ بِمفرد بَعدي فَارَق وُه و ضحيع المهدد فَارَق وُه و ضحيع المهدد فكنت كالأم له في الوجد فكنت كالأم له في الوجد فلانسيه مسن احسائها والكبد فأنست مسن أرجى بندي عندي ليست مسن أرجى بندي عندي ليست عَسدي ليست في في الوجد فع ضيم أو لِسشَدَ عَقْد لِـ (٢)

كان لوصية عبد المطلب بالغ الاثر في نفس أبي طالب، فيطلب من أبيه أن لا يوصيه بها عليه فعله من واجب في رعاية ابن أخيه وحفظه؛ لأنه سمع عنه العجب العجائب من أحبار اليهود ورهبان النصارى في بيان صفاته التي تدل على شأنه

⁽١) تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١١.

⁽٢) السير والمغازي: ٦٩، تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٠، مناقب آل أبي طالب: ١/ ٣٤، ظ: عمدة الطالب في انساب آل أبي طالب: ٢٣.

لا تُوصىنى بىلازم وواجىبِ إِنّ سىمعتُ أعجىبَ العجائيبِ من كَلِّ حَدِي عَالَمٍ وكاتبِ مِن كَلِّ حَدِي عَالَمٍ وكاتبِ بِ النان بحمد الله قَدُولُ الراهبِ

ويردف عبد المطلب بوصية أُخرى يحثُ بها أبا طالب على نصرة ابن أخيه بنفسه وماله، واتباعه ومؤازرته فقال: «يا أبا طالب؛ إن أدركت أيامه فاعلم أنّى كنتُ من ابصر الناس به، فإن استطعت ان تتبعه فافعل، وانصره بلسانك ويدك ومالك فإنه والله سيسودكم ويملك ما لم يملك احد من بنى آبائي»(٢).

ويتعهد أبو طالب رعاية رسول الله على الله على الله على من اليهود المرصدة له بالعداوة، ومن بني أعهامه، والعرب كافة النين يحسدونه على ما وهبه الحق من امر النبوة ". وأبو طالب يستحضر وصية أبيه عبد المطلب في القصيدة التي ذكر فيها خروجه في ركب إلى الشام تاجرا، وقد اخبره الراهب بحيرا ببشارة النبي المنتظر التي وردت في كتبهم الأولى ويحث الراهب أبا طالب على ارجاع ابن أخيه إلى أهله خوفا عليه من أن يقتله اليهود "، ويومىء أبو طالب في القصيدة ابن أخيه إلى أهله خوفا عليه من أن يقتله اليهود "

⁽١) الديوان: ٣٢٩.

⁽٢) اكمال الدين واتمام النعمة في اثبات الرجعة: ١٧٠.

⁽٣) ظ: مناقب آل أبي طالب: ١/ ٣٤، بحار الانوار: ٣٥/ ٨٥.

⁽٤) ظ: السير والمغازي: ٧٣- ٧٦، التاريخ الكبير: ١/ ٢٦٧ - ٢٧١.

التي يمدح بها النبي وهو صغير إلى تعلقه بركاب عمه حين ازمع الرحيل، فرق له وبكى، وصحبه معه في رحلته، الذي رعى فيها قرابته الموصولة به، وحفظ وصية عبد المطلب فيه قال:

{من الكامل}

عِند ي يَف وَقُ مَن إِلَ الأَولادِ وَالمسيسُ قَد قَل صَن إِ الأَولادِ وَالمسيسُ قَد قَل صَن إِ الأَزوادِ مِن المُف رَقُ الأَف رادِ مِن المُف رَقُ الأَف رادِ وَحَفِظ تُ في وَصِيّةً الأَج دادِ (")

إنَّ ابسن آمنسةَ النبسيَّ مُحَمَّداً للنبسيَّ مُحَمَّداً للسا تَعَلَّسقَ بِالزمسامِ رحمتُدهُ فَسارِ فَضَّ مِسن عَينَسيَّ دَمسعٌ ذارِفٌ راعَبستُ فيسهِ قَرابَسةٌ مَوصسولَةً

ومما لايخفى على القاريء أن قول الساعر «إنَّ ابن آمنة النبي محمدا» إمارة واضحة على تصريحه بنبوة ابن أخيه، وتصديقه به، وهي من دواعي الحفاظ عليه وحمايته قبل البعثة، ومعاضدته ومؤازرته بعد البعثة، زدعلى أن محبة النبي وجعله بمنزلة أولاده هي من شعب الايمان.

ويومئ الشاعر في قوله «حفظت فيه وصية الاجداد» الى وصية جد النبي عبد المطلب وهو يحتضر بعد أن تكفله بنفسه، فكان له حافظا وراعيا «يابني»؛ تكفّل ابن أخيك مني فأنت شيخ قومك وعاقلهم، ... وهذا الغلام ما تحدثت به الكهان، وقد روينا في الاخبار أنه سيظهر من تهامة نبي كريم، وروي فيه علامات قد وجدتها فيه، فأكرم مثواه واحفظه من اليهود فإنهم اعداؤه» (").

⁽۱) الديوان: ١٦٤ - ١٦٥، قلصن: تابعن مسيرهن، الأزواد: مفردها الزاد وهو طعام السفر، ارفض: تتابع سيلانه متفرقاً.

⁽٢) بحار الانوار: ٣٥/ ١٣٠.

وتدور الايام دورتها، ويوشك ناصر الرسول، وحاميه على الموت، فيكون الموصي لا الوصي، فيجمع أولاده وأخوته ووجوه قريش، ولا سيها اخويه العباس والحمزة، وبنيه جعفر وعلي (رضي الله عنهم) فيدلي بوصيته التي يتجلى فيها حبه للنبي محمد عَلَيْ الله والمراره على دعوة بني زهرة والقرشيين للانضهام الى النبي والالتفاف حوله، واتباعه ونصرته وحمايته واعانته على اعدائه؛ لينالوا الرشاد والفلاح والخير، فأنشد:

(من البسيط)

بَعْدِي: عَلِيّاً وصِنْوَ الخَيرِ عَبّاسا وَجَعفَسراً أَن يَسذودوا دونَسهُ النّاسا أن بُوجَدوا دُوْنَ حربِ القوم أكباسا مِسن دونِ أَحَسدَ عِنسدَ السرَّوعِ أَتراسا تَخالُسهُ في سسوادِ اللّبِسل مِقباسسا(۱) أوصي بِنَسِصِ أمسينِ اللهِ مسشهده وَمَسزَة الأَسَدَ المَحسثِيَّ صَسولَته وَمَسزَة الأَسَدَ المَحشثِيَّ صَسولَته وجسع ذُهُ سرَة إذ كانست مُحَلَّلَة وعندوا فِدى لَكُم نَفسي وَما ولدَت بِكُسلِ أَبسيضَ مَسصقولِ عَوارِضُه بُكُسلِ أَبسيضَ مَسصقولٍ عَوارِضُه أَبسيضَ مَسصقولٍ عَوارِضُه أَبسيضَ مَسصقولٍ عَوارِضُه أَبسينَ

ويتضح من الأبيات أن أبا طالب على هدى الإسلام فقد كان مصدقا للرسالة المحمدية، معاضدا للنبي محمد عَلَيْ ومساندا له في ظروفه الحرجة، شاحذا للهمم ومقويا للعزائم وهو يردد في وصاياه لبني هاشم وحلفائهم «ان محمدا نبي صادق وامين ناطق وان شأنه اعظم شأن ومكانه من ربه أعلى مكان فاجيبوا دعوته واجتمعوا على نصرته وارموا عدوه من وراء حوزته فانه الشرف الباقي لكم مدى

⁽۱) الديوان: ٢٤٦، وبنو زهرة بن كلاب بن مُرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك، فهم الديوان: ٢٤٦، وبنو زهرة بن كلاب بن مُرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك، فهم أنساب العرب: أخوال النبي عَمَيْنِهُ وبطن من بطون قريش يدخل في عمود النسب النبوي، ظ: جمهرة أنساب العرب: ٢/ ٤٦٤.

الدهر»(١) فاعلن إيانه بالله، وتصديقه برسول الله.

ولأبي طالب وصية أخرى أفردها لابنه الأكبر طالب يحثه فيها على اتباع ابن عمه رسول الله، فها اشد حسرة أبي طالب اذ فارق الحياة، ولم يقر عينا بارتفاع شأن ابن أخيه، فهل سيراه سيدا في قومه، وابنه على يتقدم جيشه، ويعانق لوائه؟ وهل سينال شفاعة المصطفى يوم البعث؟، بيد أنَّ الحقيقة المدركة انه لا محالة سيموت فانشد:

{من الكامل}

فيها يَقْولُ مُسسَدِّدٌ لَكَ راتِنَ لُ حَتَّى تَكُورُ لُكِ مُسسَدِّدٌ لَكَ راتِنَ لُ حَتَّى تَكُورُ لُكِ مَا الْمَنْيَّةِ ذَائِنَ لُ لَا ذِلْتُ فَيكَ بِكُلِّ رُسْدٍ والْمِنَ لَا ذِلْتُ فَيكَ بِكُلِّ رُسْدٍ والْمِنَ

أَ بُنَديَّ طالِبُ إِنَّ شَدِخَكَ ناصِعٌ فَساِضِرِب بِسسَفِكَ مَسن أَرادَ مساءَةً هَسذا رَجسائي فيسكَ بَعسدَ مَنِيَّنسي

ويظهر أن أبا طالب انفرد بهذه الوصية لابنه طالب، لأن طالبا كان حينئذ غير مسلم (") مع أنه كان يجب النبي حبا جما، وله اشعار فيه (") وهذه الأبيات تعطي

⁽١) مناقب آل أبي طالب: ١/ ٥٥-٥٦.

⁽٢) الديران: ٣٤٠.

⁽٣) ظ: الطبقات الكبرى: ١/ ١٢١، السيرة النبوية لابن كثير: ٢/ ٢٠٠، خرج طالب يوم بدر مكرها مع مشركي قريش.

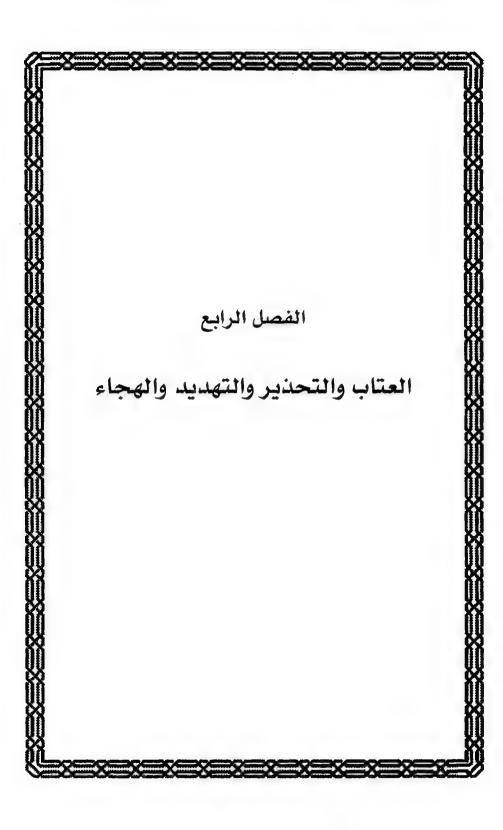
صورة بيّنة عن المبدأ الذي نهجه أبو طالب في نصرة ابن أخيه واتباعه ومعاضدته والتصديق به، فقد كرس شطرا من حياته في تربيته ورعايته وحفظه وهو صغير، والدفاع عنه وحمايته وهو كبير؟ لنشر دعوته حتى كُتب لها النجاح وتم له النصر، ووصاياه امتداد لوصية أبيه عبد المطلب الذي الزم نفسه بتنفيذها والسير بمقتضاها بكل حزم.

ومما تقدم يتبين: أن شعر أبي طالب واكب أحداث نشر الدعوة الإسلامية منذ عهدها الاول في اطلاق اولى شعارات التوحيد والتصديق بالله ورسوله، فرسم شعره العقائدي صورة صادقة ومعبرة عن الحال الجديدة للحياة الجديدة في مواجهة المعارضين والمناوئين والمناهضين من المشركين، ومن هنا تبرز اهمية شعره وقيمته في التجديد وتأصيل الظاهرة الأدبية من خلال ما حمل نفسه على نصرة الإسلام المتمثل بصاحبه رسول الله، وحرصه في الحفاظ عليه وهذا مما افاده شعره، واوحى به في الوقت نفسه عن مسؤوليته بالتأييد والنصرة والمحاماة والمؤازرة والحث على ذلك كله بألوان من فنون القول المختلفة بالصبر، والنصيحة، والوصية، ولاشك فيه أن هذا السلوك الاخلاقي ذا القيمة العالية هو الغاية التي ينشدها الدين الجديد في إيهانه به.

إن ايهان أبي طالب دعم لرسول الله واضافة معنوية جديدة؛ إذ امد الإسلام بلسان اعلامي مُعبِر، تبرز فيه الروح الدينية، بها استلهمه من فيض زاخر من المعاني الإسلامية الجديدة، ومن معاني التعبير القرآني وألفاظه في شعره العقائدي.



⁽١) ظ:مجموع اشعار قريش ملحق في الاطروحة (شعر قريش في الجاهلية وصدر الاسلام):١٥٩- ١٦١.



مفتتح الفصل علاقة العتاب بالتحذير والتهديد والهجاء

ثمة رابطة قوية تربط العتاب بهذه الموضوعات مجتمعة، فعلى الرغم من ان العتاب دليل المودة، وحب المواصلة والابقاء عليها ومراعاتها، يخرج إلى التوبيخ والتعريض، فإذا قل كان داعية المحبة، وادامة الوصال، وإذا كَثُر كان سببا لتصدع القلوب، وتنافر النفوس بعد ألفتها، وهذا ما أكده ابن رشيق القيرواني بقوله: «العتاب وإن كان حياة المودة، وشاهد الوفاء فإنه من ابواب الخديعة يسرع إلى الهجاء، وسبب وكيد من أسباب القطيعة والجفاء، فإذا قل كان داعية الالفة، وقيد الصحبة، وإذا كَثُر خشن جانبه، وثقل صاحبه (١٠)؛ لأن العتاب مزيج من نوعين من أنواع الانفعال، وهما: الحب والبغض، فالشاعر يضع سيلا من أسباب الجفوة بينه وبين من اساء إليه، وهو يقابل الصد بالود تارة، والصلابة بالين تارة أُخرى، ويسلك طرقا في العتاب منها: انه يتأمل الأيام الماضية؛ ليحدد مشاهد الذكريات المكللة بالود والالفة، ثم يبين زمن القطيعة والجفوة بينهم، وقد تصفو المياه، وتعود إلى مجاريها،

⁽١) العمدة: ٢/ ١٦٠.

فتهدأ النفوس، وترجع الى ودها القديم، وقد تبوء عملية العتاب بالفشل، وعدم الوفاق بين الطرفين، فينفتح العتاب على نوافذ الانذار والتحذير والوعيد والهجاء أو التعريض.

والهجاء تعبير عن موقف انفعال لحظة الغضب؛ لأنه حدن انفعال الشاعر المسيطر عليه في حالات الصراع والغلبة التي يترتب عليه غض الطرف عن اعمال خصمه المحمودة وتعريته مما شُتِر من افعاله الشائنة، واهانة اشرافه، والحط من اقدارهم، واشاعة العار فيهم.

وقد لا يكون قصد الشاعر في عتابه أن يهجو الطرف الآخر خشية ما يجر الحديث من كلام مؤلم يورث العداوة والبغضاء، وإنها سلك هذا السبيل؛ لأن نفسه تشربت بانفعالات حادة ناشئة من غضبه وسخطه، فنفس الشاعر تتوق الى الصلح ونبذ الخصومة، بيد أنَّ آثار البغض واشاعة فتيل نار الغضب تقوده إلى ثورة نفسية يخوض فيها غهار الهجاء مضطرا، للانتصاف لنفسه، فيحتدم القول، وتستلزم ثورة انفعال الشاعر إلى توعد الخصم بالشر والعقاب؛ ليوهن قوته؛ وليعطل فيه المكارم، وتوعد الشاعر وتهديده مرهون بقدرته وعزته ومنعته وسطوته، فعندما يهدد خصمه ويتوعده يوحى بان خصمه لا قدرة له سوى قبول الاهانة والاستكانة.

وتتطلب قدرة الشاعر في الانذار والتهديد والوعيد توظيف أدوات الحرب في استعمال السيوف والرماح والخيول، والاستعداد للمصاولة والكر والقتل ووصف الحرب، وكأنَّ الهجاء حرب ومعركة تشيع فيها لغة الحرب ووقع آلاتها في اسلوب الشاعر الذي يعتمد على وفرة مادته اللغوية، وثراء موضوعه بالصور الموحية، ومن التقاء هذه الخطوط العامة للموضوعات التي ذكرناها دعتنا لأن ندرجها في فصل واحد.

وموضوعات العتاب والتحذير والتهديد والهجاء من الموضوعات المعروفة قبل الإسلام، ولكن لم نعثر عليها ضمن هذه المرحلة من شعر أبي طالب، فقد غذاها الإسلام في التزامه بها، ومع انبلاج نور الإسلام طرأ عليها تغيير وتطوير منذان استعملها أبو طالب وسيلة من وسائل الدفاع عن الدين الجديد في زمن البعثة بمكة، فتصدى أبو طالب للمعارضين من مشركي قريش في المواقف التي استدعت فيه الوقوف للدفاع عن صاحب الرسالة الذي لم تتوافر له بعد فئة من الشعراء تنافح عن دعوته جهارة امام طغاة الشرك سوى أبي طالب الحامي الاوحد لرسول الله عليه المسلم والقائم على تثبيت دعائم الإسلام.

العتاب:

العتاب ظاهرة اجتماعية حتمية في طبيعة البشر تصور التماسك بين الفرد وابناء مجتمعه ولا سيما مع من تربطه وشائج القربى امام شعور الفرد بالاذى والظلم والقسوة والعنت لما يلحق به من الآخرين، فهو الرحى التي تدور حولها الروابط الاجتماعية لدوام المحبة والألفة، والعلاقة التي تربط الشاعر بالمعاتب، هي التي تحدد طبيعة معاني العتاب وتباينها وتنوعها.

ونأنس بشعور التودد والتلطف والملاينة في عتاب أبي طالب لمعارضي قريش الذي ألبسه ثوبا إسلاميا تبرز فيه فكرة فدائه لرسول الله على ودفاعه عنه، وعن دينه الجديد الذي جاء به، ووقوفه ناصرا ومساندا ومعاونا وحاميا، فانتهج طريقا في التودد والتلطف في معاتبة قريش تارة، والمن والانتصاف لنفسه تارة أخرى، في أيام الأزمة الشديدة التي اجتازها الدين الناشيء في تلك الحقبة مفيدا من سلطته في

قريش، ومكانته بينهم، وقد يتحدى قوة قريش متطلعا إلى اظهار الحق، وبهذا جاء عتابه متعدد الصور يخرج إلى اللوم والنصح والتنبيه والتحذير والتهديد والتعريض (١) جانحا إلى مستويين من العتاب:

_ العتاب الفردي:

وهو يدخل ضمن دائرة تحديد شخص قد أثم في حق الشاعر فأورث في نفسه عدم الرضا، وايلام النفس وايجاعها، ونظفر بصور متعددة للعتاب بحسب بواعثه على نحو ما نجده في عتابه لأخيه أبي لهب الذي لقي منه الأذى والعنت والظلم بوزره السيء؛ لأنه خذله واعان عليه اعداءه، وجعله غرضا للئام، فقال أبو طالب معاتبا أخاه بخطاب شعري تبليغي يذكره بمكانته وبمقامه الرفيع:

{من الكامل}

ها تُنكِرَنْ عندَ المُقامةِ محضري عنده الغَوائِلُ بعد شَيبِ المُكْرِر وام يسرومُ البغسيَ غيرَ مُقَسطِر قسرَ السنام من القميع الأخفَر ثكلَنْك أمُّك أيَّ لحسمٍ تَجدزدِ يَرمونَ جَندَلَة بِعُرضِ المَسْعِرِ^(۲) أبلغ أبا لهب مقالة عاتب أم هل اتى أن خذلت وَغالَني وجَعَلتَني فَعَالَني وجَعَلتَني فَعَالَني وجَعَلتَني فَعَالَني وجَعَلتَني فَعَالَني وجَعَلتَني فَعَسرَضَ اللَّناام وكُلُّهُ معلم حتى تُصيبَ نبالهُم وسهامُهم أَجَازَرَهُم لحمي بمكَّة سادِراً فَعَسادِراً فَعَسَدَنْ تَراشِعَهُ الرُّمِساةُ كَالَهُمَا فَعَلَيْهَا فَعَلَيْهِا فَعَلَيْهَا فَعَلَيْهِا فَعَلَيْهَا فَعَلَيْهَا فَعَلَيْهَا فَعَلَيْهِا فَعَلَيْهَا فَعَلَيْهُمُ فَعَلَيْهَا فَعَلَيْهَا فَعَلَيْهَا فَعَلَيْهَا فَعَلَيْهُمْ فَعَلَيْهُمْ فَعَلَيْهُمْ فَالْمُعُمْ فَعَلَيْهَا فَعَلَيْهُمْ فَعَلَيْهُمْ فَعَلَيْهُمْ فَعَلَيْهُمْ فَعَلَيْهُمْ فَعَلَيْهُمْ فَعَلَيْهُمْ فَعَلَيْهُمْ فَعْمُ فَعَلَيْهُمْ فَعَلَيْهُمْ فَعَلَيْهُمْ فَعَلَيْهُمْ فَعَلَيْهُمْ فَعَلَيْهُمْ فَعَلَيْهُمْ فَعَلَيْهُمُ فَعَلَيْهُمْ فَعَلَيْهُمْ فَعَلَيْهُمْ فَعَلَيْهُمْ فَعَلَيْهُمْ فَعَلَيْهُمْ فَعَلَيْهُمُ فَعَلَيْهُمُ فَعَلَيْهُمْ فَعَلَيْهُمُ فَالْمُعُمْ فَعَلَيْهُمُ فَعَلَيْهُمُ فَعَلَيْهُمُ فَعَلَيْهُمُ فَعَلَيْهُمُ فَعَلَيْهُمُ فَعَلَيْهُ فَعَلَيْهُمُ فَعَلَيْهُ فَعَلَالْمُعُمُ فَعَلَيْهُمُ فَعَلَيْهُمُ فَعَلَيْهُمُ فَعَلَيْهُمُ ف

⁽۱) ظ: الديوان: ۲۷، ۷۷، ۷۸، ۷۹، ۱۸، ۲۸، ۳۸، ۲۲، ۵۰، ۲۶، ۱۰۰ – ۱۰، ۱۰۱ – ۲۱۱، ۱۱۱، ۱۱۱ ظ: الديوان: ۲۷، ۷۲۱، ۲۱۱، ۷۷۱، ۲۸، ۳۸، ۳۸، ۵۰۲، ۱۳۲، ۳۶۲، ۲۰۸، ۲۲۱، ۲۲۱، ۲۲۱، ۲۸، ۵۰۲، ۱۳۲، ۲۸۰۰ .

⁽٢) الديوان: ١٨٤، القصر: الأصول، القميع: أعلى السنام، الأخفر: المنيع، العرض: الناحية.

أراد أبو طالب أن يقرر في وجدان المتلقي أن أخاه هـو الـذي خذلـه فاستحق هذا العتاب الذي يصل الى التقريع والتوبيخ، فالخذلان جاء من أبي لهب، ومن يخذلـه لا يعد كريها في مقاله فتكون الموازنة بين من يخذله ومن يبغى عليه.

حاول الشاعر في بداية الامر ان يعيد اواصر المحبة والالفة التي تربطه بأخيه أبي لهب فراح يتأمل الأيام الماضية التي كان له سندا فيها ومنعه، فذّكره بطيب افعاله وانه لم يخذله يوما، سالكا طريق المن في عتابه، وعندما ايقن الشاعر جفوة أخيه له، وقطع المودة بينها، راح يسأله عن جفوته ونكرانه؛ ليجد متنفسا في تفريغ شحنات انفعاله التي اختلجت في نفسه بسبب اوزار أخيه المشائنة، وهذه احدى وسائل العتاب المؤلم التي لجأ اليها الشاعر.

إنَّ سأم الشاعر من أخيه جعل شعوره بالظلم يشتد فينفعل؛ ليعبر عن قبح فعل أبي لهب، فدار حديث العتاب إلى الدعاء عليه بالموت في فقدان أمه له، ويبدو أنَّ هذا اللون من الكلام فيه اغاضة لاحساس أبي لهب وايلامه، ومنه هنا اتجه العتاب اتجاها آخر افاد اللوم والتقريع، وقبل ان يندمل جرح أبي طالب النفسي من أخيه، فهو يرى أن أخاه حاول أن يحط من قدره؛ لأنه ناصر دين الله، فتراه يقحمه بالسؤال: «أيُ لحم تُجزر؟» للدلالة على عظم مكانته ومهابته وجلالته، فيا رمي به من اللئام، ما هو إلا كمثل الحجارة التي يرمى بها بعرض المشعر، يريد أنه لا توثر فيه، لضالة حجمها، وبهذا انتصف الشاعر لنفسه، فافاض عتابه بصور متعددة في المن والاجحاف، والتأنيب واللوم والتقريع والانصاف.

ويتخذ عتاب أبي طالب طابع الشكوى من حيف وظلم ألحق به من أخيه أبي لهب فلم يكف أبو لهب عن أذى أخيه أبي طالب وتشنيعه بالأقاويل المفتراة في

تأليب اعدائه بكل مقال يسوء إليه في انظار الناس، وكمان هـؤلاء الأعـداء لا يجرؤن على الشاعر وعشيرته، فعاتب أبو طالب أخاه بعتاب صادق عما في دواخله:

{من الوافر}

واكْنَفَ على ذاكر مرجالُ ثَجَلَّلنا بلُ وَمِهم جِ للأُ وقد كُنَّا وليس لَهم مَقالُ لئاماً فَ تَوسُّ عِهم قُللالُ() حديثٌ عن ابي له أتانسا بَغَسوهُ بنذاك بعنضَ القولِ حتّى وقد لَهِ من العدوَّ بنا فقالوا معاشر منهم كانوا قدياً

حرص أبو طالب في عتابه على رد اقاويل خصومه في تبرأة نفسه منها، فالتفت الى الماضي؛ ليستعين به، فوجد دليلا دامغا لرد هذه الاقاويل ودفع الشبهات عنه، فهؤلاء الاعداء كانوا لا يجرؤن على الاساءة اليه، معللاً خصلة الكذب والبهتان فيهم، في الوقت الذي احتقن بالانفعالات، فتوهج غضبه بان يسجل صفة ذميمة للمناهضين له، فهم اناس لئام بكل ما تحمل دلالة دناءة النفس الملازمة لهم التي لا تتواءم وطبع العربي الكريم، لينتصف لنفسه منهم، وهذا ما يؤلم المعاتب فتراه يخرج العتاب إلى الهجاء.

وتكشف رؤية معادات أبي لهب لأخيه أبي طالب عن أن الأول كان ضمن صفوف المشركين يؤلب الأعداء المناوئين على رسول الله وناصره، ويعينهم بالافتراء والبهتان عليها، بخلاف أبي طالب الذي يمثل حال الصمود والصلابة في الدفاع عن ابن أخيه بنصرته له وعدم خذلانه (٢)، ولهذا كان عتاب أبي طالب رد فعل لعدم

⁽١) الديوان: ١٨١، أكنفه: أعانه، الجلال: الغطاء، قلال: قليل.

⁽٢) ظ:م.ن: ١٧١.

انصاف أبي لهب له ولابن أخيه الرسول الكريم.

ويتجه عتاب أبي طالب إلى ذكر بعض أسماء قريش مستمدا عتابه من طبيعة العلاقة الاجتماعية والسياسية التي تربطهم فتودد اليهم واستعطفهم خشية ان تعاضد العرب قومه عليه وعلى ابن أخيه عَلَيْ الله عنيرهم وغيرهم في عتابه انه غير مُسَلِّم ابن أخيه حتى يهلك دونه (۱) وطرق أبو طالب في قصيدته اللامية المشهورة في عتابه معاني متنوعة مملوءة بنفحات تقنية فنية بارعة الصناعة عبر فيها عن انفعالاته الزاخرة باحاسيسه ومعاناته تجاه مشركي قريش، على حين اننا لا نغفل أن الشخصيات التي عاتبها كانت تعادي بني هاشم حسدا لهم لشرفهم السالف، ولتكريم الله لهم بشرف النبوة التي جعلها فيهم، فعاتب أبو طالب بعضهم قائلاً:

(من الطويل)

إلى بُغسضنا وَجَسزاً بِأَكْلَسة آكِسلِ جَسزاءَ مُسيء لا يُسؤخَّرُ عاجِسلِ وَلَكِسن أَطاعا أَمسرَ تِلسكَ القَبائِسلِ وَلَم يَرقُبسا فينسا مَقالَسةَ قائِسلِ وَكُسلٌ تَسولَى مُعرِضاً لَم يُعايسلِ نكِسل لُمسا صاعاً بكيسل المكايسل⁽¹⁾ لَعَمري لَقَد أَجرى أُسيدٌ وَرهطُهُ جَزَت رَحِم عَنّا أُسَيداً وَخالِداً وَعُسنهانُ لَم يَربَسع عَلَينسا وَثُنفُسذٌ اطاعا بنا الغاوينَ في كلِّ وجهة كما قد لهِبنا مِن سُبَيع وَنَوفَلِ فَإِن يُقْنَلا أَو يُمكِن اللهُ مِسنهُما

⁽١) ظ: م.ن: ٢٤- ٥٧، ٨٤ - ٥٨.

⁽۲) الديوان: ۷۰– ۷۷، أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، كان سيد قومه، وله من الأولاد عتاب وخالد، ظ: جمهرة أنساب العرب: ۱/ ۸۰، ۱۱۳، وعتاب بن أُسيد، اسلم يوم فتح مكة واستعمله النبي ﷺ على مكة لما سار إلى حنين، وأقره أبو بكر (رضي الله عنه) إلى أن =

سلك أبو طالب في عتابه لأسيد وولديه: عتاب وخالد، وعثمان بن عُبيد، وقنفذ بن عمير، وسُبيع بن خالد، ونوفل بن خويلد، سبيلا "يدخله الاحتجاج والانتصاف" (۱)، فأسيد وولداه اغتابوا الشاعر وعشيرته، وجعلوهم طعمة في أفواه الأعداء، واطاع عثمان وقنفذ الأعداء، ولم يحفظا مقالة قائل بخير، وتولى سبيع ونوفل معرضين لم يعاملا بالجميل.

قضم هؤلاء حبال المودة بينهم وبين الشاعر فملئت نفسه بالغيض فراح ينتصف لنفسه ولعشيرته، فقرر: ان نابَ هؤلاء القوم خطب سيعاملهم بمثل ما عُومل به، فسوف يعرض عنهم ولا ينصرهم.

⁼ مات يوم مات، ظ: جمهرة انساب العرب: ١/١١٣، الإصابة في تمييز الصحابة: ٢/ ٥٥١.

وخالد: والد عبد الرحن، اسلم عام الفتح واختلف المؤرخون في سنة وفاته ومكانها، ظ: أسد الغابـة في معرفة الصحابة: ١/ ٢٠٤.

وعثمان بن عُبيد بن عثمان التيمي أخو طلحة، اسلم وهاجر وصحب النبي عَلَيْلُهُ، ولم تعرف سنة وفاته، ظ: أسد الغابة في معرفة الصحابة: ٣/ ٥٧٦ الإصابة في تمييز الصحابة: ٢/ ٤٦١.

وقنفذ بن عمير بن جدعان التيمي له صحبه، ولاه عمر رضي الله عنه مكة شم عزله، لم تعرف سنة وفاته، ظ: الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ٣/ ٢٨٠، أُسد الغابة في معرفة الصحابة: ٤/ ٣٩٢، الإصابة في تمييز الصحابة: ٣/ ٢٨٠- ٢٨١.

[«]وسبيع بن خالد، أخو بلحارث بن فهرا، ظ: السيرة النبوية لابن هشام :١/ ٢٨٢، ولم تسعفنا التراجم المذكورة آنِفاً في معرفة المزيد عن شخصيته.

ونوفل بن خُويلد بن أسد بن عبد العُزّى بن قصي من شياطين قريش قتله الامام على علينالا يـوم بـدر، ظ: السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٢٨٢، ٢/ ٢٥٣، جمهرة أنساب العرب: ١/ ١٢٠.

⁽١) العمدة: ٢/ ١٦٠.

ومن طرق العتاب أن يجنح الشاعر إلى السخرية والاستهزاء في عرض اعمال المعاتب الشائنة، فأبو عمرو أصر على بغض الشاعر وعشيرته، ويودُّ اجلاءهم إلى البوادي بين أهل الشاة والجمال، وهو كثير المناجاة لأعدائهم، فقال أبو طالب من القصيدة ذاتها:

{من الطويل}

لِيظعننا في أهللِ شاء وَجامِلِ فَسَاجِ أَبِا عَمرو بِنا ثُرَمَّ حامِلِ بَسَلَى قَد نَسراهُ جَهرَةً غَيرَ خاتِلِ مِنَ الأَرض بَينَ أَخشَب بالأجَادِلِ(1) وَذَاكَ أَبُ وَ عَمرٍ و أَبَى غَبرَ مُغضِبٍ يُسَاجى بِنَا فِي كُلِّ مَسى وَمُصبِحٍ وَيُقسِمُنا بِسَاللَّهُ مسا إِن يَغُسشَنا أَضَاقَ عَلَيه بُغضنا كُلُّ تَلعَةٍ أَضَاقً عَلَيه بُغضنا كُلُّ تَلعَةٍ

كان أبو عمرو مخادعا يصور للشاعر وعشيرته أنه ليس مع اعدائه فيقسم بالله انه معهم، ولن يخدعهم، وكأن الشاعر غافل عن كذبه ومخاتلته، ومن هنا داخل العتاب السخرية والاستهزاء بالمعاتب في كشف مراوغته؛ لأن بغض بني هاشم ضيّق على أبي عمرو التلاع من الأرض ما بين جبال مكة وقصور الشام، بمعنى انه لا يمكن اصلاحه فكان عتاب الشاعر إيذانا بالقطيعة والهجران.

ونجد نمطا آخر من عتاب أبي طالب يذكر به رجحان رأي المعاتب لشخصية مشركة أُخرى يسلك فيه وسيلة الاستفسار عن طريق شخص معين، أو أن يبلغ الحاضر عتابه له سالكا سبيل التأنيب والمديح والتنبيه والنصيحة في القصيدة اللامية

⁽۱) الديوان: ۷۷- ۷۸، ابو عمرو: قُرظة بن عمرو بن نوفل بن عبد مناف، أخو الصحابي عَبْدُ بنُ زمعة ابن الاسوَدِ، ظ: السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٢٨٢، أسد الغابة في معرفة الصحابة: ٣/ ٥١٠، وأورده الجزري في كتابه ضمن ترجمة الصحابي عبد بن زمعة.

{من الطويل}

بِسَعيِكَ فينا مُغْرِضاً كَالمُخاتِسلِ
وَرَحَتِسهِ فينا وَلَست بِجاهِسلِ
حَسودٍ كَذوبٍ مُبغِضٍ ذي دَغاولِ
ثُلاقي وَنَلقى مِنكَ إحدى البَلابِلِ
(۱)

وَسَائِل أَبَا الوَلِيَّدِ مَاذَا حَبَوتَنَا وَكُنْتَ إِمَرِءاً مِمَن يُعَاشُ بِرَأْيِدِ وَعُنْبَةُ لا تَسسمَع بِنَا قَسولَ كاشِيحٍ وَقَد خِفتُ إِن لَم تَرْدَجِرهُم وَتَرْعَووا

سائل الشاعر أبا الوليد عتبة عن أي شيء افاده من سعيه في اصلاح بني هاشم وهو يمر معرضا عنه كالمخاتل، وكأنّه يريد تأنيبه في العتاب، ولكي يخفف من وقع التأنيب وشح عتابه بالمديح، فهو يراه ذا رأي ورحمة وشفقة، ولم يكن جاهلا مشل غيره، قال الرسول مَنْ الله عنه عتبة بن ربيعة، وأوخوه شيبة بن ربيعة، وأبوجهل بن هشام، وأبو سفيان، لا يسقط لهم رأي في الجاهلية، فلما جاء الإسلام لم يكن لهم رأي "، ولهذا مدح أبو طالب عتبة بصدق القول في قوة رأيه للدلالة على مكانته،

⁽۱) الديوان: ۷۸، أبو الوليد: عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، أحد المشركين قتل يـوم بـدر، ظ: السيرة النبوية لابن هشام: ۲/ ۲۰۱- ۲۰۲.

وقد أخطا أبو هفان صاحب الديوان في التعليق عليه فظن أن أبا الوليد هو الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم الذي كان يكنى أبا الوليد، والصواب ما ذهب اليه ابن هشام في تعليقه على الشخصيات الواردة ذكرها في القصيدة اللامية وما بيّته دلالة الأبيات الذي يعاضدها الحديث النبوى الشريف، ظ: السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٢٨٢.

 ⁽٢) أُسد الغابة في معرفة الصحابة: ٣/٩، ولم أعثر على الحديث في صحيح البخاري، وصحيح مسلم،
 وسُنن أبي داود، وسُنن الترمذي، وسُنن النسائي.

وكانَّه يومى، إلى عتبة الترفع بنفسه عن سماع أقوال العدو الحاسد الكذوب المبغض ذي البلايا للشاعر ولعشيرته من بني هاشم، وهو يناديه مناجيا باسمه دون كنيته الني ذكرها في البيت الاول؛ لاشعار عتبة بمودته له وقربه من نفسه.

ومن هنا كان للشاعر مدخل لنصح عتبة، واظهار خشيته ان لم يكن يزجر قومه، ويردع نفسه، يلقوا الاضطراب الذي يسلبهم الراحة جراء اصرارهم على المعاداة، وهو يسعى من دون شك إلى استمالته، فإن لم يكن ذلك فلا بأس من أن يبقى بعيدا عن مناصرة الخصوم.

وقد احسن أبو طالب في استعمال معاني العتاب في عرض فضيلة قوة رأي أبي الوليد عتبة، وتنبيهه ونصحه وتحذيره طمعا منه في استمالته الى صف الايمان متأملا نصرته؛ لأن عتبة له شأن كبير في قومه فهو أحد وجهاء قريش.

ويتجه عتاب أبي طالب طريق التظلم في عتابه لأبي سفيان، فيضيق ذرعا به؛ لأنّه يمر عليه مرور الملك المتجبر معرضا عنه، ويخبره انه ناصح له حريص على مصالحه شفيق بمودته، وهو بخلاف ذلك فقال من القصيدة نفسها:

{من الطويل}

كأنَّ فَيُ لُ فِي كَبَادِ المَجَادِلِ وَيَ رَعُمُ أَنَّى لَستُ عَنهم بِغافِلِ كَذَاكَ العَدُوُّ عِندَ حَتَّ وَباطِلِ سَواءٌ عَلَينا وَالرِّياحُ بِماطِلِ شَفيقٌ وَتُحَفي عارِقاتِ الدَواخِلِ وَمَرَّ أَبِو سُفِيانَ عَنَّى مُعرِضاً يَفِرُ إِلَى نَجِدٍ وَبَردِ مِياهِدِهِ وَأَعلَّمُ أَن لا غافِلٌ عَن مَساءَةٍ فَميلُ وا عَلَيْنا كُلّكُ م إِنَّ مَسِلَكُم فَميلُ وا عَلَيْنا كُلّكُ م إِنَّ مَسِلَكُم تُحُبِّرُنا فِعالَ الْمُناصِحِ أَنَّهُ

⁽١) الديوان: ٧٨– ٧٩.

يلح شعور الشكوى في عتاب أبي طالب لأبي سفيان، لما يؤلمه منه أنه يعلم ما يخفيه من سوء كامن في دواخله؛ ولأن أبا طالب خبرته الحياة فصقلته صراعاتها من هذه الشخصية وغيرها، فهو غير غافل عن نواياها، ومن هنا تتضح نغمة اليأس في عتابه لهذه الشخصيات في استمالتها إلى جانبه؛ لتمنحه تأييدها ونصرتها لدعوة ابن أخيه عَلَيْظِهُ وقبول رسالته.

ويتخذ العتاب في المن والاستعطاف بالتذكير في معروف سابق عندما يتضخم استياء الشاعر فينتصف لنفسه من المعانّب، فيمنُّ عليه بها قدم لـه مـن اعـمال جليلـة مشرفة في لحظات الشدائد على نحو ما نجده في القـصيدة ذاتهـا في عتـاب أبي طالب للمطعِم بن عدي، فقال:

{من الطويل}

أَمُطعِهُمُ لَمَ أَخَذُلكَ في يَسومِ نَجِدَةٍ ولا عِندَ تِلكَ المُعظهاتِ الجَلائِسلِ وَلا يَسوم قَسمُ إِذ أَتسوكَ أَلِسدَّةً إلى جَدَلٍ مِسنَ الخُسصومِ المسسَاجِلِ أَمُطعِهُمُ إِذَ القَسومَ سساموكَ خُطَّةً وَإِنّى مَتْسَى أُوكَسل فَلَسستُ بِآيِسلِ (۱)

وجد أبو طالب سبيلا لطرح الجفوة والقطيعة بينه وبين مطعم بن عدي، فذكره بطيب فعل له؛ ليدفع الجفوة؛ ولتعود حبال الوصال مثلها كانت بينهها.

⁽۱) الديوان: ۷۹، مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف، وكان بمن أذى رسول الله عَلَيْظِهُ، وقد طلب رسول الله عَلَيْظِهُ، وقد طلب رسول الله جواره بعد خروجه إلى الطائف عائدا إلى مكة بعد وفاة عمه أبي طالب، فطاف بالكعبة وامره برد جواره كراهية أن يبقى في جوار مشرك، أسر ببدر وقتل كافرا صبرا قتله حمزة بن عبدالمطلب (رضى الله عنه)، ظ: الكامل في التاريخ: ٢/ ٥١، ٦٤.

إنَّ لجوء الشاعر إلى هذا القول انها قصد به تقييد مطعم بطيب اخلاقه وحسن معروفة؛ وليضع نفسه بميزان المفاضلة، على أن تكرار اسم الشخصية المعاتبة توحي بتودد الشاعر واستعطافه لها، على الرغم من اعتداده بنفسه، فهو اذا ما انتابته الاخطار يكتفِ بنفسه دون غيره، فكان الشاعر يتظلم ويمن ويستعطف ويحتج وينتصف في آن معاً.

_اما العتاب الجماعي:

فيدخل ضمن دائرة الاعهام والاجمال لافراد قبيلة الشاعر الذي ينتمي إليها الذين اساءوا إليه واطلقوا عنان شرهم عليه، واثاروا قلقه، وخدشوا احساسه، فكان سببا موجبا لغضبه عليهم، ومقاطعتهم وجفوتهم، وصدهم، وعندئذ والحال هذه لا يلوذ الشاعر بالصمت، وانها صارحهم بالتنبيه والاستنكار لافعالهم التي آلمته، وضاق صدره ذرعا بها على نحو ما نجده في عتابه الجهاعي لأفناء فهر كلها، حين افتقد رسول الله عَلَيْ وظن أنَّ قريشا قتلته مستنكرا بصيغ الاستفهام التي هي احدى وسائل العتاب يجاول الشاعر ان يثير بها قريشا، ويجد سبيلا الى التهديد والوعيد، فقال:

[من الوافر]

بِقَت لِ مُحَمَّ بِ وَالأم رُورُ وَورُ وَالْط لَ مَ مَ مَ وَالأَم وَرُ وَورُ وَالْط لَ مَ مَ مَ وَالْم مَ وَرُ وما ذاك م رضى لى أَنْ تَب وروا وأب يضُ ما وُهُ عَد تَ فَى كَ مُ اللّهِ وَالْمَ مَ اللّهِ مَ اللّهِ مَ اللّهِ مَ اللّهِ مَا اللّهُ اللّهِ وَرُ

أيامرُ بَمَعُهُ الناء فِهدٍ أنساء فِهدٍ ألا ضامرُ بَمَعُهُ الله ألا ضامرُ بَمَعُهُ الله ألله الله ألم المؤلف المؤلفة ال

وكبف يكونُ ذاكم من قريش وما مِنّا الضّراعةُ والفُتُوورُ ولا فَاللَّهُ والفُتُوورُ اللَّهُ أمرَا تفعلوه في اللّ

لا يكتفي الشاعر بالسؤال الواحد وانها راح يستفسر بعدد من الاسئلة ليبحث عن الاحتمالات التي تجول في خاطره في عزم قريش على قتل رسول الله على يظن ذلك، فكان الاداة المنشطة لحركة بدا العتاب الذي اظهر مزيجا من الانفعالات المتناقضة من حبه لابن أخيه وشفقته وعاطفته عليه، وسخطه على قريش وغضبه وكرهه لهم.

إنَّ طريقة عتاب أبي طالب لقريش تكشف عن ود ضائع، وقطيعة اكيدة، وحقد متوقد، اثار غضبه فكان داعيا إلى تهديد حلماء أفناء فهر بالحرب التي لا تقوم لها قائمة، وهذه صورة من صور العتاب الذي يخرج إلى التهديد والوعيد، والوقوف بوجه قريش متحديا إياهم في نصرة رسول الله عَيْمَا اللهُ اللهُ

وقد يتخذ العتاب التذكير بصلة النسب فخص أبو طالب من فهر الذين يدخلون في عمود النسب النبوي أبناء كعب وقصي وعبد مناف في عتابه، لقطيعتهم، وخذلانهم في نصرة أخوانهم من بني هاشم مع رسول الله عَلَيْظَةُ وتركهم في الشّعب يقاطعهم خصومهم ويحاصرونهم من دون رأفة، ولغط أبو طالب بالعتاب إلى أن سلك مسالك متعددة بحسب شدة انفعاله الى المديح والتوجيه والتهديد والتوبيخ، فقال:

⁽١) الديوان: ٢٤٣، صدر البيت الرابع غير مستقيم.

⁽¹⁾ ゼ: カ.じ: アミアー・ション・

فعَبِدَ مَسْافِ أَنستُهُ خَسِيرُ قَسومِكُم فَقَد خِفْتُ إِن لَمْ يُسْصِلِحِ اللهُ أَمْسِرَكُم لَعَمري لَقَد أُوهِنتُهُمُ وَعَجزتُهُمُ وَكُنتُم حَديثاً خِطْفَ قِدرِ فَأَنتُمُ لِبَهَنْ بَنْسَى عَبِدِ مَنْافٍ عُقُوقُهِا فَ إِن يَسكُ قَسُومٌ سَرَّهُ مِ ما صَسنَعتُهُ فَالِلْغُ قُصِيّاً أَن تَنَاشُرُ أَمُرُنا وَلَـو طَرَقـت لَـيلاً قُـصَيّاً عَظيمَـةٌ وكسو صُدِقوا ضَرباً خِللالَ بُيسونهم فَإِن تَسكُ كَعسبٌ مِسن لُسؤَيٍّ نَجَمَّعَست وإِن تَسكُ كَعسبٌ مِسن كُعسوب كَبسيرَةٍ وكُنَّا بخرير قبل تـسويد معـشر

فَ لا تُسشر كوا في أمركُم كُلَّ واغِل تكونسوا كساكانست أحاديست والسل وَجِئْتُم بِأُمر نُخطِع لِلمَفاصِل بنا كحطاب أقدد ومراجل سيحتلبوها لاقحا غسير باهل وَبَــــُمْر قُـــصَيّاً بَعـــدَنا بالتَخــاذُلِ إذاً مسا لجَأنسا دونَهُ م في المسداخِل لَكُنَّا أُسِىَّ عِندَ النِساءِ المَعاطِل فَسلا بُسدَّ يَومساً مَسرَّةً مِسن تَزايُسلِ فَسلا بُسدَّ يَومساً أنَّها في مجاهِسل هُــمُ ذبحونــا بالمُــدي والمغـــاولِ^(۱)

انشأ أبو طالب عتابه بمديح بني عبد مناف رغبة منه في استئناف علاقة الود والوصال بينهم بوصفها حالة سلوكية تستقطب الطرف الآخر إلى صفّه وتستميله إليه، وتحفزه لاستثارة ذهنه لقبول أي صورة من صور العتاب.

وقد زين ابوطالب عتابه بالردع، ثم النصيحة للدلالة على المودة في خشيته من سوء عاقبتهم، وتوجه العتاب بالانـذار والـوعظ باحاديث ولـدي وائـل فأومـاً إلى

⁽١) الديوان: ٨١- ٨٢.

الحرب الضروس التي وقعت بين بكر وتغلب، ويبدو أن تـداخل الـردع والنـصيحة والوعظ هو السيبل الأمثل للعتاب، بيد أن أبا طالب عندما يدرك عدم نجاح وسيلة التودد في عتابه تحتد انفعالاته وتتصاعد فيكشف عن غيضه، ويظهر غضبه، فيقوده العتاب إلى إهانة بني عبد مناف لقطعهم السرحم وعدم نمصرة بنبي هاشم وهم محاصرون في الشِّعب، ثم تهديدهم بصورة فنية موحية إن احتلبوا الحرب وشاع الامر، فليبشروا بالخذلان مع اعمامهم من بني قبصي، ولكبي يعيد الشاعر توازنه النفسي من جراء احساسه بألم القطيعة والجفوة من بني عمومته، كان عليه ان يعلق: لو طرقت قصى نازلةٌ شديدة فلن يتخلى أبو طالب وعشيرته من بني هاشم عن نصرتهم والدفاع عنهم، وحفظ نسائهم، وانها طرق الشاعر هذا الكلام ليمنحهم الفرصة في التفكير والعودة إلى رشدهم، والعزوف عن غيهم، وهو في الوقت نفسه غاية ما يجود به المرء من ود لبني جلدته، وتفصح عن قوة شخصية أبي طالب الحكيمة ذي الخبرة المتراكمة في الحياة النبي جعلته يعتقد: إذا كانت بنو كعب قيد اعتمدوا على كثرة شرفهم ونفوسهم، فلا بد من وقوعهم في شدائد لا يهتدون الى الخروج منها، ولابد من خذلانهم، ويبدو أنَّ أبا طالب قيد يأس من نبصرة ابنياء عمومته، بدلالة ذبحهم لبني هاشم بالمدى بالقول والفعل، وهكذا تباينت انفعالات أبي طالب في العتاب بالتودد بالمديح والنصح والوعظ تارة، والتوبيخ والتهديـد تـارة أخرى بحسب تنوع بواعث العتاب.

واتجه عتاب أبي طالب إلى تقرير الصفات الحميدة له سالكاً الاتجاه نفسه في المشكوى والتحذير والنصيحة والوعظ، فحينها اجتمعت قريش على خلاف أبي طالب، كان لا بد من أن تنقطع حبال الود بينه وبينهم، فشكى ابوطالب بطون قريش عامتهم، ثم خص منهم ذرية عبد مناف: بني عبد شمس، ونوفل، فقال:

{من الطويل}

سِوى أَن مَنَعنا خَيرَ مَن وَطِئ التُّربا كرياً نَفَاه لا لئسياً ولا ذربا فإيساكها أن تُسمعرا ببننا حربا أحابيش فيها، كُلُّكُم بشتكي النَّكبا ورهبط ابي يكسُوم إذ مَلاوا الشَّعبا لأصبحتُم لا تملكونَ لنا سربا()

وَما إِن جَنَينا فِي قُريشِ عَظيمَةً أخا ثقية للنائبات مُرزَّا في الْخَوَينا عبد شمسٍ ونوفلاً وأنْ تصبحوا من بعد ودَّ وأُلفةٍ ألم نعلموا ما كانَ في حربِ داحسٍ في والله لولا اللهُ لا شيءَ غيرُهُ

انصب عتاب أبي طالب على مخالفة قريش له ومقاطعتهم لعشيرته من بني هاشم المرهونة بحمايته ومنعته ومساندته لابن أخيه رسول الله عَلَيْوَالله ولكي يسوغ منعته لابن أخيه بيَّن خصائله وشهائله وفضائله الكريمة، ثم التفت إلى بعض بطون قريش وهما: عبد شمس، ونوفل، وخصها بالذكر لاحقيتها في المناصرة ولأنهم أبناء عمومة يدخلون في النسب النبوي (")، ليضرب لهم مثلا وعظيا في حربي: داحس،

⁽١) الديوان: ١٨٣، المرزأ: الذي يصيب الناسُ من ماله ونفعه كثير، نثًّا: ما يقال عن الرجل، الذَّرب: الحاد السليط اللسان، أحابيش: متفرقون.

وحرب داحس: حرب طويلة دارت بين عبس وذبيان واشتملت الأيام الاتية: المريقب، وذي حُسى والمعمري والهباءة والفروق والقطن، وأثار حرب داحس والغبراء رهان جرى بين قيس بن زهبر العبسي، وحذيفة بن بدر من ذبيان على سباق لخيلها، وظلوا يتراوحون القتال أربعين سنة، ظ: العقد الفريد: ٦/ ١٤ الكامل في التاريخ: ١/ ٣٤٣ - ٣٥٥.

أبو يكسوم: كنية أبرهة الاشرم، ظ: السيرة النبوية لابن كثير: ١٩٢١- ٤٢، ذكر سبب قصد أبرهة بالفيل مكة ليخرب الكعبة فأهلكه الله تعالى.

⁽۲) أنساب الأشراف: ١/ ٦١.

وابرهة الحبشي، لعلهم يتعظون، ويرجعون عن غيهم، وظلمهم في المقاطعة، فذكر حرب داحس يعني تأكيد الفناء، وذكر حرب ابي يكسوم تذكير لهم بغلبة ابن أخيه، فهو ابن عبد المطلب الذي قال: "إن للبيت ربا سيمنعه" أن فانتصر بقوة الله تعالى من دون حرب، وسينتصر ابن أخيه بالقوة ذاتها فاستحضر أبو طالب من التأريخ - في عتابه - ما يحقق له غاية قد ترجع الخصم من غيه، ويبدو أنَّ طريقي النصح والوعظ: هما الطريقان الأفضلان في العتاب.

وعندما يجد أبو طالب أن الوصال أوشك على الانهيار، فلا حيال له لاستئناف الود بينه وبينهم اتجه عتابه سلبا؛ لأنه لم يحقق شد المقابل إلى ما يصبو إليه من النصرة والحاية والتأييد، وبهذا كله تنوعت انفعالات الشاعر من الشكوى إلى التحذير والنصيحة والوعظ بحسب بواعث العتاب. وسلك ابوطالب في عتابه لبني عبد شمس مسلكا تحريضياً يمتزج بالتوبيخ فقال مخاطبا إياهم:

{من الطويل}

بَنى عَبدِ شَمسِ جيرَتِي وَالأَقدارِبِ تَعُمَّمُ وَتَسدعو أَهلَها بِالجَباجِبِ عَن النَّصر مِنَّا أَو غَو مُتَجانِبُ^(۲) وَما كُنتُ أَخشى أَن يُرى الذُّلُّ فيكمُ جَميعاً فَلا ذالَت عَليكُم عَظيمَةٌ أَراكُم جَميعاً خاذِلينَ فَذاهِبٌ

إنَّ العلاقة بين الشاعر وقومه علاقة فاترة، لاحجامهم عن النصرة وعدم عسكهم بنصرة الاخ والقريب كما فرضت ذلك الحياة الجاهلية، فعدَّ قانون الحماية عنوان العربي القوي صاحب السطوة والعز في المجتمع، وان العزوف عن تطبيق هذا

⁽١) السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٥٠.

⁽٢) الديوان: ١٢٩، في البيت الثالث إقواء، الجباجب: جبال بمكة، ظ: معجم البلدان: ٢/ ٩٨.

القانون جناية عظيمة في حق العربي، وذل لا يمحى على مر الدهر، ومن هناكان عتاب أبي طالب الممتزج بالتحريض لبني عبد شمس، وان كان متيقنا منهم ان الذل لازمهم لتنصلهم عن النصرة، وهذا التوبيخ اوقع ايلاما في النفس؛ لأن العربي ذو أنفة يأبى الذل، واوما أبو طالب من طرف خفي إلى جعل نفسه ميزان المفاضلة في الاباء والرفعة والسطوة والسلطة والقوة بأن يكون الناصر لدين الله ولرسوله الكريم الذي أدى حق هذا القانون الاجتماعي في الوقت الذي يشعر به بالياس والقنوط من نصرتهم وهو يعاتبهم.

وصفوة القول: إنَّ ظاهرة العتاب الأخوى في شعر أبي طالب لأخيه أبي لهب ولأشراف قومه من قريش الذين هم اكفاؤه فرضتها طبيعة المرحلة التي واكب فيها ابوطالب بواكير الدعوة الإسلامية فكان علما باسقا لنصرة رسول الله عَلَيْظِهُ وهو يدعو من يعاديه إلى النصرة والمؤازرة والحاية، وهذا يلحظ في عتابه الجماعي الـشامل لبطون قرش ولا سيما أبناء عمومته اللذين يدخلون في شبجرة النسب المعارضين للدعوة الإسلامية، فكان العتاب له أثره الواضح في نصرة الإسلام ومخالفة بطون قريش للدعوة الإسلامية المتمثلة بزعاماتها والتي افرزها حسدهم، لتشريف الله بني هاشم في الشرف والسيادة والنبوة، فكانت هذه الفضائل من عوامل جفائهم وقطيعتهم وبغضهم وحقدهم، وطرق أبو طالب هذه المعاني في عتابه بتقنية فنية متناسقة مع الموقف الآني الذي يمر به والمتآزر مع صور العتاب المتعددة من مديح ولوم ونصح وتنبيه وتحذير وتهديد وتوبيخ، فانصحت عن تنوع انفعالات الشاعر المتاثرة بمواقف الشخصيات والبطون الرافضة لحماية أبي طالب لابـن أخيـه، بيـد أنَّ أبا طالب بقى الصوت المسيطر في العتاب بها يملك من قوة وسطوة ومكانه في نصرة الرسالة ورسول الله عَلَيْظِهُ .

التحذير والتهديد:

وهما موضوعان طرقهما الشاعر الجاهلي، الأول، ما ذكر فيه انذار الأعداء وتحذيرهم من مغبة طغيانهم عندما تظهر امارات الاساءة، أو ان تكون على وشك الوقوع، فيرشدهم الشاعر إلى الصواب، اما الثاني، فيتوعد الشاعر الأعداء بالقتل والتنكيل والوعيد والثبور بالقوة والعنف إن لم يرجعوا إلى الطريق السوي، فسوف يلحق بهم الأذى.

وصدر تحذير أبي طالب وتهديده إلى بطون قريش على شكل رسائل شعرية، بوسائل تبليغية متعددة اما أن يكون التبليغ صادرا منه مباشرة إليهم، واما أن يبلغ الحاضر الغائب منهم، وأما أن يعين رسولا لهذه المهمة، حين علم ان بطون قريش ـ التي تدخل في شجرة نسبه _ قد عقدوا العزم على الشر في قتل رسول الله عيوله والقضاء على دينه، فيحاول _ في بعض الأحايين _ أن يتبع تحذيره لهم بانذارهم ونصحهم؛ ليوجه انظارهم إلى من يشعل نار الحرب، وما ستؤول عليهم من مصائب وخسائر، فالشاعر الحازم الحليم الناصح يحذر القوم من مغبة افعالهم غير المحمودة العواقب لاحترامه صلة القربي، وما تفرض عليه من واجبات النصح والتوجيه.

وقد يكون التحذير شديد اللهجة، فيزداد انفعال الشاعر، فيلتهب القول، ليصل إلى درجة التهديد والوعيد، فيهدد بانزال اشد العقاب بعبارات شديدة الحرارة، وكأنه مصمم على تنفيذ تهديده ووعيده إذا اقيمت الحرب لقتل رسول الله عَمَالُهُ (۱).

⁽۱) ظ: الديوان: ٧٤، ٨٥، ٨٨، ٩٦، ١١٥ - ١١١، ١١٧ - ١١٩، ١٢٢، ١٢٤ - ١٢٥، ١٢٧ - ١٢٨، ط: الديوان: ٧٨، ١٢١ - ١٨٢، ١٢٢ - ١٨١، ١٢٠ - ١٢٨، ١٨٢ - ١٨٢ - ١٨٢ -

وأهم ما انهاز به التحذير والتهديد في شعر أبي طالب انه يحذر ويهدد بطون قريش من أجل نصرة الإسلام واقامة عمود الدين فهذان النوعان من فنون القول المرتبطان بفكرة نصرة رسول الله ورسالته بدأ في فجر الدعوة الإسلامية على لسان أبي طالب بها توافر له من امكانات السلطة والقوة والحزم في حماية نبي الله محمد عَلَيْكِيُّهُ، وكانت بطون قريش تعرف قدر أبي طالب فيها، فلا تجرأ على الرد عليه؛ لأنها إن تجرأت ستقوم حرب لا هوادة لها في قبيلة قبريش نفسها بوصف أبيا طالب زعيها لعشريتين كبيرتين في قريش هما: بني هاشم، وبني عبد المطلب، فالذين يعادونهم هم أبناء عمومتهم، وهم المؤيدون والناصرون والحامون لرسول الله ﷺ زد على ذلك أن قريشا كانت تنأى عن طبيعة الحياة القبلية في صراعاتها، فلم «يكن بينهم نائرة»(")، فهي ليست من أرباب الحروب لطبيعة معيشتها التجارية، ولاستقرارها في الحاضرة، ولتكويناتها الاجتماعية فأكثر هذه البطون رؤوسها شخصيات متزعمة لها مقاماتها الاجتماعية في المجتمع القرشي، فلم تكن ذا قوة كبيرة تصمد أمام العرب، فهي تخشي من تألب العرب عليها، فتضعف قوتها، واشعار أبي طالب في هذين الموضوعين المستندين إلى فكرة حماية الإسلام المتمثلة بمنعة رسول الله ونبصرة دينيه تمشل بدايية الصراع بين صف الايمان، وصف الشرك التي تتأصل فيه الظاهرة الأدبية في باكورة الدعوة الإسلامية.

ونجد في شعر أبي طالب الذي قيل في التحذير سبيلا إلى النصح والعظة لمشركي قريش ولا سيما بني غالب حيث يحذر الرجال البصراء والعقلاء بما حل بالأُمم قبلهم اذ تمادوا في غيهم، واصروا عليه في رفض رسالات رسل الله وايذائهم

⁽١) طبقات فحول الشعراء: ١/٢٥٩.

لهم، فلفت انتباههم إلى العواقب المؤلمة التي ستحيق بهم إذا هم قتلوا رسول الله على الله على الله على وانها نهج أبو طالب منهج العقل والمنطق في نصح قومه وتحذريهم، ليستعبروا، وليتعظوا وليتقوا سخط الله عليهم في إيذاء رسوله مذكراً إياهم بمعجزته التي كانت سبباً في شلل يد أبي جهل حين عزم على قتل رسول الله عَلَيْهِ فقال في قصيدته القافية: {من المتقارب}

عَسنِ البَغسيِ في بَعسضِ ذا المَنطِقِ بَوائِسةَ في دارِكُسم تَلتَقسي وَرَبُّ المَغسوِ وَالمَسشرِقِ وَرَبُّ المَغسوداً وَعساداً فَمَسنِ ذا بَقسي وناقسة ذي العسرشِ إذْ تسستقي مِسنَ اللهِ في ضَربَسةِ الأَزرَقِ مِسماماً مِسنَ اللهِ في ضَربَسةِ الأَزرَقِ مُحساماً مِسنَ اللهِ في ضَربَسةِ ذا رَونَسقِ مُحساماً مِسنَ اللهِ المَخسوِ المُلسقِقِ عَجائِسبُ في الحَجَسرِ المُلسقِقِ إلى السقايرِ السعادِقِ المُتقسي إلى السقايرِ السعادِقِ المُتقسي عَسلى رغسم ذا الخسائنِ الأَحمَقِ عَسلى رغسم ذا الخسائنِ الأَحمَقِ بغَسيّ الغُسواةِ وَلَم يَسعدقِ (۱)

أَفية وا بَنسي غالِب وَإِنتَه وا وَإِلا فَاإِنسي - إِذن - خائِس فَ تك ونُ لِغَ ابرِكُمُ عِسبرةً كما نالَ مَن كانَ مِن قَبلِكُم غداة انساهم بها صَرْصَراً فَحلَّت عَلَيهِم بِساسَخطَةٌ فَحلَّت عَلَيهِم بِساسَخطَةٌ فَحلَّت عَلَيهِم بِساسَخطَةٌ وَأَعجَبُ مِن ذاكَ مِن أَمرِكُم يكف اللَّذي قامَ من حَبنه فأيب سَهُ الله في كَفِّ في

⁽۱) الديوان: ٢٥٥ – ٢٥٦، البوائق: الدواهي والخصومات، مفردها باثقة، الأزرق: هو قيدار الازرق الذي عقر ناقة صالح، العرقوب: عقب الناقة، «ثمود بن عاثر بن سام بن نوح... كانوا احياء من العرب العاربة قبل إبراهيم الخليل علي وكان ثمود بعد عاد ومساكنهم مشهورة فيها بين الحجاز والشام إلى وادى القرى وما حوله، تفسر ابن كثير: ٣/ ١٨٩.

حذر أبو طالب الحلماء من أرباب العقول من بني غالب الـذين يعتبرون من حوادث الأمم السالفة، ويجعلونها سبيلا يهتدون إليها في التفكير والعمل؛ لأن هذه الحوادث الموشحة بالطراز الديني تعيد نفسها على الرغم من اختلاف الزمان والمكان والاشخاص.

فقد كذب قوم عاد رسولهم هوداليًا وقوم ثمود رسولهم صالح الله وتعجبوا من إلقاء الوحي على بشر مثلهم فرموهم بالكذب والافتراء، فغضب الله عليهم وانزل عقابه بهم.

واليوم كذب المشركون رسول الله محمد عَلَيْكِالله ، فحذرهم أبوطالب من مغبة امرهم؛ لغاية ترهيبية لانذارهم في حال تماديهم في الظلم والبغي، ولفت اذهانهم إليها، فافادت العظة والنصح والارشاد بهذه القصص القرآنية (۱) التي استثمر أبوطالب معنى جوهرها في تحذير قومه من بني غالب، ثم ليدلل على معجزة رسول الله عَني جوهرها في تحذير قومه من بني غالب، ثم ليدلل على معجزة رسول الله عَني الله عَني عَنير ويتعظ، وهو يدلل على صحة نبوته ورسالته، وهكذا حرص أبوطالب على تحذير قومه من عذاب الله الذي سيحيق بهم إذا قتلوا رسول الله بنصحه في عزوفهم عن قتله، سالكا مسلك المنطق والعقل والحكمة والتدبر في عواقب الأمور؛ لدفع شرورهم.

وقد يتجه الخطاب الشعري إلى تهديد الخصم بشن الحرب والايقاع به، ويبالغ الشاعر في شن الهجوم وذكر معدات الحرب الضرورية من خيل قوية وأسلحة كثيرة

⁽۱) ظ: تمثيلا لا حصرا: الأعراف/ ٦٥- ٧٩، هود/ ٥٠- ٦٨، الشعراء/ ١٧٣- ١٥٨، النمل/ ٥٥- ٤٥، القمر/ ٤٥، فصلت/ ١٣- ١٨، الأحقاف/ ٢١- ٢٦، الذاريات/ ٤١- ٥٥، النجم/ ٥٠- ٥١، القمر/ ٨- ٢٦، الحاقة/ ٤- ٨، الفجر/ ٩، قصتى: عاد وثمود.

وأبطال ذي قوة وحزم عندما كانت قريش تهدد بقتىل رسول الله عَيَبِاللهُ، ودفعاً لما تتوهم قريش في ضعف أبي طالب وعشيرته الحامين له، توعدهم أبو طالب برسالة شعرية موجه إلى بني لؤي الذين يدخلون في عمود النسب النبوي وخص منهم أبناء عمومته الأقربين، بني: تيم، وعبد شمس، ونوفل، فقال في قصيدته اللامية:

{من الطويل}

بِحَقَّ وَمَا تُغني دِسَالَةُ مُرسِلِ
وَإِخُوانَسَا مِن عبدِ شَهِمِ وَنُوفَلِ
وَأَمَرَ غَدويًّ مِن غُدواةٍ وَجُهَّلِ
وَأَمَرَ خَدويًّ مِن غُدواةٍ وَجُهَّلِ
أَقَدرَّت نَدواصي هاشِهم بِالتَّلْأُلُو
وَمَكَّة وَالإِشْعارِ فِي كُبلً مُعمَلِ
بِمَدماه والرُّكنِ العَنيوقِ المُقَبَّلِ
صَوادِمُ تَفري كُلَّ عَظمٍ وَمِفْصَلِ
مَدماليتَ في يَدومٍ أَغَدرً مُعجَلِ
بَيتُنْ غِدالِح فَنَعرُك مِن نَدشاءُ بِكَلكَلُ

ألا أبلِغ اعَنّ يُ لُوّيً السِسالَةُ بَنى عَمّن اللَّهُ وَسَالاً نَخَدَّ مُهُم اللَّهُ وَسَالاً نَخَدَّ مُهُم أَظ اللَّهُ وَمِساً عَلَيْن اللَّهِ الْطَنْ الْحَلَّ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ا

وَذي مَيعَدةٍ نَهد المَراكِدلِ هَيكُدلِ
وَعَدضبٍ كَإِيهاضِ الغَهامَدةِ مِقدصَلِ
وَلاصٍ كَهَرْهدازِ الغَديرِ المُسَلسسَلِ
مَعَاويدلُ بِالأَخطارِ فِي كُدلِّ مَحَفَلِ

فَإِنَّ اسَنَحميه بِكُلَّ طَمدرَّةِ وَكُلِّ رُدَينِ عِي ظِلَاءِ كُعوبُ هُ وَكُلِّ جَرورِ اللَّيلِ زَخفٍ مُفاضَةٍ وَكُلِّ جَرورِ اللَّيلِ زَخفٍ مُفاضَةٍ بِأَيانِ شُعَمِّ مِن ذوائِبِ هاشِم علم أبو طالب قرار بنبي لـؤي بـن غالـب في القضاء عـلى الإسـلام المتمثل بالرسول الكريم، ويقينه ان خطابه مع قومه لا ينفع؛ لإدراكه تبصميمهم على تنفيذ رأيهم، فاستفزه هول رأيهم واثار غضبه، والتهبت حميته، فدفعته دفعا إلى تهديـدهم في استحالة قتل رسول الله، وتعجيزهم على ذلك، ومادام بنو لـؤي بـن غالب أجهـروا عداوتهم للإسلام بصراحة ، فكان عليه أن يعلن موقف بقوة وصرامة إلى جانب الإسلام بوصفه الحامي لمثل الإسلام مع عشيرته من بني هاشم، فكان شعره في هذا الموضوع سلاحا في خدمة الإسلام لصد اعدائه وتهديدهم وتخويفهم بحرب شؤوم، واظهر أبو طالب استعداد حماة الإسلام ليحاربوا بالوسائل كلها، فمن مستلز مات القتال في الحبرب الخيل فنعتها بالجودة والقبوة والسرعة، ومن عدة الأسلحة : الرماح المتينة والمتماسكة، والسيوف البتارة والقوية، والدروع الواسعة والطويلة ، وبهذه المعمدات يجهز الابطال المتحماريون من بني هماشم فوصفهم بالشجاعة والأنفة والشرف والبطولة في المهالك، فهذه المقومات القتالية مجتمعة هي من وسائل التهديم بالحرب التي تتكفل بتحقيق النصر إذا ما شرع ىنو لؤى بالحرب.

وقد يصف الشاعر شعوره المؤلم نحو قومه، فيتحدث عن حالته النفسية

⁽۱) الديوان: ۱۱۷ – ۱۲۰ المعمل: ديار لبني هاشم، تمام: تمام الخلق، جالحه: كاشفه بالعداوة، الطمرة: الفرس الجواد الطويل القوائم، ميعة الفرس: أول جريه، المراكل: مفردها المركل وهو موضع ركل الدابة بالقدم، الهيكل: الفرس الطويلة الضخمة، الكعوب من الرماح: المتينة المتهاسكة، جرور الذيل: صفة للدرع الطويلة، الزغف: الدرع الواسع والطويل وهي صفة ثانية للدرع لؤي بن غالب بن فهر =

في مفارقة مضجعه في الخطاب الشعري الموجه إلى قومه الذين سعوا إلى قتل رسول الله المنافي خلياً وبهتانا، فوصف ألمه لما ضاق ذرعا بعزم بني فهر على هذا الأمر، واعتراه الهم والحزن والقلق، فانذرهم وهددهم وحذرهم في آن معا، فنبههم ظلمهم الذي سيعود عليهم بالوبال، ونعت جنايتهم بالجهل وضعف الرأي، وتوعدهم بالشر والعقاب إذا ما اندلعت حربابينها تتنادى عليهم بالأسف، فقال:

(من الطويل)

عسراني وَأُخسرى السنَجمِ للساتَقسدّ و وسسائرُ أُخسرى سساهرٌ لَم يُنسَوّم بسسوء وَمَسن لا يَنَّقسي الظُلسمَ يُظلَم عسلى فائِسل مِسن رأيهم غسير مُحكم وَإِن حَسسَدوا في كُسلِّ بَسدو وَمَوسِم وَلَم تَختَ ضِب سُمرُ العَسوالي مِسنَ السَّم ضِرابٌ وَطَعسنٌ بِالوَشسيجِ المُقسومِ جساجِم ثُلقسى بِسالحَطيم وَزَمسزَم حَليلاً وَيُعسشى عَسرَمٌ بَعسدَ تحسرَم يسلُودون عَسن أحسابِهِم كُسلٌ مُجسِمِ ألا مَسن فِحَسمُ آخِسرَ اللَّبلِ مُعسيَمِ عسراني وَقَسد نامَست عُيسونٌ كَشيرَةٌ لأحسلامِ أقسوامٍ قَسد أَرادوا مُحَمَّسدا سعَوا سَفَها وَإقتادَهُم سوءُ رأبهم رجاء أُمسودٍ لمَ يَنسالوا يِظُلمِها يُرَجَّسونَ أَن نَسخى بِقَتلِ مُحَمَّدٍ يُوَتسونَ أَن نَسخى بِقَتلِ مُحَمَّدٍ يُرَجَّسونَ أَن نَسخى بِقَتلِ مُحَمَّدٍ يُرَجَّسونَ أَن نَسخى بِقَتلِ مُحَمَّدٍ يُرَجَّسونَ أَن نَسخى بِقَت لِ مُحَمَّدٍ يُرَجَّسونَ أَن نَسخى بِقَت لِ مُحَمَّدٍ يُرَجَّسونَ أَن نَسخى بِقَت لِ مُحَمَّدٍ مَن مِنسا خُطَّةٌ دونَ نَبلِها تَحَمَّد وَنَ مَنسا خُطَّةٌ دونَ نَبلِها وَتُنسى عَليكَ وَتُنسى حَليكَ وَيَسْتِ اللهِ عَلْمَ الْحَديدِ إِلْسَادُهُ وَالْحَديدِ إِلْسَادُهُ مُن وَلَيْدُمُ وَيَسْتِ اللهِ عَلْمُ وَتَنسى حَليكَ وَلَيْدِهِ الْحَديدِ إِلْسَادُهُ مِنْ الْحَديدِ إِلْسَادُ وَلَيْدُمُ وَيَعْسَلَ اللّهُ وَيَسْتُ اللّهُ وَيَسْتُ اللّهُ وَيَسْتُ اللّهُ وَيَسْتُ اللّهُ وَيَسْتُ اللّهُ وَيُسْتِ اللّهُ وَيَسْتُ اللّهُ وَيَسْتُ اللّهُ وَيْ الْحَديدِ إِلْسَادُ وَيْ الْحَديدِ وَيْ الْحَديدِ وَيَسْتُ اللّهُ وَيْ الْحَديدِ وَلِي الْحَديدِ وَيْ الْحَديدِ وَيْ الْحَديدِ وَيْ الْحَديدِ وَيْ الْحَديدِ وَيْ الْحَديدِ وَيْ الْحَديدُ وَيْ الْحَديدُ وَيْ الْحَديدِ وَيْ الْحَديدُ وَيْ الْحَديدُ وَيْ الْحَديدُ وَيْ الْحَديدُ وَلْمُ وَلِيدُ وَيْ الْحَديدُ وَيْ الْحَدِيدُ وَيْ الْحَديدُ وَيْ الْحَد

ابن مالك، وتيم بن مرة بن غالب، وعبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بـن كعب ابن لؤي، وهـؤلاء من بطون ابن لؤي، ونوفل بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بـن كعب بـن لـؤي، وهـؤلاء من بطون قريش، ظ:جهرة أنساب العرب: ٢/ ٤٦٤.

نَسوائِحُ قَستلى تَسدَّعي بِالنَّنَسدُّمِ وَغِسْبانِكُم مِسن أَمرِكم كُسلَّ مَسأْنَمِ وَأَمرٍ أَنسى مِسن عِندِ ذي العَسرشِ قَيِّم إذا كسانَ في قَسومٍ فَلَسبسَ بِمُسسلَمِ لِكَسلا تَكونَ الحَسربُ قَبلَ التَقَدُّمُ (")

كان من حكمة أبي طالب، وعقله ومنطقه أن يحذر بني فهر؛ ليمنحهم فرصة في التفكير قبل الانزلاق إلى الشر، وما يجر عليهم من عقوق واثم؛ لجسامة خطر رأيهم؛ ولاستحالت تسليم رسول الله عَلَيْقِهُ لهم، فهذه معاذير يهديها الشاعر لقومه قبل أن يتورطوا في الحرب.

ولا بد من أن يعلن أبو طالب من جانبه بقوة وصرامة موقفه من حماية الإسلام، مادامت قريش اعلنت عداوتها وبغضها بصراحة، ولا شك في ان تهديده وتحذيره اكتسى حلة إسلامية في دفع العقوق والاثم عن نبي الهدى الذي جاء من عند ربه بدين مستقيم للبشرية جمعاء.

وتبرز المعاني الإسلامية أكثر في الدعوة إلى الحق والانصاف في استعمال العقل والحكمة في الخطاب الشعري الذي وجهه أبو طالب إلى قومه الذين لم يراعوا حقوق صلة القربى وواجباتها من بني غالب، ولاسيما لوي وتيم المعادون للإسلام والمبغضون له، وشعوره العميق بصلة القربى جعله يزمع على تجنب القطيعة، فينذرهم ويحذرهم من أجل ادامة وشيجة القربى، لاحتمال ان تتكفل الحرب

⁽١) الديوان: ٢١٦- ٢١٧.

بفنائهم، وليضرب حكمه بذلك، وعندما باءت أمنيته في اعادة العلاقة الطيبة بينها بالفشل، فلا يمتلك سوى التهديد امام تهديدهم واصر ارهم على قتل رسول الله عَلَيْظُهُ، فقال منذرا ومحذراً برسالة تبليغيه، ويمدح رسول الله عَلَيْظُهُ في القصيدة المبمية:

{من الطويل}

لُؤَيِّاً وَسِيهاً عِندَ نَصِرِ الكَرائِم إِذَا كِلَانَ صَوْتُ القَومِ وَحِيَ الغَمَاغِم وَأَمَـرُ بَــلاءِ قــاتِم غَــيرِ حــاذِم وَأَنَّ نَعَيمَ السدَهر لَسيسَ بسدائِم وَلا تَتبَعـوا أمـرَ الغُـواةِ الأشـائِم أمانيهم تلكم كأحلام نائم وَكَّما تَـرَوا قَطَـفَ اللِّحـى وَالغَلاصِـم تحسوم عكبها الطبر بَعدَ مَلاحِسم وَقَد قَطَعَ الأَرحامَ وَقعُ السَمُوادِم إِلَى السرَّوعِ أَبناءُ الكُهولِ القَمَاقِسم تَمَكَّـنَ فِي الفَـرعَينِ فِي حَــيِّ هاشِــم بِخـــاتم رَبِّ قــاهِرِ للخَــواتِم وَما جاهِلٌ أَمراً كَاخَرَ عالِمُ" فَبَلِّع عَلَى السَّحناءِ أَفناءَ غالِب لأنَّا سُيونُ اللهَ وَالمَجِدِ كُلِّهِ أَلَمْ تَعلَم وا أَنَّ القَطيعَ قَ مَا أَنَّمُ وَأَنَّ سَبِيلَ الرُّسْدِ يُعلَّمُ في غَدِ فَــلا تَـسفَهَن أَحلامُكُــم في مُحَمّـدٍ يُمَنُّ ونَكُم أَن تَقتُل و، وَإِنَّ إِنَّ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّ فَـــإِنَّكُم _وَالله _لا تَفتُلُونَـــهُ وَلَمْ تُبسِصِروا الأَحبِاء مِسنكُم مَلاحِساً وتسدعوا بأرحسام أواصر بينسا وَنَـسْمُو بِخَيـلِ بَعـدَ خَيـلِ تَحُثُهـا مِنَ البيض مِفضالِ أَبِّ عَلَى العِدا أَمَــينٌ مُحِــبٌ في العِبـادِ مُـسوّمٌ يَــرى النــاسُ بُرهانــاً عَلَيــهِ وَهَيبَــةً

⁽١) الديوان: ١٢٧ - ١٢٨، القاقم: مفردها القمقام، وهو السيد.

إنّ من مزايا أبي طالب الرجل العاقل المؤمن أن يلجاً الى الحكمة والنظر في عواقب الامور في مراعاة وشيجة القربى، يريد بها جمع الشمل؛ لأنهم من نسب واحد، وينبههم على أن القطيعة اثم وبلاء كبيران.

وجاءت الخطوة الثانية في تحذير القوم في بيان جهلهم برسول الله عَيَالِهُم واتباعهم أهل الضلال، وكأنَّ أبا طالب يريدهم أن يتريثوا فلا يستعجلوا في رأيهم بقتل رسول الله عَيَالِهُ؛ لأنهم يعرفون علامات نبوته وإذا ما بدأت الحرب فسيعلمون قوة الحامين والناصرين والمؤيدين من بني هاشم، وسيلقون العقاب على أيديهم، وبهذا توجه الخطاب الشعري من التنبيه والتحذير إلى اصدار حكمة مستخلصة من تجارب حياة الشاعر من أن طريق الرشاد سيعلم في غد، وأن السعادة ليست بدائمة؛ فيحتدم الصراع، وتتوهج انفعالات الغضب فيشور أبو طالب مهددا ومتوعدا، وذلك ليظهر الشاعر وعشيرته من بني هاشم بمظهر الأبطال الأقوياء في مواجهة أعداء الإسلام، فيصور الشاعر ما يزمع عليه من أيقاع أشد القسوة والعنت بهم في ملحمة كبرى يصف فيها قطف الرؤوس من الرقاب، وتصوير جثث القتلى طعاما للطيور الضارية، ليرسم هذه الصورة الترهيبية في أذهان القوم التي هي احدى وسائل التهديد والوعيد.

وتتكرر هذه الصورة الترهيبية في تحذير الخصم في حال الاستعداد للحرب، وينصح أبو طالب بالتريث والتمهل مستعينا بالحادثة الدينية المستمدة أحداثها من التاريخ، سالكا اتجاهات متنوعة في خطابه لبني لـؤي بـن كعب مـن انـذار ونصح وتحذير وتهديد ووعيد، عندما اشتد البلاء على بني هاشم وبني عبد المطلب في حصار شِعْب أبي طالب لحايتهم رسول الله عَيْمَ الله عُمْمُ فَكَتبت قريش صحيفة المقاطعة،

فقال أبو طالب في قصيدته البائية التي يمدح فيها رسول الله، ويخاطب رهطه (١٠): {من الطويل}

لَكُسم كَائِنٌ نَحساً كَراغِيَةِ السَّقبِ وَيُصبِح مَن لَم يَجنِ ذَنباً كَذي الذَّنبِ أَواصِرَ نسا بَعسدَ المَسودَّةِ وَالقُسربِ أَواصِرَ نسا بَعسدَ المَسودَّةِ وَالقُسربِ أَمَر عَلى مَس ذاقَه حَلَب الحَربِ لِعَرْاءَ مِس عَضَّ الزَمسانِ وَلا كَربِ وَأَيسدٍ أُنِسرَّت بِالقُسساسيّةِ السَشُّهبِ بِعِ وَالنَّسورُ الطُّهم يَعكُفنَ كَالشَّرْبِ بِعِ وَالنَّسورُ الطُّهم يَعكُفنَ كَالشَّرْبِ وَمَعْمَعَةَ الأَبطالِ مَعركَدةُ الحَسربِ وَأُوصى بَنيسهِ بِالطَّعسانِ وَبِالسَضَّربِ وَأُوصى بَنيسهِ بِالطَّعسانِ وَبِالسَضَّربِ وَأُوصى بَنيسهِ بِالطَّعسانِ وَبِالسَضَّربِ وَمَعا نَلاقي مِسْ النَّكسِ وَمَا نَستكي عما نلاقي مِسْ النُحبِ إذا طارَ أَرواحُ الكُساةِ مِسْ الرُعبِ (1)

حرص أبو طالب على انذار قومه ونصحهم وتحذيرهم لما كتبوه في صحيفتهم المشؤومة مثل شؤوم رغاء سقب ناقة النبي صالح على قوم ثمود، وأراد «ولد الناقة التي عقرها قُدار، فَرَغا ولدها، فصاح برغائه كل شيء له صوت، فهلكت ثمود عند

⁽١) ظ: الديوان: ٢١١.

 ⁽۲) الديوان: ۲۱۲ - ۲۱۳، السوالف: صفاح الاعناق، اتىرت: قطعت، القساسية: سيوف تنسب إلى
 جبل اسمه قساس في أرمينية، الطهم: سود الرؤوس، الكهاة: الأبطال المدججون بالسلاح.

ذلك فضربت العرب ذلك مثلا في كل هلكة "(")، وانها ساق أبو طالب هذه الحادثة الدينية من تاريخ الأمم السالفة، للعظة والاعتبار بعقاب الله للذين يؤذون رسله كي يتراجع القوم عن مقاطعتهم لعشيرة الرسول الكريم عَلَيْ الحامين له قبل ان يفتضح امرهم وتثار مخازيهم، ويتساوى عندها الجاني والبريء، أي ليتخذوا من هذه الحادثة الدينية منارا يهتدون بها في سلوكهم، ويحذرهم حربا حلوبا تجر عليهم الويلات، إذا ما أصر القوم على الحرب، ويهددهم بايقاع الهزيمة والحاق افدح الخسائر بهم، وهو يستعين بأدوات الحرب من سيوف ورماح وخيل وأبطال جانحا إلى وصف ساحة المعترك بصورة موحية تصور جثث القتلى طعاما للنسور العاكفة عليها، وهي صورة توحي بالرعب والخوف والاشمئزاز، ومما لاشك فيه أنَّ أبا طالب يؤكد تفانيه ووفائه للإسلام بحماية رسول الله عَلَيْق وهو يحذر ويهدد ويتوعد وهذا من جديد أبي طالب في هذا الموضوع.

وصفوة القول: يتبين أن النزاع لم يكن بين عشيرة أبي طالب والقبائل الأخرى وانها بينه بوصفه زعيها لعشيرته وحاميا للإسلام، وبين رهطه من قريش نفسها، فلقد استحكم الخلاف بين أبي طالب ومشركي قريش المناهضين للدعوة الإسلامية، فصممت قريش على قتل رسول الله عَيَّمِ للقضاء على الإسلام، فلجأ أبو طالب إلى استعمال أساليب متنوعة في خطابه مع رهطه من قريش اتخذت طريق النصح والانذار والتحذير والتهديد والوعيد، بحسب انفعالاته المتباينة مع المواقف التي بمر بها، فقد يثير في نفوس قريش حبه وإخلاصه في نصحه لوجوه الخير الذي يفرضه العقل والحكمة، وقد ينثار حزنه وألمه من سوء افعالهم فينسج أبياتا في انذارهم

⁽١) الرَّوض الأُنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام: ٢/ ١٣٣.

محاولا تنبيههم على العواقب الوخيمة التي لحقت بالأمم السالفة لتهاديها في غيها في تكذيب رسلها، فيعظ قومه بهذه القصص الدينية، وقد يتحامل على قومه لجهلهم بنبي الهدى، وظلمهم له، فينشد أبياتا محذرا إياهم، وقد يسوده غضب شديد فيشور بركان انفعاله عليهم فيهددهم ويتوعدهم وقد يلتهب احساسه فيصوغ أبياته في هماية الإسلام بعاطفة صادقة صادرة عن نبض قلب الرجل المؤمن، ومن هنا يعد أبو طالب في شعره بحق الرائد الأول في تطور هذه الموضوعات بمضامين إسلامية في خدمة الدعوة الإسلامية، وشعره ممثل امين لمرحلة الصراع الفكري بين الإيمان والشرك والذي واكب فجر الإسلام وبدايته، فعبر عن تفاصيل يوميات سيرة رسول الله عليه في معارضة قريش له.

الهجاء:

الهجاء ظاهرة اجتماعية أخرى لها وقعها المؤلم في نفس الخصم؛ لاقتصارها على ذكر مثالبه، وكشف عيوبه، وفضح مستوره أمام الناس، والهجاء مرهون بانفعالات الشاعر الحادة المتولدة من لحظات الغضب الشديد تجاه الخصم، ليضعف به معنوياته، وقد ارتدى فن الهجاء في قصائد أبي طالب ثوبا إسلاميا ناشئا من فكرة معاداة مشركي قريش للإسلام في رفضهم تمثل النبوة ببني هاشم حسدا وحقدا وبغضا^(۱)، فنشأ نزاع فكري أدى إلى خوفهم على كيانهم ومناصبهم في المجتمع القرشي، فناهضوا صاحب الدعوة الإسلامية وجاهروا بحقدهم وبغضهم وعداوتهم له، في الحاق الأذى به والقضاء على دينه، وخذلان عمه الناصر للإسلام، فخيبوا أمل أبي طالب فيهم، ولهذا كله نشأ صراع شعري زرع بذرته الأولى أبو

⁽١) ظ: أنساب الأشراف: ١/ ١٣٤.

طالب في تصديه لمعارضي سادات قريش حول فكرة دفاعه عن العقيدة، متخذا شعره سلاحا لمواجة بطون قريش وساداتها (١)، فكانت مواقفه الدفاعية للإسلام ومناهضة مواقف مشركي قريش المعادية هما الدافعان لقول الهجاء.

ومن الجدير ذكره أن الشخصيات المهجوه تمثل زعاء عشائرها أو ساداتها، فربها هجا العشيرة باسم زعيمها أو هجا الزعيم باسم العشيرة؛ ولهذا يمكن أن يعد الهجاء القبلي هجاء شخصيا لرغبة الشاعر في توسيع نطاق الألم والايجاع والاغاضة من الخاص إلى العام؛ لأن هجاءه مرتبط بسادات قريش أصحاب الرأي والمشورة، والأمر والنهي، بيد أننا لانعدم من وجود هجاء لشخص بعينه، ومنه الهجاء الذي اناطه أبو طالب بأخيه أبي لهب الذي كان شديد العداوة للإسلام، وعظيم التكذيب والأذى لرسول الله عَنَيْوا فقد لج في أمر الرسول الكريم، ونابذ أخاه أبا طالب الحامي للإسلام فأثار حفيظته، فحاول الأخير الحط من قدر أبي لهب، والتقليل من شأنه في كشف ما خفي من عيوب أمه الخزاعية "، المدعوة بسمحج، ليحقق قدراً من الايلام لأخيه وهو يُعَرِّض بها، فقال:

{من السريع}

غدري وما إنْ جنتُ من غَدْرِ ويجددُّ في النَّكرراء والكفرر لكررائم الأكفاء والصَّهْرِ

مستعرض الأقسوام يُخسبِرُهم يكنسى بسسمْحَجَ إذ يخالفُنسا فاجعلْ ساحِجَ وابنَها غرضاً

⁽۱) ظ: الديوان: ٧٦، ٧٧، ٨٠، ١٠٧، ١٢١، ١٧٨، ١٨٠، ١٥٦، ٣٣٩، ٢٤١.

⁽٢) «وأمه لُبنى بنت هاجر بن عبد مناف بن ضاطر بن حبشية بن مؤمل بن اسعد، من خزاعة»، أنساب الأشراف: ١/ ٩٠.

واسمع بوادِرَ من حديثٍ صادقٍ ينسوينَ مشلَ جَنَادِلِ الصَّخرِ

...

ولو انعمنا النظر في هجاء أبي طالب لأخيه أبي لهب لألفينا هجاء جاهليا بالمقاييس الفنية في ذكر عيب أمه، فقد كان يرى الشاعر في سمحج شيئا من الدهاء والفتنة التي دنت إلى أبي لهب بهذا العيب، بيد أننا لا نعدم التقاط عيب إسلامي يوصم به أخاه وهو الكفر.

وهجاء الأخ لأخيه غير مألوف في الشعر العربي، لأن الأخ سند لأخيه في الشدائد والمحن والمصائب، ولكن موقف أبي لهب المعادي لرسول الله عَلَيْ ولأخيه الناصر لدين الله أبي طالب جعل الأخير يقف موقف الغاضب على أخيه؛ لأنه خيب أمله في نصرة ابن أخيه الرسول الكريم، واعان عليه اعداءه من طغاة الشرك، فدافع العقيدة هو الذي وجه الشاعر إلى هجاء أخيه، وشعوره الحاد كان حمية للإسلام في الدفاع عنه، فأفاضت قريحته بضربات مؤلة ولاذعه في نفس المهجو، فعبر بصدق القول، فاصاب الحقيقة ووسم صاحبها بعار لا يجلوه الزمن، بخلاف الكذب والادعاء والافتراء الذي يمكن ان يجلو اثره على مر الايام، فيكشف زيف ادعاء الشاعر في المهجو.

وأبو طالب ينأى عن السب المقذع الذي يقترب من كلام السوقة، فيبتعد عن غاية الهجاء الذي يراد بها توجيه الافراد والجاعات من المجتمع القرشي المناهضين للدعوة الإسلامية في ابتعادهم عن موقفهم المعادي للإسلام على نحو ما نجده في

⁽١) الديوان: ١٨٠، صهاء: فتنة أو داهية، ضاف: مال ودنا.

الهجاء القبلي المتزاوج مع الهجاء الشخصي في ذم بطون قريش من بني عبد شمس ونوفل وتيم ومخزوم، في القصيدة الميمية التي يمدح بها أبا لهب طمعا في نصرة ابن أخيه رسول الله عَلَيْوَاللهُ ويحضه على نصر ته (١٠)، فقال:

{من الطويل}

وَتَسِياً وَمَحْزومًا عُقوقًا وَمَسَأَنَها مَعْمَوقًا وَمَسَأَنَها مَعْمَعَتَنَا كَسِيها يَنسالوا المَحارِمسا فضطُّوا ودَقُّوا للمسلاعظُر مَنْشِها وَلَا تَرَوا يَوماً لَدى الشَّعب قائِها(٢)

جَــزى اللهُ عَنّـا عَبدَ شَــمسٍ وَنَــوفَلاً بِتَفـــريقِهِم مِــن بَعـــدِ وُدٌّ وَأُلفَــةٍ أطـاعوا ابـن ذكـوانٍ وقبـساً ودَيـساً كــذبتُم وَبَيــتِ الله يُــبرى مُحَمَّـداً

استهل أبو طالب الهجاء بصيغة الدعاء، وهذا ما يتردد في شعره في هذا الموضوع "، وهو تمهيد جيد لكشف مكنونات انفعالات الشاعر في النص، فهو يتمنى ان يجازي الله الاحياء القرشية على اثامها وعقوقها، فعرّاها عن الفضائل الجليلة واكساها بالرذائل المهينة في ارتكابها الاثم، والعقوق، وانتهاك المحارم في عزمها على قتل رسول الله عَنَيْ فصوّر أبو طالب المهانة وهي لاصقة بابناء عبد شمس ونوفل وتيم، موقوفة عليهم، وكأن الشاعر يريد أن يقول بأن من يتصف بهذه الصفات ليس من سادات القوم، وانها من اراذلهم، ومن لم يكن سيدا لا يستحق ان يؤخذ برأيه في أمر خطير مثل قتل رسول الله عَنَيْ الله عَنْ الله عَنْ الله عَنْ أبي عمرو بن أمية بن عبد جعلها الشاعر تابعة ذليلة لرأي ابن ذكوان "عُقْبَة بن أبي عمرو بن أمية بن عبد

⁽١) ظ: الديوان: ١٧٨.

⁽٢) ظ: الديوان: ١٧٨.

⁽۲) ظ: م.ن: ۲۷، ۸۰، ۱۷۸.

شمس، وأبو عمرو: اسمه ذكو ان وقيس: هو قيس بن عاقل الخو لاني صاحب بني مخزوم، ودَيْسَم: هو الوليد بن المغيرة المخزومي، ويقال: انه عبد يدعي بدَيْسَم بن صَفْعَب »(١)، فجعل أبو طالب البطون المذكورة آنفا تابعة لا متبوعة، فهم دون منزلة ابن ذكوان عقبة بن أبي مُعيْط، فقد ذكر ان أُمية قد سَاعَى أمَةً أو بَغَتْ أمَةٌ له، فحملت بذكوان، فاستلحقه بحكم الجاهلية، والأمة التي ولدته يهودية من صفورية بلدة في الأردن (٢)، وعندما أمر الرسول عَلَيْظَ بقتل عقبة بعد اسره يوم بدر، قال عقبة: «أأقتل من بين قريش صَبْراً، فقال عمر: حَنَّ قِدحٌ ليس منها، يُعَرِّض بنسَبه» (٣)، وهذا تعريض واضح بنسب بني أُمية، ولهذا حذف ابن هشام البيت الثالث، فقال ما نصه: «وبقى منها بيت تركناه»(٤)؛ لأن فيه تعريضا بذكوان جد الامويين، وهذا ليس طعنا في نسب عقبة فحسب؛ بل في نسب بني أُمية نفسها، مما جعل السُّهيلي يعلق على الطعن في نسب بني أُمية؛ ليهون عليهم هذه المذلة، فقال: «عفا الله عن أمر الجاهلية، ونهى عن الطعن في الأنساب، ولولم يجب الكفُّ عن نسب بني أُمية إلا لموضع عثمان بن عفَّان رضى الله عنه، لكان حَرَى بذلك»(٥)، فقد كان أبو طالب صادق القول، ينأى عن الكذب، ولهذا لم يستطع التاريخ أن يمحو أثر قوله، أو يمدفع عن اصحابه وسمة العار في غمز نسب أمية، فوقع تعريض أبي طالب في المهجو على سبيل الازدراء والتنقيص، وهو أشد وطأة عليه؛ لأن «التعريض أهجى من التصريح؛

(١) الديوان: ١٧٩.

⁽٢) ظ: الَّروض الأُنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام: ٣/ ٩٣-٩٤.

⁽۳) م.ن: ۳/ ۹۳.

⁽٤) السيرة النبوية لابن هشام: ٢/ ١٥.

⁽٥) الرُّوض الأُنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام: ٣/ ٩٣.

لاتساع الظن في التعريض، وشدة تعلق النفس به، والبحث عن معرفته، وطلب حقيقته» (١).

اما من لم يكن من سادات القوم وأشرافها أمثال: قيس، ودَيْسَم، إذا صح ان ديسما كان عبدا، فقد أراد أبو طالب أن يضرب بها مثلا في الانتقاص والامتهان والوضاعة، ومن هنا وجه بطون قريش إلى أنهم عاجزون عن تحقيق مآربهم في قتل نبي الله؛ لأنهم ليس لهم رأي فهم ليسوا أسيادا لأنهم خضعوا لمن دونهم، واتبعوهم، ولا يخفى ما لسلب صفتي: الشرف والسيادة من أثرهما العظيم في نفوس تلك البطون القرشية، فعبيد قريش تتحكم باسيادها، من هنا صار العبد سيدا والسيد عبدا، ولا هجاء أقسى من هذا على زعاء قريش، وفيه تحريض مبطن على تأليب من بقي من قريش على قيس وديْسَم. ومن سبل الهجاء الانفتاح على التهديد والوعيد والتحدي لمن يريد نيل رسول الله علي الله بعادات المعركة لا يرون لهم قائمة بعدها في شعب أبي طالب.

ومن سبل الهجاء الشكوى من الخصم، واخفاء فضائله المحمودة، وابراز ما خفي وظهر من عيوبه على نحو ما نجده في قصيدة أبي طالب الميمية، فقد اعتراه الهم والحزن فأرقه وسلب نومه (٢)، لظلم قريش له ومنها البطون: تيم، وهصيص، ومخزوم، ففارت نفسه وغليت انفعالاته، فثار يهجو ظلمهم وعقوقهم لمقاطعة بني هاشم وفرض الحصار عليهم، لحمايتهم رسول الله عليهم لأن هذه البطون أدركت قوة رسول الله بعشيرته من بني هاشم بزعيمها أبي طالب، فلولاهم لاستطاعت

⁽١) العمدة: ٢/ ١٧٢ - ٢٧٣.

⁽٢) ظ: الديوان: ١٢١.

الانقضاض على الإسلام في قتل رسول الله على أو وأد دعوته؛ لذلك تجنبت هذه البطون اراقة الدماء، فاجبرتهم على الحصار لكي يتخلوا عن رسول الله، ثم تتمكن قريش منه، فخاطب أبو طالب قريشاً وهو يذكرهم ظلمهم وعقوقهم وحصارهم في الشّعب، فقال:

{من الوافر}

وَغِبُ عُقَ وَفِهِم كُلِاٌ وَحَيمُ وَكَسِسَ لُهُ مِ يِغَسِرِ أَخِ حَسريمُ وَكُسلُّ فعسالهِم دَنِسَ ذَمسيمُ وَتَحَسرُومٌ لَهُ منسا قَسسِمُ بَنسو تَسيمٍ وَكُلُّهُ منسا قَسسِمُ إذا طاشَست مِسن العِسدَةِ الحُلسومُ إذا طاشَست مِسن العِسدَةِ الحُلسومُ وَبَعِضُ القَسولِ أَبلَيجُ مُستَقيمُ بلاقسعَ بطسنُ زمسزَمَ والحَطِيمُ

وَلَــيسَ بِقَتلِـــ فِــيهِم زَعــيمُ هُــمُ العِـرنينُ وَالأَنــفُ الــصَّميمُ لِظُلُسمِ عَسشبرَةِ ظَلَمسوا وَعَقَسوا فَصَلَّ اِنتَهَكُسوا المَحادِم مِس أَخبهِم المَحادِم مِس أَخبهِم إلى السرَحَن وَالكَسرَمِ إسستَذَمّوا بَنسو تَسيمٍ تَوارثُها المُسصبصُ فَللا تَنهى عُسواة بَنسي هُسصبص فَللا تَنهى عُسواة بَنسي هُسصبص وَخسزومٌ أَقَسلُ القَسومِ حِلسا أَطاعوا إلسنَ المُغررَةِ وَإِسنَ حَسربٍ وَقسالوا خُطَّة جَسوراً وَمُحقا لنُخسرِجَ هاشا فيصيرَ منها لنُخسرِجَ هاشا فيصيرَ منها

⁽۱) الديوان: ۱۲۱ – ۱۲۲، بنو تيم بن مُرة بن كعب بن لؤي، وبنو هصيص بن كعب، وبنو مخزوم بن يقظة بن مُرة بن كعب، وهؤلاء من بطون قريش، ظ:جمهرة أنساب العرب: ٢/ ٤٦٤.

هجا أبو طالب البطون المتزعمة في المجتمع القرشي الذين ينتمون إلى شجرة نسبه، فرماهم بالظلم والعقوق، وسوء العاقبة، لانتهاكم حرمة رسول الله عليهم ففرض الحصار على بني هاشم يوجب عقاب الله عليهم، فراح أبو طالب يرشقهم بسهام الضلال والحمق بجهلهم برسالة الله تعالى، ومن هنا نسجل السبق لتأصيل الظاهرة الأدبية لهذا النمط الجديد من الهجاء الإسلامي لأبي طالب قبل غيره من شعراء الرسول عَلَيْ أمثال: حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة.

ومما لا يخفى أن الهجاء بالمعاني التي حُدِّدت بمفهومها الإسلامي ليس لها تأثير ذو بال على زعماء بطون قريش مشل اثر المعاني الجاهلية من ذكر عيوب المثالب والوقائع والأيام وغيرها؛ لأنهم أصحاب شرك لا يبالون بالاتهامات الحاملة للمفهوم الإسلامي الجديد.

واتهمهم أبو طالب بالطيش والخفة؛ لقلة حلمهم؛ وهذه النعوت المذمومة هي بخلاف خصائل السادات والزعاء الذين يمثلون عشائرهم ، وما دامت هذه صفاتهم أراد أبو طالب أن يعطي حكما فيهم، بأن هذه الصفات لا تليق بمن يتزعم قومه ، فإذا لا يستحقون أن يكونوا زعاء ، ومن ثم فهم ليسوا أهلا لإبداء الرأي بشأن رسول الله وعشيرته؛ ليصغر من شرف مكانتهم، وفي هذا ذم موجه لهم.

ولكي يزيد الشاعر من حط اقدارهم، رماهم بسهم مؤلم، فجعلهم تابعين لرأي الوليد بن المغيرة المخزومي، وأبي سفيان بن حرب اللذين كانا الممثلين لرؤوس الشرك، ويبدو أن ابن المغيرة وابن حرب هما اللذان أوحيا بفكرة الحصار والمقاطعة التي اغفلت عن ذكرها المظان التاريخية (١٠ و قد أدركا أن الهاشميين مصرون في موقفهم على حماية رسول الله على الله وسأنه؛ لأن اتباعه يزدادون، ومن يدخل الإسلام لا يخرج منه، ولذلك كله اتحدت بطون قريش على مقاطعة بني هاشم ومواليهم وعبيدهم ومحاصرتهم في الشّعب وإلى هذا الرأي الجائر أوما أبو طالب إلى خطة ابن المغيرة وابن حرب في إيحاء فكرة الحصار، وإلى ظلمها وحقهها، والظلم والحمق لا يوصف بها اصحاب الرأي والشورى، وانها كان هذا الأمر من أبي طالب للانتقاص والتهكم والسخرية منها، وفي الوقت نفسه ينصف أبو طالب الخصم، فبعض اقوالها مضيئة، وقصد من ارتباط قول السلب والايجاب للشخصيتين، التوجيه إلى أثر افعال الخصم في المحافظة على القيم العربية فيهم، وإلا فقد اصاب لهيب تعييره قريش افرادا وجماعات في نعهتم بالجهل والمضلال والطيش والحفة والظلم والعقوق، وكلها خصائل ذميمة تلحق الذل والعار في سادات القوم، وتهون اقدارهم.

وتغلي انفعالات أبي طالب فيلج إلى باب التهديد والوعيد بلهجة مستعلية ينقض على خصمه انقضاضا فاتكا^(٢) ومعلنا تجديد نصرته وحمايته لرسول الله على أوجوراً فليس فيهم زعيم، ليؤكد مرة وهو يومى وإلى من أراد قتل رسول الله ظلماً وجوراً فليس فيهم زعيم، ليؤكد مرة

⁽۱) ظ: تمثيلا لا حصرا: السيرة النبوية لابن هشام: ٣/٢، الكامل في التاريخ: ٢/ ٥٩- ٦٠، تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والاعلام: ١/ ١٣١- ١٣٣، السيرة النبوية لابن كثير: ٣/٤- ٥٠، البداية والنهاية في التاريخ: ٣/ ٨٤- ٨٠، امتاع الاسماع بها للنبي عَلَيْنِهُم من الاحوال والاموال والحفدة والمتاع: ١/ ٤٣- ٥٠، السيرة النبوية المعروفة بانسان العيون في سيرة الأمين المأمون: ٣/٢٥- ٣٠٠.

⁽٢) ظ: الديوان: ١٢٢.

أُخرى ما قرره في هجائه ببداية القصيدة، وهذا البناء الفكري المحكم للأبيات يـدل على اجادته في ربط آخر أبيات القصيدة بصدرها.

وصفوة القول: إنَّ الناظر في هجاء أبي طالب لبطون قريش يجد جرأته وصرامته وقسوته عليهم، ليضعف معنوياتهم، وهو يقف بجانب الدعوة الإسلامية، فكان شعره سلاحا من أسلحة الدعوة في نصرتها.

ومن الجدير ذكره: أنَّ هجاء أي طالب الموجّه إلى الخصم سواء أكانوا أفرادا أم جماعات اتخذ سبيلين: الأول، تعييرهم بالمعاني الجاهلية في اسقاط المهجو من منزلته الاجتهاعية، فينعته بالجهل والحمق والغدر، وقد يغمز بنسبه، فيحط من شأنه أمام أنظار قومه، فيبلغ الشاعر مأربه في هجائه للخصم بالطعن فيه؛ ولهذا الهجاء أثره العظيم في نفس المهجو، لقوته ونفاذه، أما السبيل الثاني ففيه يعير الخصم بالكفر والضلال والعقوق والإثم التي يترتب عليها المفهوم الإسلامي لها وهذا الهجاء أقل تأثيرا وقوة على المهجو؛ لأنه لا يدرك المعاني الإسلامية مثلها يدركها المسلم.



الدراسة ثانياً: في الفن

إنَّ لكل فن من الفنون وسائله التي توصله الى غايته، وغاية الفن هي التأثير في المتلقي سواء أكان المتلقي قارئا، أم مستمعا، أم ناقداً، ويعود تأثر الاثر السعري الى صاحبه المبدع في اختيار المادة الأدبية: المحتوى، والصورة.

إنَّ تآزر المحتوى والصورة، أو المضمون والشكل المتآلفان مع المواقف النفسية للشاعر في لحظة انجاز عمله الأدبي تثمر ابداعا فنيا بوصفه عملا متكاملا يقوم على الهام الشاعر المبدع بفعل تأثره بالمجتمع الذي يحيا فيه (١).

وقد اختلفت آراء النقاد العرب القدامي (٢) حول اللفظ والمعنى، او المحتوى والصورة، فمنهم من فصل بينهما وجعل لكل واحد منهما مزية من حيث الجودة، او الرداءة، وتفضيل احدهما على الاخر، ومنهم من جعل قيمة العمل الأدبي في الجمع بينهما.

⁽١) ظ: الاسس الفنية للنقد الأدن: ١١٠.

 ⁽۲) ظ: الحيوان: ۱۳۲ – ۱۳۱، البيان والتبيين: ۱/۱۳۶، الشعر والشعراء: ۱/ ۱۶، نقد الشعر: ۱۰۵ – ۱۲۰،
 کتاب الصناعتين: ۱۰۲ – ۱۰، العمدة: ۱/ ۱۳۶، دلائل الاعجاز: ۶۵ – ۶۸.

بيد ان النقاد المحدثين متفقون على الصلة الوثيقة بين المحتوى والصورة فاللفظ وسيلة المبدع لنقل المعنى الشعوري الذي يصوره الشاعر في تعبيره المشعري، وينقله الى الاخرين، «فليس هناك محتوى وصورة؛ بل هما شيء واحد ووحدة واحدة، اذ تتجمع في نفس الاديب الفنان مجموعة من الاحاسيس ويأخذ في تصويرها بعبارات يتم بها عمل نموذج ادبي» (٢)، لهذا يعد العمل الشعري الابداعي كياناً منتظاً يتكون من أجزاء مترابطة ومتلازمة، كل جزء فيه يتعلق بها عداه من الاجزاء على وفق نظام محكم لا انفصال فيه على مستوى بنية القصيدة في هيكلها ولغتها وصورها وافكارها، والحال الشعورية التي يمر بها مبدعها التي استقطبت تجربته الشعرية المنجزة.

إنَّ ما يؤثر في بنية العمل الابداعي التطور والتغير اللذين طرأى على المجتمع العربي ببزوغ فجر الإسلام، فهو لم يحدث تغيرا وتطورا على المستويين: الفكر والعمل، فحسب، وانها احدث تغييرا وتطورا على مستوى الفن أيضا، لأن الفن تعبير جمالي عن الواقع، وأضحى الإسلام ظاهرة اجتماعية لها اثرها الفاعل في الحياة اليومية، فأثرت في شعر الشعراء، وكان ممن سبقهم أبو طالب، فمثّل شعره تأصيلاً للظواهر الأدبية، فكما تأثر شعره بفعل الإسلام على مستوى الموضوع كها ذكرنا آنفا، تأثر على مستوى الفن في المستويات التقنية الفنية للعمل الشعري في أنهاط بناء القصيدة ولغتها وصورها إلى آخره.

على أننا سوف ندرس هذا الكيان المتمثل في فنية القصيدة في أجزاء منفصلة بأربعة فصول، وهي تجزأة ذهنية لدراسة الظاهرة الفنية؛ لتسويغ تعليل الاحكام النقدية.



⁽١) ظ: اصول النقد الأدبي: ٢٤٧، النقد الأدبي: ١٠٢، التيارات المعاصرة في النقد الأدبي: ١٨٤، في النقد الأدبي: ١٦٣.

⁽٢) في النقد الأدبي: ١٦٣.



مفتتح الفصل بناء القصيدة

بلغت القصيدة العربية نضجها في البناء الفني قبل الإسلام عبر الموروث الشعري الذي وصل الينا، فبنيت القصيدة على وفق نسق معين معروف تحدث عنه النقاد القدامى، فرسموا خطوطا لهيكل القصيدة يتألف من اجزاء بنائها، مبينين الدوافع التي من اجلها أنشئت القصيدة.

فقد أوماً ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) (أ) الم المنهج الفني لقصيدة المديح بصورة مفصلة وبرؤية موضوعية في تحليل مكوناتها وعناصرها، وفي تبيين العلاقة بين اللوحات الثلاث وهي: المقدمة والرحلة والغرض، وفي كل لوحة من هذه اللوحات، او الاقسام اساليب متبعة، «فالشاعر المجيد مَنُ سلك هذه الاساليب، وعدَّلَ بين هذه الاقسام» (أ)، ومما لاشك فيه ان ترتيب اقسام القصيدة، وتناسق ابياتها، وحسن جوار الابيات مع بعضها، وملائمة ألفاظها لمعانيها الى

⁽١) ظ: الشعر والشعراء: ١/٧٤-٥٥.

⁽۲)م.ن: ۱/ ۲۰-۲۷.

آخره (۱) ، يعدُّ مقياسا لجودة الشاعر؛ لان بناء نظام القصيدة «مثلها مثل خلق الانسان في اتَّصال بعض اعضائه. ببعض فمتى انفصل واحدٌ عن الاخر، او بايَنه في صحّة التركيب، غادر بالجسم عاهة تتخوِّن محاسِنه وتعفَّى معالم جماله» (٢).

وتابع ابنَ قتيمة في توضيح البناء الفني للقصيدة بعضُ النقاد موضحين هذا الامر بشيء غير قليل من التفصيل، ومنهم: ابن طباطبا (ت٣٢٦هـ) (ألله من التفصيل، ومنهم: ابن طباطبا (ت٣٢٦هـ) والعسكري (ت٣٩٥هـ) وابن رشيق (ت٤٥٦هـ) وابن الاثير (ت٣٩٥هـ) والقرطاجني (ت٤٨٥هـ) والعلوي (ت٤٧٩هـ) (ألله مقررين القواعد والمعايير التي ينبغى للشاعر المجيد اتباعها.

وتبنَّى بعض الدارسين المحدثين (١٠) نص ابن قتيبة بوصفه مشالا فنيا للقصيدة العربية، بأن الشاعر يمهد للموضوع الذي يختاره بالمقدمة الطللية، فتتداعى له ذكرى الأحباب الظاعنين عن المنازل، ثم يستطرد الى الصحراء ورحلته التي تجشم فيها

⁽١) ظ: عبار الشعر: ١٢٤.

⁽٢) حلية المحاضم ة: ١/ ٢١٥.

⁽٣) ظ: عيار الشعر: ٥-٧

⁽٤) ظ: كتاب الصناعتين: ٨٩٩ – ٤٩٦ ، ١٣ ٥ – ٥٢٥.

⁽٥) ظ: العمدة: ١/ ٢١٧- ٢٤١.

⁽٦) ظ: المثل السائر: ٣/ ٩٦- ١٠١، ١٢١- ١٢٧.

⁽٧) ظ: منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ٣٠٣- ٣٢٤.

⁽۸) ظ: الطراز: ۲/ ۲۶۱- ۲۲۷، ۲۷۶- ۲۷۷، ۲۷۹ - ۱۸۱، ۳۳۰- ۱۳۳، 33۳- ۸۶۳، ۲۰۳- ۸۳۳ م۳۳، ۳ (۸) ما ۱۲۱- ۱۲۷.

⁽٩) ظ: فجر الإسلام: ٥٨- ٥٩، تاريخ النقد الأدبي: ٩٢، في النقد الأدبي: ١٥٤.

المهاول والاخطار، وهو يصحب ناقته فيصف هجير الصحراء ، وهطول الامطار، والليل والنجوم الدالة، والصراع العنيف بين الحيوانات، او بين الصياد والحيوان، فاذا فرغ الشاعر من الوصف يلج الى غرضه الذي من اجله انشئت القصيدة.

وفي حالات نفسية وموضوعية لا يلتزم الشاعر بهذه المعايير والمقاييس، فقد يختزل المقدمة، ويدخل الى موضوعه مباشرة.

وفي ضوء هذا المفهوم الذي قرره النقاد القدامى لبناء القصيدة العربية دأب النقاد المحدثون في وضع تعريفات لبناء القصيدة من شأنها تقويم العملية الابداعية في الشعر (۱) فهي «بناء علائقي يقوم على العلاقات بين العناصر كل منها حاكم للاخر ومحكوم به (۲) فالعلاقات التي تحكم البناء الفني للقصيدة يراد بها العلاقات على المستويات المختلفة في بناء الهيكل واللغة والصورة، والافكار والموضوع، والحالة النفسية التي تعم اطار القصيدة ساعة ابداع الشاعر لعمله المنجز، فهذه المكونات والعناصر كلها تدخل في بنية القصيدة لتشكل بناءً حيا متكاملا معبرا عن تجربة الشاعر.

سار أبو طالب على وفق منهج الشعراء العرب في بناء القصيدة في بعض قصائده وطوَّر وجدد في بعضها الاخر، ونتبين التطور والتجديد في بناء الوحدتين: المقدمة، والغرض، والموضوع.

وسنبحث في أجزاء بناء القصيدة كأنها وحدات منفصلة؛ لبيان قيمة الاثر

⁽١) ظ: الأدب وفنونه: ٥٩، النقد المنهجي عند العرب: ٣٦، النقد الأدبي الحديث: ٢١٠، السعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه: ٢/ ٤٤٥، وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية: ٧- ٨.

⁽٢) الصورة والبناء الشعري: ١٧٩.

الفني في بنائه العام، وفي بيان عناية الشاعر بتفاصيل الوحدات البنائية، وإلا فالقصيدة لا تتجزأ؛ لانها بناء حي متكامل.

ا أولاً: القصائد ذوات المقدمات:

_ المقدمة:

عُنيَ النقاد العرب القدماء بالمقدمة في وصفهم منهج القصيدة العربية _كما ذكرنا آنفا _ وتحدثوا عن تعدد اشكالها وانواعها على وفق مضامينها وتقاليدها الفنية.

واستأثرت مقدمات القصائد باهتهام أصحاب الدراسات النقدية الحديثة (1) منطلقين في فهم النص وتفسيره في الاستقراء الموضوعي للشعر العربي الموروث القائم على دراسة الاثرين: بيئة الشاعر، ونفسيته واثرهما في ولادة الابداع الشعري، والاستقراء الموضوعي والتفسير الرمزي للشعر الموروث القائم على كشف جملة من الايحاءات التي تحرك انفعال الشاعر لحظة انجاز عمله الابداعي الفني في استهلاله للقصيدة، وتبقى مقدمة القصيدة ذات وشيجة بموضوعها الخاضع للدافعين النفسي والفني في قول الشعر. ومن اصناف المقدمات التي وردت في قصائد أبي طالب الطويلة بحسب أهميتها:

_ وصف الهموم والشكوى:

إنَّ امرأ القيس"، والنابغة الذبياني " لها السبق في هذا النمط من التقديم، فقد

⁽١) ظ: قراءة معاصرة في مقدمة القصيدة الجاهلية (بحث): ٥، جمع: د. محمود الجادِر آراء الدارسين المحدثين.

⁽٢) ظ: ديوان امرىء القيس: ١٠٩، ١٨٥، ١٨٩، ٧٩.

⁽٣) ظ: ديوان النابغة الذبيان: ٤٠ - ١٤، ٢٧، ٧٢.

يلجأ الشاعر في ادائه الشعري الى هذا اللون من التقديم بحسب تجاربه الشعرية التي يمر بها، وفيه يجد متنفسا لبث همومه ومعاناته وحزنه وقلقه وحيرته التي استوعبتها تجربته الشعرية بهذا القالب الفني، فقدم أبو طالب خمس قصائد بها(۱).

وصورة الليل احدى مقومات وصف الهموم، فهو يوحي بالهموم التي تعتصر النفس الانسانية، وفي مناجاته وبث الشكوى يجد الشاعر منفذا واسعا للتعبير عن ازمته النفسية التي تعتريه لحظة ابداعه الشعري، ويبقى الباعث الموضوعي للقصيدة الدافع الى اختيار هذا النمط الفني من التقديم الذي بتناسب مع تجربته الآنية، ويطالعنا أبو طالب الذي وجد في هذا التقليد الفني طابعا لبث شكواه ومعاناته وأرقه اكثر من أي ضرب اخر من المقدمات فافصح عن مشاعره، وصرح بآلامه وهمومه، مما جعل هذه المقدمات تتصف بالتفصيل في بيان سبب معاناته، لأنّه فقد الاستكانة والراحة، بسبب هم ذوي القربي من قريش الملازمين العداء لابن أخبه رسول الله محمد عَلَيْ الله في الشاعر الاحزان حتى اخر الليل، فقال في قصيدته المبمية وهو يسفه احلام قومه:

{من الطويل}

طواني وأُخرى السنجم لَّا تقحَّمِ وسامرُ أُخررى قاعدٌ لم يُنروَّم بظُلُم ومَنْ لا يَتَّقي البغي يَظلِم (٢) ألا مَسنُ لَهَسمَّ آخسرَ اللَّيسلِ مُعسنمٍ طسواني وقد نامستُ عيسونٌ كشيرةٌ لأحسسلامِ أقسوامٍ أرادوا محمسداً

إنَّ الانفعال النفسي للشاعر من حزن وخوف وقلق على ابن أخيـه دفعـه الى

⁽١) ظ: الديوان: ٧٠- ٧٣، ٩٥، ١١٥، ١٢١، ١٢٣.

⁽٢) الديوان: ١٢٣.

التفصيل في ذكر مقومات هذا التقديم، فقد واكبت الشاعر الأحزان حتى اخر الليل المظلم، وحين ظل اخر نجم في السماء ولما يغب، وهو يرعاه حين كانت عيون الناس نائمة، وما يقض مضجع الشاعر ويقلقه ما يحلم به أناس من قتل محمد جهلا وظلما، وهكذا يتنامى الأداء في مقدمة وصف الهموم وبث الشكوى إلى بيان بواعثها حتى يصل الشاعر الى موضوعه في دفاعه وذوده عن رسول الله(۱).

ويلحظ في المقدمة المضمون الإسلامي الجديد الذي يمتزج فيه معاني ما قبل الإسلام بالمعاني الإسلامية، وهكذا استوعبت هذه المقدمة تجربته الشعرية من همه وخوفه وقلقه على رسول الله عَلَيْ أَنْ من عيون الأعداء المتربصين لقتله، فارتبط الموقف النفسي المتعب بالليل ووصف الهموم والشكوى، وهذا ديدن أبي طالب، فهو دائم الخوف على ابن أخيه، فقال في قصيدته الميمية الأخرى التي يخاطب بها قريشاً ويذكر ظلمهم وعقوقهم وحصارهم له ولعشيرته الاقربين في الشّعب:

{من الوافر}

وب تَ وما تُ سالِكَ الْهُمُ ومُ وغبُّ عُقوقهم كَلاً وَخِيمُ وليس لهم بغيرِ أخ حَريْمُ وكلُّ فَعَالَم دَنِسٌ ذَمِيمُ أرقُت وقد تسصوب النَّجوم النَّجوم للطُلُسم عسسبرة ظلَمسوا وعَقُسوا لطُلُسم التهكوا المحارم من أحيهم إلى السرّهن والكرم استذمُّوا

سيطر الهم على الشاعر؛ لأن من يظلمه قومه، ولو كانوا غرباء عنه لما سيطر عليه الهم؛ لان ذلك يعني الضعف، وهو لايريد ذلك، فكأنَّ عدم النوم يحفز في

⁽١) ظ:م.ن: ١٢٣ - ١٢٥.

⁽٢) ظ: الديوان: ١٢١.

نفوس قومه روابط الاخوة، فلعلهم يكفون عنه ظلمهم وعقوقهم وعدوانهم.

إنَّ همَّ الشاعر ليس هما شخصيا، وانها همه هم قضية من اجل الدين الجديد، في الحفاظ على رسول الله ودعوته الإسلامية، وهذا من جديد مضمون هذه المقدمة، وان إشارة الشاعر الى سهره حتى أفول النجوم، وبقاء همومه تحارب دلالة واضحة على التأمل والتفكير في معالجة موضوعة، معللا سهره بسبب اضطهاد قريش لطلمهم لصاحب الرسالة، فتتنامى المقدمة في التعريض ببعض بطون قريش لظلمهم وعقوقهم، لأنهم انتهكوا محارم الله وعقوا في تركهم صلة الرحم، وما فعلوه يذمهم عليه الرحمن وهذه المعاني أيضاً من المضامين الإسلامية الجديدة التي استوعبت أزمة الشاعر النفسية بهذا التقديم، فكان امتدادا لموضوعه. وتعددت هذه المقدمة في المضمون نفسه في قصائد أخرى (۱۱)، جسد أبو طالب فيها حمايته لرسول الله ونشر الدعوة، ومما يعلل كثرتها ذلك بان من يعادي أبا طالب هم قومه وهذا يستدعي الهم الذي استوعبه هذا التقديم.

ويتخذ طابع بث الهموم سبيلا إلى الشكوى إلى الاخلاء، وبما أنَّ أبا طالب المؤيد والناصر والحامي لدين الله ورسوله عَيَّالِللهُ، فهو يشكو ظلم قريش في معاداتهم لنبي الله ولدينه الجديد، مخاطبا خليلين له، ليجد منفذا للترويح عن نفسه وتبديد معاناته، مبينا لصاحبيه بأنه لا يصغي لأقوال بعض قريش في محبته لرسول الله ونصرته له وتفاديه دونه، وانها يُحكِّم عقله ووجدانه، لان نفسه غير مستعدة لقبول العذل من أحد والإصغاء له، لأنه يعتقد بان الانسان الواحد ربها يكون له رأي صحيح من غير مشاركة احد له، فصاحب الرأي أدرى من غيره، ومع مقاطعة قومه

⁽١) الديوان: ٩٥، ١٢٣، ١٢٣.

له، وعداوتهم ومخاصمتهم بالوسائل كلها، فقد حبس نفسه عن اذيتهم صبرا، واحضر أخوته وأبناء عشيرته حول البيت مستعيذا بجميع مقدسات قريش والعرب؛ لأنه معني ببيان موقف زعاء قريش الذين تحالفوا ضده ومن اتبعه من عشيرته الاقربين، فقطعوا عرى القرابة، فلابأس أن يتعوذ بألوان التعويذات التي عهدتها قريش والعرب، فقال:

{من الطويل}

بسصغواء في حسقٌ ولاعنسد باطسلِ
ولا نُهُبُسةٍ عنسد الأُمسورِ التَّلاتِسلِ
وقد قَطَعُسوا كلَّ العُسرى والوسائلِ
وقسد طاوعوا أمسرَ العُسدوَّ المزايسلِ
يَعَسضُّونَ غَيْظاً خلفنا بالأنامسلِ
وأبيضَ ماضٍ من تسراكِ المقاولِ
وأمسكتُ من أثوابِه بالوَصائلِ
وأمسكتُ من أثوابِه بالوَصائلِ
لدى حيثُ يَقْضي نُسكَة كلَّ قافِلِ

خلييً مسا أُذني لأوَّلِ عساذلِ خلي أن السرأي لسبسَ بِسشرْكَةٍ ولَّسا رأيستُ القسوم لا وُدَّ نسبهم ولَّسا رأيستُ القسوم لا وُدَّ نسبهم وقسد صارحونا بالعسداوَة والأذى وقسد حالَفوا قوماً علينا أظنَّة صبرتُ لهم نفسي بصفراءَ سمحةٍ وأحضرتُ عند البيتِ رهطي وأخوي وأخوي قباماً معا مُستَقبلينَ رناجَهُ وحيثُ يُنيخُ الأشعرونَ رِكابَهم

. . . .

علينا بسشرٌ أو مُلحسق باطلِ ومن مُفتَرِ في الدين ما لم نُحاولِ وعَسيْرٍ وراقي في حِسراء ونسازلِ وبساللهِ إنَّ الله لسيس بغافللِ أعوذُ بربِّ الناسِ من كلِّ طاعنٍ ومن كاشحٍ يسعى لنا بمعيبَةٍ ونُورٍ ومَنْ أرسى ثَبراً مكانَهُ وبالبيتِ رُكنُ البيتِ من بطنِ مَكَّةٍ إذا اكتنف وه بال في حى والأصائل على قد من على قد من عاد وما في المستورة و مَا ثال ومن كل داجل ومن كل داجل ومن كل داجل التوابل اللا الى مفضى الشراج القوابل القيم ون بالأيدي صدور الرواحل وما فوقها من حرمة ومنازل وما فوقها من حرمة ومنازل سراعاً كما يَفزَعنَ من وقع وابل يؤمّسون قلذا رأسها بالجند دل يؤمّسون وائل وردّة عليه عاطف الإلسان السدّلايل وردّة عليه عاطف المنات السدّلايل وردّة اعليه عاطف المنات السدّلايل وردّة اعليه عاطف المنات السدّلايل

وبالحَجَرِ المُسسوّد إذ يمسسحونه ومسوطىء إبراهيم في الصّخر وَطأة وأشسواطِ بين المسروتين الى السطّفا وماحع بيت الله ممن كلّ راكب وبالمَسعَرِ الاقسمى إذا عَمَدوا له وتوقافهم فسوق الجبالِ عسشية وليلة جمع والمنازلِ ممن مِنسى وجمع إذا مما المُقرَباتُ أجزنَدُ وبالمحمرة الكبرى إذا صَمَدوا لها وكند تَه إذا ترمسي الجسارَ عسشية وكند تَه إذا ترمسي الجسارَ عسشية وكيفانِ شدًا عَقْدَ ما احْتلَفا له حَليفانِ شدًا عَقْدَ ما احْتلَفا له

فهل فوق هذا من معاذ لعائد يُطاعُ بنا الأعداءُ وَدُّوا لو أَنَا

وهسل مسن مُعيسذٍ يَتَّقسي الله عساذلِ يُسسَدُّ بنسا أبسوابُ تُسركِ وكابُسلِ (١)

اخذ الشاعر حديث الشكوى عن العاذل والعذل سبيلا للولوج إلى هذا

⁽۱) الديوان: ٧٠- ٧٧، المقاول: اباؤه شبههم بالملوك، الرّتاج: الباب العظيم، إساف ونائل: صنان، الكاشح: الذي يضمر العداوة، الشراج: مفردها الشرج، وهو مسيل الماء، الجنادل: الصخور، ثور وثبير وحراء: جبال في مكة، ظ: معجم البلدان: ٢/ ٧٧، ٨٦، ٢٣٠، كندة: اسم قبيلة، ظ: جمهرة انساب العرب: ٢/ ٤٧٧، يكر بن وائل من بني ربيعة من عدنان وهو جد جاهلي، ظ: م.ن: ٢/ ٢٧، ٣٠٣، ٣٠٠، ٣٠٠.

النمط من الأداء، ليدلف من خلاله إلى بيان معاناته تجاه زعماء قريش، وهو يعاتبهم لكف اذاهم عن رسول الله عَنْ اللهُ عَنْ الله عَنْ الله عَنْ الله عَنْ الله عَنْ الله عَنْ الله عَنْ اللهُ عَنْ الله عَنْ الله عَنْ الله عَنْ الله عَنْ اللهُ عَالْ اللهُ عَنْ ال

بذل الشاعر في هذا الضرب من التقديم جهدا فنيا كبيرا بذكر تفاصيل المقدمة وأجزائها التي بلغت ثلاثين بيتاً وفيها مال الشاعر الى التأني في وصف جزيئاتها بعناية وإمعان شديدين، وامتزجت المعاني غير الإسلامية بالمعاني الإسلامية، فاقتبس من التعبير القرآني ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ " وجنح الى تعبيرات الحياة اليومية الإسلامية الجديدة: «أعوذ...من مفتر في الدين، وبالله ان الله ليس بغافل، مُعيذ يتقي الله»، التي تزاوجت مع المضمون الإسلامي الجديد للمقدمة، فيال الشاعر الى الحكمة؛ لانه يتروى في الامور ويتبع ما يرشده العقل والوجدان في محبته لرسول الله ونصرته، ومؤازرته، والدفاع عنه، والذود دونه، ولا تأخذه أهواء العصبية الجاهلية في محاربة أعداء الرسالة، وإنها حمل نفسه على التجمل بالصبر، فاستقطبت الشكوى الآثار النفسية لشاعر تجاه قريش المناهضين للدعوة الإسلامية وحاملها رسول الله عَيْمَالِيهُ.

وقد أفضى هذا التقديم ـ بعد أن تعوذ الشاعر بحرم مكة وبمكانه منها، تودد إلى أشراف قريش يخبرهم انه غير مسلِّم رسول الله ولا تاركه أبدا حتى يهلك دونه ومن قومه من بني هاشم وعبد المطلب ليمتد المضمون في تنمية القصيدة إلى الفخر بقومه، ومديح رسول الله إلى اخره (٢٠).

وهذا اللون من التقديم تأصيل لمضمون المقدمات الإسلامية، بمعنى تأسيس

⁽١) ظ: الديوان: ٧٦- ٨١.

⁽٢) الناس/ ١.

⁽٣) ظ: الديوان: ٧٤ - ٨٥.

لمضمون أدبي لاحق سار عليه شعراء الإسلام بعد أبي طالب، وهو التزام فني بالخط المناصر لرسالة الموسومة بالطابع الديني الجديد.

_الطلل:

تعد المقدمة الطللية من اشهر المقدمات شيوعا في الشعر العربي قبل الإسلام وفيها يجد الشاعر متنفسا لما يختلج في خلده وبها يدور في ذاكرته من ذكريات تحمل الاسى والشجن الماضيين، يحاول الشاعر استعادتها بهذا القالب الفني في عمله الابداعي، على ان هذا التقديم له وشيجة بموضوع القصيدة الذي يكون الشاعر في صدد الحديث عنه.

وقد أرسى شعراء قبل الإسلام أصول هذا التقديم ورسومه الفنية، وحرصوا على المحافظة على مقوماته في اقدم ما آثر في مطولاتهم، فألموا بمعظم تفصيلاته، وهكذا تباينت صورة الطلل في مقدمات الشاعر الواحد؛ لأن كل افتتاح له مزاياه الخاصة التي تخالف الافتتاح الآخر.

ثم جاء الشعراء المخضر مون من بعدهم فحرصوا على ما يحاكونه من الشعر العربي الموروث، فاحتذوا حذوه، فتصدرت قصائدهم بهذا التقديم (1)، ولا فرق بين شعراء المدن وشعراء البادية في استيفائهم لمقومات المقدمة الطللية ، فشعراء المدن لم يستطيعوا التحلل من التقاليد الفنية البدوية المرسومة ، ولم يخرجوا عليها بحيث يبتدعون نظاما جديدا لمقدمات قصائدهم تغاير في نظامها مقدمات

⁽١) ظ:مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي:١١٦ - ١١٧، مقدمة القصيدة العربية في صدر الإسلام:٢٩.

شعراء البادية (١).

ومن المعروف ان أبا طالب من شعراء المدن، فقد عاش في مكة التي تتسم حياتها بالاستقرار والثبات، وهذا الاطار الفني من التقديم المرتبط بحياة التنقل والترحال من مكان الى اخر سعيا وراء الكلأ والماء، لا يتناسب مع حياة مكة المرتبطة اجتماعيا بحياة الحاضرة العربية، وحياة التمدن والاستقرار، بيد أنَّ أبا طالب لم يعزف عن وصف الأطلال والديار تقليدا ومحاكاة لمقدمات غيره من شعراء البادية من باب المجاز؛ لأنَّه «لا معنى لذكر الحضري الديار إلا مجازا» (٢).

وهذا الأمريفسر قلة هذا الإطار من التقديم في قصائده السعرية الذي كان الدافع الى هذا اللون من التقديم محاكاة الموروث الشعري الفني المرسوم، ولهذا جاز ان نقول ان هذا التقديم يتوافر فيه الصدق الفني، وليس الصدق الواقعي، فافتتح أبو طالب قصيدته الميمية الفريدة بوصف الاطلال، وهو يفتخر ويشكو ظلم قومه "، فقال:

{من الطويل}

أقَمْ نَ بمد حاةِ الرياحِ الرّمائمِ قد انزفتُ دمعي اليومَ بين الأصادِمِ لما يرم المائم عاصمِ لما يرم الرّحانم فينبُع أو حلّف بهضب الرّجائم

لمسن أرَّبُ عُ أقسوينَ بسين القَدائمِ فَكَلِّفُ تُ عَيْسَيَّ البُّكَ اءِ وخِلتُنسي وكيف بُكائي في الطُّلولِ وقد أتَتْ غِفَارِيَّ مُ حَلَّمة عَلَّمت ببولان حُلَّمة

⁽١) ظ: مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي: ١١٦ - ١١٧

⁽٢) العمدة: ١/٢٢٦.

⁽٣)ظ: الديوان: ١٢٦ - ١٢٧.

ف دغها فقد شطَّتْ بها غُربةُ النَّوى وشَعْبٌ لـشتَّ الحيِّ غير مُلائم

رسم أبو طالب صورة الطلل التقليدية واخضعها لاثار حديث الذكرى، ووجه عنايته الفنية _ التي دفعته الى الاطالة _ الى الوصف الذي اتخذ اطار الاستفهام جزءا من طوابعه؛ لأن صيغ الاستفهام احدى مستلزمات المنهج الوصفي للطلل، وهو الاداة المحركة لتنشيط الذاكرة عند الشاعر، فحركت فيه الشجون والالم، ورأى الشاعر الرياح تعصف بالديار، فغيرت من معالم آثارها ومحتها، مما بعث في نفسه الشجن لفراق ام عاصم.

والمرأة هي البعد الثاني الذي يفضي اليه حديث الطلل، لقد فارقها الشاعر منذ حقبة من الزمن محددا اماكن اقامتها ابتداء بموضع الطلل الذي كانت تسكن فيه ام عاصم، وهو «القوائم»، ويتدرج إلى أسماء الاماكن والمواضع التي حلت بها، فتخير منها «بولان، فخلّة، فينبع»، او حلت بهضب الرجائم؛ لانه غير متيقن من مكان صاحبته الجديد، واكتفى الشاعر بهذا الحديث عن صاحبته من أنّها من بني غفار، وحدد الأماكن التي نزل قومها بها، بيد ان ذكرها أجهد نفس الشاعر، ولكي يتخلص من معاناته ترك أمر ذكرها؛ لأنّ البعد حال بينها ليتخلص بعد ذلك الى عتاب قومه والشكوى منهم، والفخر بنفسه في نصرة رسول الله عَلَيْوَالُهُ ومديحه له (").

⁽۱) ظ: الديوان: ١٢٦ – ١٢٧، أقوين: خلون، رمائم: تكنس كل شيء، الأصارم: مفردها الصَّرم: وهو الجياعة، والشَّعْب: القبيلة والحي العظيم، غِفار بن مُليل قبيلة من كنانة، ظ: جهرة انساب العرب: ٢/ ٤٦٥، بولان: موضع على طريق الحاج من البصرة، ظ: معجم البلدان: ١/ ٥١١، خِلة: قرب عدن في اليمن، ظ:م.ن: ٢/ ٣٨٥، يَنْبُع: موضع على طريق من المدينة الى البحر، ظ: م.ن: ٥/ ٤٤٩ عدن في اليمن، ظ:م.ن: ٣/ ٣٨٥،

⁽٢) ظ:الديوان: ١٢٧ - ١٢٨.

إنَّ هذا اللون من التقديم استوعب تجربة الشاعر في حبه لعشيرته من بني غالب بن لؤي، وعزمه على مفارقته لهم، لأنهم اعلنوا عداءهم لرسول الله وتنحوا عن اتباعه () ففارقهم، وواصل مسيرته في نصرته ومؤازرته، وقد دفعته عنايته الفنية بهذا التقديم بالمامه بتفاصيل الطلل، وذكر اغلب مقوماته في الوقوف عليه، والاستفهام عن اهله الراحلين عنه، وتقادم عهد الطلل به، وتعاور الرياح عليه، وذكر صاحبته والمواضع التي كانت تسكنها مع قومها، والاماكن والمواضع التي حلت بها وانتقلت عنها؛ ليجد الشاعر متسعا من التنفيس عن معاناته التي ارتبطت بشكل وثيق مع قومه من بني غالب بن لؤي وعتابهم والشكوى منهم، وفي ذلك كله كان أبو طالب مستوعباً لتراث أسلافه.

ومن الجدير ذكره أنَّ قصائد أبي طالب ذوات المقدمات تخلو من لوحة الرحلة، وهذه الظاهرة الفنية لا يتميز بها شعر أبي طالب فحسب؛ وإنها شعر قريش (٢)، ويبدو أنَّ هناك بعض العوامل تضافرت في عزوف أبي طالب عن ذكر لوحة الرحلة بعد التقديم، ومنها النفسية والبيئية والاجتماعية.

إنَّ إغفال الشاعر عن لوحة الرحلة والولوج إلى موضوعه بعد التقديم ناتج من الحالة النفسية التي يحياها الشاعر ساعة إبداعه الشعري التي جعلته يعزف عن ذكرها؛ لأنه ليس له حاجة بها، وان ذكر لوحة الرحلة تتناسب مع شعر شعراء البادية اكثر من شعر شعراء الحاضرة، ومن المعروف ان أباطالب زعيم قومه وحاكمهم في

⁽١) ظ:م.ن:١٢٧.

 ⁽٢) ظ: شعر قريش في الجاهلية وصدر الإسلام (اطروحة): ١١٠- ١٢٤، عزوف الباحث عن دراسة هذه اللوحة بعد بحثه عن المقدمة.

مكة، فهو ليس من المادحين الذين رحلوا بشعرهم، وانها مدح من ارتبط به بصلة النسب ابن أخيه رسول الله عَيْنِ ومن ناصره ووقف الى جانبه وهم من أهل مكة ومن حق الشاعر ان يختار القالب الفني الذي يتناسب مع طبيعة انهاط موضوعاته الشعرية المتطورة والجديدة التي هو في صدد الحديث عنها، فوجد في اختزال لوحة الناقة انجازا يخدم عمله الشعرى، فلم يلتزم بهذه التقاليد الفنية المرسومة للوحة الناقة.

ـ الغرض:

يعد الغرض الركيزة الاساس لبنية القصيدة، فهو الجزء المهم من اجزائها التي استوعبت الحدث الباعث لفن قول الشعر، وفيه خلاصة تجربة الشاعر الآنية، وقد تتباين الموضوعات المطروقة في شعر الشاعر الواحد لتباين تجاربه وانفعالاته.

ان قصائد أبي طالب ذوات المقدمات نهضت بمهمة الغرض غير المباشر، وفي الوقت نفسه جاءت القصائد المباشرة تتويجاً للجهد الفني المبذول في عزوفه عن التقديم للقصيدة تبعا لبواعثه النفسية وتجاربه الشعرية الذي هو في صدد الحديث عنها.

ويسلك أبو طالب انواعا مختلفة في بناء قصائده منها ما يضم موضوعا واحدا في بنائها سواء أكان تقليديا ام متطورا أم متجدداً ينصرف فيه لوجه واحد من فن القول، ويدعى بالغرض البسيط^(۱)، ومنها ما يضم اكثر من موضوع في القصيدة الواحدة في بنائها، لانصراف الشاعر فيها لأكثر من وجه في فن القول ويُدعى بالغرض المركب^(۲)، وهاتان الظاهرتان الأدبيتان للبناء الفنى نجدهما في القصائد

⁽۱) و (۲) استعمل هذين المصطلحين حازم القرطاجني، فقال ما نصه: «والقصائد: منها بسيط الاغراض، ومنها مركبة: والبسيطة مثل القصائد التي تكون مدحا صرفا او رثاء صرفا، والمركبة هي التي يشتمل الكلام فيها على غرضين مثل أن تكون مشتملة على نسيب ومديح» منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ٣٠٣.

ذوات المقدمات والقصائد المباشرة في آن معا.

وتدخل ضمن القصيدة المباشرة المقطعات المستقلة بـذاتها، والاراجيـز، فهما يندرجان ضمن هيكل بناء القصيدة المباشرة؛ لانهما يمثلان مظهرا من مظاهر وحـدة الموضوع في الاداء للمزايا التي يقومان عليها، فكلاهما من نتـاج لحظـة الانفعـال السريع، ولنزوعهما من التقديم.

- بناء تعدد الموضوعات في القصيدة الواحدة:

اقترنت قصيدة المديح بنصرة رسول الله عَلَيْواللهُ ودعوته الإسلامية وموضوعها جزءٌ لا يتجزأ من بناء القصيدة العام بيد أنّها ضمت في الوقت نفسه عددا من الموضوعات التقليدية المتباينة، فارتدت حلة جديدة ضمن التزام أبي طالب لنمط فني في بناء اطارها لم يكن معهودا قبله عند غيره من الشعراء.

إنَّ تعدِّد الموضوعات السعرية داخل بناء القصيدة التي اصابها التطوير والتعيير تارة، والتجديد تارة اخرى، تشكلت في بناء القصائد ذوات المقدمات وعلى انهاط مختلفة في الترتيب نتبين احدى هذه الانهاط على سبيل التمثيل في إنموذج القصيدة اللامية التي تتدرج فيها الموضوعات الاتية: النصرة، والعتاب، والمديح، والفخر.

مهد أبو طالب في قصيدته اللامية بثلاثين بيتا في المشكوى والاستعاذة بحرم بيت الله، وبمقدسات قريش والعرب جميعا، واحتلت لوحة الغرض واحدا وثمانين بيتا تقاسمتها فنون الشعر المختلفة من نصرة رسول الله والمديح، و الفخر، والعتاب.

إنَّ خشية أبي طالب من أن تعاضد العرب قريشا على قتل رسول الله عَلَيْ كان السبب في انشاء القصيدة أيام حصار قريش لبني هاشم وعبد المطلب المؤيدين

والمناصرين لرسول الله ودعوته في شّعب أبي طالب، ويـشمل بناء غـرض القـصيدة ما يأتي:

تصدرت القصيدة بعد التمهيد لها بنصرة أبي طالب وأهله وعشيرته المقربين والحياة لرسول الله ولرسالته، فهم سيبقون مقيمين في مكة يقاتلون دون نبي الله بسيوفهم ورماحهم مداومين على نصرته حتى فناء آخر فرد منهم ضد أعدائه ويتقدمهم فتى شريف وسخي وشجاع انه الأمين على الحريم والذمار محمد رسول الله يَكَالِنُهُ على أن الحرب لو بدأت ستدوم شهورا وأياما وسنين حتى تضع الحرب أوزارها ويفتح الله عليهم بالنصر، فقال:

{من الطويل}

ونظعتنُ، الا أمُسركم في بلابِسلِ
ولمّسا نُطساعِنْ دونَسه ونُناصلِ
ونَسلَمَلُ عسن أبنائنا والحلائلِ
نهوض الرَّوايا نحتَ ذاتِ الصَّلاصِلِ
من الضَّغنِ فعل الأنْكَب المُتحامِلِ
لَتَلْتَبسسنُ أسسيانُنا بالأماثيلِ
أخي ثقة وحامي الحقيقة باسلِ
علينا وثاني حجّة بعد قابلِ

كسنبتم وبيت الله انسترك مكة كسنبتم وبيت الله انسبرا محمداً ونسطيمه حقى نُسطَرَع حوله ونسبهض قسومٌ في الحديسد إلسيكم وحقى يُسرى ذو البغي يركبُ رَدْعَهُ وإنسا لَعَمسرُ الله إنْ جسدٌ مساارى بكفٌ فتى مشلَ الشّهابِ سَمَيْدَع مساحورا وايامساً وحسولاً مُحرَّمساً وما تَسركُ قسوم الاأباليك اسبّداً

⁽١) الديوان: ٧٤ -٧٥، الروايا: الإبل التي تحمل المياه، الصلاصل: المزادة ينتقل بها الماء، الضغن: الحقد، السميدع: السيد، الذرب: الفاحش.

حشد أبو طالب كثيرا من التفصيلات التي سردها في اطار فني في حفاظه على رسول الله وتحديه لقريش، ومقاتلتهم فيها لو أُشعل فتيل الحرب بين عشيرة الرسول وبين اشراف مشركي قريش، وكان هذا التمهيد في فداء رسول الله والذود عنه سبيل أبي طالب الى بيان معجزته في مديحه ليبين صدق دعواها التي يعرفها مشركو قريش، فقال: فبوجه رسول الله يستسقى الغمام، وهو ملاذ الفقراء والمساكين من بني هاشم فقال:

رَبِيع البتامي عِصْمَة للأراملِ في نعمة وفواضل (١)

وابيض يُستَسمُقَى الغَسمامُ بوجهم وابيض يُستَسمُقَى الغَسمامُ بوجهم يلسوذُ به الهُلكُ من آل هاشم

لم يطل أبو طالب في مديح رسول الله؛ لأنَّه في صدد بيان حجته على تأييده ونصرته؛ ولأنَّه مشدود بوعيه لمخاطبة اشراف قريش معاتبا لهم في استمرار عداوتهم له ولرسول الله، واصرارهم على هذا الامر، فقال:

(من الطويل)

هطُهُ إلى بُغسضنا وَجسزاً بأكله آكل السادا جسزاء مسيء لا يسؤخّر عاجل الساد ولكن أطاعا أمر تلك القبائل ولكن أطاعا أمر تلك القبائل ولم يَرقُب فينا مقالة قائسل وكُلل تسول مُعرضا لم يُمايسل فينا لكايسل المكايسل المكايسل المكايسل

لعمري لقد أجرى أسيدٌ ورَهطُهُ جَزَتْ رَحِمٌ عنا أسيدًا وخالداً وعالداً وعسنهان لم يربَع علينا وقُنفُذُ لله أطاعا بنا الغاوين في كلّ وجهة كما قد لَمَبْنا من سُبيّع ونوفل في إن يُقَالَ أو يُمْكِن اللهُ منها

⁽١) الديوان: ٧٥.

وذاك ابو عمرو أي غير مغضي يناجي بنا في كلّ عمسى ومصبح ويُقسسمنا بسالله ما إنْ يغسسنا المحسنة أضاق عليه بُغضنا كلّ تَلْعَة وسائل أبا الوليد ماذا حَبَوْتنا وكنت أمرءاً عمن يُعاش برأيه وعُثبَة لا تسمع بنا قول كاشِع وعُثبَة لا تسمع بنا قول كاشِع وقد خِفْتُ إن لم تَزدَجِرُهم وتَرعووا ومسرّ أبو سفيان عنّي مُعرِضاً

ليُظْعِننا في أهلِ شاء وجاملِ فناج أبا عَمْرو بنا نسم حاملِ فناج أبا عَمْرو بنا نسم حاملِ بلى قد نسراه جهرة غير خانلِ من الأرض بينَ أخْشَبِ بالأجادِلِ بسعيك فينا مُغرضاً كالمخاتلِ ورحمته فينا ولست بجاهلِ ورحمته فينا ولست بجاهلٍ خسودٍ كذُوبٍ مُبْغِضٍ ذي دَغَاوِلِ نُلاقي ونلقى منكَ إحدى البلابلِ كأتَّاكَ قَبْلُ في كبار المَجَادِلِ

أمُطعِهم لم أخدذُلك في يسوم نجدة ولا يسوم قسصم إذ أنسوك ألسدَّة أمُطعِهم أن القوم سامُوك خُطَّهة جرى الله عنا عبد شمس ونوفلاً بميسزان قسط لا يغيض شعيرة

ولا عند تلك المُعظّهاتِ الجلائهلِ الله جدل مسن الخصومِ المساجِلِ وإنّي منسى أوكدلْ فلسستُ بآيسلِ عقوبة شرّ عاجسلِ غسير آجسلِ له شاهدٌ من نفسهِ حت عادِل (1)

اشبع ابو طالب موضوعه كثيرا من الجزئيات المفصلة لمواقف الاشخاص الفردية او الجماعية في تألبهم لعداء رسول الله، ودعوته الإسلامية في اطار فني محكم

⁽١) م.ن: ٧٥- ٨٠، التلعة: ما شرف من الارض، الأخاشب: وهي جبال مكة، ظ: معجم البلدان: ١٢٢/١.

ومتسلسل، فوجه خطابه الى اشراف قريش بذكر اسمائهم واحدا واحدا، متوددا ومعاتبا تارة، وداعيا عليهم بشر اعمالهم وسوء افعالهم تارة اخرى، وكان من دواعي هذا الامر ان يلج الى موضوع الفخر لئلا يظن اشراف قريش ان أبا طالب في عتابه وتودده لهم انه في حال من الضعف والانكسار، ولا سيما ان مكوثهم في الشعب قد طال أمده؛ فكان الفخر والزهو بمثابة المعادل الموضوعي لذلك؛ ولكي يحقق سلسلة الاتصال في اندماج الموضوعات التي يفضي بعضها الى البعض الاخر ضمن البناء العام للقصيدة، فخر الشاعر بأصالة نسبه الهاشمي، وبمكانتهم الاجتماعية في تـوليهم الوظائف الادارية فقال:

{من الطويل}

ونحنُ السَّميمُ من ذوّابة هاشمٍ وآل قُسمَيِّ في الخطسوب الاوائسلِ وكان لنساحونُ السِّقايةَ نسيهم ونعنُ اللَّرى منهم وفوق الكواهلِ (١)

كان أبو طالب ثقيل النفس على اشراف قريش الذين تألبوا في عدائهم لرسول الله ولناصره فبعد عتابه لاشراف قريش ومفاخرته بمكانة الهاشميين السامقة فيهم، وجد انه لم يستكمل عتابه مع بقية بطون قريش؛ ليحقق الصلة في تلاحم سلسلة موضوعات القصيدة(")، فقال معاتبا إياهم:

{من الطويل}

وسهم و تحسزوم تمسالوا وألبُ والمسوا علينا العِدا من كل طفل وحامل

⁽١) الديوان: ٨٠.

⁽۲) ظ:م.ن: ۸۱ – ۸۲.

نف اهم إلبن اك لَّ صفر حُلاحِلِ وألأم حاف من مَعَدَّ وناعلِ فلا تشركوا في أمركم كلَّ واغلِ (١)

وشايطُ كانت في لويِّ بن غالب وره طُ نُفيل شرُّ مَنْ وَطِيءَ الحصى وَ مَنْ مَنْ وَطِيءَ الحصى فَعَبْدَ مَنَاف أنستم خيرُ قسومكم

ويبدو ان القصيدة نظمت في وقت متأخر من حصار الشعب الذي امده ثلاث سنين "، والذي يعاضد رأينا أنَّ زهير بن أبي أمية أول من سعى الى نقض الصحيفة " قبل انتهاء مدة الحصار، فمدحه أبو طالب ثناءً لعمله، وليوازي بين فعل زهير الجليل وعمل بطون قريش حين اجتمعت على المقاطعة، وليحقق الصلة بين أجزاء بناء القصيدة العام، فمدحه شكرا وعرفانا لصنيعه، فقال:

{من الطويل}

 فنَعم ابنُ أُلحت القومِ غيرَ مُكَذَّبِ أَسْمَ الطوال إذا انتمى

ولم يستوفِ أبو طالب مديح رسول الله عَلَيْظِيَّهُ في ما مضى؛ لانه كان في معرض بيان معجزته لمشركي قريش، فوقف مادحا في بيان حبه وكلّفه ووجده به، والاشادة بفضائله في حلمه ورشده وعدله وموالاته لله وحده، وبها اصطفاه الله بالتأييد

⁽۱) م.ن: ۱۸.

⁽٢) ظ: الطبقات الكبرى: ١٨٨١.

⁽٣) ظ: السير والمغازي: ١٦٥ - ١٦٦، التبين في انساب القرشين: ٣٣٠، (قصة نقض الصحيفة).

⁽٤) الديوان: ٨٣، زهير بن أبي أمية بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، وأمه عاتكة بنت عبدالمطلب، وهي أخت أبي طالب وعمة الرسول عَلَيْكُ، ظ: السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٢٨١٢٨١، التبين في أنساب القرشين: ٣٣٠.

{من الطويل}

لعمري لقد كُلِّفْتُ وَجداً بأحمد فسلا زال في السدنيا جمالاً لأهلها فمن مثله في الناس أومن مُوَّمَّلٌ حليمٌ رشيدٌ عادلٌ غيرُ طائشِ فايَّسده ربُّ العِبسادِ بِنَسصرِهِ

وأخورِ ف دَأْبَ المُحسبُ المواصلِ وزَيْنا على رغم العدوَّ المُخابلِ وزَيْنا على رغم العدوِّ المُخابلِ إذا قسايسَ الحُكَّامُ أهمل التَّفاضِ لِ يُسوالي إلها لسبس عنه بداهلِ وأظهر دينا حَقُّه غير ناصلِ (١)

ومن الاضافات التي حملتها هذه الجزئية من الغرض المعاني الدينية، فرسول الله موالي إله لا يغفل عنه، وانه مؤيد منه بالنصر في اعلاء دينه، و هذه المعاني تحمل التقريع لاسماع اهل مكة من ان رسول الله مؤيد بالنصر من عنده سواء أكانوا معه أم عليه فضلا عن أن المديح النبوي من الموضوعات الجديدة التي أدخلت في هذا الاطار الفني في القصيدة.

ومديح رسول الله يفضي الى مديح بني هاشم وعبد المطلب الذين حاموه وايدوه ونصروه من اعدائه؛ لأنها من شجرة واحدة، ومن هنا امتزج المديح بالفخر بهم لنصرتهم رسول الله، ومن خلال هذه الصورة ينطلق صوت الشاعر بفخره الفردي في فدائه وحمايته ودفاعه بنفسه دون النبي عَلَيْظِهُ، وهو يتوعد اعداء الرسالة بالنصر القريب، فما لا ريب فيه ان الله رافع امر النبي ومعليه في الدنيا ويوم الاخرة، وهذا تصديق لرؤيا جده عبد المطلب وأبيه عبد الله في بشارتيها في رسول الله، فقال:

⁽١) الديوان: ٨٣ - ٨٨.

إلى العسزِّ آبساءٌ كسرامٌ المحاصِلِ

• • • •

كبيضِ السيوفِ بين أيد الصَّياقلِ

بهم يعتلي الاقوامُ عند التَّطاولِ
يفوز ويعلو في ليسالٍ قلائولِ
يلاقي اذا ماحان وقت التَّنازُلِ
ويحمد في الآفاق من قول قائولِ
تُقَصِّر عنها سَسورةُ المتطاولِ
الله معشر زاغوا الل كول باطلِ
ودافعت عنه بالطُّل والكلاكولِ
ومُعْلِيه في الدنيا ويوم التَّجادلِ

رجسالٌ كسرامٌ غسير ميسلٍ نهاهسم

شـــبابٌ مــن المُطَّلِبــينَ وهاشــم

ولكنّن انسلٌ كسرامٌ لسسادة سيعلم أهدلُ السَّغنِ أيَّسي وأيُّهم وأيُّهُ منسي ومسنهم بسسيفِهِ ومن ذا يمدلُّ الحربَ منّي ومنهم فأصبح منّا أحدد في أرومية كسأنّي بسه فسوق الجياد يقودُها ومجسدتُ بنفسي دونَسهُ وحميتُهُ ولا شسكٌ أن الله رافسعُ أمسره كها قد أرى في البوم والأمس جَدُّهُ

استوعبت وحدة الغرض المواقف النفسية للشاعر فعبر عن صدق انفعاله فيها، فهو الناصر لدين رسول الله عَلَيْهِ والمعاتب لاشراف قريش وبطونها التأليهم على رسول الله ودينه، وعشيرته المؤيدين له، والمفتخر بهم، والحامي والمدافع والذاب عن ابن أخيه، ثم يختم وحدة الغرض بها بُشَر به جده عبد المطلب ووالده عبد الله فجاءت وحدة الغرض متلاحمة في بنائها الفني العام، تتبين فيها مهارة الشاعر الابداعية في عرضه لفنون الشعر بألوانه المختلفة، فانهازت القصيدة ببراعة فن

⁽١) الديوان: ٨٤- ٨٥، الضغن: الحقد، يوم التجادل: يوم القيامة.

القول، وبلاغتها في تأدية المعنى المقصود، وجودة سبكها وقوة تلاحم نسيج بنائها، مما جعل ابن سلام يصف إبداع أبي طالب الفني بقوله: «كان أبو طالب شاعرا جيّد الكلام، ابرع ما قاله قصيدته التي مدح فيها النبي عَلَيْكُ :.... {البيت} »(۱)، وجعلها ابن الاثير أفحل من المعلقات السبع، فقال: «هذه قصيدة عظيمة بليغة جدا لايستطيع يقولها إلا من نُسِبت اليه، وهي أفحل من المعلقات السبع! وأبلغ في تأدية المعنى منها جميعا»(۱).

ان ما حمل ابن سلام وابن الاثير على هذا الوصف للقصيدة اللامية هو تلاحم بنائها وترتيبها على وفق نظام متزاوج بين مضمون القصيدة والفكرة ووحدة الشعور أي بأحكامها للوحدة العضوية التي يتضح فيها جهد الشاعر الفني المتقن الذي بذله في انجاز عمله.

وسار أبو طالب على منهج بناء الأغراض المتعددة في قصيدة المديح المتزاوجة مع موضوع النصرة في بقية قصائده ذوات المقدمات^(٣) الذي أحكم بناءها بها حقق له الترابط في وحدة الموضوع وتناسقها مع بنائها الفني العام.

انياً: بناء القصيدة المباشرة والمقطوعات: هنانياً: بناء القصيدة

اعتاد الشعراء الولوج مباشرة الى موضوع القصيدة، فهي من انهاط البناء الفني حيث «يهجم (الشاعر) على مايريده مكافحة، ويتناوله مصافحة»(1).

⁽١) طقات فحول الشعراء: ١/ ٢٤٤.

⁽٢) السيرة النبوية لابن الاثير: ١/ ٤٩١، البداية والنهاية في التأريخ:٣/ ٥٧.

⁽٣) ظ: الديران: ٩٠- ٩٦، ١١٥ - ١١١، ١٢١ - ١٢١، ١٢١ - ١٢١، ٢١١ - ١٢٨.

⁽٤) العمدة: ١/ ٢٣١.

إنَّ اختيار الشاعر للدخول المباشر الى موضوعه ناتج من الانفعال النفسي المتصاعد؛ لأن هذا الانفعال لا يسمح له بالتأمل والتأني ليضع تمهيدا يفتتح به أثره الإبداعي، ولأنه يجد في الولوج لموضوعه ارضاء لنزعته الانفعالية وهو ازاء تجربته الآنية التي لا تحتمل التقديم لها، وقد حدد ابن رشيق القيرواني الغرض بأنه يتحكم في الاتجاه الفني لبناء القصيدة، فليس «من عادة الشعراء ان يقدموا قبل الرثاء نسيبا كما يصنعون ذلك في المدح والهجاء» (() وهذا الكلام يحمل على التجويز، فمن حق الشاعر اختيار الهيكل البنائي المناسب لاثره الفني الذي يستوعب تجربته الشعرية الذي هو في صدد الحديث عنها، فقد درج الشعراء على اختيار الهيكل الفني المنزوع التقديم في فنون الشعر المختلفة في المديح (() والهجاء () والمجاء () والحادثة المعينة (()

⁽١) العمدة: ٢/ ١٥١.

⁽٢) ظ: تمثيلا لا حصرا: ديوان امرىء القيس: ٢١٣- ٢١٤، ٢١٥- ٢١٩، شرح ديوان زهير بن ابي سلمي: ٣١٦- ٣١٩.

⁽٣) ظ: تمثيلا لا حصرا: ديوان بشر بن أبي خازم: ٤١ - ٤٢، ٩٠ - ٩٣، ديـوان النابغــة الـذبياني: ٥٤- ١١٣، ١١٢ - ١١٢.

⁽٤) ظ: تمثيلا لا حصرا: شرح ديوان زهير بن أبي سلمى: ٣١٣- ٣١٥، ديوان الأعشى الكبير: ٢٩٧- ٢٩٩.

⁽٥) ظ: تمثيلا لا حصرا: ديوان النابغة الذبياني: ٧٥- ٧٨، ٨٨- ٨٥، ٨٨- ٩٨، ٨٥- ١٠٠، ديوان الأعشى الكبر: ٢٢٣- ٢٣٥.

⁽٦) اختلف العلماء العرب في عدد ابيات القصيدة والمقطوعة، ونرجع من بين آرائهم، ان ما زاد على سبعة ابيات فهو قصيدة ، وما قل فهو مقطوعة، ظ: اعجاز القرآن: ٣٩١، العمدة: ١٨٨٨ - ١٨٨، لسان العرب: (قصد).

بلغ عدد القصائد المباشرة في شعر أبي طالب اثنتين وثلاثين قصيدة (۱) اخضعها للمعالجة الفنية في سرعة الاداء، ويسلك أبو طالب في هذا اللون من الأداء انهاطا متباينة في بناء القصيدة المباشرة، منها ما يضم غرضا واحدا في بنائه وهو ما يسمى البناء البسيط، ومنها ما يتفرع من الغرض إلى موضوعات أخرى، ويسمى البناء المركب، اللذان سبق ان ذكرناهما آنفا، لأن هذه الموضوعات لم تعد مستقلة بذاتها، فكما ان التحوير والتغيير والتطوير والتجديد أصاب شعر أبي طالب في فنونه المختلفة، كذلك الحال في بناء هذه الفنون ضمن بناء القصيدة العام.

إنَّ الأداء المباشر في الأثر الفني هو نتاج المؤثرات النفسية والبيئية والاجتماعية والسياسية، وهو تابع لقوة هذه المؤثرات التي خضع لها الشاعر وهو ازاء تجربته الشعرية المنجزة، فأثرت في ابداعه الفني بهذا التغيير الذي طرأ على القصيدة المباشرة.

أ_بناء الغرض البسيط:

حفل شعر أبي طالب بهذا اللون من البناء بتسع عشرة قصيدة(")، وهو يعالج

فنا واحدا من فنون الشعر الذي قيل في الجاهلية، أو في صدر الإسلام، ومنها قصيدته «الحائية» التي أخضعها الشاعر الى المعالجة السريعة في بنائها الفني، فبلغت عدد أبياتها أربعة عشر بيتا تضمنت قصة عهارة بن الوليد بن المغيرة وعمرو بن العاص (۱) التي فشت في مكة، فبلغت أبا طالب، فقال:

{من الطويل}

وفَعْلُك يا عَمْرو البضلالةِ أَسبَحُ على فَجْرَةٍ تَنْسي عليبكم وتُفْرِحِحُ وزوجتك الحسنى البه تُكَوَّحُ وأنستَ عَيَاءٌ أصفرُ اللونِ أَفْلَحُ فطالبها جهراً بها ليس يصلحُ فطالبها جهراً بها ليس يصلحُ

أتان حديثٌ عن عهارةً مُحُونِيٌ تَهَاحِبْتُهُا لاباركَ اللهُ فيكها -سقيتَ الفتى خمراً فأفسدتَ عقلَهُ رأتُ رجلاً من اجملِ الناسِ مُنْتَشِ أذنت لها من قبلَةٍ من جبينها

⁽۱) حدث ان عهارة وعمرو خرجا الى الحبشة تاجرين، فسارا في البحر ليلاً، أصابا من خمر معهما، فلما انتشى عهارة طلب من زوج عمرو -التي كانت مرافقة مع زوجها في الرحلة - ان تُقبّلُهُ، فأمرها زوجها عمرو بتقبيل عهارة، فقبلته فراودها عهارة عن نفسها، فأمتنعت منه، وكان عمرو قاعدا على منجاف السفينة، فدفعه عهارة في البحر ليقتله، فخرج عمرو من البحر، لأنه كان يعرف السباحة، وأضمر فعل عهارة الشائن في نفسه، ولما وصلا الى ارض الحبشة تردد عمارة على امرأة النجاشي، وحدّث بهذا الامر عمرو بن العاص، فأحتال عمرو عليه بانه غير مصدق قوله ما لم يأته من امرأة النجاشي من دهن وعطر زوجها، لكي يأتيه بشيء لايستطيع دفعه إن هو رفع شأنه الى النجاشي للايقاع بعهارة، فلما احضر عهارة الدهن والعطر اللذين اعطتهما له امرأة النجاشي، وشمى عمرو الى النجاشي، فاستثبت الأخير بالأدلة المقدمة له، ودعا السواحر، فوضعن عاهة مستديمة يشنزً بها رجولة عهارة، وخلي سبيله فخرج هائها بين الوحوش، ظ: السير والمغازي: ١٦٧ - ١٩٩، الأغاني:

فلو كنتُ يا ابنَ العاصِ حراً قتلتَهُ وكان الفتسى طبّاً بها كان مسنهم وقال اعتذاراً: مسا أردتُ سسلامةً فداهنتَ في فعسلَ السذليلِ مهانة فدربً الى عُسرْسِ النَّجاشي بجهده وحَسبَّرَكَ المسشؤومُ مساكان مسنها على عارضيهِ حينَ يدخل بيتَها فأورطتَ عند النَّجاشي سساعياً فَصَرَّرُهُ بسين الوحوش بسسحرهِ

ولكن تداعاكَ الرجالُ وأقسبحُ فألقاكَ في التيّار والبيّمُ يطفَحُ وما كنتُ ذا علم بأنكَ تسبحُ ومازال للنّكراءِ صدْرُكَ أقلحُ فصادَفَها بالبُضعِ للجهلِ تسمحُ وجاءك بالدُّهنِ الذي كان يمسحُ مساءً وتحبوهُ به حين يُصبِحُ إليه به وأنت في ذاك مُفلِحُ

إنَّ أسلوب ملامح السرد القصصي حقق تلاحما فنيا تاما في بناء القصيدة وكأن أبياتها حلقات متصلة بعضها مع البعض الآخر بشكل منسجم في هيكلها، وفيها يعبر الشاعر عن صدق إحساسه في استنكاره بشدة واستهجانه لعمل عهارة بن الوليد وعمرو بن العاص، لان فعلها يستهجنه العُرف والعادات والتقاليد العربية، فكانت القصيدة مستوفية لعناصر بنائها ومتلاحمة الأجزاء على وفق قصائد أخرى ظفرنا بها في ديوانه".

وتندرج ضمن هذا الضرب من البناء المقطوعة، لأنَّها وحدة مستقلة بشكلها تحتوي على وحدة موضوعية، وتعالج موضوعا واحدا لا يتفرع الى غيره من

⁽١) الديوان: ٢٥١.

⁽۲) ظ:م.ن: ۱۳۰- ۱۳۱، ۱۳۲- ۱۳۳، ۱۲۵- ۱۲۵، ۱۲۸، ۱۲۶۳.

الموضوعات الجانبية كما ذكرنا آنف والمقطوعة هي «الأبيات القليلة التي يقولها الشاعر في مناسبة معينة» (١) ويدخل في إطارها البيت الواحد والبيتان، ويرجحان أنها من مقاطع بقايا قصائد ضائعة.

والمقطوعة من الظواهر الأدبية في الشعر العربي التي غدت قالبا لبعض فنون الشعر ذات الصلة الأكثر من غيرها من القصيد تتطلبه السرعة في القول والسرعة في إيصاله لأذهان السامعين، والإيجاز، وعدم المبالغة والإسراف".

وفي نظرة فاحصة في شعر أبي طالب يتبين أن السمة الغالبة في بناء أشعاره المقطوعات التي تشكلت في فنون الشعر المختلفة في الرثاء والحماسة والفخر والمديح والتعريض والعتاب والنصيحة والحكمة والنصرة والحادثة المعينة الى غير ذلك، وبلغ عددها ثماني وخمسين مقطوعة "، ومنها ما يفخر الشاعر بنفسه، فقال:

{من مجزوء الرمل}

أناي ومَ السسِّلمِ مكفيُّ يَّ ويسومَ الحسربِ فسارِسُ أنال المحمسسةِ أنسفٌ حين ما للحُمسسِ عاطِسُ (٤)

⁽١) أبحاث في الشعر العربي: ٣٦.

⁽٢) ظ: الشعر في حرب داحس والغبراء: ٢٠٣- ٢٠٤.

⁽٤) الديوان: ٢١٠، الحمس: عند قريش الشدة في الدين والصلابة، ظ: السيرة النبوية لابن كثير: ١/ ٢٨٤.

وعلق الجاحظ على هذه المقطوعة ما نصه: "وقال أبو طالب قولا هو اجمل واجمع وأرجع من قول الجميع، وذلك انه قال وفسر ... {البيتان}، فزعم كها ترى انه إذا كان في السلم فهو لا يحتاج مع الكفاية الأعوان إلى ابتذال نفسه في حوائجه، وإذا كان في الحرب فهو فارس يبلغ جميع إرداته" (())، وهذا يعني ان أبا طالب على الرغم من خضوعه للسرعة في القول، بالغ في عنايته لربط اجزاء الفكرة وتعليلها وانسجامها مع وحدة الشعور، وبلاغته في تأدية المعنى المقصود في قالب بنائي متهاسك ومترابط ببراعة فنية استوعبت تجربته الآنية في عمله الفني.

ويلجأ أبوطالب إلى الإيجاز والسرعة في الأداء لما قعدت قريش برسول الله عَلَيْكُ اللهِ اللهِ عَلَيْكُ اللهِ المِلْمُ اللهِ

{من الكامل}

كسذبوا ورَبِّ الراقسصاتِ الى الحَسرَمْ وهدو الأمين عسلى الحَرائِسبِ والحُسرَمْ ومسضتْ مقسالتُهم تسسيرُ إلى الأمُسمُ (٢)

زعمت قريش أنَّ أحمد ساحرٌ ما زلت أعرِفُه بصدق حديثه بَهُ سوه لا سُعِدوا بقطير بعدها

إن انفعال الشاعر تجاه أقاويل قريش المزعومة لا تسمح له بالتأني والتأمل والإطالة وإنها أثرت فيه روح الانفعال في الرد السريع على أقاويلهم بموجز القول، لان الموقف يتطلب هذا الإطار البنائي الفني الذي استوعب تجربة الشاعر وصدق احساسيسه ومشاعره تجاه رسول الله عَلَيْهِ واستنكاره لتأويل أقاويل قريش الباطلة فيه.

⁽١) البرصان والعرجان والعميان والحولان: ٢٧- ٢٨.

⁽٢) الديوان: ١٨٥.

ب ـ بناء الغرض المركب:

توافرت في قصائد أبي طالب وحدة موضوع القصيدة، «ووحدة المشاعر التي يثيرها الموضوع، وما يستلزم ذلك من ترتيب الصور والأفكار ترتيبا به تتقدم القصيدة شيئا فشيئا حتى تنتهي الى خاتمة يستلزمها ترتيب الأفكار والصور، على ان تكون أجزاء القصيدة كالبنية الحية، لكل جزء وظيفته فيها، ويؤدي بعضها الى بعض عن طريق التسلسل في التفكير والمشاعر» (۱۱ اللذين يجمعها الترابط والانسجام، بيد أنَّ الموضوع الرئيس الذي من اجله انشئت القصيدة قد يتفرع إلى موضوعات أخرى، وهو ليس التعدد في الموضوع وإنها هو تفرع من أغراض الموضوع الرئيس الرئيس النعدد في الموضوع وإنها هو تفرع من أغراض الموضوع الرئيس المنتدعت تسميته ببناء الغرض المركب.

وبلغ عدد القصائد المباشرة في شعر أبي طالب القائمة على بناء الغرض المركب ثلاث عشرة قصيدة (٣).

ومنها قصيدته الميمية التي بلغ عددها عشرة أبيات ، يحرض الشاعر فيها أخاه أبا لهب على نصرة رسول الله على الله على نصرة رسول الله على الله عنه بنو مخزوم في استجارته لأبي سلمة، فطمع أبو طالب بأخيه أبي لهب أن يقوم معه في الدفاع عن رسول الله وهايته له (أ) فقال:

⁽١) النقد الأدن الحديث: ٣٩٤.

⁽٢) ظ: الشعراء الصعاليك: ٢٦٤.

⁽٤) ظ: البداية والنهاية في التاريخ: ٣/ ٩٣.

{من الطويل}

لف ي مبذخ من أن يُسسَامَ المظالما أبا مَعْتب ثِبَّتْ سوادَكَ قائما تُسبُّ بها إمّا هبطت المواسما فإنك لم تُخلَق على العجز جاثما أخا الحربِ يُعطي الخسف حتى يُسالما(١) إنَّ امسراءاً أبسو عتيبة عَمَّه أ أقسولُ له وايسنَ منه نصيحتى: ولا تَقبَلَنَّ اله هرَ ماعشتَ خُطَّهً وولاً سبيلَ العجز ويبكَ مسهم وحارِبْ فإنَّ الحربَ نصفٌ ولن ترى

وتفرع حديث أبي طالب في حثه لأخيه أبي لهب ونصحه لـ ه في دعوت النصرة ابن أخيه رسول الله عَلَيْوَاللهُ فقاده الحديث بتسلسل منطقي إلى معاتبته مستنكرا عداوت القومه، وهم لم يحاربوه، ولم يخذلوه، على أية حال سواء أكان رابحا أم خاسرا، فقال: {من الطويل}

فكيف ولم يجنوا عليك جناية ولم يخذلوك غارماً أو مُغارِماً (٢)

إنَّ معاداة أبي لهب لرسول الله وأهله الناصرين له كانت بسبب ما أثارته الأحياء القريشية من معارضة وفتنة، ففرقت جماعاتهم مما أثارت حفيظة الشاعر في الدعوة عليهم لعقوقهم وآثامهم معرضا بهم فقال:

إمن الطويل إمن الطويل عقوق الطويل عقوق وماثما وخزوماً عقوق وماثما بتفري اللهُ عنّا عبد ودِّ وألفَ قِ جَمَاعَتَنا كيما ينالوا المحارما

⁽١) الديوان: ١٧٨، ابرعتيبة: أبولهب، سوادك: شخصك، النصف: الإنصاف والعدل، الخسف: الأذلال.

⁽۲) م.ن: ۱۷۸.

أطباعوا ابسن ذكسوان وقيسها وديسها فيضلُّوا ودقُّسوا للمسلاعِطْرَ مَنْسشها(١)

إنَّ سعي بطون قريش، وعزمهم على قتل رسول الله، كان حقاً على أبي طالب أن يجهر بصوته للحفاظ عليه وحياطته متوعدا إياهم بملاقاتهم التي لا يقوم لها قائمة، فقال في الخاتمة:

{من الطويل}

كـــذبنم وبيـــت الله يُبـــزى محمـــدٌ ولّما تـروا بومـاً لـدى السُّعب قـائها(٢)

عالجت القصيدة المباشرة موضوعاً واحداً في الحث على نصرة رسول الله على أبيد أنَّ الموضوع الرئيس تفرع الى وحدات موضوعية تقاسمتها النصيحة، والحث على النصرة، والعتاب، والتعريض، والتوعد والنصرة في ترتيب متسلسل يخدم غاية الشاعر وفكرته المرتبطتين بالموضوع الرئيس، والتفرع البنائي منسوج ببناء محكم اظهر الشاعر فيه بإتقان فني معالجة الوحدات المتفرعة ضمن بناء القصيدة العام من خلال تنميته «الأقسام القصيدة تنمية عضوية بحيث ينشأ كل جزء من سابقه نشوءا طبيعيا مقنعا ويستدعي الذي يليه استدعاء حتميا حتى تتكامل أجزاء القصيدة وتشملها عاطفة واحدة» (")، على نحو قصائد أخرى خبرها أبو طالب بهذا البناء الفنى بألوانه المتعددة في الديوان (").

⁽١) الديوان: ١٧٨.

⁽٢) م.ن: ۱۷۸.

⁽٣) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه: ١٤٨.

⁽٤) ظ: الديوان: ٩٠- ٩٣، ٩٣- ٩٤، ١١٧- ١٧١، ١٧١، ٥٠١- ٢٠١، ١١١- ١١٠) ظ: الديوان: ٩٠- ٢٠١، ١١٢- ١١٣. ١٢٢- ١٢٣. ١٣٢ - ١٢٤. ١٢٢ - ١٢٣.

فقد انهاز قسمٌ من هذه القصائد بأنّه رسائل شعرية مرسلة إلى قومه، متخذا من التعبير المباشر في عزوفه عن التمهيد وسيلته إلى هذا الأسلوب من التبليغ بإطار متناسق في نمو أبيات القصيدة، ومنسجم من بعضها؛ لتشكل نمطاً بنائياً فنياً يؤطر به عمله الأدبى.

الرجز:

الأرجوزة: هي وحدة موضوعية في بناء متلاحم تقوم على تواشيج العلاقات بين الأبيات المشطورة ،وكان العربي يقول الرجز بديهة وارتجالاً في المناسبات المختلفة والمواقف المتباينة من حياته التي يحياها معبرا عن صدق انفعاله، وخلاصة تجربة معينة بأبيات موجزة ومشطورة، وبعيدة عن المبالغة، ومتاسكة في بنائها، وقد عالجت موضوعا واحدا ضمن بناء الغرض البسيط في بنائها الفني، او موضوعا يتفرع إلى موضوعات أخرى ضمن بنائها الفنى العام في بناء الغرض المركب.

أ_بناء الغرض الواحد (البسيط):

عالج أبو طالب موضوعا واحدا ضمن البناء الفني للأرجوزة التي بلغ عددها في شعره تسع اراجيز (۱) ومنها الأرجوزة التي تضمنت ستة أبيات مشطورة، يفخر أبو طالب فيها بإعادة بناء الكعبة، وذلك عندما اختلفت قريش في أيهم يرفع الحجر الأسود بعد بنائها، فأشار أبو أمية بن المغيرة بان يتخذوا أول من يدخل الباب حكماً يحتكمون إليه في هذا الأمر، فدخل رسول الله عَيَالِيُّهُ وكان ذلك قبل بعثت مد

⁽۱) ظ:الديوان: ١٠٢- ١٠٣، ٣٢٩، ٣٣٠- ٣٣١، ٣٣٤، ٣٣٨، وشعر أبي طالب وأخباره: ٨٩، والمستدرك في الأطروحة: الأراجيز ذوات الاقام: (١، ٢، ٤).

فرضوا به لأنه الأمين، فبسط رداءه، ثم وضع الحجر فيه، ثم أمر كل ربع من أرباع قريش أن يأتي فيرفعه، ثم وضعه بيده في موضعه الى هذه الحادثة أشار أبوطالب بقوله:

(من الرجز)

إنّ! لنسب أوَّلَ فَ وآخسرَهُ و آخسرَهُ في الحكم والعدل السذي لا نُنْكَرَهُ و قصد حمد والعدل السندي لا نُنْكَر و قصد حمر ناجهد ده لنعمر و قصد عمر نساخسيرَهُ و أكبرَهُ في الله في المن يكن حقّاً ففينا أو فَرَهُ لله المن يكن حقّاً ففينا أو فَرَهُ لله المن المن عنا إذْ تمارَ وُا حَجَرَهُ (٢)

ونلمح في بناء اجزاء الارجوزة ترابط العلاقات بين ابياتها المشطورة والمتلاحة في تناسق فني مع مضمونها، ووحدة الشعور بالزهو والفخر في ادارة بيت الله، فهم اهل الحكم والعدل، وهم القائمون على عمارة البيت، ولهم شرف وضع الحجر الاسود، ولهذا كله، فهم اصحاب الحق الوافر فيه.

إنَّ براعة الاداء المتقن الواضح الذي جنح الشاعر فيه الى التفصيل والتفسير بهذه الوحدة المنظمة والمتكاملة في مقومات بنائها التي عبرت عن لحظة شعورية صادقة ازاء احد الاحداث التي مربها الشاعر، تمثلت بخلاصة تجربته بهذا العمل الفنى المنجز.

⁽١) ظ: أنساب الأشراف: ١/ ٩٩- ١٠٠.

⁽٢) الديوان: ٣٣٨.

ب ـ بناء الغرض المركب:

وتندرج ضمن هذا الإطار البنائي الأراجيز ذوات النموذج الفني الذي يحمل موضوعا واحدا متفرعا الى موضوعات جانبية تلتقي بالموضوع الرئيس، وهذا النمط من البناء اشبه بالنهر الذي يتفرع الى فروع عديدة صغيرة ليصب في مجرى النهر الواحد، ففروعه كلها لها وشائج نابعة من النهر نفسه وتعود اليه.

وعلى الرغم من قلة الأراجيز الطويلة في شعر أبي طالب لانعدم أن نجد ثلاثاً منها طويلة أن بلغت فيها غاية بنائها الفني المقصود في تطويرها وتطويلها، فقد بلغ عدد أرجوزته البائية ثلاثة وعشرين بيتا مشطورا التي عالج فيها أبو طالب موقفا انسانيا بعاطفة صادقة استقطبتها تجربته الشعرية ساعة رجزه عندما أراد والده عبد المطلب أن يذبح شقيقه عبد الله والد الرسول عَلَيْوَالله وفاء لنذر عليه، فقال أبو طالب ناهيا إياه:

{من الرجز}

كُسلا وربِّ البيسةِ ذي الأنسصابِ
ورَبِّ مسا أنسضى مسن الرِّكسابِ
كُسلُّ قريسبِ السدارِ أو منتسابِ
يسزورُ بيستَ الله ذا الحُجِّسابِ
مسا قَتْسلُ عبسدِ الله باللعسابِ(٢)

⁽١) ظ: م.ن: ١٠٢- ٢٠١، ٣٣٠- ٣٣١، والمستدرك في الأطروحة: الأرجوزة رقم: (٢).

⁽٢) الديوان: ٣٣٠

ويسعى الشاعر على تنمية أجزاء أرجوزته، فكلامه السابق يترتب عليه مدح أخيه لبيان منزلته فيشيد بعراقة أصله من جهة أبيه وأمه، وكأن الشاعر يريد أن يحرض أخواله على أبيه ليمنعوه من ذبح أخيه فقال:

{من الرجز}

من بين رهيط عصبة شبابِ ابسن نسساء سسطة الأنسساب أغسر بين البيض من كيلابِ وبين لخسزوم ذَوي الأحسسابِ أهسل الجيسادِ القُسبِّ والقبساب (۱)

فهب خاله المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم مخاطبا عبد المطلب «والله لا تذبحه أبداً حتى نُعذَر فيه فإن كان فداء فديناه بأموالنا ... » (")، شم اهتدى أبو طالب إلى حل يخرجه من هذه الأزمة، فإذا كان أبوه عازما على أمر، فعليه بقرع القداح ليتبين له الأمر، ولكى يسقط الذنب عن الجميع:

{من الرجز}

ل ستم على ذلك بالأذ ناب حسم تدوقوا حسسَ السضرابِ بكُلِ عصض ذائب اللعابِ اللعابِ

⁽١) الديوان: ٣٣٠.

⁽٢) السير والمغازي: ٣٤.

ذي رونسقِ في الكفّ كالسشهابِ تلقساهُ في الاقسرانِ ذا أنسدابِ القساءُ في الاقسابُ الكِتسابِ (١)

ويحاول الشاعر أن يقنع أباه متوسلاً سبل النصيحة في خطابه له، ومحذرا إياه ما سوف يفعله أخواله ان قتل ابنه، ولأن فعل ذلك سيكون سنَّة من بعده في أن يذبح الرجل ابنه ما بقى الناس على ذلك:

{من الرجز}

قلت وماقسولي بالمُعابِ -: يا شيب إنَّ الجسورَ ذو عِقابِ إنَّ لنا إنْ جسرتَ في الخطابِ أخسوالُ صدقِ كأسسودِ الغابِ أخسوالُ صدق كأسسودِ الغابِ لسن بسسلموهُ السدهرَ للعسذابِ حنى يمصَّ القاعُ ذو السترابِ دماءُ قسوم حُسرُم الأسلابِ(٢)

حقق أبو طالب الانسجام بين أقسام الأرجوزة، الموزعة بين النصيحة، والمديح، والإرشاد، والتحذير التي أظلها الانفعال المحموم والعاطفة المشبوبة المتشكلان في نسيج وحدة الموضوع الرئيس، ويبدو أنَّ أبا طالب قد خطى

⁽١) الديوان: ٣٣٠.

⁽٢) الديوان: ٣٣٠- ٣٣١.

بالأرجوزة خطوة متقدمة نحو تطويلها وتطويرها اللذين بلغ فيهما النضج الفني في إتقان الأداء، وجمال الأسلوب، وجودة الصياغة، وبراعة الصور التشبيهية، وهي محاولة جادة في مسار بناء الأراجيز التي تحاكي القصيد من ناحيتي الموضوع والفن، ونهج أبو طالب المنهج نفسه في الأرجوزتين: الفائية (١) والرائية (١).

ومن هنا يمكن أن نعد أبا طالب احد الرواد الأوائل الذين سعوا الى تطويل الأرجوزة وتطويرها التي واكبت صنوها القصيد كها اوماً إلى ذلك ابن سلام بقوله: «ولم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجل في حاجته ، وإنها قصدت القصائد وطوّل الشعر في عهد عبد المطلب وهاشم بن عبد مناف» (") ، وانها قصد ابن سلام «وطول الشعر» بالرجز لأنه خلاف القصيد ومن هنا يمكن أن نعد رجز عبد المطلب وابنه أبي طالب في تطويلها له من الرواد الأوائل لنضج هذا النمط الفني وتطويره المتأصل الجذور منذ القدم (٥) ، بخلاف ما ذهب إليه بعض الباحثين من «أن الرجز في الجاهلية كان قصيراً لا يتجاوز الأبيات المعدودات ... ولم يتطور الرجز في صدر الإسلام ولا ازدهر فإن الرباز لم يُطيلوه ولا مدّوا في اطنابه بل ظلوا ينشدون منه البيت أو البيتين او الثلاثة» (١٠) ...

⁽۱) ظ:م.ن:۲۰۱-۲۰۱

⁽٢) ظ: المستدرك في الاطروحة: الارجوزة رقم: (٢).

⁽٣) طبقات فحول الشعراء: ١/ ٢٦.

⁽٤) ظ: تمثيلا لا حصر إ: السير والمغازى: ٣٤، ٣٦، ٣٧، ٣٩- ٠٤، ٠٤، ٤٤، ٥٥- ٢٤، ٢٦، ٧٤.

⁽٥) ظ: ديوان امرىء القيس: ١٣٤،٣١٢ - ٣١٨، ٣٥١، ٣٥٣.

 ⁽٦) مقدمة القصيدة العربية في العصر الأموي: ١٤٤، ظ: العجاج ودوره في تطوير الأرجوزة في العصر
 الأموي: ١٦.

وإنَّ ما يعاضد رأينا أن أبا طالب وأباه عبد المطلب من الأوائل الذين طوَّلوا الرجز وطوروه ، ما ذكره ابن رشيق القيرواني عن غيره: ان «أول من طوَّل الرجز الأغلب العِجلي، وهو قديم، وزعم الجمحي وغيره أنه أول من رجز، ولا أظن ذلك صحيحاً؛ لأنه إنها كان (الأغلب العِجلي) على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونحن نجد الرجز أقدم من ذلك» (۱).

ومما تقدم يتبين: ان القصيدة الإسلامية في شعر أبي طالب تتقلص وتتسع بحسب ظرفها الذي وُلِدت فيه، فتتقلص في اسقاطها للوحتي المقدمة، والناقة في القصائد المباشرة ذات الموضوعات المركبة، وتتسع في القصائد نفسها بتعدد الموضوعات ضمن هيكلها العام في البناء، وذلك لأن القصيدة تعايش مرحلة جديدة من الحياة الجديدة، وإن كانت تسمية اتجاهات الموضوعات مشدودة الى عهد ما قبل الإسلام، بيد أن حال المجتمع الجديدة التي شهدت تغييرات في الصرع الفكري والعقائدي والاجتماعي وغيرها، أثرت في فن الشاعر فبدأ التجديد في استعماله لآيات الذكر الحكيم، والتعابير الإسلامية الذي احتوى الشكل البنائي للقصيدة الذي يعد تأصيلاً للنهاذج شعرية لاحقة.

وتعد المقدمة الطللية من المقدمات التقليدية سلك فيها الشاعر منهج المحاكاة للقصيدة البدوية في قصيدة واحدة، وهذا يفسر التغيير في معايشة الشاعر للإنموذج القديم مع الجديد الذي عاشه، ولكنه مشدود بروحه الى التقليد الفني لمقدمات شعراء البادية، على حين بقيت مقدمتا: وصف الهموم والشكوى بداية للتحول الجديد في بناء هيكل القصيدة الإسلامية.

⁽١) العمدة: ٩٠، المزهر في علوم اللغة وأنواعها: ٢/ ٨٨٤.

وبذل أبو طالب غاية جهده الفني في تطويل الأرجوزة وتطويرها والتي بلغت غاية النضج الفني، وبراعة الإبداع، وإتقان البناء.

وانحصرت أشعار أبي طالب في التعبير عن نفسه وعواطفه بألوانها المختلفة فكثرت المقطوعات، وتعددت الأراجيز التي تتطلب السرد السريع بحسب الظرف النفسى الذي يمر به الشاعر على المستويين المضمون والشكل.

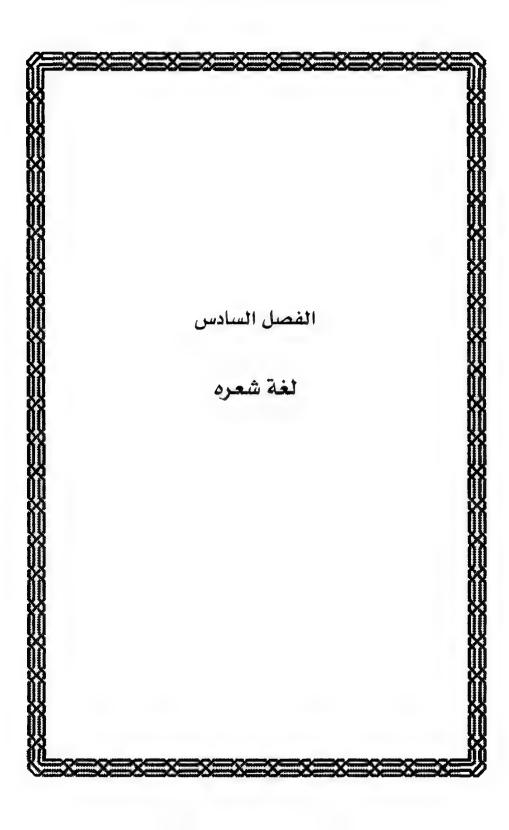
إن أبا طالب أجاد في القصيد والرجز، في تطويره لها، وقلها يجمع الساعر من الشعراء بين القصيد والارجاز والخطب "، فقد «كان أبو طالب شاعرا جيد الكلام» (")، ومن الرواد الذين طوَّروا الأراجيز، وخطيبا مفوها كها عهدنا ذلك في خُطبَه التي ذكرناها آنفاً (").



⁽۱) قال: «ابو عمرو بن العلاء ... ومن الشعراء مَن يُحكم القريض ولا يُحسِن من الرّجز شيئا، ففي الجاهلية منهم: زهير، والنابغة، والاعشى، وأما من يجمعها فأمرؤ القيس وله شيءٌ من الرجز، وطرفة وله كمثل ذلك، ولبيد وقد أكثر. ومن الإسلاميين من لا يقدر على الرجز وهو في ذلك يُجيد القريض: كالفرزدق وجرير؛ ومن يجمعها فأبو النجم، وحميدٌ الأرقط، والعُمانيّ، وبشّار بن برد، واقل من هؤلاء يُحكم القصيد والأرجاز والخطب... ، البيان والتبين: ٣/ ٨٤.

⁽٢) طبقات فحول الشعراء: ١/٤٤/١.

⁽٣) ظ: التمهيد في الأطروحة: ١٥، ٣٠- ٣١.



مفتتح الفصل بناء اللغة

إنَّ فن الأدب يختلف عن الفنون الأخرى، لأنّه يرتكز على اللغة، فاللغة المكوِّن الاساس الذي يمنح الشعر سر شاعريته المصورة للمعاني المختلجة في النفس الانسانية، فهي بحق لغة الانفعال المضيئة لمعنى يستحضر الشاعر فيه ماضي ذكرياته، أو واقع حاضره، أو كيان وجوده فيضفي عليها اصداءً أو اظلالا من الايحاءات تختلف باختلاف نفسيته في التعبير عنها باللغة المتكونة من الفاظ وتراكيب، وايقاع المتمثل بالوزن والقافية، والصور المتشكلة بالوانها المتباينة، فتتبح مجالا رحبا في التأويل المتعدد المداليل.

وتنتظم هذه المكونات في قالب بنائي محدد يختبي، وراءه جمال ابداع العمل الشعري بلغة فنية حيَّة مشعة بالدلالة، تتحقق فيه قيمة تعبيرية من انتظام التعبير اللفظي مع موسيقى النغم، والصورة المعنوية، لأنَّ غاية الشاعر اثارت عواطف المتلقى بتقنيات التعبير الدقيقة، وصدق الاحساس العميق، لنقله اليه.

فلغة الشعر بناء حي متكامل تتفجر فيه طاقات ايحائية متمثلة بمقومات

القصيدة التي هي «مجموعة علاقات شكلية ومضمونية مترابطة لغة وجرسا ودلالة وايقاعا وصورة، تؤلف بنائها الفني المتمثل، من خلال نهاذجها وامثلتها الشعرية المتوفرة لدينا، وفي نمط موسيقاها الشعرية ذات القافية الموحدة والوزن الواحد وفي تعدد اغراضها او تفردها بغرض واحد» (۱) فمن هذه المكونات التعبيرية جميعها يتكون البناء الفني المتكامل للقصيدة، بيد أن هذه العناصر، أو المكونات تبقى خاضعة لطبيعة الشاعر ومنها: روافده الثقافية، وهي الثمرة المتمخضة عن اطلاعه وتدريبه على نهاذج شعرية لشعراء سابقين له؛ ليثري لغته بها استثمره من نتاجهم، وليكشف ذاته واصالته في اعهاله الشعرية الابداعية التي يحاكي فيها تجاربه الحياتية؛ ولان الموهبة الشعرية وحدها لا تكفي، فتبقى لغته قاصرة عن اداء وظيفتها التعبيرية ما لم يصقلها باغنائها بالروافد الثقافية.

وللبيئة اثرها في طبع الشاعر، فرقة الفاظ الشاعر الحضري وسهولتها ورشاقتها، تباين جفاف الفاظ الشاعر البدوي وخشونتها وغريبها، وقد يسهل لفظ شعر الشاعر، ويخشن اللفظ شعر شاعر اخر تبعا لاختلاف الطبع وتركيب الخُلق"، وتبقى التجربة الشعورية الطابع الذي يصوره الشاعر، وهو يسكب عواطفه واحساسيه ومشاعره جاهدا في نقل خواطره التي تتدافع في نفسه عبر لغته الى المتلقى"، فالثقافة والبيئة والتجربة الشعرية تؤثر في لغة أي شاعر.

⁽١) بناء القصيدة عند الشريف الرضي (بحث): ١٩٨. ظ: مكانة القصيدة العربية بين نقاد والرواة العرب: ٥، نقد الشعر في المنظور النفسي: ١٠٢.

⁽٢) ظ: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٧ – ١٨.

⁽٣) ظ: لغة الشاعر (بحث): ٤١.

وبها أنَّ اللغة السعرية لغة انفعالية، فقد تتباين الانفعالات فيها بحسب التجربة الشعرية، ولهذا انهازت لغة السعر بالمرونة والحيوية والتجديد تبعا لنوع الانفعال (۱) من حب وبغض، وحزن واسف، وفرح واعجاب، وخوف وقلق، وقوة وشدة إلى غير ذلك، فتخرج بصورة ترانيم ملحنة، لتكتمل بمقوماتها الصوتية اداء انفعال الشاعر الوجداني بلغة موسيقية زاخرة بالنغم مترابطة الاحكام مع انفعالاته، ومتسعة لخياله، لتغدو لغته لغة تصويرية تتشكل فيها وسائل الصورة بألوانها المختلفة، ولهذا كله استوعبت لغة الشعر عناصرها واجزاءها من الفاظ وصياغة، وايقاع، وصور بوصفها بناءً متكاملاً لا يمكن فصل عراه إلى اوصال، بيد أن طبيعة تقنيات البحث في تحديد مداليلها، وايضاح مفاهيمها تتطلب دراسة الوحدات بشكل منفصل في ثلاثة فصول.

الألفاظ:

الألفاظ؛ هي احدى الدعائم الاساس لبنية القصيدة، واحدى ادوات الشاعر التي يستعملها، ليخلق نصا ادبيا معبرا عن تجربته الشعرية، ينقلها الى المتلقي سواء أكان المتلقي مستمعا ام قارئا ام ناقدا، ولهذا كان على الشاعر ان يعنى بالفاظه في نسيجه الشعري، مما يحفزه للجنوح الى رصانة الاسلوب، وانتخاب الألفاظ التي يتحرى فيها الوضوح في تأدية المعنى المقصود، والدقة في التعبير المشحون بانفعالاته المتباينة بحسب فن القول المطروق ليزود الالفاظ بطاقات ايحائية ومداليل مجازية اضافية، فتصبح مشعة بالتأثير والحيوية، فيخلق الشاعر عملا فنيا متساوقا مع تجربته

⁽١) ظ: الأسس الجمالية في النقد العربي: ٣٤٠، الأسلوب: ٧٤.

الآنية، على ان هذه الالفاظ ضمن سياقاتها تحمل في الوقت نفسه مداليل معجمية.

والشاعر ينساب وراء الفاظه ليصوغها في تراكيب لغوية تبدأ من مرحلة انتقاء الالفاظ التي تدور في مخيلته ثم وصفها في عبارات الى ان تتكامل في جمل وانساق، ومما لا شك فيه ان الالفاظ تثمر دلالاتها من الواقع، فهي تعبير عن واقع الحياة اكتسبت قيمتها الدلالية من تشخيص طبيعة الواقع على نحو متميز في قالب شعري فني ذي بناء ايقاعي شكَّل سر جمال جوهر هذا البناء الشعري بعد ان طبعت بطابع احاسيس الشاعر ومشاعره وعواطفه وافكاره.

والسمة الغالبة في ألفاظ نسيج شعر أبي طالب قبل الإسلام وبعده الوضوح الذي ينأى عن الحوشي في قول الشعر وغريبه، ذلك بأن بيئة الشاعر لها اثرها في لغته، فأبو طالب عاش في مدينة حضرية تميل إلى استعمال الالفاظ السهلة المألوفة والمأنوسة إلى أذن السامع، والبعيدة عن الحوشي من الكلام، والغريب من الالفاظ، فلغتها لينة سهلة (۱)، وإن الطابع الغالب على شعر أبي طالب متسم باسلوب عصره، فطبعت الفاظه بطابع واقع الحياة المكية قبل الإسلام وفي بواكيره، فمثلت توكيدا لهذا الواقع وصورة صادقة له، مستظلة بمظلة خيال الشاعر ونبض روحه ومشاعره وصدقها في التصوير.

إن من العوامل التي جعلت شعر أبي طالب يحمل المزيتين: البساطة والوضوح، إنه عبارة عن رسائل موجهة إلى اولاده واخوته وابناء عمومته وعشيرته وقومه من زعهاء قريش، لتأييد الدعوة الإسلامية ونصرة صاحبها، يتخللها النصح والتوجيه والوصية في الثبات على العقيدة واتباع المصطفى عَلَيْظِيَّةُ تَارة، والعتاب

⁽١) ظ: طبقات فحول الشعراء: ١/ ٢٤٥.

والتهديد والوعيد والهجاء للذين يعلنون عداءهم له ولرسول الله عَلَيْواللهُ ويناون عن تأييده ونصرته تارة اخرى، وهي تحمل اسلوبا واضحا، ليسري تأثيرها في نفوس رجال المجتمع المكي للانضواء تحت راية الإسلام؛ وليتوسع مداها، وليتردد ولينتشر في ارجاء الجزيرة العربية وخارجها، فهذه السهولة في استعمال الالفاظ فرضتها طبيعة المرحلة التي يحياها الشاعر في الحقبة الزمنية التي واكبت الإسلام، على اننا لا نعدم من أن نجد في بعض الابيات لحظات تأملية انقاد لها الشاعر من دون تخطيط سابق لها.

ونلحظ سمة البساطة والوضوح في شعر أبي طالب قبل الإسلام في حديث القسامة في الطلب بدم عمرو بن علقمة بن عبد المطلب بن عبد مناف حين ضربه خداش بن عبد الله بن أبي قيس بعصا فقتلته، ثم جحد، فلم يعرفوا من قتله وطالت المطالبة بدمه، فسألوا أبا طالب الفصل في الحكم (۱)، فقال:

{من الطويل}

بِمنسسّاة قد جاء حَبْلٌ واحبُلُ فبيَّنَ لنا ما كان إن كنتَ تعقلُ تُسبَرَّ ثكم منه وانست مرمسلُ فيؤخذُ بالدَّم الذي لا يُطلَّدلُ (٢) أَفِي فَسَضُلِ حَبْسُلٍ لا أَبِسَاكَ ضَرَبُتَ لَهُ تَعْلَمَتُ الفَتْسَى، أُوتُوضِحَنَّ بحجَّةٍ حَكَمَتُ عليكم فيه خمسينَ حلفَةً فيحلف قسوم يطلبونَ بمثلها

إنَّ النزعة الخطابية المباشرة في الحوار الذي دار بين أبي طالب وخداش جعلت أبا طالب يسلك مسلك الطلب متوسلا باساليبه وهي الاستفهام والدعاء والامر

⁽١) ظ: الديوان: ٢٦٠ - ٢٦١.

⁽۲) م.ن: ۱۲۲-۲۲۲.

بالفاظ واضحة لا تحتاج من المتلقى اجالة فكر، أو تأمل متأنٍ؛ لكشف دلالتها.

ومن ملامح بساطة الالفاظ وسهولتها في شعر أبي طالب في الإسلام، قوله معاتبا أخاه أبا لهب عن حديث له قداعانه عليه رجال من قومه، يفصح عن عداوتهم له:

{من الوافر}

وأَكْنَفَ على ذاكُ م رجالُ المُكَنَفَ على ذاكُ م رجالُ المُكَنَفَ المُكَنَفَ المُكَنَفِيمِ مِسْلالُ وقد كُنّا وليس لهم مَقالُ لئاماً عن نَوَسُ عهم قُللاً لأنا

حديثٌ عدن أبي لهدب أتانسا بغدوهُ بداكَ بعض القدولِ حتّى وقدد لَهِ حجّ العَدوُّ بنا فقالوا معاشر منهم حكانوا قديماً

إنَّ الالفاظ (حديث، القول، لؤمهم، لهج، قالوا، مقال) المستعملة في وصف الحديث في النص الذي وردت فيه، أستعملت بدلالات لغوية ذات سمة تقريرية مباشرة تنأى عن الايحاء الذي يثري اللغة الشعرية بالجهال، ويبدو ان صيغة حديث العتاب رتبت على الشاعر العزوف عن المحسنات اللفظية لاثراء لغة النص الشعر بالايحاء بيد أن الالفاظ لا تفقد تأثيرها في السامع المُعاتب، وهي تكشف عن انفعال الشاعر المُعاتِب تجاه اولئك اللئام الذين اعانوا أخاه في از دياد أوار العدواة بينها.

وقد تحل محل سمة الوصف بالألفاظ التقريرية المباشرة مزية أخرى تتعلق بالتعبير عن احاسيس الشاعر الموحية من السياق، فتصور احواله النفسية في التعبير الصادق عن مشاعره ولا سيها في لحظات الحزن الشديد، وفيها يكون الشاعر أشد

⁽۱) الديوان: ۱۸۱، قُلال: أي قليل.

صدقا مع ذاته، وهو يردد الحسرات على فراق رسول الله عَلَيْظِاللهُ فقال:

{من الكامل}

آهـــاً أُرَدِّهُ حَــسرَةً لِفراقِــهِ إِذ لَم أَراهُ وَقَــد تَطـاوَلَ باسِــةُ أتــرى أراهُ وَاللِــواءُ أَمامَــهُ وَعَــلِنَّ اِبنــى لِلِّــواءِ مُعـانِقُ (۱)

وإلى جانب التقرير المباشر في ألفاظ شعر أبي طالب يجنح الى الخيال لتقوية الالفاظ واثرائها بجهال الصورة متمسكا بالصدق الفني والواقعي انطلاقا من روح الإسلام، فقال:

(من البسيط)

لاتَياْسَنَ إذا ما ضقتَ من فرج يأتي به الله في الروحادِ والسَّلِجِ في النَّاسِيَّ إذا ما ضقتَ من فرج الله في النافي الله أنساه الله بسالفرج (٢)

إنَّ الايهان الصادق بالقيم الإسلامية التي نطقت بها الفاظ شعر أبي طالب جعلتها تدنو إلى الكهال في الأدب، فقلها نجد نصا شعريا متعمقا في النظر في الحياة، يرفع الانسان إلى الرقي فيها متبلورا في حكمة استخلصها الشاعر من تأمل فكره الناضج في الحياة الواقعية التي لها صلة وثيقة بثقافته الدينية ليخرجها بنصيحة متشكلة بالفاظ مختصرة ومركزة لها وشيجة بواقع نفس بني جنسه في الحياة، وذات تأثير في نفوس السامعين، وهو يزاوج بين الالفاظ التقريرية المباشرة والالفاظ الموحية التي أثرت اللغة الشعرية بجهال الصورة.

⁽١) الديوان: ٣٤٠.

⁽٢) الديوان: ٣٣١.

وبين الألفاظ التقريرية المباشرة والموحية ألفينا في شعر أبي طالب ألفاظاً تحتاج إلى الكشف عن دلالتها في المعجات، وهذا الامر يعتمد على علم المستمع وثقافته اللغوية، فمم لا ريب فيه ان الألفاظ التي استغلق فهمها من المتلقى تعود الى ان البون الزمني الشاسع بين عصر الشاعر وعصره جعلها تشقُّ على فهمه، على نحو ما نجده في قول أبي طالب في وصف فروسيته، وهو يذب عن رسول الله عَلَيْظِهُ:

{من المتقارب}

ب ضَرْب يُ لَبُّ دونَ النَّه اب حِ لَارَ الوَت اير وَالْحَنفَقي قِ

اراد الشاعر بالنهّاب: جمع «النَّهب: الغنيمة» (٢٠)، و «الوتاير جمع وتيرة الطريقة من الارض» (٣)، و «الخنفقيق... الداهية» (١)، و البكار جمع بكر وهو «الفتي من الإبل»(٬٬۰۰ والفنيق: الفحل المكرم عند أهله

ومن قوله مفتخراً:

(١) الديران: ١١١- ١١٢.

⁽Y) لسان العرب: «نهب».

⁽٣) م.ن: «وتر».

⁽٤) م.ن: «حنفق».

⁽٥) م.ن: «بكر».

⁽٦) ظ: م.ن: «فنق».

{من الكامل}

وأنا ابن بَجد مِها وفي صُلّاه وسليلُ كلِّ مَسوَّدٍ مفضالِ أن الرَّقاحة لا أريد أنهاء هسا كليا أُنيد رغائب الأنفالِ(١)

وقصد الشاعر بالصُيّاب: الخيار (٢)، و «الرقاحة: الكسب والتجارة، و ترقِيحُ المال اصلاحه والقيام عليه» (٣).

إن مما يقرب المتلقي الى فهم اللفظة، لجوء الشاعر الى رصفها ضمن غيرها من الألفاظ في السياق؛ ليبين دلالتها من خلال وصفها، فلا يتعثر ذهن المتلقي في المعنى الذي قصده الشاعر على الرغم من انها تندرج ضمن سياقات جديدة كانت جزءا من بناء النص الذي يفصح عن دلالتها.

ومن خلال دراسة خصائص ألفاظ شعر أبي طالب السالفة الذكر يمكن دراستها بشيء من التفصيل؛ لمعرفة ما اسهمت به تجربة الشاعر في ايجاد لغة ملائمة لها تنسجم مع الموضوع الذي هو في صدد الحديث عنه.

_الأعلام:

أ_أسماء الرجال:

طالعنا شعر أبي طالب بمجموعة كبيرة من أسماء الرجال تلونت بـدلالات

 ⁽١) الديوان: ٢٠٩، (انا ابن بجدتها) مثل: ظ: جمهرة امثال العرب: ١/ ٣٨، فصل المقال في شرح كتاب
 الامثال: ١/ ٢٩٧، مجمع الامثال: ١/ ٢٢، المستقصى في امثال العرب: ١/ ٣٧٦.

⁽٢) ظ:لسان العرب: اصيبا.

⁽٣) م.ن: ارقحا.

نحتلفة بحسب الموضوع المطروق (١٠)، واحتلت اسهاء رجال سلالة نسبه واهل بيته، والمقربين الذين تربطهم معه صلة نسب حضورا كبيرا في البناء اللفظي في شعره.

فمن الاسماء التي وردت في سلالة نسبه، واهل بيته: قصي وابنه عبد مناف، وعمرو: هاشم بن عبد مناف، وأبو الحارث، شيبة: عبد المطلب بن هاشم، والد أبي طالب، وأخوته، عبد الله والد النبي عَلَيْوالله، والزبير، والحمزة، والعباس، وأبي عتبة، عبد العُزى: أبي لهب، واو لاده طالب وجعفر وعلي "، ذكرهم الشاعر في المديح والفخر والرثاء؛ لاثبات قيمة معنوية أو مادية جليلة، ولبيان فضائلهم، وشائلهم، وضائلهم، وقد يكون تكرار اسم الفقيد اثارة لشجون الشاعر والسامعين، فيجد الشاعر منفذا في التنفيس عن آلامه بالبكاء وندبه، أو يردد أسماء اشخاص؛ ليوصيهم برسول الله خيرا في حثّهم على مساندته والوقوف بجانبه والذود عنه، والحض على نصرته، والتجمل بالصبر على الاذي، والعتاب لمن ترك مؤازرته، فذكر اسماء الاشخاص يعني ميل أبي طالب الى تقرير قضايا واقعية ترتبط بها وهذا يفصح عن سمة الوضوح التي اومأنا اليها آنفا.

ومن المفيد أن اذكر ان ما ورد من ذكر أسماء سلالة نسب أبي طالب اقترنت بلفظ «سود» ومشتقاتها، ومنها السيادة، ولا غرو في هذا الامر، فقصى الجد الاعلى

لأبي طالب هو الذي جمع قريش في مكة وسادها وتولى «الحجابة والسقاية، والرفادة، والندوة، واللواء، فحاز شرف مكة كلّه» (()) ومن ثمّ توارثها ابناؤه واحفاده من عبد مناف إلى ابنه هاشم ثم عبد المطلب، ثم الزبير، ثم أبي طالب، ولذلك نجد السيادة لا تنفك عن اقترانها بتلك الاسهاء حية، أو ميتة في المديح والفخر والرثاء، على نحو ما نجد أبا طالب يرثي أباه ويردد اسمه شيبة تارة، وأبا الحارث تارة أخرى استمراء في تلفظها بندبه وتأبينه في آن معا، فقال:

(من البسيط)

مُسصابُ شَسبة بَيستِ السدِّينِ وَالكَسرَمِ لَسهُ فَسضائِلُ تَعلسو سسادَةَ الأُمُسمِ وَالمُختَسشى صَسولُهُ فِي النساسِ وَالسنِّقمِ غَسداة يَحمسي عَسنِ الأَبطسالِ بِسالعَلَم نوراً فَيَجلو كُسوف القَحطِ وَالظُّلَم^(۲) أَبكسى العُبسونَ وَأَذرى دَمعَها درَراً كسانَ السُّبجاعَ الجَسوادَ الفَردَ سُودَدُهُ مُسافِدَدُهُ مُسخى أَبسو الحَسارثِ المَسامُ للْأَلسهُ هُسوَ السرَّ بُيسُ الَّسذي لا خَلسَقَ يَقدُمُسهُ العسامِرُ البَيست بَيست الله يَمسلأهُ العسامِرُ البَيست بَيست الله يَمسلأهُ

اقترن اسم أبي الحارث: عبد المطلب بتولي المناصب الادارية المهمة في المجتمع المكي، فهو سيدها ورئيسها وحاكمها^(٣)، والقائم على عمارة بيت الله الحرام وسيدانة الكعبة^(١)، «وساقى الحجيج» (٥)، كانت بيده السقاية فضلا عما حباه الله بكرامة

⁽١) السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ١٢٥.

⁽٢) الديوان: ٩٧.

⁽٣) ظ: المحر: ١٦٥، ١٢٥.

⁽٤) ظ: الديوان: ٩٧.

⁽٥) م.ن: ٨٠ ظ:م.ن: ٩٤، ٣٣٣.

الاستسقاء(١١) لوجاهته ومكانته ومنزلته عند ربه.

ومن اسماء المقربين التي تربطهم مع الساعر صلة النسب من طرف امه اخواله، وهم اولاد اعمامها: الوليد بن المغيرة، وأبو عثمان هشام بن المغيرة، وأبوالعاص اياس بن معبد "، وترددت اسماء هذه الشخصيات في سياق الفخر والرثاء في بيان فضائلهم وسجاياهم في شعره المتمثل بمرحلة قبل الإسلام، اما من عاش منهم في الإسلام الوليد بن المغيرة، فخاطبه أبو طالب معاتبا تارة، وهاجيا له تارة اخرى.

إنَّ هذا التلوين في القول للشخصية الواحدة المسهاة ولا سيها أبو الوليد بمدحه بالفضائل والفخر ثم عتابه، وهجائه يفسره تبدل مواقف هذه الشخصية، فالوليد له مكانة سامقة في المجتمع القريشي في الجاهلية وكان عدل قريش كلها، فاذا كست قريش البيت الحرام كساه وحده (")، لكنه في الإسلام كان واحداً من الشخصيات التي ناصبت العداء لرسول الله عَلَيْ الله واحد المستهزئين الذين آذوه (")، ومن هنا تغيرت مواقف أبي طالب تجاهه تبعا لمواقف الوليد، فهجاه قائلاً:

{من الطويل}

وَلِيدٌ ابِوهُ كِان عبِداً لجِدلًا إلى علجَةِ رزقاءَ جالَ بها السِّحُورُ (٥)

⁽١) ظ:م.ن: ١٤٩.

⁽۲) ط:م.ن: ۷۸، ۷۰، ۱۲۱، ۸۷۱، ۱۳۳۵ - ۳۳۵.

⁽٣) ظ: انساب الاشراف: ١٣٣/١.

⁽٤) ظ: الكامل في التاريخ: ٢/ ٤٧ - ٨٤.

⁽٥) الديوان: ١٠٧.

ومن اسهاء المقربين أيضا، ابن خاله: أبو جهل عمرو بن هشام، وابن أخته زهير بن جعدة المخزومي، وابن أخيه أبو أروى: ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، فوردت اسهاؤهم في التعزية لاحدهم في موت أبيه، لشد ساعده وعزمه في مصاب الفقيد، أو مديح شكر للشخصية المسهاة التي سعت لنقض الصحيفة الجائرة، أو حث الشخصية على نصرة رسول الله عَمَالًا وهو يتغنى بعراقة ارومتها على نحو ما نجده في قوله لابن أخبه:

{من الكامل}

اعلم أبا أروى بأنك ماجد من صُلْبِ شيبةً فانصرنَّ محمَّداً"

ووردت اسماء رجال تربطهم بالشاعر صفة الصداقة ومنهم: مسافر بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس، وأبو عمارة الوليد بن المغيرة، وأبو قيس بن الأسلت من بني وائل (٢٠)، وحملت هذه الاسماء دلالات مختلفة منها: ندب الشاعر صديقة وتأبينه، واخذ العزاء في رثائه، أو دعوة صديقه لنصرة رسول الله علي والله وحمايته، أو ابلاغ صديقه رسالة يمدحه فيها لأسداء معروف قد فعله صديقه في نصح قريش ونهيه عن الحرب، وكف الاذى وتحذيرهم من عصيانهم في قطع صلة الرحم، فيمدح صديقه بالشرف، والكرم، وطيب النسب، على نحو ما نجده في خاطبة أبي طالب لأبي قيس:

{من الطويل}

أبلغ أبا قسيس رسالة شاعر عليم با قد قالَ جمَّ التجاربِ

⁽١) الديوان: ١٠١.

⁽۲) ظ: م.ن: ۱۰۰، ۱۰٤، ۲۰۵، ۲۰۵.

محضتَ قريسًا صَفوَ نُصحكَ جاهداً بقطعهم أرحامهم بعد وَضالها

وحـــنَّرتهم عـــصيان ربِّ مُطالـــبِ وتـــــرکهم (....) للعجائــــبِ

قَرِيع النَّدى وابن الكرام الأطائب(١)

ومشل أبي قسيس المسصفّى مسن الخنسى

وذكر أبو طالب اعلاما تربطهم به صلة قبلية، فما يلحظ في غير واحدة من قصائده تتحول ابياتها الى سجل اعلام لشخصيات سَجَّلَ التاريخ مواقفهم من الدعوة الإسلامية فحملت شعار العداء لرسول الله عليه واتباعه، وخلقت الاكاذيب عليه والطعن برسالته، وهم: أسيد (بن ابي العيص بن أُمية بن عبد شمس بن عبد مناف)، وبكرة: (عتاب) وخالد بن أسبد، وعثان (بن عبيد الله التيمي)، وقنفذ (بن عمير بن جدعان بن عمر بن كعب بن سعد بن تيم)، وسبيع (بن خالد)، ونوفل (بن خُويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصي)، وأبو عمرو (قُرظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف، وأبي (الأخنس بن شريق الثقفي حليف بني زهرة بن عمرو بن نوفل بن عبد مناف، وأبو سفيان (بن حرب بن امية)، ومُطْعِم (بن عدي بن نوفل بن عبد مناف).

إنّ ذكر اسماء هذه الشخصيات يجسد حضور افعال اصحابها في ذهن الشاعر بحكم طبيعة الحياة الاجتماعية التي تحتم عليه ان يحتفل بها بوصفها زعامات بطون قريش، أو وجهائها، أو حلفائها في المجتمع المكي، حملت في شعره دلالة العتاب

⁽١) الديوان: ٢٠٥- ٢٠٦. ما بين القوسين بياض في الديوان.

 ⁽۲) ظ:م.ن: ۷۰، ۷۷، ۷۷، ۷۷، ۷۹، ۱۲۱، ۱۷۸، ط: السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٢٨١- ٢٨٢، ما
 بين الاقواس التعريف بهذه الشخصيات.

والتودد إليهم؛ لاقناعهم بها فضل الله به نبيه بالرسالة، فكان ترديد اسهائهم وسيلة من أبي طالب يستقطبهم بها إلى صف الايمان، وكف عداوتهم عن رسول الله عَلَيْظِهُ وعنه على نحو قوله:

{من الطويل}

إلى بُغ فِينا وَجَ زَّا بِأَكلَ قَ آكِلِ اللهِ بَخْ فِينا وَجَ زَّا بِأَكلَ قَ آكِلِ جَ زَاءً مُسىء لا يُسوَخَّرُ عاجِلِ وَلَكِ نَ أَطاعا أَمر يَلكَ القَبائِلِ وَلَكِ مَ يَلكَ القَبائِلِ وَلَم يَر تَبلكَ القَبائِلِ وَلَم يَر تَبلكَ القَبائِلِ وَكُللَّ تَسوَل مُعرِضاً لَم يُها بِسلِ وَكُللَّ تَسوَل مُعرِضاً لَم يُها بِسلِ نَكِل لَم يُعلِ المكايلِ لَك يَبل المكايلِ لَك المناع المناع وَجامِلِ المناع وَجامِل فَا اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ

لَعَمري لَقَد أَجرى أُسَيدٌ وَرهطُهُ جَزَت رَجِعٌ عَنَّا أُسَيداً وَخالِداً وَعُسنانُ لَمَ يَربَسع عَلَينا وَقُنفُلُهُ وَعُسنانُ لَمَ يَربَسع عَلَينا وَقُنفُلُهُ وَعُسنة أَطاعا بنا الغاوينَ في كلِّ وجهة كَسا قَد لَهِ بنا مِسن سُببَع وَنَونَلٍ كَسا قَد لَهِ بنا مِسن سُببَع وَنَونَلٍ فَا إِن يُقْتِلاً أَو يُمكِن الله مِسنهُ وَذَاكَ أَبو عَمرٍ و أَبى غَيرَ مُغضب وَذَاكَ أَبو عَمرٍ و أَبى غَيرَ مُغضب يُنا جي بِنا في كُللِّ عَسى وَمُصبح ويُنا في كُللِّ عَسى وَمُسمِي وَمُصبح ويُنا في كُللِّ عَسى وَمُسمِي وَمُسمِي وَمُسمِي وَمُسمِي وَمُسمِي وَمُسمِي اللهِ مَسلَ إِن يَغُسَلُمُنا بِساللهُ مِسا إِن يَغُسَلَّ عَلَى اللهُ مِسالِن يَغُسَلَّ عَسَلُ اللهِ مَسْمَنا بِساللهُ مِسا إِن يَغُسَلَّ عَلَى اللهُ مِسالِين يَعُسَلَّ عَلَى اللهِ مَسْمِي وَمُسمِي وَمُسلِي اللهِ مَسلَّ إِن يَعُسَلَّ عَلَى اللهِ مَسْمِي وَمُسلَّ اللهِ مَسلَّ وَمُسْمِي وَمُسلَّ اللهِ مَسلَّ إِن يَعُسَلَّ الْمِسْمَا اللهِ مَسلَّ اللهِ مَسلَّ اللهِ مَسلَّ اللهِ مَسلَّ اللهِ مَسلَّ اللهِ اللهُ مَسلَّ اللهِ مَسلَّ اللهِ مَسلَّ اللهُ مِسلَّ اللهِ مَسلَّ اللهُ مَسلَّ اللهُ مَسلَّ اللهِ مَسلَّ اللهُ مَسلَّ اللهُ مَسلَّ اللهُ اللهُ مَسلَّ اللهُ اللهِ مَسلَّ اللهِ اللهُ مَسلَّ اللهُ ا

اقترنت بعض أسماء الشخصيات المذكورة آنف ابموضوع التعريض؛ لاصرارهم على عداوتهم وبغضهم لرسول الله على الله على عداوتهم وبغضهم لرسول الله على وعمه ومن حاماه من عشيرته، فراح أبو طالب يتوعدهم ويحذرهم، فهجاهم بوسائل مختلفة منها: التصغير، والتحقير، والتعريض بعدم نقاء النسب، والنعت بالعداوة والضغن، والضعة والحمق، وقلة الحلم والعقل، والدعاء عليهم بسوء العاقبة، ونفي عنهم القيم

⁽١) الديوان: ٥٥- ٧٧.

والفضائل والخلال والشمائل الجليلة التي يتحلى بها العربي الأصيل، وما يلحظ ان هذه الاسماء وردت _ في بعض الاحايين _ بكنية المهجو، أو الاسم منسوب إلى أبيه، وهذا دليل على قرب مكانة المهجو من الشاعر، وعمق الرابطة التي تربط أبي طالب بالمهجو.

وبخلاف المعارضين لدعوة رسول الله في مكة، برز اسم ملك الحبشة النجاشي (1) المؤيِّد للدعوة خارج مكة، فحمل اسمه دلالة المدح في الاشادة بحسن معروفه في اجارة المسلمين الفارين من ظلم مشركي قريش وجورهم، فقال أبو طالب:

{من الطويل}

جــوارَ النجــاشيِّ الــذي لــيس مثلَـهُ مليــكٌ عجــيرٌ للــضعَّافِ الأرامــلِ (٢)

ونظفر ببعض الأسماء التاريخية كأسماء الانبياء: إبراهيم، وموسى، والمسيح ابن مريم، وذي النون، أو اسماء اقوام النبين: عاد وثمود البائدة، او معجزة ناقة صالح، وهي اسماء ارتبطت بعقيدة توحيد الشاعر، واسم حرب داحس ارتبط ذكره بالتاريخ، وحرب أبي يكسوم: ابرهة الحبشي ارتبط ذكره بقدسية البيت المحرم "، فهذه الاشارات الاسمية التأريخية اختزلت احداثاً تاريخية قصصية غايتها في الأداء الشعري الاستبصار والتحذير والوعيد، وبيان عاقبة الأمور لاتعاظ قريش، وردت في شعر أبي طالب الإسلامي، على نحو ما نجده في قوله:

⁽۱) ظ:م.ن: ۷۶۲، ۸۰۲، ۲۰۹.

⁽۲) م.ن: ۸۵۲.

⁽٣) ظ: الديوان: ٧٢، ١٣٨، ٢١١، ٢٥٥، ٢٥٩، الديوان (التونجي): ٩٥.

{من الطويل}

ألم تعلموا ما كان في حربِ داحس ورهطِ أبي يكسوم إذ ملأوا السِّعبا(١)

ووردت اسهاء علماء اصحاب الديانة اليهودية والنصرانية من احبار ورهبان وهم: بحيرا، ودريس، وهمام، وزرير، أو زبير (٢)، وذكرهم يرتبط بالنبوة، فشكلت هذه الأسهاء وظيفة فنية في الحوار ضمن الأداء القصصي لرحلة أبي طالب إلى الشام، فقال:

(من الكامل)

في القَصومِ بَعدد تَج ادُلِ وَتَعدادِ عَد عَد عَم اللهِ عَد عَد اللهِ عَد عَد اللهِ عَد اللهِ اللهِ اللهِ الله

وَ تَنسى بحسيراءٌ زَبسيراً فَسانِتَنى وَ نَهسى دَريسساً فَسانِتَهى لَسا نُهسي

ب_أسماء النساء:

لأسهاء النساء حظ في التشكيل اللفظي في بناء لغة أبي طالب الشعرية، المنبثقة من تجربته الآنية، والمرتبطة بانفعالاته المتنوعة في فنون السعر، من رثاء، وهجاء، وفخر، وشكوى (1)، وهي أسهاء لها ظل في الواقع ما خلا اسماً واحداً سنتحدث عنه فيها بعد.

فمن اسهاء النساء المقربات لأبي طالب اختاه: صفية واميمة، استمد الشاعر

⁽١) الديوان: ١٨٣.

⁽۲) ظ:م.ن: ۱۳۱، ۱۳۲، ۱۳۳۰

⁽۳) م.ن: ۱۳۱.

⁽٤) ظ:م.ن: ۹۷، ۲۲۱ ۱۳۸، ۱۸۰.

دلالة هذين الاسمين من دعوته لها في البكاء على ابيها عبد المطلب _ والد الـشاعر _، لبان شدة هو ل المصاب، والأسى لفراقه نحو قوله:

(من البسيط)

وقد يرتبط اسم المرأة في شعر أبي طالب بالتعريض، فذكر اسم أم أبي لهب الخزاعية «سمحج» بغليظ القول، تنكيلا باخيه أبي لهب من أبيه الذي لج في عداء رسول الله عليه أبي ونابذ أخاه أبا طالب علانية وجهرا، مما أثار حفيظة أبي طالب عليه، فوجد في هذه الوسيلة من الاداء اللغوي تنفيساً للترويح عن الضغط النفسي عنه وليحقق توازنه المضطرب الذي سببه اخوه له بعداوته المستمرة، فقال:

{من السريع}

صدًّاء ضاق البك عائرها إسلامنا لنوائب الدهر

وبالمقابل يخضع تعريض الشاعر الى الفخر بأمه «أم الزبير» التي حملت دلالة الطهر والعفة والشرف والطيب فذكرها بكنيتها؛ للدلالة على عظم مكانتها وشرفها وعزها ومنزلتها، فقال من القصيدة ذاتها:

⁽١) الديوان: ٩٧.

⁽۲) م.ن: ۱۸۰.

{من السريع}

إنَّا بنو أُمُّ السرزبير وفحلها حملَتْ بنا للطِّيب والطُّهر(١)

ويجنح أبو طالب إلى تجريد اسم المرأة ويخضعها لمقوماته الفنية في عمله الشعري للوحة الطلل الذي افاد لها من الاسلوب التراثي، وهي اسم وهمي؛ لأن «للشعراء أسماء تخف على السنتهم وتحلو في افواههم، فهم كثيرا ما يأتون بها زورا» (٢) فوظفها أبو طالب توظيفا فنيا يخدم غاية في نفسه من بث الهموم والشكوى من عداوة قريش له ولابن أخيه رسول الشكولية في فاستهواه ترديد اسم (أم عاصم) على لسانه؛ لأنه وجد به فضاء رحبا لما يريد أن يقوله، فأنشد:

{من الطويل}

وكيف بُكائي في الطُّلُول وقد أتَتْ لَا الطُّلُول وقد أتَتْ لَا الطُّلُول وقد أتَتْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّ

جـ أسهاء القبائل:

بيَّنت القراءة الفاحصة لشعر أبي طالب ترديد اسم قريش، وهي عمارة انحدرت من فهر بن مالك بن النضر بن كنانة وقد تفرعت الى بطون عديدة، وكانت متفرقة في كنانة إلى أن جمعها قصي بن كلاب، الى الحرم بعد أن ولي امر البيت ومكة (1)، و تكررت أسهاء بطون قريش (1)، في شعر أبي طالب للدلالة على الترابط

⁽١) الديوان: ١٨٠.

⁽٢) العمدة: ٢/ ١٢١ - ١٢٢.

⁽٣) الديوان: ١٢٦.

⁽٤) ظ: الكامل في التاريخ: ٢/ ١٧ - ١٨.

الوثيق بين الشاعر وبينها، فشكلت صورة من صور انتهاء الفرد بابناء مجتمعه الـذي يظلهم ذلك البطن ولا سيما أن بعض هذه البطون تمثلت بكيانات صغيرة متزعمة في المجتمع المكي تربطها اواصر صلة النسب فأكثرها يعود الى عمود النسب النبوي".

فمن أسهاء القبائل الكبرى التي ينتسب أبو طالب إليها متشكلة في البناء اللفظى لشعره كنانة، وفهر، وقريش في وترددت في الرثاء بندب القبيلة على المرثى لعظم هول المصاب، او في الفخر للدلالة على علو مكانتها، أو في التحذير لمغبة سوء افعال من ينتسب اليها، والرد على الخصم منهم، أو التبليغ بخطاب موجه إليهم يحمل دلالة التعنيف على غرورهم وتأنيبهم لاتخاذهم قرارا في قتل محمد رسول الله عَيْنَاللهُ زورا ومهتانا واستنكار افعالهم، ومن ذلك ما قاله أبو طالب:

{من الوافر } وَكُـــلُّ سَرائِـــر مِنهـــا غُـــرورُ أَلا أَبلِهِ عُرَبِهُا حَبِثُ حَلَّت أَيسامرُ بَمعُهُ م أَفناء فِهسر بقتـــل مُحَمَّــد والأمــد ورور دور وما منا الضّراعةُ والفنه رُ

(۱) ظ: الدروان: ۷۰، ۸۰، ۸۱، ۸۸، ۸۸، ۸۱، ۸۸، ۹۱، ۹۲، ۹۵، ۹۷، ۹۵، ۹۵، ۹۲، ۹۲، ۱۱۲، ۱۱۲، ۱۱۰،

117, 317, 777, 137, 737, 437, 337, 737, • 77, 777, 777, 777.

(٢) ظ: جمهرة انساب العرب: ٢/ ٢٤ ٤.

وكيـف يكـون ذاكـم مـن قـريش

(٣) ظ: الديوان: ٩٧، ١١٣، ١١٤، ١٧٧، ١٨٨، ٧٠٧، ٢٤٣، ٢٤٣، ٥٣٣.

(٤) م.ن: ۲٤٢ - ۲٤٣.

_ ٣٢٨ _

وذكر أبو طالب أكثر بطون قريش من بني غالب، ولؤي بن غالب، وكعب بن لؤي، وعامر، وهمصيص، وكلاب بن مرة، وتيم، ومخزوم، وسهم، وجمح، وزهرة، وقصي، وعبد مناف، وعبد شمس، ونوفل (۱)، فقد عارض الجزء الاوفر من بطون قريش رسول الله عليه واتخذوا العداء سلاحا ضده بأساليب متنوعة منها السخرية، والافتراء، والتكذيب، والظلم، والجور، والتهديد بقتله، والطعن بدعوته، واجهاضها؛ لأنهم يمثلون كيانات سياسية في المجتمع المكي بوصفهم حماة بيت الله الحرام وجيرانه، ولهذا وردت اسهاؤهم لتحمل دلالة الهجاء تارة، والعتاب تارة اخرى، فقال أبو طالب:

{من الطويل}

أَخِصُّ خُصوصاً عَبِدَ شَمسٍ وَنَوفَلا هُما نَبَدانا مِسْلَما يُنْبَدُ الجَمرُ (٢)

ومن الجدير ذكره ان اسمي: عبد شمس ونوفل متلازمان في شعر أبي طالب دائها الخوان فأبوهما عبد مناف^(۱).

ويستيعن أبو طالب بالله على ظلم قومه وبغيهم من بني لؤي بن غالب فقال:

⁽٢) الديوان: ١٨٧.

⁽٣) م.ن: ۱۸، ۱۷، ۱۷، ۱۷، ۱۷، ۱۸، ۱۸۲، ۱۸۲، ۱۲۲.

⁽٤) ظ: انساب الاشراف: ١/ ٦١.

{من الطويل}

فَقُلَدتُ هُوبَ اللهُ رَبِي وَنساصِري عَلَى كُلِّ باغ مِن لُوَيِّ بنِ غالِبِ (۱)

ويخص أبو طالب ذكر أسماء بعض بطون قريش: عبد مناف ، وهاشم ، وعبد المطلب (٢٠) ، في المديح، والثناء بشخصية الممدوح؛ ولبيان عراقة اصله الذي ينتمي اليه، قال أبو طالب في أبي لهب رجاءً في نصرة ابن اخيه عَيَالِهُ:

{من الطويل}

ف لل تسركبن الدهر منه ذمامة وأنت امرو من خير عبد مناف (٣)

وأشاد أبو طالب بذكر اسم بني هاشم في مديحه لهم فقال:

{من المتقارب}

عليها المسراجيحُ مسن هاشم ممسم ألانجسونَ مسع المُنتَجَسبُ (3)

وفي الوقت نفسه تتشكل أسهاء البطون: بني هاشم وعبد مناف وقصي (٥) للدلالة على الفخر والزهو والعز والمجد والرفعة والعلو وعراقة الاصل؛ لأنهم يدخلون في عمود النسب الهاشمي فقال، أبو طالب مفتخرا بنسبه:

⁽١) الديوان: ٢٠٥.

⁽۳) م.ن: ۱۷۷.

⁽٤) م.ن: ١٨٢.

⁽٥) ظ:الديوان: ٨٠، ٩٩، ١١٧، ١١٨، ١٧٧.

{من الطويل}

ونحن الصَّميمُ من ذؤابةِ هاشم و آل قُصِّيِّ في الخُطوب الأوائلِ (١)

_ الأمكنة:

لأسماء الأمكنة ظل في بنية قبصيدة أبي طالب، فهي تحمل شبحنات دلالية متباينة (٢)، يتخيرها للتدليل على واقعيتها، وفنيتها بحسب تجربته الشعرية الآنية.

وردت أساء أماكن في شعر أبي طالب كان لها أثرها الكبير في تاريخ حياته، فشكلت معتقدا دينيا له اهميته بوصفها اماكن مقدسة عند العرب ولا سيها عند قريش، كانت تمارس فيها شعائر دينية معظمة، فتعوذ أبو طالب بها من شرور مشركي قريش لقداستها وعظمتها بعد أن تعوذ «بربِّ الناسِ» ""، في قصيدته اللامية التي جمع فيها قدرته الفنية، فقال:

{من الطويل} وعَـــبْرِ وِراقِ في حِــراءِ وَنــاذِكِ وَبِـاللهِ أَلِي الله لَــيسَ بِغافِــلِ

وَثَسودٍ وَمَسن أَرسى ثَبسيراً مَكانَسهُ وَبِالبَسِتِ رُكن البَيتِ مِن بَطنِ مَكَّةٍ

(١) الديوان: ٨٠.

(Y) 4: 9.6: YY; TY; YY; 3Y; 0Y; AY; 4P; 3P; FP; VP; 3*1; F*1; Y11; V11; A\ldots

YY1; 3Y1; FY1; YY1; YY1; 3Y1; A\ldots

YA1; 3A1; VA1; *P1; (P1; YP1; TP1; VP1; A\ldots)

YY1; 1YY; 0TY; FYY; A\ldots

FYY; YYT; PYY; PYY; Y3Y; 33Y; 03Y; 10Y; TYY; YTY; TYY; 0TY;

FYY; YYT; PYY; PYY; *3Y.

(٣) م.ن: ٧١.

وَبِالْحَجَرِ المُسسودة إذ يَمسسحونة وَمَسوطي إبسراهيم في السصّخر وطاة وَأَشسواط بَسينَ المَسروتين إلى السصّفا وَأَشسواط بَسينَ المَسروتين إلى السصّفا وَمَا حَبجَ بَبتَ اللهِ مِسن كُلِّ راكِب وَبالمَستعرِ الأقسصي إذا عَمَسدوا لَكُ وَتُوسافِهِم فَسوقَ الجِبالِ عَسشيّة وَلَيلَة بَحَسع وَالمَنساذِل مِسن مِنسيّة وَليلَة بَحَسع وَالمَنساذِل مِسن مِنسيّة

إذا إكتنف وه بال في حى وَالأَصائِلِ عَلَى قَدَمَ وَهُ بِالسَفْحى وَالأَصائِلِ عَلَى قَدَمَ وَهُ بِالسَفْحى وَالأَصائِلِ وَما قَدَمَ وَمَ قَمَالِ لِ وَما فَي قَدَمَ وَمَ وَمَ وَمَ وَمَ وَمَالِ وَمِن كُلِّ داجِلِ وَمِن كُلِّ داجِلِ إلالاً إلى مُفسضى السَفِّراجِ القوابِلِ إلى مُفسضى السَفِّراجِ القوابِلِ يُقيمونَ بِالأَبدي صُدورَ الرَواحِلِ يُقيمونَ بِالأَبدي صُدورَ الرَواحِلِ وَما فَوقَها مِن حُرمَة وَمَنازِل

وَبِالجَمرَةِ الكُبرى إِذَا صَمَدُوا لَهَا وَكِندَة إِذَ تَرمي الجهارِ عَهْمَيّةً

يَوُّمْ وَنَ قَدِفاً رَأْسَها بِالجَسَادِلِ يَوُمِّ وَنِ الْسَادِلِ أَبُوبِ عَلَى الْمَالِ اللَّهِ الْمَالِ ال

حشد أبو طالب عدداً كبيراً من أسهاء المواضع التي تؤدى فيها شعائر الحج، وهو يتعوذ بها، فمن أسهاء مواضع الجبال التي تقع في مكة، وبقربها جبال: «ثور، وثبير، وحراء»، وأشار الى جبل حراء "، بعبادة النبي محمد عَلَيْكُولْ فيه، فتعوذ براقي ليستعلي عند ربه بعبادته، وبكل نازلٍ متعبدٍ من الجبل بعد رقيه للبر "، «وبالبيت» واخص «ركن البيت» في داخل مكة، يأمه الحجيجُ من كلِّ حدب وصوب؛ لأداء

⁽١) الديوان: ٧١- ٧٣.

⁽٢) يعرف اليوم بجبل النور.

⁽٣) «كانت قريش اذا دخل رمضان، خرج من يريد التحنث (التعبد) منها إلى حراء، فيقيم فيها شهرا، ويطعم من يأتيه من المساكين، حتى اذا رأوا هلال شوال، لم يدخل الرجل إلى أهله حتى يطوف بالبيت اسبوعا، فكان رسول الله مَنْ فَلَالًا فعل ذلك». أنساب الأشراف: ١/ ١٠٥.

شعائرهم الدينية، ومناسكهم العبادية من حج بيت الله الحرام، وهم يمسحون بأيديهم موضع الحجر الاسود تبركا به، وبموضع «موطىء ابراهيم» خليل الله عالياً الله عالية الله على الله الرقع القواعد من البيت (۱)، وبالسعي ما بين موضعي الجبلين: الصفا والمروة «وما فيها من صور وتماثيل» التي تعظمها قريش، فاستعاذ بها مجاراة لهم؛ لأنهم يعرفون فضل الكعبة بيد أنهم يعظمون اصنامهم ويعبدونها ويطوفون بمواضعها كطوافهم بالكعبة.

ويستمر الشاعر في تعوذه بالاماكن المقدسة بمن حج «بيت الله»، «وبالمشعر»: بعرفة، وبالوقوف به «الالى»: موضع جبل بعرفة الى منتهى «الشّراج»: موضع سيل الماء، وافاضتهم من عرفات الى «جمع»: المُزدلفة، فهذه المواضع ما فوق حرمتها حرمة، ولا فوق هذه المنازل منازل في مكانتها ومنزلتها عند الناس، والوقوف بها ليلة المزدلفة من المواقف العظيمة، وبعدها يقصد الحجيج مكان مِنى وهو بالقرب من مكة واطرافها من الاعلى الى موضع «الجمرة الكبرى»: جمرة العقبة، لقذف الحجيج رأسها بالحصى، وبالوقوف على هذه المشاهد من مواضع، تتم شعائر الحج.

فصل أبو طالب في بيان دلالة المواضع والاماكن التي تؤدي العرب فيها طقوسها الدينية، في بيان اعمال الحجيج والوقوف بالمشاهد المذكورة التي تحمل دلالة التبجيل والتعظيم والتقديس في نفوس العرب، ونادرا ما نجد شاعرا يُعنى بهذا الحشد من التركيز عليها، وهذا يدل على حب الشاعر، وحب العرب لها، وتشبثهم الروحي والنفسي بها؛ لأنهم باجلالهم هذه المواضع يجلون الله، فهم يعرفون الله، لكنهم وثنيون يشركون بعبادته ظنا منهم أن اوثانهم تقربهم من الله منزلة.

⁽١) ظ: الرُّوض الأُنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام: ٢/ ٢١- ٢٢، خزانة الأدب: ٢/ ٦٢.

وفي ذكر هذه الأسهاء التي تدخل في معتقدات العرب يؤكد الشاعر واقعيتها؛ لأنها أماكن شعائرهم الدينية التي يعظمونها، ويعظمها أبو طالب، فقال مخاطبا قريشاً:

{من الطويل}

لقد كانَ منَّى ما رأيتُم وإنني الأعظمُ حَقَّ البيتِ والركنِ والحجرِ (١)

{من المتقارب}

فَانَّ وَمَسن حَبَّ مِسن راكِبٍ وَكَعبَسة مَكَّسة ذاتِ الحُجُبُ تنسالونَ أَحَسدَ أَو تُسصطَلُوا ظُباةَ الرِمساح وَحَدَّ القُسضُبُ "

أثرى المكان «كعبة مكة» السياق بالحيوية الواقعية، فلوَّنه الساعر بانفعاله الذي استأثر عمق عاطفته من حب واعتزاز وتقدير وتقديس، وهو يقسم بافضل

⁽١) الديوان: ٢٤٥.

⁽٢) ظ:م.ن:١١٦.

⁽٣) م.ن: ١١٦.

القسم بكعبة مكة وما يحيط بها من حُجُب، وهذه من الزيادات الفنية؛ متحديا بقسمه من يعادي رسول الله عَلَيْظِهُ ودعوته.

ويحشد أبو طالب في قسمه كثيرا من المواضع الدينية، وهو يخاطب بني لؤي، ويكذبهم بقتل رسول الله ، واذلال بني هاشم (١) ، فاكد بقسمه خيبة امالهم في أن يثلم ركن الإسلام، فقال:

{من الطويل}

وَمَكَّةَ وَالإِشعار فِي كُلِّ مَعمَلِ بِمَدماه والسرُّكنِ العَتبيقِ المُقَبَّلِ مَصوارِمُ تَفري كُلَّ عَظم وَمِفصَلِ (٢)

كَــذَبِتُم ـ وَبَبِتِ الله ـ يُسئلمُ رُكنُهُ وَبِــالحَجِّ أَو بِالنيــبِ تَــدمى نُحــورُهُ تنالونـــهُ أَو تَعطِفـــوا دونَ قَتْلِـــهِ

أثمر القسم بالمواضع المذكورة في النص الشعري سياقات مجازية، جعلت النص اكثر حيوية، وهو يقسم ببيت الله وبمكة، وبمكان نحر النوق: موضع الأضاحي المرتبطة بالشعائر الدينية، فهي بمثابة الرابط الدموي بين العبد وسيده الاعلى، سواء أكان ذاك الذي يدينون له بديانة التوحيد لله، أم من يدينون بالوثنية لآلهتم المتعددة، فتقربهم الى الله، وبالحجر الاسود الذي يقبله الناس تبركا به، بأن لا يثلم ركنه، وأراد الشاعر مجازاً ركن رسول الله محمد عَيَيْنِ ، وهذه التعددية في اسهاء المواضع الدينية والقسم بها بهذه التفاصيل الذي احتواها شعر أبي طالب تعد من الزيادات الفنية الجديدة التي لم نعهدها في شعر غيره من الشعراء "وتركيز أبي طالب

⁽١) ظ: الديوان: ١١٧.

⁽٢) م.ن: ١١٧ – ١١٨، المعمل: الطريق اللحب المسلوك.

⁽٣) ظ: تمثيلاً: شرح ديوان زهيربن ابي سلمي:١٤، ديوان النابغة الذبياني: ٢٥.

أبي طالب على المواضع الدينية وأماكنها التي تحمل دلالة التمجيد قد جاءت في شعره لأنها من بقايا عهد خليل الله - النبي ابراهيم عليا الذي بنى بيت الله ومسجده، وحفر بئر زمزم، وأقام الشعائر الدينية لتعظيمها في الطواف بها، والوقوف عليها، ونحر الاضاحى تقربا إلى الله بها وغير ذلك من الشعائر والطقوس العقائدية.

وقد حملت بعض المواقع دلالة التحذير والتوعيد في شعر أبي طالب لقومه وهو يسفه احلامهم ويكذبها في قتل رسول الله محمد عَلَيْكُولُهُ مؤكدا بقسمه ببيت الله فقال:

[من الطويل]

يُرَجُّ ونَ أَن نَسخى بِقَت لِ مُحَمَّدٍ وَلَمَ تَخَفَضِب سُمرُ العَوالي مِنَ الدَّمِ كَذَبَتُم وَبَيتِ الله حَتَّى تَعَرَّفُوا جَماحِمَ تُلقى بِالحَطيم وَزَمزَم (۱)

ويعد أبو طالب بحق اكثر الشعراء احتفالا بالاماكن الدينية، ولا سيها «مكة» بوصفها مركزا دينيا واداريا وسياسيا، مرتبطة بسيادته، وسيادة ابائه، فهم سدنة بيت الله وحجابه، ولهم الرفادة والسقاية، وهم الرؤوساء والحكام والسادة الأعلون

⁽١) الديوان: ١٢٤.

فيها(١)، فقال مفتخر ١:

{من المتقارب}

بِ العِ زُ وَالخَطَ رُ الأَعظَ مُ الأَعظَ مَ مَ العِ زُ وَالخَطَ رُ الأَعظَ مَ مَ حَصَدِيثاً فَعِزَّ تُنصا الأَقصدَ مُ نَ وَالقائِسدونَ وَمَصن بَحكُ مَ مُ نُج بِرُ وَكُنّا بِ مِا نُطعِ مَ مُ نُج بِرُ وَكُنّا بِ مِا المُعدِمُ وَحَدَ المُحَارِبِ المُعدِمُ المُعدِمُ (٢)

فَإِنْ ابِمَكَّ قِ دماً لَن ا وَمَ ن يَ اللهُ فيه الَ اللهُ عِ رَّةً وَنَح نُ بِبَطحائِه الرائسو نَ شأنا فَكُن ا قَل اللهُ بِ الأَن الأَن الأَن الأَن المَّا اللهُ الله

سجل أبو طالب مكان بطحاء مكة؛ لأنه موطن اقامته واقامة ابائه، وعشيرته منذ القدم، فاستحضارها في فن الفخر يثير في نفسه معاني الزهو والعلو والعز والمجد والكرم والرفعة والاجارة والمكانة السامقة بين العرب.

ووردت أسماء اماكن دينية في فـن الرثـاء بـصورة متخيلـة ومملـوءة بالايحـاء، صاغها أبو طالب باناقة فنية تجاوز فيها التعبير التقريـري المبـاشر إلى التعبـير المعنـوي الذي يكشف جانبا من جوانب نفسيته وهو يرثى خاله هشام بن المغيرة:

{من الطويل}

فقدنا عميدً الحَيِّ ف الركنُ خاشِعٌ لفقد أبي عشمان والبيتُ والحجرُ (٣)

بث الشاعر حزنه على من يحبه، فتخطى حاجز الواقع إلى الخيال المتراوج مع

⁽۱) ظ: الديوان: ٨٠، ٨٥، ٩٠، ٩٤، ٩٧، ١٠١، ١١٤١، ١١٠، ١١٤١، ٥٣٢، ٣٣٣.

⁽٢) م.ن: ٩٤، القتار: دخان الطعام المطبوخ.

⁽٣) م.ن: ٥٣٣، ظ: م.ن: ١٢٢، ١٢٢، ٢٣٣.

العاطفة، فأثرى المكان بفاعلية الخيال في وصف عميد الحي، وخشوع الركن والبيت والحجر لوفاته، فلم يكن وصف الشاعر للمكان وصفا تقريريا مباشرا، وانها اغناه بالخيال الموحي المؤثر، فأثار ألواناً من الدلالات من التقدير والتبجيل والالم والحزن، والخسارة لفقد أبي عثمان.

وهناك أسماء ارتبطت بالصورة المتخيلة في الحديث عن ذكرى الطلل، وهي: «بولان، وخلّة، وينبع، وهضب الرَّجائم، والحي» أثارت في نفس الشاعر الوانا من المشاعر الانسانية من حزن وبكاء وألم وحسرة لنوى الاحبة، وفراقهم، تحمل ذكريات الماضي لروابطهم الاجتماعية على نحو قول أبي طالب في الشكوى من ظلم قومه له:

{من الطويل}

قَدَ إِنزَفْتُ دَمعي اليّومَ بَينَ الأَصارِمِ

فَكَلَّفْتُ عَينَتِيَّ البُّكِاءَ وَخِلتُنْسِي قَ ...

فَيَنبُّعَ أَو حَلَّت بِهَضِ الرَجائِمِ وَشِعبٌ لِشَتِّ الحَيِّ غَيرُ مُلاثِم غِفارِیَّــةٌ حَلَّــت بِبَــولانَ حَلَّــةً فَدَعها فَقَد شَطَّت بِها غُربَـةُ النَّـوى

منحت اساء الاماكن، ولاسيها المتتابعة بحروف العطف في السياق اللغوي للنص كثافة ايحائية في اثارة نفس الشاعر وشجونه للذكرى المتخيلة التي طواها الزمن، فبعثها المكان من جديد فكانت محطة لتفريج الشاعر عن ضغطه النفسي المبثوث في المقدمة الطللية التي جاءت استجابة لطبيعة موضوع القصيدة المطروق في

⁽١) الديوان:١٢٧ - ١٢٧.

اقتران افتراق الحبيبة بافتراق قومه عنه.

وقيد أبو طالب أسماء الأمكنة في نسيج شعره منها: «أرض، عرين، دور، منازل، معقل، بلاد، فلاة، فيفاء، قبور، حي» (۱) مفردة، او مضافة إلى اسم مكان، وهي اماكن تتعلق بشؤون الشاعر العامة، أو بشؤون عشيرته و قومه، وقد وردت استجابة لطبيعة تجربته الشعرية، وتأطرت بلغة تعبيره الشعري التقريرية المباشرة، أو بمراتع خياله في التعبير المجازي.

فمها ورد من الفاظ المكان في سياقات التعبير التقريري المباشر متخذة وظيفة فنية تحمل عنصرا من عناصر ملامح السرد القصصي في حديثه عن رحلته إلى الشام قوله:

{من الطويل}

{من الطويل}

فرُحنا مع العبر التي راح رَكْبُها يَوْمُّونَ من غيورين أرض إيادِ (٣)

شكلت الأماكن في البناء اللفظي وصف رحلات الشاعر وهـو في طريقـه إلى الشام، فتمثلت جزءاً من معالجة قصص رحلاته متخذة حضورا واقعيـا غـير مـوح،

⁽۲) م.ن: ۱۳۲.

⁽٣) م.ن: ١٣٤.

وغير مرتبط بسياقات مجازية، وقبال هذا الامر نجد أسهاء أماكن ارتبطت بسياقات مجازية، وحققت حضورا واقعيا على نحو قول أبي طالب مفتخرا بصوت الجهاعة في حمايتهم لأرضهم:

{من الوافر}

مَنَعنا أَرضَا مِن كُلِّ حَيِّ كَا إِمتَنَعَت بِطائِفِها ثَقيفُ أتاهُم مَعشَرٌ كَي بَسلِبوهُم فَحالَت دونَ ذلكُمُ السُبوفُ (١)

حلَّقَ خيال الشاعر الى توضيح بيان حماية قومه لارضهم، فهم حراس عليها مثلها يحمي العسيس أرض ثقيف ممن أراد الاعتماء عليهم، فحمل المكان دلالة صونه، وحفظه، ومنعته، وحمايته، والذود عنه ضد من يطمع فيه.

الصياغة: الصياغة

سبق أن تحدثنا عن الألفاظ ودلالاتها المعجمية، ودلالتها ضمن السياق الذي وردت فيه؛ لأن الألفاظ المجردة لا تشكل لغة أدبية ما لم تكن في انساق لغوية منظمة تقوم اساسا على الصياغة المتمثلة في تراكيب، والموافقة لفنية بناء النص الأدبي وتقنياته، وان عملية انتقاء الألفاظ وطريقة تصنيفها وانتظامها في انساق غير كفيلة بخلق نظام لغوي في قالب شعري مؤثر ما لم تنصهر بجوهر عاطفة الشاعر من احاسيسه ومشاعره وانفعالاته وتجربته التي هو في صدد الحديث عنها، فتنجز بمجموعها عملا شعريا ابداعيا له درجة من الاثارة بحسب ما يحمل من ايحاءات

⁽١) الديوان: ٣٣٩.

شعورية متباينة في نقل احساسه وفكرته إلى المتلقى، ولهذا وجب على الساعر أن يحقق التوافق والانسجام بين هيأة التركيب ومحتواه؛ لكي تظهر قدرته الابداعية في عمله الذي حقق فيه الصلة بين الشكل والمحتوى.

وفيها سبق عرضنا الخصائص الفنية لألفاظ شعر أبي طالب المشاعة فيها سمتان: البساطة والسهولة، فاستقطبت حضوراً لمزايا ثلاث هي الوضوح؛ فنأت الالفاظ عن حوشي الكلام وغريبه وبها ان الالفاظ جزئيات مبعشرة رصفها المشاعر في تراكيب منسقة ومنظمة تصور تكوينه النفسي والعاطفي في منظومة شعرية، فلابد من أن تطبع اثارها في تراكيب لغوية تحتويها، فانهازت بمزايا الالفاظ للاسباب التي ذكرناها آنفا، فاحتفلت التراكيب بالبساطة والسهولة والوضوح المتشكلة في الخطاب الشعري، فنهض خيال الشاعر الرحب، وبطاقاته القائمة على تنويع التراكيب في النص الواحد مصوراً جانبه المسيطر الذي يمتلك السلطة الجهاعية؛ لتوافر امكانات الارشاد والوعظ والنصح والتوجيه التابعة لسلطته عن طريق اكثار التراكيب الطلبية برسالة شعرية تحمل مداليل كثيرة محكومة بتجربة الشاعر المرسل.

وجنوح أبي طالب لهذه النزعة الخطابية الطاغية في اكثر شعره يعود إلى أنه سيد قريش وزعيمها وحاكمها ورئيسها، فهو معني بابلاغ خطابه الموجه إلى المجتمع القرشي لايصال فكرته التي ينادي بها في رسالة شعرية موجهة اليهم، أو إلى شخص بعينه، فيلجأ إلى هذا الأسلوب الذي يظهر فيه الجهر والانفعال والجدة التي يفصح عنه النص من خلال استعماله للوسائل الخطابية المنسجمة مع فنون القول المختلفة من هجاء وتوعد وتهديد وتحذير وعتاب والموافقة لانفعالاته صعودا وهبوطا والمتباينة سلباً وإيجاباً.

ومما ساعد على ابراز ظاهرة النزعة الخطابية في شعر أبي طالب أنه تصدّ ساحة الشعر العربي في فجر الإسلام، فدعا إلى نصرة ابن أخيه رسول الله على الله الحرام، أو في دار الندوة، أو في مجالس قريش، فكان الانشاد وسيلة الشاعر الاقناعية في تبليغ ما يجول في ذهنه من وعظ وتوجيه وارشاد ونصيحة ووصية الى الجهة التي يرغب ايصال صوته إليها واذاعته وانتشاره؛ لاستقطابهم إلى صف الايهان، وعلى الشاعر ان يكون خطابه الموجه إلى الطرف الاخر حائزا على الرضا والقبول والتأثير، لذلك كله، فهو يُعنى بصياغة تراكيبه اللغوية المنصهرة بافكاره ونفسيته وخياله؛ ليستولي على عقول مستمعيها، ويؤثر في نفوسهم.

إن عناية أبي طالب بلغته السعرية، ولا سيها التراكيب الطلبية المتنوعة في خطابه الشعري الموجه، يترتب عليها اقناع الطرف الآخر بها يبصبو اليه من ايبصال فكرته؛ لأنه الرجل المساند لابن اخيه رسول الله، ولدعوته وكلاهما يواجه خطرا حقيقيا متمثلا بعداء زعهاء الشرك من قريش المتربصين بهها، لوأد الدعوة الإسلامية، والقضاء على صاحبها ومن سانده وحاماه، وهذا ما افرزه شعر أبي طالب بقصائد ومقطعات شعرية.

اما شعر فن الرثاء فيتوجه الشاعر فيه بخطابه الى المفقودين، وهو خطاب يباين خطابه الاحياء يعبر فيه عن حرارة انفعاله وصدق عاطفته ومراراة لوعته لفراقهم؛ ليشاطر المعزين المستمعين انفعالاته من بكاء وحزن وألم وحسرة وهو نادب ومؤبن ومعزٍ، ومن هنا كان الخطاب الشعري موجها الى الاحياء والاموات.

ويتوكأ أبو طالب في خطابه الشعري بوسائل الخطاب الجهرية من استفهام

ونداء وأمر ونهي ودعاء وتحضيض وافعال الخطاب وضائره، وقد تتلاقح أكثر من وسيلة من وسائل الخطاب لنتاج سياقات معبرة تثير انتباه السامع للخطاب.

ويعمل الخطاب الشعري على تعزيز حضور الشاعر والمتلقي أو المستمع سواء أكان الشاعر منشدا خطابه بنفسه، أم انشده راوية اخر عنه، فهذا لايقلل من اهمية الخطاب؛ لأن المرسل والمرسل اليه ركيزتان مهمتان في عملية التبليغ، وعلى نحو ذلك كان خطاب أبي طالب الشعري مباشرا أو بوساطة راو اخر بحمل خطابه إلى الطرف الاخر لتبليغ ما يرغب في ايصال رسالة تتعلق بامر معين متوسلا فيها أساليب الطلب مقترنا، ولاسيها بفعل الامر «ابلغ» (۱۱)، وخطابه الشعري اما ان يكون موجها إلى قريش جميعها، أو يخص بعض البطون لقرابته منها، أو إلى أفراد يسميهم ويبلغهم أمور بعينها، بحسب تجربته الشعرية التي هو في صدد الحديث عنها، على نحو قوله مخاطبا قريش في قصيدته الرائية حين افتقد رسول الله عَيْبُولُهُ وظن

{من الوافر}

وَكُللَّ سَرائِدٍ مِنها غُلدُورُ وما تَتلو السفاسِرَةُ الشُّهورُ وودُّ السصدرِ مِنْدي وَالسفميرُ وَلَد جَرَّت مَظالِها الجَدرورُ ألا أَبلِ فَرَي شا حَيثُ حَلَّت فَ إِنِّ وَالسَّوْابِحُ عادِيسَاتٍ لاَّلُّ مُحَمِّد لِماعٍ حَفْسَيظٌ ولَستُ بِقَ اطِعٍ رَحْسي وَوُلَدي

فَسلا وَأَبِسِكَ مسا صدقت قُسرَيشٌ

وَلا أمَّ تُ رَشَاداً إِذ تُسَمِيرُ

⁽۱) ظ: الديوان: ۸۲، ۱۱۷، ۱۲۷، ۱۸۱، ۲۰۵، ۲۰۱، ۲۲۱، ۲۲۲، ۲۲۲، ۲۲۲.

أيسامرُ جَمعُهُ سم أفنساء فِهسرِ ألا ضسلّت حُلسومهم جميعسا ألا ضسلّت حُلسومهم جميعسا أنسرضى مسنكمُ الحُلساءُ هسذا بنسيّ أخسي ونسوط القلسب منسي وتسشربُ بعسده السشبّانُ ريّسا وكيف يكونُ ذاكسم مسن قسريش فإمسا تفعلسوه فسإنَّ قلبسي

بِقَت لِ مُحَمَّد والأمد رُ زورُ والمُد والمُد ورُ دورُ والمُد الكر والمُد والمِد والمُد وال

• • • •

بسوادرُ لا يقسومُ لهسا ثبيرُ إذ مسا الأرضُ زَلْز لهَسا النسذيرُ ومسا حلست لكَعبَرَسهِ النَّسدُورُ بسكَ السدَّهياءَ أو سسالتُ بحورُ كسأن جبينسكَ القمسرُ المنسيرُ تَجَنَبُسه الفسواحش والفجسورُ مسن الأعسام أعسضاءٌ نُسصُورُ(1) تمت عملية ابلاغ الخطاب الشعري بوسيلة اداء الطلب «ألا» مع فعل الطلب

⁽۱) م.ن: ٢٤٢- ٢٤٢، الضوابح: مفردها ضابحة، وهي الفرس التي ترسل صوتا حين عَدُوها ليس بالصهيل ولا بالحمحمة، السفاسرة: مفردها السَّفير، وهو العالم بالاصوات والقيَّم بالامر المصلح له، الشهور: العلماء، نصور: جمع ناصر، وصدر البيت التاسع غير مستقيم.

الأمري «أبلغ» من الشاعر المخاطب المرسل برسالة تحتوي على سياقات فنية أدبية مشبعة بدلالات موحيه صورت ألواناً من انفعالات الشاعر وعواطفه من غضب وزهو وحب وحنان وشفقة منقولة الى الطرف الاخر المرسل اليه «قريش» بوساطة شخص معين تقع عليه مهمة تبليغ الرسالة، وهذا ما يفصح عنه لفظ «ابلغ»، بيد أنّ هذه الصيغة الطلبية لا تعني عزوف الشاعر عن مخاطبة قريش مباشرة، وانها أراد أن يبلغ الحاضر منهم الغائب بها يود قوله من تحذيرهم ولهذا تزاوج في تعبير الخطاب الشعري ما يدل على الحاضر والغائب والمخاطب من خلال الافعال والضهائر الدالة عليهم، وظهرت صورة المخاطب المرسل هي الاكثر بروزا في نص الرسالة تتجلى في فخره الذاتي، وهو يسبغ على نفسه صورة الرجل الناصر الذي يتولى مهمة الذود عن محمد رسول الله على مواصلة المسيرة في حفظه وحمايته، مجددا العهد في تبليغ رسول الله، وقريش بأنه ماض على مواصلة المسيرة في حماية ابن أخيه ونصرته.

وافادت الصيغة الطلبية للتحضيض «ألا ضلت» التأنيب واللوم في ضلالة حلوم قريش وعدم الاهتداء الى طريق الحق، فاستعمال اداة التحضيض حملت دلالة الطلب بالحث والشدة، والشاعر ساق هذا الاسلوب لتهديد قريش وتحذيرها من

حرب لا هوادة لها.

ويلجأ الشاعر في خطابه إلى احدى طرائق الطلب ومنها: الأستفهام بوصفه وظيفة تعبيرية عن استنكاره في تآمر افناء قريش لقتل محمد رسول الله عَلَيْوَالله وتسفيه احلامهم في «أيامر جمعهم افناء فهر... »، أو يفيد الاستفهام دلالة النفي في خطاب الشاعر «أترضى منكم الحلماء هذا»، «وكيف يكون ذاكم من قريش» أي: لا ترضى منكم الحلماء هذا، ولا يكون ذاكم من قريش.

ولكي يعقد أبو طالب موازنة نفسية بسبب ما سببته قريش من أذى نفسي له ولرسول الله كان من حكمته أن يخفف حدة انفعاله، فجنح بقدر معين إلى المعادل في تقوية النفس في التعبير عن القيم الاجتهاعية والخلقية في الخطاب الموجه إلى ابن أخيه فناداه بصيغة الطلب مادحاً «يابنيً... » و «أيا ابن الأنف أنف بني قصي... » معاضدا نداءه بصورتين تشعان بهاء مستمدة الاولى من تشبيه ثورة انفعال الشاعر بدهدهة الصخور اذا أصابت الأرض الزلزال، والصورة الثانية من تشبيه جبين رسول الله عليه ونصرته.

إنَّ تلازم اساليب الطلب المتنوعة من اداة استفتاح وتنبيه، وصيغ الأمر، والعرض، والتحضيض، والاستفهام، والنداء ساعدت على علو نبرة الشاعر الخطابية في بناء نص الرسالة الموجه الى قريش وتلوين انفعالاته، فاسهمت في تدفق صور حيوية معبرة.

واختلف خطاب أبي طالب الشعري الموجه الى قريش، ولاسيها أبناء لـؤي بـن غالب باختلاف اساليبه، وهـو يقـوم بوظيفة وعظيـة وحكميـة في قـصيدته الميميـة، فيشكو ظلم قومه، ويفخر بنصرة رسول الله عَلَيْواللهُ فقال:

وأفنا قسريش عند نمض العزائم وَأُمَــرٌ تلاقيــنم بــه غَــيرِ حــازِم وَأَنَّ نَعسيمَ البسوم لَسيسَ بِسدائِم وَلا تَتَبَعَدُوا أَمِرَ الغُدُواذِ الأَشْائِم أمانيكم تلكم كأحلام حالم وَلِّمَا تَسرَوا نشر الطُّسلي والجماجم تحوم عليها الطير بعد ملاحم وَقَد قَطَعَ الأَرحامَ وَقعُ الصَّوادِم إلى السرَّوع أَبناءُ الكُهدولِ القَماقِسم ولِّسا نُقسادَفْ دونِّسةُ بسالمراجم مَّكَّ نَ فِي العلياءِ من نسلِ هاشم فَمَسن قبالَ: لا، يَقبرَع بِها سِسنَّ نبادِم (١) ألا أبلغن عنبي لُدؤيَّ بن غالب أَلَمْ تَعلَم ـ وا أَنَّ القَطيعَ ـ قَمَالُمٌ فإنَّ سَبِيلَ الرُّسْدِ يُعلَّمُ فِي غَدِ فَلا تَلسفَهُوا أحلامَكُم في مُحَمّدِ مَنَّبِ نُمُ أَن تَقتُل وهُ وَإِنَّ إِ فَـــإِنَّكُم ـوَالله ـلا تَقتُلُونَـــهُ ولمَّا تَصِلُ للقوم منَّا ملاحمُ وتسدعوا بأرحسام أواصر بيننسا وَتَــــمو لَخيــل نحــو خَيــل يَحُنُّهــا أترجونَ انسا مُسسلمونَ محمداً بكلِّ فنسىً ضخم الدَّسيعةِ ماجدٍ نَبِيٌّ أَنِساهُ السوّحيُ مِسن عِنسِدِ رَبِّسِهِ

ألزم الشاعر نفسه تبليغ رسالته لافراد قريش جميعا، ولاسيها رهطه الذين يدخلون في عمود النسب النبوي، فهم أولى من غيرهم من قريش في نصرة رسول الشعرة في فاستفتح خطابه باداة العرض «ألا» الدالة على التنبيه لطرق الاسماع، وايصال الشاعر خطابه عبر رسالة معبرا عما يرغب تبليغه بسياقات أدبية غايتها الفهم والوعظ مصاغة باسلوب يميل إلى الحكمة بعدم قطع صلة الرحم، لأن فيها

⁽١) الديوان: ٢٢٧- ٢٢٨، القهاقم: مفردها القمقام، وهو السيد، الدسيعة: العطية الجزيلة.

اثما عظيما؛ وان طريق الرشاد سيعلم غدا وان السعادة ليست دائمة، مستعملا صيغة الأمر المؤكدة بنون التوكيد «أبلغني» حرصا منه لتوكيد تبليغ الرسالة، وهو يجنح إلى استعمال صيغة الأستفهام «ألم تعلموا ان القطيعة مأثم... » الدالة على كمال علم قريش بحدوث ما تسببه القطيعة من أثم، ويتضمن الأستفهام نوعا من الاستبعاد في قول الشاعر «أترجون أنا مسلمون محمدا... » المدال على استبعاد حدوث تسليم رسول الله للقتل المرتبطة بعجز امكانات قريش، وبقوة المشاعر المؤكدة بر "إن» ويتلو الشاعر افعال الطلب بصيغة النهي «لاتسفهوا احلاكم في محمد، ولاتبعوا امر الغواة» الدالة على الردع وطلب الكف، معقبا بالافعال المضارعة المبدوءة بتاء المضارعة الدالة على الحردع وطلب الكف، معقبا بالافعال المضارعة المبدوءة بتاء المضارعة الدالة على الخطاب ومكثرا من ضمائر الخطاب نحو كاف الخطاب وتاء المضارعة الدالة على الترتيب، وختم الشاعر رسالته بخطاب وعظي في ان محمدا وتسموا، ترجون» على الترتيب، وختم الشاعر رسالته بخطاب وعظي في ان محمدا نبى مرسل نُزِّل عليه الوحي من عند ربه، ومن رفض، فلات ساعة مندم.

إن التنوع في اسلوب الخطاب من وعظ وحكمة وتهديد ووعيد وتحذير في آن معا يدل على سيطرة الشاعر وتمتعه بسلطة قوية منحت له امكانيات هذا التلوين الخطابي وساعدت على علو نبرته، وهو يسفه اماني قريش، ويهددهم ويتوعدهم بالحرب والقتل، راسها من خياله صورا غنية بالايجاء عما افرزته دلالات الخوف والرعب والاشمئزاز ازاء صورة قطع الرؤوس وتهاويها، وصورة حوم الطيور حول جثث القتل جراء القتل بحدة السيوف، فرفد الشاعر لغته بخصوبة خياله، واستعمل وسائل الخطاب المتنوعة من صيغ العرض والامر والنهي والمضارع المسند والى ضمير المخاطب وضهائر الخطاب الظاهرة، بيد أن الشاعر لا يركن الى استعمال صيغ الطلب والخطاب فحسب، وانها يتحول فخره بالذات المختزلة في فخره صيغ الطلب والخطاب فحسب، وانها يتحول فخره بالذات المختزلة في فخره

الجاعي إلى وسيلة وعظية تدعم خطابه لتقوم بوظيفة ايصال رسالته إلى قومه وافهامهم إياها، فنتجت منها حكمة وعظية انطلقت من بداية الرسالة وختمتها بحكمة وعظية أيضا.

حاول الشاعر في رسالة اخرى موجهة الى بني لؤي من ابناء عمومته الأقربين وهم تيم وعبد شمس ونوفل، أن يستعيض من الوعظ في افهامهم بها يود ايصاله إليهم باسلوب تعبيري اخر يظهر فيه علو صوت (الشاعر) المرسل، وحضور صوت المرسل إليه (قومه) بشكل واضح من خلال الفعل «يقولون» والضمير المخاطب «انتم» في قوله:

(من الطويل)

بِحَـقٌ وَمَا تُغني رِسَالَةُ مُرسِلِ
وَإِحُوانَسَا مِسْ عبدِ شَـمسٍ وَنَوفَلِ
وَأُمَـرَ غَـوِيٌّ مِسْ غُـواةٍ وَجُهَّلِ
أَفَـرَّت نَـواصي هاشِـم بِالتَـذَلُّلِ

•••

صَوادِمُ تَفُوي كُلَّ عَظَمٍ وَمَفْصَلِ مَصَالِتَ فِي يَسُومٍ أَغَسَرٌ مُحَجَّسِلِ بَيَّنْ ِ قِسَامٌ أَو بِسَآخَسِرَ مُعسَبَلِ نُجَالِح فَنَعُرُك مِن نَسْنَاءُ بِكَلكَلِ عُسلى دَبسوَةٍ فِي دَأْسِ عَيطَاءَ عَيطَلِ عَسلى دَبسوَةٍ فِي دَأْسِ عَيطَاءَ عَيطَلِ تَنالُونَ اللهُ أَو تَعطِف وا دُونَ قَتْلِ اللهِ وَتَسلعو بِأَر حَامٍ وَأَنستُم ظَلَم الله الله الله الله الحسر الحرب بِكرَه المؤسلة وَلَسا مَسى مسا نَمرِه ا بسسُوفِنا وَتَلق وا رَبسعَ الأَبطَ حينِ مُحَمَّداً وَتَساوي إلَي إلَي هاشِ مَا إِسسُه إِنَّ هاشِ مَا وَتَساوي إلَي هاشِ مَا إِنَّ هاشِ مَا إِنَّ هاشِ مَا أَلَا اللهُ عَلَي المَّالِق اللهُ عَلَي المَّالِق اللهُ عَلَي المَّالِق اللهُ عَلَي المَّالِق اللهُ عَلَي اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَي اللهُ عَلَي اللهُ عَلَيْ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ عَلَيْ عَلْمُ عَلَيْ عَلْمِ عَلَيْ عَلِيْ عَلْمُ عَلِيْ عَلَيْ عَلَيْ عَلِيْ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ ع

أَلا أَبلِغاء عَنِّي لُؤَيِّا رسالَةً

بنسى عَمِّنا الأدنينَ تسياً نَحُصُّهُم

أظام أمرتُم قوماً عَلَينا أظِنّات

يَقول ونَ إنّا قد قَتَلنا مُحَمَّداً

له فَرومسوا بِسها جَمَّعستُمُ نَقسلَ يَسذَبُلِ

رَّةٍ وَذِي مَبعَةٍ نَهسدِ المَراكِسلِ هَبكَسلِ

هُ وعَسفْ حَايماضِ الغمامةِ مقسصَلِ

هُ دِلاصٍ كَهَزها لِ الغَديرِ المُسَلسَلِ (۱)

فَ إِن كُن نُمُ تَرجونَ قَسَلَ مُحَمَّدٍ فَإِنْ اسَن نَحميهِ بِكُ لَ طَمرَةً فَإِنْ اسَن نَحميهِ بِكُ لَ طَمرَةً وك لَ رُدين عَ ظ الله كعوبُ الله وك لَ مَ الله وكالله وكاله وكالله وكا

تركبت الرسالة من خطاب الشاعر؛ وخطاب قومه في ابداء رأيهم حول قيضية الدعوة الإسلامية وموقفهم منها، ومن صاحبها بدلالة الفعل «يقولون» الدال على غياب المرسل اليه، وكان تبليغ الرسالة بوساطتين: الأولى، موجه إلى بطن تيم، والثانية، موجه إلى الأخوين عبد شمس ونوفل بدلالة القرينة السياقية لصيغة الامر «ألا ابلغا» الدالة على التثنية، واداة الاستفتاح والتنبيه لقرع الاذهان لسماع الخطاب، ويبدو أن سلطة قوم الشاعر محدودة في نص الرسالة، فسرعان ما تنتقل الى الشاعر متوسلا بأدوات الخطاب المتنوعة من استعال الفعل المضارع المبدوء بالهمزة أو التاء، على نحو ما نجده في «اظاهرتم، تنالونه أو تعطفوا، تدعوا»، وضمير المخاطب الجمعي «أنتم»، وصيغة الدعاء المفهومة من سياق النص «... أقرّتُ نواصي هاشم بالتذلُّل»، واستعال احدى طرائق الخطاب الطلبي ومنها: اسم فعل الامر «مهلا» وفعل الامر «فرومُوا» الذي ألزم الشاعر فيه قومه بعدم القدرة المحددة بالعلاقة

⁽۱) الديوان: ١١ - ١١٩، المعجل: صفة للناقة التي تلد قبل استكمال الحول، نمرها: نمسح ضرعها، جالح بالشيء: جاهر به، نعرك: ندلك، الكلكل: الصدر، العيطاء: الطويلة العنق، والعيطل: الطويل العنق في حسن، الطّمرة: الفرس الجواد الطويل القوائم، ميعة الفرس: اول جريه، المراكل: موضع ركل الدابة بالقدم، الهيكل: الفرس الطويل، والكعوب من الرمح قدر ما بين العقدتين، حرور الذيل: صفة للدرع الطويل، الزغف: الدرع الواسعة الطويلة، الدلاص: اللينة البرّاقة.

الشرطية بين جملة الشرط وجوابها المبنية على التقابل:

«فــإن كنتـــم ترجــونَ قتلَ محمــدِ فروموا بمــا جمعتــم نقــلَ يذبُــلِ»

فقتل محمد مرهون بتعجيز القوم في نقل جبل يذبل الى مكان اخر، أي لا يستطيعون؛ لأنه في حماية حصينة، ولهذا علت نبرة الشاعر الخطابية في مديح رسول الله عَلَيْهِ في فخره الجهاعي وهو يثري سياقات الخطاب بالصور المجازية من العالم الخارجي الذي ابتدعتها لغته الفنية، عما ساعدت على بيان القيمة الجهالية للخطاب الشعري وهيمنة صوت الشاعر في توضيح فكرة الابلاغ، وافهام قومه للرسالة التي شكلت بنية تعبيرية حملت فكرته وانفعالاته.

وخلاصة القول إنَّ نص الرسالة سلط الضوء في الخطاب الشعري المشترك بين الشاعر وقومه وما نتج عنه من ايصال فكرته في غواية القوم من قتل رسول الله عَيَيْنِهُ ثم انفصام الخطاب المشترك، واعلاء نبرة الشاعر المسيطر في الرسالة الموجهة، وجنوحه لتقديم صور من العالم الخارجي نهضت باعلام الطرف الاخر في اشعال اوار نار الحرب، وما يدور في ساحة المعترك اذا ما أصرً القوم على غوايتهم وهذا هو جوهر توصيل ابلاغ الرسالة، فتحول الخطاب السعري من تنبيه بوساطة اداة الاستفتاح في بداية الخطاب الى وسيلة اقناعية في التبليغ، وعلى هذا النحو نهج أبو طالب في قصائد أخرى خبرها بهذا الأسلوب التبليغي (۱).

وهناك اساليب لغوية متعددة وردت في شعر أبي طالب اتخـذها سبيلا لقـول الشعر استوعبت تجربته الشعرية وسنورد منها ما يأتي:

⁽١) الديوان: ٨٦، ١٢٧، ١٨٤، ٢٠٥، ٢١١، ٢٣٩.

ـ النفى:

النفي اسلوب اخبار سلبي يدل على النقض والانكار للاشياء المادية والمعنوية على السواء وهو ضد الايجاب يراد به ازالة ما في ذهن المخاطب من اقتناع بشيء معين، وورد تركيب النفي في شعر أبي طالب () بطرائق متبانية بحسب طبيعة التجربة الموضوعية التي يكون الشاعر في صدد الحديث عنها في نقض موقف معين وانكاره، يتبين في بنية السياق التعبيري من استعمال الادوات (لا، لم، ما) في رثائه لخاله أبي أمية ابن المغرة بن عد الله بن عمر بن مخزوم فقال:

{من الطويل} لَقَد بَلَغَت كَفَّ النُفُوسِ الحَساجِرُ مُكَلَّكَ نَهِ أَدمٌ سِسانٌ وَبِساقِرُ

تَسرى دارَهُ لا يَسبِرَحُ السدَهر وَسسطَها مُرّ

يُك بُّ هُ مَ أَن واههُنَّ الغَزائِ رُ ك سَنهُم حُبُ وراً رَيدةٌ وَمَع افِرُ (٢)

وَإِن لَم يَكُسن لَحَسمٌ غَسريضٌ فَإِنَّهُ فَالِنَّهُ فَيُستَعَمُ اللهُ بيستضاً كَسسانَها

تَوَلَّسوا وَلا أَبِسو أُمَيَّسة فسبهمُ

 ⁽۲) الديوان: ۱۳۸، الأدم: شديد البياض، الباقر: جماعة البقر، الحبير: الثياب الموشاة والناعمة الجديدة،
 ريدة ومعافرة: بلدان في اليمن اشتهرا بالثياب الحبيرية.

حدد الشاعر وظيفة النفي اللفظية والمعنوية، فاستعمل (لا) النافية المشبهة برايس) الدالة على معنى السلب وترتبط بمضمون الكلام في انكار فكرة رجوع أي امية مع المسافرين العائدين من الرحلة، مما تزاحم في نفس الشاعر الغم، والحزن، والالم لموت خاله، ويبدو أنَّ النفي بـ (لا) الداخلة على الجملة الاسمية آكد وابلغ مما لو دخلت على الفعل المضارع، فتجعل زمنه شاملا للحاضر والمستقبل على نحو قول الشاعر «ترى داره لا يبرح الدهرُ وسطها» فدل سياق النفي على عدم براح الدهر، لزهو دار أبي أمية بكثرة الجمال المعدة للذبح لاكرام المضيوف فيها مضى ويمتد الى زمني: الحاضر والمستقبل في تصور الشاعر الذهني؛ لأن موت خاله يصطدم مع زمني: الحاضر والمستقبل، الحائل دون عادة الكرم.

ويجتهد الشاعر في استعمال اداة النفي (لم) الدالة على قلب دلالة زمن المستقبل الى المضي في نفي ان تكون لحوم النوق غير طرية يريد أن النوق المذبوحة للمضيوف سمينة للدلالة على عظم كرم خاله، وافادت (ما) من السياق دلالة لفظية في تقوية الصورة التشبيهية وتوكيدها في «كأنها...» فقريش اهل الله بيض الوجوه كأنهم كستهم ثياب الحبيرية بكرم المرثي عليه، فارفد النفي بتوسيع دائرة توكيد التشبيه، وكان ذلك كله دافعا قويا لتأبين الشاعر لخاله بفضيلة الكرم.

واستعمل أبو طالب تركيب النفي وسيلة لدفع أقاويل قريش في اتهام رسول الله عَلَيْظِهُ بالزور والبهتان مخاطبا قومه:

{من الطويل}

وَأَصبَحَ ما قالوا مِنَ الأَمرِ باطِلاً وَمَن يَختَلِق ما لَيسَ بِالحَقِّ يُكذِبِ فَأَمسى إِبنُ عَبدِ الله فينا مصدّقاً عَلى ساخِطٍ مِن قَومِنا غَيرِ مُعتَبِ

لدى غُربَةٍ مِنسا وَلا مُتَقَسرًب

...

طَلبِعٍ بِجَنبَى نَخلَةٍ فَالمُحَصَّبِ لِنَحلِفَ بُطلًا بِالعَتبِقِ المُحَجَّبِ(١) فَسلا وَالَّسذي يَحسدي لَسهُ كُسلُّ مُسرنَمٍ يَمينساً صَسدَننا الله فيهسا وَلَمَ نَكُسن

حشد أبو طالب أدوات النفي من اسم وفعل وحرف وهي "غير، ليس، ما، لا، لم» منفردة، ومكررة، لاثبات حقيقة ونفيها باحدى أدوات النفي ومنها أداة النفي (لا) التي افادت ازالة ما في ذهن السامع من قناعة بصدق اقوال قريش، المفترية بالكذب، فأثبت الشاعر أن ما ادعته قريش باطلٌ وهو محض افتراء، ويبطن الشاعر الاثبات في موضع النفي في جملة الشرط، فأتاحت له أن يمد العبارة في قوله: "ومن يختلق ما ليس بالحق يُكذّب» فطول التركيب ساعد على توضيح فكرة الشاعر في تثبيت حقيقة تلازم اختلاق الاحاديث بدلالة الزمنين الحال والمستقبل.

ويتوحد صوت المخاطِب بالصيغة الجمعية في خطاب الشاعر الموجه إلى قريش لاثبات صدق ابن عبد الله النبي محمد عَلَيْنِهُ فيها ذكره من فعل الأرضة لأكلها الصحيفة، فينفي عن قريش العتب بالاسم «غير»، وبعد اثبات صدقه برسول الله يعلو صوت الجهاعة مفتخرا بنصرته ومنعته في عدم تركه بلا عون، وخذلانه بلا ناصر، وهذا غريب عند الشاعر لا يكون ابدا، ويؤكد الشاعر بحرف النفي (لا) بالقسم في مقدساته وصدق الله في قسمه؛ ليؤكد نفيه بالحرف (لم) الذي قلب دلالة النومن من المستقبل الى المضي، فيؤكد مرة أخرى بالقسم بعدم حلفه بالكعبة

⁽۱) م.ن: ٩٦، يحدي: يسرع، المرتمي: الساقط، الطليح: الهزيل، جنبا نخلة: واديان قرب مكة، ظ: معجم البلدان: ٥/ ٢٧٧، المحصب: موضع رمى الحجار، ظ: م.ن: ٥/ ٦٢.

بالباطل، وجهذا كله اتاح الشاعر بناء تركيب النفي المجال في الافادة من طاقات الانفعال المتنوعة، فشكلت ضمن تراكيب النفي تراكيب اخرى مثل: الشرط والقسم وجملة العطف، فشحنت انفعالاته في صور رفع الظلم والضيم والافتراء عن رسول الله الموجهة من قومه، ومن ثمَّ اعلان نصرته وحمايته، فيصل جهذه التراكيب إلى عنصر مكمل للعبارات الممتدة في تراكيب طويلة دالة على طول النفس الشعري عند الشاعر.

- التوكيد:

يورد المتكلم أحيانا حديثا خاليا من التوكيد؛ لأنه يشعر أن المستمع يتقبل كلامه بلا شك، أو انكار، وهو يسوق خبرا، أو اقرارا بحقيقة معينة، فاذا احسَّ الشاعر أنَّ كلامه سيقابل بالارتياب والانكار من الطرف الاخر، لجأ الى توكيده بأحد انواع التوكيد، بمؤكد واحد أو اكثر بحسب درجة الانكار والارتياب؛ لدفع غفلة السامع عنه، ولتقوية كلامه وتثبيته في نفس المخاطب، وأفاض أبو طالب باستعمال تركيب التوكيد بطرائقه المختلفة (١) بحسب علاقته بمضمون تجربته الشعرية

الشعرية الذي هو في صدد الحديث عنها، التي لها وشائج بمواقف حياته، ولاسيها في خطاباته الموجهة الى قريش يحثهم فيها على تصديق دعوة رسول الله عَلَيْوَاللهُ ونصرته ومؤازرته على نحو قوله مفتخرا بمقاتلة مشركي اشراف قريش إذا ما استدعيالامر لذلك:

(من الطويل)

وإنَّا لَعَمْرُ الله إنْ جَدَّ ما أرى لَنُلْتَبِسَنْ أسيافُنا بالأماثِلِ (١)

أكد الشاعر باكثر من مؤكد واحد؛ لتقويه كلامه المرسل إلى مشركي قريش المعادين للإسلام، فيتباهى بانه يقاتل السادة الاشراف اكفاءً، وبسط هذه المؤكدات على مساحة البيت، فأكدب(ان) والقسم «لعمر الله»، وب(ان) مرة اخرى، والفعل المضارع المسبوق بلام الطلب المؤكد بنون التوكيد «لَتَلْتَبِسَنَّ» رغبة منه في تثبيت ما قرره في اذهان مشركي اشراف قريش، وازالة الارتياب في عدم مقاتلتهم إذا اصروا على عنادهم في معاداتهم، وتمكن التركيب اللغوي في جملة النفي «ما ارى» الدالة على الحال والاستقبال على اطالة العبارة؛ لتوضيح دلالتها.

وأكد أبو طالب بالتوكيد المعنوي باللفظ «كل» الدال على التعميم والشمول، وبالجملة المرادفة التي تعبر عن معنى واحد في مديح رسول الله عَلَيْوَالْهُ فقال:

{من الطويل} مناب الأفناء القبائل كلِّها تَخُبُ السِهِ السيعملاتُ السدَّواملُ (٢) مَثابا الأفناء القبائل كلِّها السَّاء القبائل السَّاء القبائل السَّاء القبائل السَّاء السّاء السّاء السّاء السَّاء السّاء ا

⁽١) الديوان: ٧٥.

⁽٢) م.ن : ٣٤١، اليعملات: جمع يعملة، وهي الناقة النجيبة، والدوامل: صفة لها وهي المصابة بجروح بسبب طول الطريق.

راعى أبو طالب ما اقتضاه المقام في اختيار اللفظ المؤكد في الموضع المناسب بطريقة فنية متقنة، واردف بضرب آخر في توكيد العبارة الأولى بالمعنى نفسه لازالة الارتياب في ارادة الجمع، فرسول الله مثاب «القبائل كلها» من دون استثناء للدلالة على علو مكانته وسمو شأنه بوصفه رسولا للأمة، وللدلالة على أن القبائل كلها خاضعة لامره، وتابعة له، بها اصطفاه الله لهذه المهمة، وقد اكد الشاعر المعنى نفسه في الشطر الثاني، لتثبيت المعنى في ذهن السامع لما قرره في الشطر الاول، بيد أنّه حذف الرجال الذين يأمون الى رسول الله على إبلهم النجيبة التي تَخُبُّ اليه، للدلالة على انقيادهم وطاعتهم له، وكأن الإبل النجيبة تشارك اصحابها هذا السفر الميمون لما عرف من حرص العربي على مشاركة ناقته معه في مواقف الرفعة والسمو، والتعبير عرف من حرص العربي على مشاركة ناقته معه في مواقف الرفعة والسمو، والتعبير الموف اليه البيملات الدوامل» تقوية لصورة «مثابا لافناء القبائل كلها» فابرز التوكيد رغبة الشاعر في اماطة أي شك بخالج ذهن المخاطب في غير امر الطاعة التوكيد رغبة الشاعر في اماطة أي شك بخالج ذهن المخاطب في غير امر الطاعة والانقياد والتبعية، وليثبت عمق ايهانه بها يقول بهذا الاسلوب في ذهن السامع.

- الاستفهام:

الاستفهام من الأساليب اللغوية التي يراد بها طلب الافهام، وهو تركيب خاضع لقدرة الشاعر على استعماله استعمالا فنيا، وتوظيفه توظيفا ابداعيا في السياق، ويبرز فيه تجربته الشعرية، ويبري عمله بامكاناته اللغوية في تقديم تجربة اكثر عمقا وشمولا في التعبير عن مثار انفعالاته التي تعتريه لحظة ابداع عمله الشعري، ليتعرف على حقيقة ذهنية معنوية، أو حسية مادية، فيكشف ما يخشاه من رؤية وحيرة.

وقد ينسج الشاعر تركيب الاستفهام في بناء لغته الشعرية مفتوحا ومغلقا في أن معا، أي في حال طلب الجواب على الحقيقة، أو عدمه في حال المجاز عندما يخرج

الى معانِ مجازية براد بها التقرير، والانكار، والتوبيخ، والتعجب، والتذكير، والافتخار، والسخرية، والتهكم، والنهويل إلى آخره، بيد أنَّ صيغ الاستفهام لا تتحدد بهذه المعاني تحديدا تاما؛ لأن دلالة تراكيب الاستفهام ترتبط بالاطار العام للموضوع الذي يتفرع منه، مما يؤدي الى تداخل المعاني واتساعها، واسلوب الاستفهام له أثره في تنغيم الكلام، وطريقة السؤال لها وقعها على السامع في تصنيف صور الاستفهام المختلفة بالوانها المذكورة، وترتبط طبيعة الاستفهام في شعر أبي طالب (۱) في صوره المتعددة والمتعلقة بامور حياته العامة التي تتطلب من الشاعر نبرة عالية في التعبير ـ سواء أكان الاستفهام حقيقيا ام مجازيا ـ المتفاعل مع عناصر التراكيب الأخرى على نحو عتامه لأخه أبي لهب فقال:

{من الكامل}

أبل غ أب الهسب مقالة عاتسب هل تُنكِرَنْ عند المُقامَة محضري؟ أم هل أنكِرنْ عند المُقامَة محضري؟ أم هل أتسى أن خَذَلتُ وغالني عنه الغوائلُ بعد شهب المُكبر؟

أجــزرتهم لحمــي بمكــة سـادراً ثكلَتـك أُمُّـك أيَّ لحــم أُجــزرِ؟(١)

استفهم الشاعر بالاداتين: (هل، أي) بحسب مقتضى طبيعة كلام العتاب، ورغبة منه في توصيل ما يريد ايصاله، وهو يعبر عن ثورة انفعاله، فكرر الاستفهام

⁽٢)م.ن: ١٨٤.

بالحرف «هل» الذي لا يريد به معرفة شيء مجهول فحسب، وانها توقع الشاعر النفي في عدم نكران مكانته، أي اراد «لا تنكرن» وعما يعزز الاستفهام المتضمن معنى النفي توكيد فعل المضارع جوازا بنون التوكيد، فهو استفهام عن فعل مؤكد، وليس مجرد عن حدوث الفعل، وانها عن حدوث اكيد له، ونلحظ ان الشاعر في الاستعمال الثاني لحرف الاستفهام «هل» نزع التوكيد من الفعل «أتى» جوازا؛ لمراعاة منظور المعنى في التعبير عن مكانه المناسب له، اذ اراد في المرة الاولى توكيد نفي عدم النكران، وفي المرة الثانية اراد استحالة ان يتلمس اخوه منه الخذلان، فاستعمل أبو طالب حرف الاستفهام «هل» في غاية الدقة في اختياره مع التركيب الاخر بطريقة فنية متقنة.

ويتضمن استفهام الشاعر بـ «أي» تفخيم شأنه وتعظيمه، وهـ و ازاء حال كشف ما يفعل اخوه ابو لهب مع قومه بجزرهم لحم أبي كناية عن غيبتهم له بها لايحق لهم به.

وتتظافر قوة انفعال الساعر مع صيغة الاستفهام التي أججت مشاعره واحاسيسه الحزينة؛ لفقدان صديقه مسافر، فلا يكتفي بصيغة استفهامية واحدة، وانها يردد بعض أدوات الاستفهام المقدرة والظاهرة متأزرة مع الوان التركيب اللغوية في قوله راثياً:

(من الخفيف)

لَيتَ شِعري مُسافِرَ بنَ أَبِي عَمر رو وَلَيستٌ يَقولُمُ اللَحزونُ؟ أَيُّ شَيءٍ دَهساكَ أُوخسالَ مَسرآ كَ وَهَل أَنسَدَمَت عَلَيهِ المَنونُ؟

كَــم خَليــل بَزينُــهُ وَإِسِنُ عَــمٌ وَتَمــيمٌ قَــضَت عَلَيــهِ المَنــونُ؟

كانَ مِنكَ اليَقِينُ لَسِسَ بِسُافٍ كَيفَ إِذ رَجَّمَت كَ عِندى الظُّنونُ؟ (١)

اظهر الشاعر حزنه وألمه وحسرته على فقدان صديقه وهو يحشد ألوانا من أدوات الاستفهام «الهمزة المقدرة، وأيُّ، وهل، وكم، وكيف» سعيا منه في تنويع التعابير الاستفهامية، فعندما يخاطب الشاعر الفقيد وهو يتعلق بكلمة (ليت) التي لاتجدي نفعا اخفى حرف الاستفهام (الهمزة) الدالة على استحالة تحقيق امنيته في الاجتماع بصديقه مسافر في يوم بعينه، لاختطاف الموت له، فبينتها دلالة السياق المقدر في الكلام: ليت شعري يا مسافر أنجتمع أم لا؟ فتجاوز الشاعر نمط استعمال الاستفهام باحدى ادواته المقدرة، وكأنَّ غياب الاداة استوعبت الحدث في دلالة غياب الامنية في الاجتماع بصديقه، بيد أنَّ المقابلة في الاجتماع وعدمه لا تعني التضاد وانها هي نمط من التباين الذي يرتبط بالتركيب، وبهذا كله افادت الهمزة التعيين عندما كان الاستفهام بها تصورا.

والشاعر يتخير أداة الاستفهام «أيّ» في التعبير عن تعجبه بها اصاب صاحبه، فاهلكه في غفلة، ويردف باستفهام اخر بالحرف (هل) توكيدا للتعبير عن تعجبه في اختطاف المنية صديقه.

إن هذه التساؤلات المشحونة بانفعال الشاعر تحولت الى خاطره عن الموت في تغذية فكره وتعميقه باسلوب الاستفهام في الأداة «كم» الدالة على الكثرة العددية في رحيل الخليل والصديق والقريب الذين اختطفتهم المنية، ولكن في الوقت نفسه، فان الشاعر لم يمنح بعض الرؤية في استكناه حقيقة موت صاحبه باليقين استعظاما لموته،

⁽١) الديوان (التونجي): ٩٣- ٩٤.

ولهذا تولد في شعور الشاعر اضطراب الحقيقة بشأن موته، فتراه يطلق استفهاما اخر بالاداة «كيف» الدالة على الحال.

ومن انعامنا للنظر في بناء نسيج اسلوب الاستفهام يتبين أن أبا طالب تـصرف تصرفا بليغا يرتفع بمستوى الاداء في التنغيم بادواته الموظفة في سياقات فنية اقتـضت نبرة عالية في الاداء، انكشفت من خلال انفعالاته الحزينة وهو يخاطب الفقيد.

_ الأمر:

احد وسائل الطلب الذي يحمل المخاطب على الالتزام بالاستجابة لفعل الامر، وتحمل صيغة الامر نزعة خطابية فيها استعلاء وظفها أبو طالب في رسائله الشعرية بكثرة، فمكانته في قريش تتيح له هذا النمط من اساليب الامر التي تُقبل منه على اية حال، فهو عن لا يعترض على كلامهم في قبيلتهم لما تعرفه من سامق مكانته، وقد ورد هذا الاسلوب في خطابه الشعري^(۱) بحسب تجربته الشعرية الآنية في الموضوعات التي تقتضي منه الجهر والنبرة العالية في اصدار الاوامر إلى المخاطب بشيء معين يتعلق به، أو بغيره، أو بالامور العامة، تبرز من خلالها انفعالاته، ويوظف أبو طالب صيغة الامر بوصفها وسيلة ابلاغية لدعوة قبيلة كنانة، ولاسيا من اتصف بمكانته السامقة، وكرمه الوافر، لقبول الدين الجديد، ولنصرة رسول الشعطة الله فقال:

{من الخفيف}

وأهل النَّدى وأهللِ الفعللِ فلمسلِ الفعللِ فلم المنافية ا

قُلْ لمن كمانَ من كنائمة في العرزِّ قد أتساكم من المليسكِ رسولٌ وانصر وا أحمداً فإنَّ من اللّ

تظهر صيغة الامر (قل) في السياق الواردة فيه انه طلب فيه الزام في تبليغ رسالة شعرية الى قبيلة كنانة، وتفرع الخطاب التبليغي بحروف العطف إلى أهل الندى، وأهل الفعال، مما ساعد على طول النفس الشعري، وشد انتباه السامعين إلى تتبع فحوى مضمون الرسالة في انبائه ببعثة رسول الله عَلَيْنِهُ معززا الرسالة بالفعلين الامريين: «اقبلوه، وانصروه»، ولكي يقنع الشاعر قبيلة كنانة ببعثة النبي عضد كلامه بتعليلات افادت بان رسول الله سيبذل لهم الاعمال الصالحة؛ ولهذا يتوجب عليهم الزام قبول دعوته. واسهم تركيب التوكيد لتعليل امر نصرته بانه يلتحف برداء رباني لا يزول عنه ابدا، ليحتم الشاعر على القوم الالتزام باوامره الصادرة عنه في القبول والنصرة.

ويوظف أبو طالب صيغة اسم فعل الامر وسيلة لطلبه المتلازم مع صيغة النهي؛ لاتمام دلالة السياق في خطابه الموجه إلى قومه، يذكرهم ظلمهم وعقوقهم وحصارهم في الشّعب(٢٠)، فقال:

إمن الوافر إلى المن الوافر عظم المسرر عظم المسلم ا

⁽۱) الديوان: ۲۰۷.

⁽۲) م.ن: ۱۲۲.

ألزم الشاعر أشراف قومه من هم بمنزلته بصيغة اسم فعل الامر «مهلا» في تحذيرهم من ظلمهم، وقد اسهم تركيب طبيعة النهي «لاتركبونا» في الكف وترك حدوث الظلم، ليكمل الشاعر دلالة الصيغة الامرية.

ـ النداء:

صيغة النداء هي إحدى طرائق الخطاب الموجه من المنادي إلى من يريد الاقبال عليه وتنبيهه، والالتفات لسهاعه، وهي وسيلة لتصوير انفعاله في التعبير عن تجربته الشعرية وقد يخرج النداء من انه وسيلة لجلب الانتباه والاقبال والالتفات إلى وسيلة للمناجاة بحسب التجربة الشعرية التي يكون الشاعر في صدد الحديث عنها، وتعددت صورة المنادي في شعر أبي طالب(١) بتعدد تجارب حياته عبر اسلوب تقريري مباشر _ في أكثر الاحايين _ فهو لا يميل إلى استعمال صيغة النداء لغرض التنبيه فحسب، وإنها بوصفها وسيلة ابلاغية يبرز فيها علو النبرة، وجهارة البصوت ولا سيما مع حرف النداء «يا» ليفصح عما يعتريه من انفعال كان مدعاة الى استعمال هذا اللون من التركيب من دون غيره من التراكيب، متمثلاً بنبدب الفقيد وتأبينه، ونصح الابناء والاهل والاقارب والعشيرة وارشيادهم، وتهديب الخيصم وتحيذيره، وحماسة القوم وحثهم على مصاولة الاعداء، بيد أنَّ وظيفة النداء تتشكل مع واحد او اكثر من التراكيب اللغوية التي تم بها مداليل صيغة النداء المستعملة على نحو قول أبي طالب:

{من السريع}

يا قدومُ ذودوا عن جَمَا هيركم بكلِّ مِقْصالٍ على مُسْبِل (١)

ويلحظ أن نداء أبي طالب في هذا البيت بعيدٌ عن الانشاء الفني؛ لانه معني بالدلالة الصريحة التي يوصل من خلالها الى ما يريده إلى المنادى، فاستعمل تركيب النداء لقرع اذهان القوم وشد انتباههم إليه، ومن ثمَّ ابلاغهم امرا معينا، فتعاضد التركيب الطلبي للنداء مع تركيب طلبي آخر ورد بصيغة الامر؛ للنه وض بمدلول النداء الذي عبر عن غليان انفعاله في اثارة حماسة القوم للذود عن اشرافهم واعلامهم.

إنَّ نداء الشاعر المتأزر مع طبيعة الطلب ذي النبرة العالية المسيطرة تنسجم مع حال اعتداده بنفسه، وتدل على جليل مكانته، وعلو رئاسته في قومه، ولهذا كله برزت سمة السلطة في النداء وهو يصدر الاوامر لقومه.

وفي صيغة النداء قد لا يقصد أبو طالب لفت انتباه السامع للاقبال، وانها يجنح الى المناجاة في التعبير الذي يناى عن التقرير، فصوت الشاعر يرجع الى داخله اذ ينادي نفسه؛ بل ينادي عينيه لتأذن له بالبكاء إلى آخر الحياة على رحيل أخيه عبد الله والد رسول الله علي الله فقال:

{من البسيط}

عيني ائلذني ببكاء آخر الأبي ولا تمكي على قرم لنا سَند (١)

حذف الشاعر حرف النداء؛ لأنه في حال لايسمح معها باظهار هذا الحرف؛

⁽١) الديوان : ١٠٩، مِقصَال: سيف قاطع، مُسْبِل: فرسٌ طويل الذَّنَب.

⁽۲) م.ن: ۹۸ .

إذ بلغ من الحزن في ندبه وتأبينه لأخيه درجة دعته إلى حذف حرف النداء، ودعوة عينيه مباشرة لهول المصيبة، فاراد أن ينادي سريعاً ليطلب الاعانة منها، وبرز مدلول تركيب النداء المتزاوج مع تركيب الطلب النهي في السياق، اثراء صورة المرثي الممدوح بالقيم المعنوية، فهو السيد والسند؛ ليمنح صيغة النداء دلالة قيمة فقدان أخيه الذي ترك خسارة عظيمة لذويه، وهو يغذي خيال المستمعين ويندب؛ لمشاركتهم احساسه الصادق المشحون بحرارة العاطفة.

اثر الإسلام في لغة شعره:

إنَّ لغمة الاممة شديدة الحس والتأثر في كل ما يعتريها من تحولات على المستويات كلها: السياسية والدينية والاجتماعية، ومقدار قوة التأثر تتوقف على مقدار قوة التحولات وضعفها، فتتأثر اللغة في ذلك كله صعودا أو هبوطا.

ولاشك في أن الإسلام حدث كبير في حياة العرب غيَّر مجرى حياتهم مما تـرك اثره في التحول والتغير والتطور الذي طرأ على اللغة.

وكان من نتاج هذا الأثر ان بعض الشعراء حادوا باللغة من القديم إلى الجديد فعزفوا عن الالفاظ الغريبة والحوشية، واستحدثت معاني والفاظ جديدة، وعُدِل عن موضوعات إلى موضوعات جديدة، والمعين الذي امدهم في هذا السأن هو القرآن الكريم المعجز بلفظه ومعناه واسلوبه، فكان المثل الحي الذي ينهل منه الشعراء في محاكاته لما بهرهم اعجازه ببديع اسلوبه، وصياغة آياته، وتلاؤم فواصله إلى آخره، فطفقوا يقتبسون منه وظهر في كلامهم لفظاً وأسلوباً ومعاني وأغراضاً (١).

⁽١) ظ: تاريخ الادب العربي في العصر الإسلامي (السباعي): ٤- ٩.

ولغة شعر أبي طالب سارت موازية لحركة تطور الحياة الإسلامية الجديدة في استها الشعرية الجديدة الى جانب الاسة الشعرية القديمة والمتطورة (١) التبي اسهمت في التعيير عن متطلبات الحياة الجديدة المواكبة للمرحلة الانتقالية من الجاهلية إلى الإسلام، وبالتحديد بداية الدعوة الإسلامية وانتشارها، فكان هـذا دافعا للوقوف عند تأصيل الظاهرة اللغوية في بيان اثر الإسلام في شعره: الفاظه ومعانيه وتعابيره الجديدة، لأن أبا طالب اول شاعر أيد الرسول عَلَيْكُ وناصره وآزره ودافع عنه، ويعد شعره البذرة الأولى لتأصيل اثر الإسلام فيه، ورائد الشعراء الإسلاميين في استعمال الالفاظ الإسلامية ضمن سياقاتها الجديدة التبي اوجدها التعبير القرآني في انتقال دلالة بعض الالفاظ من معانيها القديمة إلى معان جديدة غير معروفة قبل الإسلام. على أن البحث لم يغفل عن أن أبا طالب عاش في بيئة دينية قبل الإسلام، فقد كان هو ووالداه من الموحدين، ونشأ في مكة من اسرة تتمتع بمراكز دينية من سدانة بيت الله الحرام، وسقاية الحجيج فضلا عن ان اعلاء صوت الحق وبزوغ نور الهدى خرج من بيته، وقد واكب الحقبة الزمنية لنزول الوحى على ابن أخيه النبي محمد ﷺ فلاغمرو بعد ذلك كله ان يتأثر في لغة التنزيل الحكيم في شعره، فنصه الشعري قد زخر بالفاظ القرآن ومعانيه وتعابيره بوصفه نصا لغويا معجزا يمتلك الخصائص الفنية فضلاً عما يتمتع به من الجوانب الاخلاقية والتربوية والارشادية التي أولاها أبـو طالـب عنايـة كبيرة في استعمالها، واستثمار الافكار التي جاء بها القرآن في قصائده الشعرية.

ومن خلال القراءة الفاحصة لشعر أبي طالب يتبين أن أثر الإسلام في لغة شعره الملتزم بقصائده الإسلامية الجهادية لنصرة رسول الله يختلف من قصيدة إلى

⁽١) ظ: الفصل الخامس: البناء الفني في شعره من الاطروحة: ١٦٢-١٨٨.

أخرى بحسب تعدد طبيعة الموضوعات في القصيدة الواحدة من حث على النصرة، والمجاهدة في سبيل الله، ودعوة رسوله، والعتاب، والتعريض، والانذار، والتوعد والتحذير، فنجد اقتباسه من آيات الذكر الحكيم لفظا ومعنى تارة، واستثماره القصص القرآني تارة ثانية، وتزيين شعره بالألفاظ القدسية لاسم الجلالة وتعظيم صفات رسول الله علي المنه ثالثة، إلى جانب استعمال الالفاظ الإسلامية التي فرضتها طبيعة الحياة الجديدة في ظل الدين الجديد (الله التي سنتطرق إليها بالتفصيل.

إن الكم الكبير الذي نزل من السور القرآنية المكية (٢٠ على رسول الله عَلَيْمِاللهُ كان لها بالغ الأثر في الثقافة الدينية للشاعر فصقلت موهبته وأثرت في اسلوبه، فكانت الفاظ التنزيل العزيز وتعابيره تزين شعره في أغلب قصائده قبل غيره من الشعراء.

ويلجأ أبو طالب _ في بعض الأحايين _ الى تغيير صوغ المفردات والتعابير القرآنية المستعملة في نصه الشعري مراعاة للوزن، أو رغبة بالافادة من صور التمثيل

⁽٢) ظ: القرآن الكريم: الفهرس باسماء السور فقد بلغ عددها ستاً وثمانين سورة مكية من مجموع مائة واربع عشرة سورة من القرآن والرسول المرابع عشرة بعد وفاة عمه بثلاث سنين، تخللت هذه المدة خروجه الى المطائف وعرضه نفسه على القبائل ،ظ: السيرة النبوية لابن هشام: ٢/٢٦- ٥٣.

القرآني في الانتفاع من دلالة الالفاظ التي تبرز من خلالها خبرته وثقافته الدينية.

ومن اثار اقتباساته القرآنية في القصيدة البائية التي حذر فيها بطون قريش عندما اجتمعت على خلافه بشأن دعوة رسول الله عَلَيْنَ حذرهم من ويلات الحرب المسعرة مذكرا إياهم بحرب داحس والغبراء، وحرب ابرهة الاشرم وما جرت فيها من ويلات (۱)، بيد أن رحمة الله الذي لا أحد غيره تداركتهم فأنشد:

{من الطويل}

فــوالله لــولا الله كل شيء غــبره كالصبحتُم لا تملكون لنا سربا(١)

استمد أبو طالب دعوة قريش إلى الإسلام وعبادة الله الذي «لاشيء غيره» من قول الحق: ﴿ ...مَا لَكُم مِّنْ إلهِ غَيْرُهُ ... ﴾ (م معللا ذلك بالبراهين العقلية بها انفرد به الله من الملك والقدرة، فهو مالك الملك مليك الناس، ومالك المسهاوات والارض وما بينها وكل عبيدٌ تابع له، وهو الوهاب، والمبديء الخلق، والدي يعيدهم بعد نشأتهم الاولى فقال:

{من الوافر}

لَّ هـ و الوَهّابُ و المُبْدي المُعِيْدُ و المُبْدي المُعِيْدُ الْمُعِيْدِ وَالْمُبْدِي المُعِيْدِ وَالْمُبْدِد وَمَانُ تُحَدِّ السَّمَاءِ لَـ هُ عَبِيْدُ وَالْمُ

مليكُ النّاسِ ليس له شريكٌ ومَانُ فوق السسّاءِ له لحّاقً

⁽١) ظ: الديون: ١٨٣.

⁽٢) الذيوان: ١٨٣، السرب: الطريق.

⁽٣) هود/ ٥٠، ٢١.

⁽٤) الديوان: ١٥٨.

زين أبو طالب ابياته الشعرية من تعبير التنزيل العزيز من قوله: ﴿...وَلَمْ يَكُنْ لَكُنْ اللَّهُ مِنْ قَولُهِ ﴿ إِنَّهُ هُو يَبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴾ (")، وقولُه تبارك وتعالى ﴿ إِنَّهُ هُو يَبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴾ (")، وقولُه تبارك وتقدس ﴿ وَللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ... ﴾ (").

إنَّ هذا الاقتباس لفظا، أو معنى في شعره يدل على مقدرته الفنية في اجادته في التعبير عن فن قول الشعر المذهب بكلام الله، وعلى تشرب نفسه بالحب الصادق، والايهان العميق بها انزل الحق تبارك وتعالى، فضلا عن ان الشعراء من بعده كانوا يقتبسون شيئا من آي الذكر الحكيم في قصائدهم؛ «ليكسبوا معانيها قوة، ويضيفوا على الفاظها حلاوة ورونقا، ويبرزوا بذلك مقدرتهم على التفنن في التعبير» (1).

ويصدق أبو طالب ابن أخيه النبي محمد عَلَيْواللهُ ويتحدى مشركي قريش، ومخاطبا أبا جهل بنشر دعوة ابن أخيه بها امره الله به (٥)، فقال:

{من الكامل}

لًا فتميّ زوا غيظ ابه وتقطّع و المال في المال و المال و المال في المال و الما

صدق ابسنُ آمنة النبسيُّ محمداً إن ابسن آمنة النبسيُّ محمداً

استثمر أبو طالب دلالة «فتميزوا غيظا» من التعبير القرآني وهو يوميء إلى

⁽١) الفرقان/ ٢.

⁽٢) البروج/ ١٣، ظ: يونس/ ٤.

⁽٣) الجائية/ ٢٧.

⁽٤) افتباس الآي القرآني في الشعر العربي (بحث): ١٢٣.

⁽٥) ظ: الديوان: ٣٣٩.

⁽٦) الديوان: ٣٣٩.

الآية ﴿ تَكَادُ مَّيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ ... ﴾ (1) التي تصف حال غضب جهنم على المشركين، وكأنه يشير إلى ما ينتظر المشركين من عذاب يوم القيامة، فجاء استثمار هذا التعبير لغايتين: الاولى: فنية، والثانية: وعظية دينية، وهو يومىء إلى حقيقة صدق النبي، فمن آمن بالصادق فهو المنى، ومن لايؤمن، فليتميز بغيظه كتميز جهنم يوم الحشر.

وبعد مرور ثلاث سنين من نشر الدعوة السرية امر الحق تبارك وتعالى نبيه الكريم بأن يصدع بأمره وينشر دعوته جهارا (٢٠) وهذا ما توقعه أبو طالب بيقين في قوله: «سيقوم بالحق الجلي ويصدع»، فأعان ابن أخيه وايده وناصره وحاماه وشد من ازره، وطلب منه أن يصدع بها امره الله به، فقال:

{من الكامل}

فانفَـدُ لأمـرك مـا عليـكَ غـضاضةٌ نكفـي بنـا دُنْيـاً لـديك ودينـا(")

تمثلا لما امر الله به نبيه في معنى قوله المجيد ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُعَوْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ اللهِ اللهُ اللهِ اله

ومن هنا فإنَّ ترجيح الدوافع الدينية لاستثمار الفاظ القرآن ومعانيه أقوى من الدوافع الفنية كما يبدو.

⁽١) الُلك/ ٨.

⁽٢) ظ: السير والمغازى: ١٤٥.

⁽٣) الديوان: ٨٧.

⁽٤) الحِجر/ ٩٣.

ومن الأبيات التي وشحها أبو طالب من آي التنزيل العزيز في القصيدة اللامية التي انشدها في الشّعب ايام الحصار الذي فرضه مشركو قريش على رسول الله على أنه ومن اتبعه وحاماه، فتعوذ أبو طالب من شر وروهم، فقال:

{من الطويل}

أعوذُ بِربِّ الناس من كلِّ طاعنٍ علينا بشَرِّ أو مُلحِّنِ باطللِ (١)

استمد أبو طالب من النبع القرآني ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ (" فنلحظ أنَّ استعمال أبي طالب الالفاظ والتعابير القرآنية امر واضح في شعره يصور حسه الممزوج بالشعر الديني النابع من صدق وجدانه، وادراكه ان لغة التنزيل المجيد تمتلك قيمة فنية تترك اثارها العميقة في معاني النص الشعري.

وربها وجد الشاعر بهذه الوسيلة لفت انتباه المشركين إلى لغة القرآن، وهي لغة تستهوي من يسمعها، فإذا كان المشرك مكابرا ولا يريد أن يسمعها من القرآن فليسمعها من أبي طالب من خلال شعره، ومن هنا أدّى أبو طالب خدمة كبيرة للإسلام بهذا المفهوم.

ونستطيع أن نلحظ التأثير القرآني في قصيدة أبي طالب النونية التي اوماً فيها إلى أن كتاب الله المنزل على نبيه محمد عَلَيْ الله يماثل ما أنزل على النبيين موسى وذي النون، فلا انحراف فيه ولا اعوجاج، وقد افادت في بيان هذا الكلام سورة ياسين فقال في قصيدته التي ناصر بها صاحب رسول الله عَلَيْ الله عثمان بن مظعون (رضي الله فقال في قصيدته التي ناصر بها صاحب رسول الله عَلَيْ الله عثمان بن مظعون (رضي الله

⁽١) الديوان: ٧١.

⁽٢) الناس/ ١.

عنه) حين عذبته قريش فغضب عليهم وهددهم (۱) مستنكرا عدم ايمانهم وتصديقهم برسول الله عليالله

(من البسيط)

أَو يُؤمِنوا بِكتابٍ مُنوزَلٍ عَجَبٍ عَلَى نَبِيٍّ كَموسى أَو كَدي النُّونِ يَالنُّونِ يَالنُّونِ يَالنُّونِ يَالنُّونِ يَالنَّانِ بِاللَّهِ عَلَى نَبِي فَي آياتِ ياسينِ (٢)

نعت أبو طالب كتاب الله المنزل على نبيه بالعجب مستأنسا بمعاني من قول الحق حكاية عن انكار المشركين لكتاب الله "، واصفا إياه بالاستقامة الذي لايأتيه الباطل مثلما وصفه الجليل، فهو ﴿ قُرْ آناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ... ﴾ (" قد جاء به النبي محمد عَلَيْ الله على منهج قويم وشرع مستقيم، كما بيَّنته آيات ياسين في قوله تعالى: ﴿ يس وَالْقُرْ آنِ الحُكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم ﴾ (").

إنَّ خطاب أبي طالب الشعري موجه الى من أسلم ومن لم يسلم، فمن أسلم فيمكن أن يقرأ سورة ياسين من خلال هذه الاشارة؛ ليقف على استقامة الدين من خلال الدليل المتين، ومن لم يسلم يمكنه الاطلاع على هذه السورة لعله يهتدي بهدي القرآن.

اطلع أبو طالب على كتاب الله المتضمن للسور المكية التي واكبت زمن البعثة

⁽١) ظ: الديوان (التونجي): ٩٥.

⁽٢) الديوان: ٩٥.

⁽٣) ظ: الاعراف/ ٦٣، ق/ ١ - ٢.

⁽٤) الزمر/ ٢٨.

⁽ه) يس/ ۱– ٤.

ومنها ماورد ذكرها في قصيدته الميمية التي يحث فيها على نصرة رسول الله عَلَيْظِاللهُ فقال: {من البسيط}

وقد أنانا بحت تَّ غسير ذي عسوجٍ مُنَسزَّلٍ في كتساب الله معلسومِ في معالله معلسا ومِ في معالله معلسا ومِ في عجائب برتاحُ الفوادُ لها محساد وحساميم مسن العزيسزِ السذي لاشيءَ يُدركُهُ فيه بسصائرُ مسن حتَّ وتعظيم (١)

ومن عجيب نظم القرآن المجيد حسنه وبديع تأليفه، فلا نقص، ولا تفاوت في نظمه، فهو بحق غير ذي عوج، وقد استمد أبو طالب هذا المعنى من اكثر الايات المكية (٢) التي تضمنته.

إنَّ حصول ثبات القلب والاطمئنان يؤديان الى اليقين الصادق بمعجزة الله (القرآن المجيد) فهو المعجز بنظمه ومن بديع نظمه حروف الهجاء (ألله في فواتح السور التي تدل على براعة الاستهلال (ألله بيعرف العرب «ان هذا الكلام منتظم من الحروف التي ينظمون بها كلامهم (ألله ولكنهم في الوقت نفسه عاجزون عن الاتيان بمثله، ويومىء أبو طالب الى السور القرآنية المرتبطة إلى بعض حروف الهجاء، ومنها حرف الهرفان (الحاء) و (ميم) حرف الهرفان الذي يفتتح به سورة (اصاد) نفسها، والحرفان (احاء) و (اميم) اللذان تفتتح بها السور الآتية على الترتيب القرآني: غافر وفصلت والشورى والزخرف والدخان والأحقاف.

⁽١) الدوان: ٢٤١.

⁽٢) ظ: الأعراف/ ٨٦،٤٥، هود/ ١٩، إبراهيم/ ٣، الكهف/ ١، طه/ ١٠٨،١٠٧، الزمر/ ٢٨.

⁽٣) ظ: تفسير ابن كثير: ١/ ٦٤- ٦٩، اختلاف آراء المفسرين في الحروف المقطعة في اوائل السور.

⁽٤) ظ: الإتقان في علوم القرآن: ٢٠٦/٢.

⁽٥) اعجاز القرآن: ٦٦.

{من المتقارب}

عَسنِ البَغسيِ في بَعسضِ ذا المَنطِسِي بَوائِسسِقَ في دارِكُسسِم تَلتَقسي وَرَبِّ المَغسسارِبِ وَالمَسشِرِقِ ثَمسوداً وَعساداً فَمَسن ذا بَقسي وَناقَسةُ ذي العَسرِ شِ إِذ تَسستَقي مِسسنَ الله في ضَربَسسةِ الأَزرَقِ أفيق وا بنسي غالب وانته وا وَإِلا فَ إِنّ الذَنْ - خائفٌ تَك ونُ لِغ الرِكُمُ عِسبرةً تَك أن لَا مَانَ مِن قَبلِكُم كما نالَ مَن كانَ مِن قَبلِكُم غَداة أَنساهُم بِسا صَرصَراً فَحَلَّ فَعَلَيْهِم بِسا سَخطَةٌ

⁽١) المعارج/ ٤٠.

⁽٢) النجم/ ٥٠ - ٥١.

غَــداةَ يُعــنُّ بعُرقوبهـا حُـساماً مِـنَ الهِنـدِ ذا رَونَــق (١)

استلهم أبو طالب قصص هلاك قوم عاد وثمود الذين كذبوا انبياءهم فاصابهم عذاب الله، فتمثلت قصة عاد _ وهم قوم نبي الله هود عليه في قول تعالى: ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَهَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلِ خَاوِيَةٍ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴾ "، فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴾ "، واستشهدنا بهذه الآيات من دون غيرها من الآيات؛ لأنها أكثر الصاقا بدلالة الابيات الشعرية، وكذلك قصة ثمود أيضا".

وتتمثل قصة ثمود ـ وهم قوم نبي الله صالح عليه في قول تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ فَقَالُوا أَبَشَراً مِنَّا وَاحِداً نَتَبِعُهُ إِنَّا إِذاً لَفِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ أَءُلْقِيَ الذَّكُرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ سَيَعْلَمُونَ غَداً مَنِ الْكَذَّابُ الأشِرُ إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً

⁽۱) الديوان: ۲۰۵، البوائق: الدواهي والخصومات، مفردها بائقة، الأزرق: هو قِدار الأزرق الذي عقر ناقة صالح، عاد ولد من إرم، و «ثمود بن عاثر بن سام بن نوح... كانوا احياء من العرب العارب قبل إبراهيم المنظلا وكانت ثمود بعد عاد ومساكنهم مشهورة فيها بين الحجاز والشام إلى وادي القرى وما حوله، تفسير ابن كثير: ٣/ ١٨٩، ظ: قصص الانبياء: ١١٢.

⁽۲) الحاقة/ ٦- A.

⁽٣) ظ: تمثيلاً: الأعراف/ ٢٥- ٧٧، هود/ ٥٠- ٦٠، الشعراء/ ١٣٦- ١٣٩، فصلت/ ١٦- ١١، الاحقاف/ ٢١- ٢٦، الذاريات/ ٤١- ٤٤، النجم/ ٥٠، القمر/ ١٨- ٢١، الحاقة/ ٤، ٦-٨، على الاحقاف/ ٢١- ٢١، الذاريات/ ٢٦- ٢٩، هود/ ٢١- الترتيب القرآني قصة نبي الله هود التيلاّ مع قوم عاد، ظ: تمثيلاً: الاعراف/ ٧٣- ٩٠، هود/ ٢١- ١٨، الشعراء/ ١٤١- ١٥٨، النمل/ ٤٥- ٤٧، فصلت/ ١٧- ١٨، الذاريات/ ٤٣- ٤٥، النجم/ ١٥، القمر/ ٣٣- ٣١، الحاقة/ ٤- ٥، الفجر/ ٩، على الترتيب القرآني قصة نبي الله صالح طليمًا فوم ثمود.

لُهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ وَنَبِّنْهُمْ أَنَّ المَّاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْلَحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَ شِيمِ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ فَكَيْفُ كَانُ عَذَابِي وَنُذُرِ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَ شِيمِ المُحْتَظِرِ ﴿ (١).

أشار أبو طالب بايجاز الى ما فصله التعبير القرآني للقصتين معتمدا على معرفة المستمع المسلم تفاصيلها، وعلى معرفة المستمع المشرك الشكل العام لهما، ولهذا اوجز القول في هذا المعنى، وان الاستثمار لهاتين القصتين في شعره تبينان ان الأفكار التي تحكم اذهان قريش هي الأفكار نفسها التي تحكم اذهان قومي النبيين: هود وصالح المنافي حول رفض فكرة تمثيل النبوة بالبشر، ومواجهة النبي محمد المنافية بالكذب والافتراء، فلغة شعر أبي طالب في هذا المقام توجهت توجها: ترهيبيا يتحدد في موقف المشركين من معاداة رسول الله، وترغيبيا في الدعوة إلى الاستفادة من تاريخ الامم السابقة التي ورد ذكرها في التنزيل الحكيم، وبهذا كله توجهت لغة الأبيات إلى النصح والإرشاد والعظمة.

فقد وردت بعض الصفات القدسية التي تتعلق بالله تبارك وتقدس تبين عظمة جلالته، وتدل على ايهان الشاعر الصادق وحبه وتقديسه للذات الالهية بوصفه رب الناس، الله ليس بغافل، الها، رب العباد، رب المغارب والمشرق، رب الورى، الحق، الله وحده، الرب، الملك، ذو العرش، ربِّ قاهرٍ، الله ناصراً، الله اوحد، ربِّ،

⁽١) القمر/ ٢٣- ٣١.

مليك الناس، ليس له شريك، الوهاب، المبدي، المعيد، العزيز، ذو العزة (١٠). فهذه الصفات تقوم مقام اسم (الله) تبارك وتعالى، بيد أنَّ اسم الله مستولِ على الأسماء كلها وإليه تنسب الأسماء جميعها(١٠)، قال تعالى: ﴿ وَللهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بَهَا ... ﴾ (١٠).

وقد اقتضت طبيعة الموضوع الشعري والتزام أبي طالب بقضية نصرة رسول الله وحبه له، وإيانه بصدق قضيته، في كونه حامي حماة الإسلام، دفعه إلى ذكر صفات ابن أخيه نبي الهدى في مدائحه النبوية، فنجدها مسجلة في الديوان، ماثلة عبر أسمائه ونعوته، وهي: محمد، صاحب الله، أمين، النبي محمد، الرسول، رسول الملك، أحمد، رسول الله، المصطفى، خير من وطأ الترابا، ابيض يستسقى الغمام بوجهه، فلا زال في الدنيا جمالا لاهلها، يوالي الإله، حبيبا، مسوما بخاتم، برهانا عليه وهيبة، صادق القول، ابن عبد الله، لا يعاب لقوله كوحي الكتاب، يدعو الى الهدى، تنزل عليه من ذي العزة الكتب، أنف بني قصي، أمين الله، المتقي، المؤيد، وزير، إمام العالمين، مسوّد، رسول الاله ... إلى آخره (1).

⁽٢) ظ: الزينة في الكلمات الإسلامية العربية: ٢/ ١٢.

⁽٣) الأعراف/ ١٨٠.

وتقترب لغة أي طالب الشعرية من ألفاظ الحياة الإسلامية اليومية الجديدة من لغة المخاطبين، وهي مفردات تنحى منحى النصح والارشاد، والدعوة للدين الحنيف، والتحذير والانذار والتوعد، واعلان نصرته لمؤازرة رسول الله عَلَيْوَاللهُ والذود عنه، مفردات تتكرر في لغة شعره الإسلامي، فقد قرر اللغويون الى ان معاني إسلامية سميت بأسهاء كانت في الجاهلية لمعاني اخر مثل: المسلم، والمؤمن، والكافر، والصلاة، والسجود، والهدى، والتقوى والجهاد إلى آخره من المفردات التي لم تعرفها العرب قبل الإسلام بدلالتها الجديدة (())، وذكرها أبو طالب في شعره (()).

وهذه الحصيلة اللغوية في التحول الدلالي للالفاظ ناتجة من تأثر أبي طالب في ألفاظ الكتاب المجيد التي اعطاها التعبير القرآني سمة دينية متطورة لها اثرها في لغته الشعرية، فمن الألفاظ القديمة التي ارتدت حلة جديدة في ظل الحياة الإسلامية الجديدة ومتطلباتها، اللفظ المشتق من مادة «سجد» الذي ورد في شعر أبي طالب بدلالته القديمة والمتطورة.

⁽١) ظ: الزينة في الكلمات الإسلامية العربية: ١/ ١٤٠- ١٤٦، ١٤٦- ١٤٧، فقه اللغة وسنن العربية في كلامها: ٤٥، المزهر في علوم اللغة وانواعها: ١/ ٢٩٥.

فمها جاء في دلالته القديمة ما نتأمله في قصيدته الميمية التي تصف حال الراهب بحيرا عندما رأى احدى علامات النبوة في ابن أخيه فخر الراهب ساجدا له تصديقا به فقال أبو طالب:

إمن الطويل إمن الطويل عند رأسه شِبْهَ السجودِ وضَمَّهُ إلى نحرهِ والسصدرِ أيَّ ضُسمام (١)

والأصل في "سجد" تطلق على كل من طأطأ رأسه وانحنى "، وبهذه الدلالة القديمة قصد بها الشاعر الاحترام والتقديس لمكانة النبي المرتقب، ولا يخفى في البيت ان السجود يعني التعظيم لقدر النبي لما عرف الراهب بحيرا انه سوف يكون النبي المنتظر المبعوث اخر الزمان، فقد "كان من سنة التعظيم في ذلك الوقت ان يسجد للمعظم" "، قبل أن ينهي المشرع الإسلامي عن هذا الاداء، فلم يجوز السجود لغير الله تبارك وتقدس، فسجود الراهب سجود تعظيم لا سجود عبادة.

ثم تحولت دلالة «السجود» إلى دلالة تحمل معنى آخر، فالمسجد هو المكان الذي يؤدي فيه شعائر تعبدية، ومدح أبو طالب نبي الله محمد عَلَيْوَاللهُ، وفي مديحه تطرق إلى فخره بتولي بني هاشم منصبي: سقاية الحجيج وسدانة بيت الله الحرام: فقال:

⁽١) الديوان: ١٦٦ ،ظ: م.ن: ١٦٨.

⁽٢) ظ: مقاييس اللغة: ١سجدا.

⁽٣) لسان العرب: اسجده.

⁽٤) ظ: الديوان: ٣٣٣.

إمن مجزوء الكامل عن السيسقايّةُ لِلحَجي جِ بِهِ اللهُ المُنجُ المُن المُنجُ المُنجُ المُنجُ المُنجُ المُنامُ المُنجُ المُنامُ المُن

على الرغم من أن بيت الله الحرام كان يأمه الحجاج العرب جميعا؛ لاداء شعائرهم الدينية وان الصلاة لم تكن على الشكل الذي يمكن ان يتصور، كانت دلالة المسجد فيها بعد اطلقت على بيت الله الحرام، ومكان مصلى الجهاعات "، وعلى هذا يكون أبو طالب هنا قصد مكان التعبد لله تعالى والخضوع له، ولاسبها ان الصلاة فرضت في الحقبة التي عاشها و ركعتين ركعتين في العشي والا بكار " فيحتمل أنها كانت تؤدى هذه الشعيرة التعبدية في المسجد، ومن هنا فلفظ المسجد، ومن هنا فلفظ المسجد، دلالة متطورة لم تكن شائعة وقت ذاك.

ومن الألفاظ التي تحمل الدلالة القديمة والجديدة في شعر أبي طالب كلمة «شفع» في القصيدة الرائية التي أبَّنَ بها والده عبد المطلب، فذكر فضائله فيها، فقد كان وجيها عند الله مستجاب الدعاء''، فبشفاعته كان يستسقي أهل مكة أيام نضوب الماء، فمدح أبو طالب والده بهذه الفضيلة فقال:

{من الطويل}

أبونا شفيعُ الناسِ حتّى سُقوابِهِ من الغيثِ رَجّاسُ العَشِيِّ بكُورُ

⁽١) ظ: الديوان: ٣٣٣، يهاث: يذاب، العنجد: الزبيب.

⁽٢) ظ: لسان العرب: «سجد».

⁽٣) ظ: السيرة النبوية لابن هشام (الهامش): ٢٤٣١- ٢٤٤.

⁽٤) ظ: الديوان: ١٤٩.

ونُحنُ سنينَ المَحْل قامَ شَفيعُنا بمكَّة يسدعو والمياهُ تَغُسورُ (١)

فالأصل في لفظ «الشَّفْع» خلاف الوتر، ويقال شفع فلان لفلان اذا جاء ثانية ملتمسا مطلبه ومعينا له (٢)، وقد تكون «الشفاعة: كلام الشفيع للملك في حاجة يسألها لغيره» (٣)، وقد كان عبد المطلب حاكم مكة ورئيسها، ومن الموحدين وله منزلة عظيمة عند الله تعالى، ولذلك كان يسأله أهل مكة أيام المحل في نزول المطر عليهم.

ثم تحولت دلالة لفظ السفاعة في العهد النبوي إلى دلالة أخرى مستمدة معناها من الخطاب القرآن (")، فالنبي محمد عَلَيْقَ الشفيع عند الله يوم يقوم الحساب، فيسأل الله الغفور التجاوز عن ذنوب عباده (")، فالجديد في لفظ الشفاعة ان رسول الله عَلَيْقَ يكون شفيعا لأمته في الدنيا والاخرة، وإلى هذا المعنى الجديد تمنى أبو طالب أن يشفع له ابن أخيه يوم المحشر فقال:

{من الطويل}

أتراهُ يسفعُ لي ويسرحمُ عسبرتي؟ هيهساتَ إنّي لا محالسةَ راهستُ (١)

ولا يخفى من دلالة جديدة في طلب رسول الله محمد عَلَيْكِاللهُ الشفاعة لأمته يـوم الحساب، وهذه الدلالة الجديـدة المستمدة مـن التنزيـل الحكـيم غـير معروفـة عنـد

⁽١) ظ: الديوان : ١٤٩، غيث رجاس: ذو رعد شديد وصوت، بكور: مُبكِّر في وقته.

⁽٢) ظ: مقاييس اللغة: ﴿شفع الله البلاغة: ﴿شفع الله عَالَمُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَّمُ اللَّهُ عَالَمُ اللَّهُ عَلَّمُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ عَلِيكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُمْ عِلْمُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُلِّكُ عَلَيْكُ عَلْكُ عَلَيْكُ عَلْكُ عَلَيْكُ عَلْمُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلْمُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلْكُ عَلَيْكُ عَلْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلْكُ عَلْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلْكُ عَلَيْكُ عَلْكُ عَلْكُ عَلْكُ عَلْكُلْكُ عَلْكُ عَلْكُلْكُ عَلْكُ عَلْكُ عَلْكُلْعِلْكُ عَلْكُ عَلْكُ عَلْكُ عَلْكُلْكُ عَلَيْكُ عَلْكُ عَلْكُ عَلْكُ عَل

⁽٣) لسان العرب: ١ شفع ١.

⁽٤) ظ: يونس/ ٣، مريم/ ٨٧، طه/ ١٠٩، الأنبياء/ ٢٨.

⁽٥) ظ: تفسير ابن كثير: ٤/ ٥٣٩، ٥/ ٥٤٩.

⁽٦) الديوان: ٣٤٠.

الشعراء الموحدين قبل الإسلام (١).

ومن الألفاظ الجديدة غير المعهودة في الاستعمال اللغوي عند العرب التي أوجدها الإسلام^(۱)، لفظ الإسلام: وتعني دلالة اصل المادة اللغوية «سَلِم»: براءة الناس من العاهة والاذى^(۱)، ثم انتقلت دلالة الاسم المشتق منه «الإسلام» الى الانقياد والخضوع لاوامر الشريعة الإسلامية والزام اتباعها⁽¹⁾.

وقد تعارف الناس عليه بوصفه لفظا دينيا إسلاميا معروفا ومتداولا في عهد النبوة، فاطلق اسم الإسلام على الدين الجديد الذي اتى به النبي محمد عليه وذكره التعبير القرآني واستعمله أبو طالب في شعره، فورد الاسم «مسلم» (۱) والفعل «اسلموا» (۱) و إسلام» مضاف الى النبي، فقال أبو طالب في الذود عن النبي عليه والطويل } (من الطويل)

نفارقه حتّى نُقَتَّ لَ حوله أَ وما نالَ إسلام النبيِّ المُقَرَّب (١٠)

⁽۱) أمثال زهير بن أبي سلمى، وزيد بن عمرو بن نُفيل، وورقة بن نوفل، ظ: شرح ديوان زهير ابن ابي سلمى، زيد بن عمرو بن نفيل حياته وما تبقى من شعره، ورقة بن نوفل حياته وشعره.

⁽٢) ظ: الزينة في الكلمات الإسلامية العربية: ١٤٠/١، فقه اللغة وسنن العربية في كلامها: ٤٥، المزهر في علوم اللغة وانواعها: ١/ ٢٩٥.

⁽٣) ظ: مقاييس اللغة: «سَلِم»، اساس البلاغة: «سَلِم».

⁽٤) ظ: لسان العرب: اسَلِما.

⁽٥) ظ: الانعام/ ١٢٥ ، الزمر/ ٢٢.

⁽٦) الديوان: ٢٥٤.

⁽٧) م.ن: ٥٥٢.

⁽٨) الديوان : ٢٣٠.

والمؤمن من الالفاظ الإسلامية التي تحمل دلالة جديدة غير معروفة عند العرب قبل الإسلام، «وان العرب انها عرفت المؤمن من الامان والايهان وهو التصديق، ثم زادت الشريعة شرائط واوصافا سمي المؤمن بالاطلاق مؤمنا» (" ومن شرائط الايهان واوصافه «اظهار الخضوع والقبول للشريعة ولما اتبي بعد النبي عَلَيْهِ الله واعتقاده وتصديقه بالقلب، فمن كان على هذه الصفة فهو مؤمن» (").

وبهذه الدلالة الإسلامية الجديدة المستلهمة من الكتاب المجيد (" استعملها أبو طالب في شعره بصيغ متعددة فمن المادة «أمِنَ» اشتق الاسم:

«الايمان» "، و «الامين» (ه، و «المؤمن» (ه، والفعل «آمن» (ه، و «آمنوا» (ه، و «آمنوا» (ه، و «آمنوا» (ه، و «تؤمنون» (ه، فقال في قصيدته اللامية في وصف مناصري رسول الله عَلَيْوَالله من بنى هاشم:

factorial to the state of the

⁽١) فقه اللغة وسنن العرب في كلامها: ٤٥.

⁽٢) لسان العرب: مادة «أمِنَ».

⁽٣) ظ: الانعام/ ١٥٨، الأعراف/ ٧٥، إبراهيم/ ١١، النحل/ ١٠٦، طه/ ١١، الانبياء/ ٩٤، غافر/ ١٠، الشوري/ ٥٢، الطور/ ٢١.

⁽٤) الديوان: ٢١٥.

⁽۵) م.ن: ۱۵۱، ۱۲۱، ۱۸۱، ۱۸۱، ۲۶۲، ۲۲۳.

⁽٢) م.ن: ١٦٠، ٣٥٢.

⁽۷) م.ن: ۲۳٤.

⁽۸) م.ن: ۲۶۱.

⁽٩) م.ن: ٤٤٣.

بأيانِ شُـمَّ مـن ذؤابةِ هاشم مغاويرَ بالأبطالِ في كلِّ جَحْفَ لِ(١)

إنَّ لغة أبي طالب الشعرية التي نظم القصائد فيها بروح الإسلام الناتجة من تأثره في التعابير القرآنية، ابرزت ظاهرة أدبية ولغوية بالغة الأهمية في التحول الدلالي للألفاظ التي استحدثت فيها للألفاظ التي استحدثت فيها تطورات في المستويات جميعها، ومنها اللغة الشعرية.

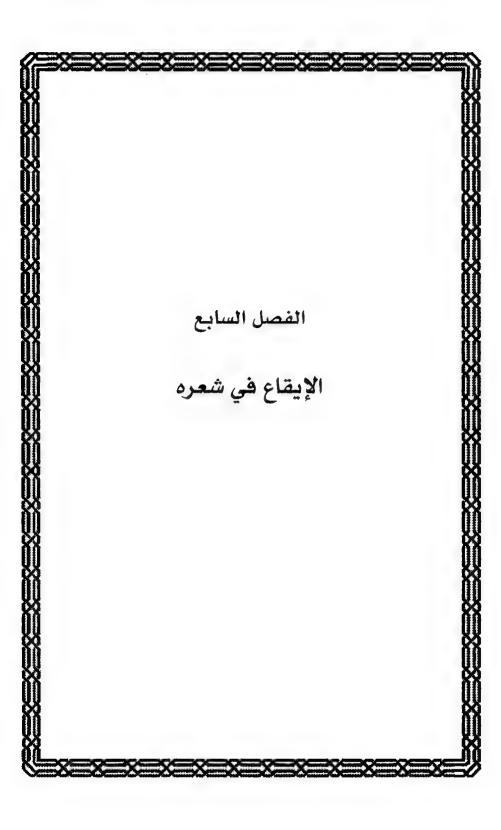
وفي ضوء ما تقدم يتبين: أنَّ لغة شعر أبي طالب جاءت استجابة لشمولية الحياة، واتساع ميدان الشعر بالوانه المختلفة المتمثلة بمرحلتين قبل الإسلام، وبعده، فغلب على شعره السهولة والوضوح والسلاسة المتناسبة مع طبيعة حياة المدينة التي يحياها الشاعر البعيدة عن حوشي الكلام، والغريب، والصنعة، والقريبة من لغة الحياة الإسلامية اليومية الجديدة، وذلك لان موضوعات شعره تنطوي على اهداف تدعو إلى قيم اجتهاعية ودينية وعاطفية، ولهذا كله برزت السهولة والوضوح ليس في الالفاظ فحسب؛ وانها في الصياغة والاساليب الظاهرة في الخطاب الشعري المنسجم مع التوجيه والوعظ والحث والتحذير والتهديد إلى آخره.

ورفد شعر أبي طالب بالفاظ ومعاني مستمدة من النص القرآني في قصائد سهلة الاسلوب متقاربة المعاني تبرز فيها ظاهرة التأثر بالدين الحنيف الذي يفصح عنها سياق النص الشعري، واخذت بعض مفردات أبي طالب الشعرية بعدا جديدا في تحولها الدلالي المستوحى من الذكر الحكيم المعجز ومن تطور الحياة الإسلامية،

⁽١) الديوان: ٢١٥.

فازدهرت ألفاظه بدلالتها المتغيرة في قصائده الإسلامية بـشكل واسع توضح من خلالها ما يحويه المعجم الشعري الإسلامي من الفاظ وظفت توظيف حيا في شعره قبل غيره من شعراء الإسلام بحكم مواكبته للحقبة المبكرة لظهور الإسلام.





مفتتح الفصل اللغة الإيقاعية

إنَّ لغة الشعر لغة موسيقية زاخرة بالنغم الذي يعد جزءاً من مكوناتها المتآزرة مع التعبير اللغوي، فالألفاظ تتواكب في وحدات ترنيمية ملحنة في سياق إيقاعي يعمل على اشباع رغبات وحاجات وجدانية عميقة تجذب الآخرين إليه، والأبيات الشعرية تتعاقب وتشع منها أصوات موسيقية تطرب لها الأذن، وصدور الأبيات في عدد وحداتها الصوتية متساوقة مع اعجازها في عدد وحداتها الصوتية بطريقة مرتبة، اما المقطع الصوتي المتمثل بالقافية، فهو القرار الأخير لنغم البيت.

ومن هذا كله تتكون عملية بناء هيكل هندسة القصيدة العربية من الوزن والقافية التي يحتويها البيت، ويتمثل الإيقاع فيها بضربات منظمة ومتناسقة لوزن التفعيلة الداخلية ذات الذبذبات المتوافقة لانفعالات الشاعر التي يمر بها وهو يقوم ببناء فكرته بانتقاء ألفاظ دقيقة تعبر عن مشاعره واحاسيسه وخلجاته المتوائمة مع موسيقى الألفاظ والمتشكلة مع الأبيات الأخرى، فتقوم الموسيقى التعبيرية الشعرية «بدور المساعد للعبارة اللغوية على تحقيق الغاية من التأثير ونقل المشاعر

والاحاسيس»⁽¹⁾ بطريقة موحية إلى المتلقي، فالإيقاع بناء كيان متلاحم متكامل يقوم على جمع صياغة الألفاظ والعبارات المتلونة بالايجاء النفسي من ارتفاع وانخفاض، فيصدر لحنا فنيا متناسقا له اثره الخلاب في شد المتلقي بسبب تدفقات النغم الشعري المتولد من الترانيم الملحنة المتساوقة مع موقف الحياة، والمصور للشعور والاحساس منظمة في عمل فني متقن.

على اننا لا نغفل عن أن اختيار الشاعر الموسيقى من الوزن والقافية يبقى اختيارا عفويا منضبطا مبنيا على ما يمتلكه من خزين ثقافي يتيح له تلك الاختيارات التلقائية، وإحساس الشاعر بها لحظة انجاز عمله الابداعي الشعري تعتمده الأذن الموسيقية في اختيارها، ومقتضى طبيعة التجربة الشعرية.

أولاً: الوزن:

الوزن: هو تردد الوحدات الصوتية المتشكلة في التفعيلة التي يرمز لها بالمتحرك والساكن (/ ٥)، وتمنح التفعلية القصيدة جمال نظام هيكلها في كل بيت من أبياتها المتكررة، ويعزف الشاعر على اوتار أصوات انغام التفعيلة في البناء الصوتي الداخلي للقصيدة في الحروف المتناغمة والمؤلفة بوسائل فنية محاولة منه لتطبيق هندسة عقلية متولدة من انفعالاته المحدودة بقالب الوزن الذي تصدح منه حدَّة نبرته الصوتية، فتكاد تعلو على الوزن العروضي، ولا ندركها إلا بقراءة الشعر بصورة مسموعة، فهو إيقاع باطني سحري يستوعب تجربته الشاعر ايا كان نوعها، وفي الوقت نفسه تكون تفعيلة الوزن خاضعة لسيطرته فتنتظم بأنغام موسيقية محكمة

⁽١) قضايا النقد الأدبي: ١٦٩.

الترتيب في البيت تستثير عناية المتلقى بهذا النظام المتناسق للجمل الموسيقية

وتعد أوزان الشعر الستة عشر الذي ضمها السعر العربي في قوالب هيكلية شعرية بحرا دافقا يغترف منه الشاعر ما يريده بحسب التصاق تجربته الشعرية، ليمنحها ذاتها الفنية، ولايخفى أن انتقاء الشاعر هذا البحر الشعري، أو ذلك يأي بصورة عفوية؛ لأن الشاعر القديم لا يعرف طبيعة البحور؛ وأوزانها وقوافيها، لأن ملاذه في هذه العملية الاختيارية الموهبة الشعرية الفطرية، والأذن الموسيقية (۱)، وانتقى أبو طالب من الدوائر الوهمية لأوزان الشعر العربي بفطرته ما يتلاءم مع عاطفته وحالته الشعورية والنفسية المستوعبة لتجربته الآنية وذوقه الفطري الذي ينأى عن تحديد الإيقاع، والقوالب التي تنظم الشعر، وكها هو مبين في الجدول رقم (۱) بحسب الكم.

⁽١) ظ: ميزان الذهب في صناعة شعرالعرب: ٤.

جدول احصائي رقم. (١) لعدد الأوزان، وعدد القصائد، والمقطوعات، والاراجيز، والنسبة المنوية

النسبة المئوية	عدد القصائد والمقطوعات	البحر	التسلسل
٤٢ /٨٥	80	الطويل	١
18/47	10	الكامل	۲
9/07	١.	البسيط	٣
9/04	1.	الرجز	٤
٧/٦١	٨	الوافو	٥
0/٧1	٦	المتقارب	٦
0/٧1	٦	الخفيف	٧
١/٩٠	۲	السريع	٨
• /90	١	الرمل	٩
• /٩٥	1	المنسرح	١.
	1.0	المجموع	

أفرز الاحصاء نتائج استثمار أبي طالب لبحور الشعر العربي، فقد نظم في أكثرها بمختلف فنونه الشعرية الدالة على جودة طبعه وقوته، فإحساسه الفني الدقيق دفعه إلى براعة النظم بها، فكان من نتاج هذا الامر تنوع الإيقاع بمختلف طبقاته ونغماته الموسيقية التي اتاحت له اثراء تجاربه الشعرية المتباينة والمتواثمة مع الألفاظ ضمن تراكيبها السياقية التي احتوتها الاطر الفنية بجمل موسيقية تتدفق

منها انفعالات نفسية بالوان مختلفة، وقد احتل البحر الطويل الصدارة في نظم قصائد أي طالب ومقطوعاته الشعرية، فبلغت نسبتها (٨٥، ٤٢ ٪) من بقية البحور المستعملة، وبحر الطويل بحر شائع، فقد نظم فيه ما يقارب ثلث الشعر العربي("، ويعود ذلك إلى أنه ينهاز بانه ذو «بهاء وقوة» (") في ذبذباته الموسيقية، وذو امكانات متسعة تتيح للشاعر ان ينظم في شتى الموضوعات التي تحتاج الى طول النفس؛ لأنّه سخي النغم يضم ثهانية واربعين صوتا، يعطي الشاعر الحرية في التصرف بالتعبير عها يجول في ذهنه بهذا القالب الإيقاعي، واستثمر أبو طالب البحر الطويل الذي منح إحساساً موسيقياً للقصيدة المتظافرة مع عناصر المحتوى: الألفاظ والتراكيب التي تكون الشكل، والمتلاحمة مع عناصر الصورة: المعاني والافكار التي تكون المضمون، فمنحت الامكانات الفنية في تشكيل إيقاع مكثف، وهو يتوقد فيه صوت الفخر، والحهاسة، والعتاب، والرثاء، والمديح وموضوعات أُخرى تتعلق بالنصرة الى اخره (".

ويحتل البحر الكامل المرتبة الثانية في ترتيب القصائد والمقطوعات في شعر أبي طالب، اذ بلغت نسبته (٢٨، ١٤٪) وللبحر الكامل «جزالة وحسن اطراد» (" في نغهاته الإيقاعية المنسابة بدفق، لابانة مواقف الحياة التي يمر أبو طالب بها موجها

⁽١) ظ:موسيقي الشعر (انيس): ٩٥.

⁽٢) منهاج البلغاء وسراج الادباء: ٢٦٩.

⁽٤) منهاج البلغاء وسراج الادباء: ٢٦٩.

وناصحا، أو باديا لرأى في قضية معينة (١) .

واحتلت الأبحر «البسيط، والرجز، والوافر، والمتقارب، والخفيف، والسريع، والرمل، والمنسرح» المرتبة الثالثة، فقد بلغت نسبتها (٩،٥٢٪) ولكل بحر منها مزاياه الخاصة حيث يعزف الشاعر انغام تجربته الشعرية المصورة للنسيج اللغوي في موجات صوتية هادئة، أو عالية تبعا لتلون انفعالاته الخاصة بظرفها الذي يعتري الشاعر ساعة نظم ابداع عمله الشعري، وقد انتقينا من هذه المجموعة للابحر الشعرية، البحرين: الرجز والمنسرح، فالرجز هو الذي يرتجل ارتجالا مباشرا في مواقف الحياة اليومية وملابستها المختلفة (٣)، ويبدو أن هذا اللون من الإيقاع يتناسب مع مناسبات الحياة المتباينة لتوافر النغم المقترن بالجمل الموسيقية التي تشكل التفعيلة المتدفقة باثر انفعالات الساعر المصورة للحركة الدائبة للحياة في تلوين اجزائه، وصقل محتوياته، واثرائه بالصور في محاكاة الاحداث اليومية.

وقدم أبو طالب انجازا صعبا في استعاله البحر المنسرح الذي «عليه بعض اضطراب وتقلقل، وإن كان الكلام فيه جزلا» (" فتفعيلاته مركبة، فقد استوعب بحر المنسرح تجربة الشاعر في بث ما ينشده في عرض موضوعه من الحث على النصرة وتهديد الخصم وتوعيده (4).

٣٤٠، ٣٤٠، المستدرك في ملحق الاطروحة نفسها الرقبان (٥،٦).

⁽۱) ظ: الديوان: ۸۷، ۹۸، ۱۰۱، ۱۳۰ - ۱۳۱، ۱۲۲ - ۱۲۰، ۱۷۰، ۱۸۲، ۱۸۸، ۲۰۹، ۲۳۳،

⁽٢) ظ: المديوان: ١٠٢- ١٠٢، ٣٣٩، ٣٣٠، ٣٣٤، ٣٣٨، المديوان (التسونجي): ٢٥، وشمعر أبي طالب وأخباره (مؤسسة البعثة): ٨٩، والمستدرك في الاطروحة نفسها الارقام (١،٢،١).

⁽٣) منهاج البلغاء وسراج الادباء: ٢٦٨.

⁽٤) ظ: الديوان: ١٧١ - ١٧٢.

ونأى أبو طالب عن استعمال البحور: المضارع والمقتضب والمجتث والمتدارك، فلم ينظم فيها، وهي من البحور المهملة، لم يقل بها الشعراء القدامى (،) وبهذا كله ارتسم أبو طالب طريقا موازيا لشعراء قبله ومعاصريه، فلم يخرج على المعايير الوزنية لموسيقى الشعر العربي، وانتقاء أبي طالب هذا الوزن أو ذاك كان بدافع الحال الشعورية التي حددت اختيار الوزن في احداث الفعل المؤثر ليصل الى العقول والقلوب على السواء، وهذا لا يتم إلا إذا كان الإيقاع على درجة قوية من التأثير والنفاذ وهو يحشد فيه كثيراً من التفاصيل والجزئيات في استثمار التلون الصوي المؤثر والتصوير الفني الدقيق ومكونات اللغة الفنية التي تستلزم الاتقان المتأنى إلى جانب صدق العاطفة وقوتها المنسكبة في بنية الإيقاع.

• ثانيا: القافية:

هي الجزء المكمل لإيقاع البيت الشعري، وهي الدفقة التي تمنحه وظيفة جمالية بترديدها في آخر الأبيات بوصفها اخر مظهر من مظاهر الإيقاع في البيت الشعري إذ يصل الإيقاع إلى مداه فيها بها توفره من انسجام صوتي بين حروفها تلك الحروف التي يشكل الروي والردف والتأسيس أبرز مظاهرها، فتشترك مع إيقاع البيت وتتجاوب معه في النسق العام، والإيقاع الشعري لا يمكن أن يحصر الشحنات الوجدانية للشاعر ما لم تتفق القافية معه، فهما المنظمان لانفعالاته ولاسيما القافية، بيد أثم لا تحول دون انطلاق الاحاسيس والعواطف ضمن المعاني والافكار التي تنتظمها، والألفاظ والتراكيب الفنية عندما تتشكل مقومات العمل الشعري، أو تقيدها، وانها هي الضابط الذي يحصر الشاعر ساعيا في تنظيم المكونات الشعرية إلى

⁽١) ظ: موسيقي الشعر العربي (عياد): ١٧.

آخر وحدة موسيقية في البيت، ثم يعود لتنظيمها، في البيت الآي بعده وهلم جرّا؛ لأن هذه المقومات الشعرية ممتدة إلى آخر القصيدة، أو المقطوعة بنظام فني متلاحم ينساق الشاعر وراءه ليشكل خطا لابداعه الشعري لا خيار له في سواه.

ومن هنا طبعت القافية بطابع الدلالة والنغم في بناء العمل الشعري^(۱)، فترديد موسيقى القافية في نهاية العمل الابداعي الشعري تمنح قوة للإيقاع وتخلق شعورا ذا وقع طيب في أذن السامع إذا كان المعنى المطروق في البيت يدل عليه، وبخلافه إذا كان المعنى ينبو عن ذوق السامع^(۱).

ومن أبرز مظاهر القافية واوضحها حرف الروي، و«هو النبرة أو النغمة التي ينتهي بها البيت ويلتزم الشاعر تكراره في أبيات القصيدة؛ ليكون الرباط بين هذه الأبيات يساعد على حبكة القصيدة وتكوين وحدتها، وموقعه اخر البيت وإليه تنسب القصيدة» "، أي أنه تردد صوتي واحد في أواخر الأبيات ذو جرس موسيقي ناشيء من انفعال الشاعر ساعة ابداع عمله الشعري، يحدث رنينا موسيقيا متناغها يشد انتباه السامع اليه، ويثبته في ذهنه عند قراءة القصيدة بصوت مسموع، فهو أهم عناصر مقومات الأصوات في القافية، فلولا وجوده لعمت الفوضى والاضطراب والتبعثر والتشتت في نظام بناء القصيدة.

⁽۱) ظ: عيار الشعر: ٥، كتاب الصناعتين: ١٥٧، ١٦٠، منهاج البلغاء وسراج الادباء: ٢٧٥ - ٢٧٦، تنبه النقاد العرب القدامي إلى الوشيجة الوثيقة في ارتباط بناء القصيدة بالقافية على المستويين المعنى والمبنى.

⁽٢) ظ: لزوم ما لايلزم (المقدمة): ١/ ٣٧.

⁽٣) شرح تحفة الخليل: ٣٠٧.

استثمر أبو طالب اربعة عشر حرفا من حروف المعجم العربي خدمة للقافية بوصفها قيمة تعبيرية موسيقية يرمز لها بالصوت كما مبين في الجدول الاحصائي رقم(٢) بحسب الكم.

جدول احصائي رقم (٢) لحرف الروي، وعدد القصائد، والمقطوعات، والاراجيز، والنسبة المنوية

النسبة المئوية	عدد القصائد والمقطوعات والاراجيز	حرف الروي	التسلسل
17/19	١٧	الباء	1
17/19	١٧	الدال	۲
18/47	١٥	الراء	٣
18/47	١٥	اللام	٤
18/71	10	الميم	٥
٥/٧١	٦	القاف	٦
٤/٧٦	٥	الفاء	٧
٣/٨٠	٤	النون	٨
۲ /۸٥	٣	الثاء	٩
۲ /۸۰	٣	السين	١.
1/4.	۲	الهاء	11
./90	١	الجيم	١٢
• /90	\	الحاء	١٣
• /90	1	العين	18
	1.0	المجموع	

وأفرزت نتائج الاحصاء استعمال أبي طالب لحروف الروي التي يمكن تصنيفها إلى صنفين: الأول: يضم حروف الروي: «الباء، والدال، والراء، واللام، والميم»، ويحتل نسبة عالية في شعره، والثاني: يضم حروف الروي: «القاف، والفاء، والنون، والتاء، والسين، والهاء، والجيم، والحاء، والعين»، ويحتل نسبة متوسطة، أو قليلة في شعره.

وعند موازنة هذين الصنفين بالإحصاء التقريبي لاحد الدارسين للشعر العربي⁽¹⁾ يتبين أن الصنف الأول من حروف الروي التي وظفها أبو طالب في شعره تحتل الصدارة في نظم الشعراء، اما الصنف الثاني منها، فهو متوسط الاستعمال، أو قليل في نظم الشعراء.

ومن هنا نتوصل إلى أنَّ أبا طالب درج على منهج سابقيه من السعواء، ومعاصريه في البناء الصوتي لحروف الروي في نظام القصيدة، أو المقطوعة، أو الارجوزة، فهو متمكن من صناعته الشعرية بها يمتلك من امكانات عالية وواسعة تؤهله لانجاز عمله الفني، ومتمتعاً بهادة لغوية كثيفة تمكنه من التصرف بها كيفها شاء، وأنى شاء في أفانين الكلام بأية وسيلة يختارها من دون ان يشعر بعوائق القافية الموحدة في جميع أبيات العمل الشعري، ولاسيها وهو يطيل في أراجيزه التي تدل على طول نفسه الشعري.

ولهذا كله أتاحت حروف الروي للشاعر التنوع في استعمالها بحسب التجارب التي عالجت موضوعاته الشعرية.

قسمت أصوات حروف الروي في شعر أبي طالب بحسب اهميتها في ضوء

⁽١) ظ: موسيقي الشعر (انيس): ٢٤٨.

شدتها إلى: أصوات متوسطة أو مائعة (۱) ، فاظهرت نتائج الاحصاء إلى شيوع حروف الروي: «الراء، والعين ، واللام، والميم، والنون» في شعر أبي طالب من بين الأصوات المرتبطة بالبناء الموسيقي، فقد بلغ تردد مجموعها في الاستعمال خسين مرة، أي بنسبة المرتبطة بالبناء الموسيقي، فقد بلغ تردد مجموعها والاراجيز، فاحتلت الصدارة في استعمال حرف الروى.

وحروف الروي: «الراء، واللام، والميم، والنون» من حروف الذلاقة، فمن خصائصها قدرتها على الانطلاق من دون تعثر في تلفظها، ولمرونتها وسهولة النطق بها «كثرة في ابنية الكلام» (")، ومما يسوغ كثرة استعالها انها من الأصوات المجهورة (")، «اذ لولا ذلك لفقدت اللغة اهم عنصر فيها وهو تنغيمها وموسيقيتها ورنينها الخاص الذي يميز به الكلام من الصمت» (") وهذا الأمر يفسر وجود الائتلاف بين هذه الأصوات وطبيعة التكوين الشعري، أو التجارب الشعرية المعبر عنها، وارتباطها بالفاصلة الموسيقية للقافية المتلاحة مع الحال النفسية للشاعر وهو يعزف على انغام بنائه الموسيقي في الموضوعات: الرثاء والنصرة والعتاب والفخر

(٢) العن: ١/ ٨٥.

⁽۱) من خصائصها ان الهواء ينساب بين اعضاء النطق عند التلفظ بها، فهي ليست من الأصوات الانفجارية ولا من الاحتكاكية الرخوة، وهي اللام والنون والميم والراء، ويضيف اللغويون

المحدثون صوت العين إليها، ظ: الأصوات اللغوية: ٢٤- ٢٥، فقه اللغة العربية: ٤٥٠- ٥٥٠.

⁽٣) الأصوات المجهورة: اهي تلك الأصوات التي تنقبض ـ عند النطق بها ـ فتحتة المزمار، فيقترب الوتران الصوتيان أحدهما من الآخر... هي: أ، ب، ج، د، ذ، ر، ز، ض، ظ،غ ، ل، م، ن، ي ، و»، فقه اللغة العربية: ٤١، ٤٠ ظ: الأصوات اللغوية: ٢٠، فقه اللغة وخصائص العربية: ٥٠.

⁽٤) فقه اللغة العربية: ٢٤٤.

والحماسة والتعريض والمعاناة الذاتية (التي تحتاج إلى النغم والرنين العاليين لتشكل جزءا من الوحدة الموسيقية الشعرية التي يتوقع السامع تكرارها، وهي أصوات ذات قيمة تعبيرية تحقق التأثير المطلوب في السامع، ومنها ما قاله أبو طالب في شأن الرهط الذين نقضوا الصحيفة في مديحه لهم:

(من المتقارب)

سَسقى اللهُ رَهطاً هُمُ بِالحُجونِ قَصَوا مِا قَصَوا فِي دُجى لَيلِهِم قَصَوا فِي دُجى لَيلِهِم بَهاليالُ غُرِّرُ هُمُ مُ سورةٌ مَهاليالُ غُرِيهِ المُقاولِ عِندَ الحُجو وَكَالِمُ مُنْ المُحَدِي رَجُها مُرشِد آمرهُ لَله المُحدى رَجُها مُرشِد آمرهُ فَلَالولا عِنداري نَشا سُبيَة فَلَا ولا عِنداري نَشا سُبيَة وَرَهبَدة عسادٍ عَسلى أُسرَني لَنابَعنُ مَا مُحَدَي مُريَدة قَسلي عَسلى أُسرَني كَتَابَعنُ مَا فُري مِريَدة قَسلي عَسلى أُسرَني كَتَابَعنُ مَا فُري مِريَدة قَسلي اللهُ المُحَدِيد المُحَدِيد المُحَدِيد اللهُ المُحَدِيدُ المُحَدِيدُ المُحَدِيدُ المُحَدِيدُ المُحَدِيد المُحَدِيد المُحَدِيد المُحَدِيد المُحَدِيد المُحَدِيدُ المُحَدِيدُ المُحَدِيدُ المُحَدِيدُ المُحَدِيدُ المُحَدِيدُ المُحَدِيدُ المُحَدِيدُ المُحَدِيدُ المُحَدَّد المُحَدِيدُ المُحْدِيدُ المُحَدِيدُ المُحْدِيدُ المُحَدِيدُ المُحَدِيدُ المُحْدِيدُ المُح

منح الشاعر حرف الروي «الميم» قيمة موسيقية ضمن الوحدة الإيقاعية

 ⁽۲) الديوان: ٩٣ – ٩٤، البهاليل: السيد الجامع لكل خير، السّورة: السطوة، المقاول: مفردها مِقول:
 وهو الملك في اليمن.

الكامنة لدلالة الانغلاق في الوحدات التعبيرية اللغوية «النوم، لايعلم، المجرم، أعظم، يستعصم، المفعم، الموسم، المحرم، المأثم».

وصوت «الميم» مجهور فطريقة التلفظ به تتراوح بين انتضام الشفتين وانفراجها التي تتناسب مع حالات انغلاق النوم والعلم والاجرام، والتعظيم والاستعصام إلى آخره، التي استقصيت تجربة الشاعر الفنية.

ووظف أبو طالب الأصوات الشديدة «الانفجارية» (أ) ومنها «الباء، والتاء، والجيم، والدال، والقاف» في ثلاث وأربعين قصيدة ومقطوعة وارجوزة، أي بنسبة (٩٠،٩٥٪) عالجت موضوعات: الرثاء والنصرة والمديح، والعتاب، والتحذير والنصيحة (أ)، وقد نجح أبو طالب في خلق تجربة شعرية معادلة لتجربته الحياتية، وهو يقف سدا منيعا بوجه المعارضين لدعوة ابن أخيه عليه أنه أ، وينذرهم عاقبة عداوتهم منتقيا حرف الروي المنساب مع البحر الطويل المستعمل، فحرف الروي النساب مع البحر الطويل المستعمل، فحرف الروي «الباء» غني بالرئين لمزاياه التي يتمتع بها في أنه شديد الانفجار يجد الشاعر فيه متنفسا للموقف النفسي العنيف في الحال التي يرغب فيها ايصال صوته إلى بطون بني لؤي بن غالب، فقال:

⁽١) وهي عند النطق بها «يضيق معها مجرى النفس» الأصوات اللغوية: ٢٣، والأصوات الشديدة هي: «الهمزة، والقاف، والكاف، والجيم، والطاء، والتاء، والدال، والباء» الكتاب: ٤/ ٤٣٤.

لُؤيِّساً وَخُسِصًا مِسن لُسؤَيٌّ بَنسى كَعسب نَبِيًّا كَموسى خُطَّ في أَوَّلِ الكُنب وَلا خَسِيرَ عِنسَ خَسصَّهُ اللهُ بِالْحُسبِ لَكُم كَائِنٌ نَحِساً كَراغِيَةِ السَّقب وَيُصبح مَن لَم يَجن ذَنباً كَذي الذَّنب أُواصِرَنا بَعدَ المَسوَدَّةِ وَالفُرب أَمَـرٌ عَـلى مَـن ذاقَـهُ حَلَـبُ الحَـرب لِعَـزّاءَ مِـن نَكْـب الزّمـانِ وَلا كَـرب وَأَسِدِ أُنِسرَّت بِالقُسساسيَّةِ السشُهب به وَالنُّسورُ الطُّهُم يَعكُفنَ كَالسُّرب وَمَعمَعَةَ الأَبطِالِ مَعرَكَةُ الحَسرب وَأُوصى بَنيهِ بالطِعسانِ وَبالسفَّرب وَلا نَــشتكي ممــا نلاقــي مِــنَ النكــب إذا طارَ أرواحُ الكُاإةِ مِنَ الرُعب (١)

أَلا أَبِلِغَا عَنَّى عَلَى ذَاتِ بَينِنا أَلَمْ تَعلَم وا أَنْ اوَجَ دنا مُحَمَّداً وَأَنَّ عَلَيهِ فِي العِبِادِ مَعَبِّهِ وأنَّ الَّـــذي نَمَّفُـــتُم في كِتـــابكُم أَفِيقَ وا أَفِيقَ وا قَبِلَ أَنْ يُحِفَ رَ الثَّرى وَلا تَتَبَعدوا أَمدر الغُدواةِ وَتَقطَعدوا وَتُـستَجلِبوا حَرباً عَواناً وَرُبِّها فَلَـــنا _وبيــتِ اللهَّ _نُـــلِمُ أَحَــداً وَلَّا تَسبن مِنْسا وَمِسنكُم سَسوالِفٌ بمُعارَد ضَانك تُارى كاسرُ القَنا كَانَّ مُجَالَ الخيال في حجراتيه ألَـيسَ أبونا هاشِـمٌ شَـدً أَزرَهُ وَكَ سِنا نَمَ لَ الحَربَ حَتَّى ثَمَلُّنا وَلَكِنَّنَا أَهِلُ الْحَفْانِظِ وَالنُّهِي

ورد حرف الروي «الباء» في القافية منساقا في خدمة البناء الموسيقي للقصيدة المطبوعة بطابع انفعال الشاعر المتلون، وهو يبلِّغ ويحذر ويهدد ويتوعد ويفخر، فعند النطق به تنطبق الشفتان انطباقا محكماً، وبعد انفصالها فجائيا ينفجر النفس المحبوس

⁽۱) الديوان: ۲۱۱ - ۲۱۳، الراغية: الناقة التي ترسل رغاءها، السقب: ولـ د الناقـة، الكماة: الابطال المدجون بالسلاح.

محدثا صوتا انفجاريا مدويا^(۱)، وهذه الأمر يتفق مع طبيعة تجربة الشاعر الآنية، وهو ازاء تحدى معارضي بطون قريش من لؤى بن غالب.

ومن الاضاءة بالجدول الاحصائي رقم «٢» يتبين أنَّ أبا طالب استعمل في شعره الأصوات الرخوة والاحتكاكية (٣) فقد ترددت أربع مرات في مقطوعات شعرية، بلغت نسبتها (٨٠، ٣٪) من مجموع عدد القصائد والمقطوعات والأراجيز، ويتضح أن أبا طالب لم يتكأ إلى استعمال أصوات الأطباق (٣) وهي من اصناف الأصوات الرخوة والاحتكاكية التي انهازت بالفخامة، و (ها رنة قوية في الاذان، مما يلائم طباع البدو وخشونتهم (١) ويبدو أنَّ عيش الشاعر في بيئة حضرية مثل مكة استدعت ان يكون لها اثرها في هذه الموسيقى وذوقه الفني وهو ينتقي الروي الذي يتناسب وذوقه الحضري، وهو ذوق الشعراء السابقين والمعاصرين له، وربها عزف الشعراء عن هذه الحروف؛ لأنَّها قليلة الدلالة لاتتناسب مع ذوق المستمع، ولذلك استعملها أبو طالب في قصيدة ومقطوعتين وبيت يتيم (٥) فمها ورد في شعره حرف الروي (الحاء) في قصة عهار بن الوليد وعمرو بن العاص البعيدة عن الخلق العربي،

⁽١) ظ: الأصوات اللغوية: ٢٣.

⁽٢) (وهي تلك الأصوات التي لا ينحبس الهواء عند النطق بها انحباسا كاملا محكيا... (وهي) السين والصاد والضاد والشين والذال والثاء والظاء والفاء والهاء والحاء والحاء والعين والغين، فقه اللغة العربة: ٤٤٨.

⁽٣) وهي اذا نطق بها رفع مؤخر اللسان الى الاعلى، وحروف الاطباق هي : الصاد والضاد والطاء والظاء، ظ: دراسة الصوت اللغوى: ٢٧٩.

⁽٤) في اللهجات العربية: ١١٥.

⁽٥) ظ: الديوان: ٢٤٦، ٢٤٦، ٢٥١، المستدرك في اخر الاطروحة: الرقم (٣).

{من الطويل}

يكما - على فَجْرَةٍ تَنْشي على كم وتُفْصِحُ عقلَهُ ورُوجتك الحسنى إليه تُلّسوّحُ منتش وأنست عياءٌ أصفرُ الليون افلَححُ بنها فطالبها جهراً باليس يصلحُ (١)

تَ صاحَبتُها لاباركَ اللهُ فيكها وسقيتَ الفتى خمراً فأفسدتَ عقلَهُ رأت رجلاً من اجملِ الناسِ منتشٍ أذنت لها في قبلةٍ من جبنها

لم يرفل حرف الروي «الحاء» بالإيقاع النغمي ذي الجرس الموسيقي الذي يساعد على اثارة المتلقي، فهو من الحروف المهموسة (٢)، فمن خصائصه عند التلفظ به يسمع منه نوعٌ من الحفيف في الحلق، ويرتبط ببنية القافية بنغم موسيقي هاديء يعبر عن تجربة الشاعر في استنكار قبح العمل المخزي الذي تنأى عنه العادات والتقاليد العربية الاصيلة، فعبر الشاعر عن همسه في بنية الوحدات اللفظية والتعبيرية «تُفْصِحُ، تُلوَّحُ، أفلِّحُ، يُصْلِحُ» المتواثمة مع الوحدات الإيقاعية في خلق تجربة شعرية.

ومن مظاهر القافية الأصوات الساكنة والردف والتأسيس المعتمدة على ما تقدمه أصوات المد للشاعر من نغمات موسيقية منتظمة في إيقاع القافية، وهي تضيء نفس الشاعر ببطء الحركة المتساوقة مع احاسيسه ومشاعره، والمتناسقة مع

⁽١) ظ: الديوان : ٢٥١، نثيه: اشاعته واظهاره.

⁽٢) (وهي تلك الأصوات التي ينفرج معها الوتران الصوتيان، مفسحين مجالا للهواء بأن يمر خلالها...
ويمكن جمعها بعبارة حثه شخص سكت فقط»، فقه اللغة العربية: ٤٤٣ - ٤٤٤، ظ: فقه اللغة
وخصائص العربية: ٥٠.

المعنى الشعري في ايحاءات قوية وضعيفة لتتحد في بناء موسيقى القافية، وقد استعمل أبو طالب الحروف الساكنة ومنها حروف الروي الموصولة بالف الاطلاق المترددة عشر مرات بنسبة (٥٦، ٩٪) من عدد القصائد والمقطوعات والأراجيز (۱۱) على نحو ما انشد أبو طالب عندما اجتمعت قريش على خلافه في متابعة رسول الله عَمَانِينَ ، فخاطبهم معاتبا ومحذرا ومادحا لابن أخيه:

{من الطويل}

وما إنْ جنينا في قريش عظيمة سوى أنْ مَنَعْنا خَيرَ مَنْ وطَيءَ التُّربا(٢)

تعامل أبو طالب مع القافية المطلقة التي حركها الروي بحركة مد طويلة في تموجات القافية المتشكلة بتفعيلة الوحدة الموسيقية المتكونة في المضرب؛ ليصبح حرف المد جزءا من بنية القافية فهو يحمل الدلالة الشعورية التي منحت احساس الشاعر بالضيق الخفي، فاطلق حرف الالف محاولة منه للتفريج عن نفسه وهو يوقع الوحدات اللفظية «التُّربا، ذربا، حربا، النكبا، الشعبا، سربا» في المقطوعة نفسها، مادحا رسول الله عَلَيْظِيلُهُ ومحذرا قومه مغبة عنادهم في معاداته".

واستعمل أبو طالب الردف^(۱) بالالف في ثلاث عشرة قصيدة ومقطوعة بنسبة (٣٦، ١٢٪) والردف بالياء في خمس قصائد ومقطوعة بنسة (٧٦، ٤٪)، والردف

⁽۱) ظ: الديوان: ۸۷، ۱۰۰، ۱۰۱، ۱۰۲، ۱۰۳ – ۱۱۳، ۱۱۳ – ۱۱۶، ۱۵۰، ۱۲۹، ۸۷۱، ۱۸۳، ۲۷۶.

⁽۲) م.ن: ۱۸۳.

⁽٣) ظ:م.ن: ١٨٣.

⁽٤) يتشكل من أحد حروف المد الساكنة الألف، أو الياء، أو الواو التي تسبق حرف الروي، ظ: مختصر القوافي: ٢٤.

والردف بالواو في قبصيدة واحدة بنسبة (٠٩٠٠٪) من القبصائد والمقطوعات والاراجيز (١) ، على نحو يذكر ما جرى في سفره إلى الشام مع النبي عَلَيْواللهُ:

{من الطويل} أَلَمَ تَسرَني مِسن بَعسدِ هَسمٌ هَمَتُسهُ بِفُرقَسةِ حُسرٌ مِسن أَبسينَ كِسرام (۲)

فالالف ردف، والميم روي، ويكرر الشاعر القافية المردفة بالالف البسلام، زمام، سجام، لئام، شآمي، عظام، طعام، غلام، امام الى اخر القصيدة»، فيضفي الشاعر ظلالا ايحائياً في جرس القافية المرسوم فيها نغم الروي، وهو يحاول شد المستمع الى معنى اللفظة ضمن بنية القافية، فيتوقع معه ترديد الوحدة اللفظية المتضمنة لردف القافية.

وقد تتناوب الحروف المردفة (الواو مع الياء) في بنية قافية القصيدة الواحدة، وبها التزم أبو طالب ثماني قصائد ومقطوعة ورجز (٢) بنسبة (٢١، ٧٪) على نحو خطابه لبطون قريش يذكر ظلمهم وعقوقهم وحصارهم في الشّعب:

⁽٢) الديوان: ١٣٢.

⁽٣) ظ: م.ن : ١١١– ١١٢، ١٢١- ١٢١، ١٤٩، ٢٢٠– ٢٢١، ٢٤١، ٢٤٢– ٢٤٤، المستدرك في آخر الاطروحة: الرقم (٢).

لِظُلَم عَسشيرَة ظَلموا وَعَقوا وَعَقوا وَغِسبً عُقوقِهِم كلاً وَحسبمُ (١)

فالياء والواو ردف والميم روي، ويتردد الواو والياء في بنية القافية «حريم، ذميم، قسيم، عديم، الحلوم، مليم، الحطيم، عظيم، ظلوم، تريم، الخصوم، العموم الى نهاية القصيدة».

إنَّ موسيقى القافية المردفة بالواو تارة، وبالياء تارة اخرى تتيح لشاعر اثراء تجربته بالانغام الموسيقية المتوافرة، وهو يلون اوتارها النغمية بهذا التباين الصوي بحسب احوال حركة النفس المقننة باطار فني مراعيا فيه النبرة ضمن الوحدة اللغوية في القافية، والردف المتناوب لا ضير منه؛ لوجود تشابه في الطبيعة الصوتية ودرجة الوضوح السمعي (٢)، فكلا الصوتين له فاعليته الموسيقية ضمن تقنيات الإيقاع.

{من الطويل}

ألا يسا لقسوم للأمسور العجائسب وصرفِ زمسانِ بالأحبّسةِ ذاهسبِ (٤)

فالالف تأسيس، والهاء دخيل والباء روي، ويردد الساعر التأسيس في بنية القافية : «ضرائبٍ، عاتبِ،كاذبِ، واجبِ، اطائبِ، اقاربِ إلى آخر القصيدة»، وقد

⁽١) الديوان: ١٢١.

⁽٢) ظ: موسيقي الشعر (انيس): ٢٩٤.

⁽٣) ظ: الديوان: ٧٠ - ٨٥، ١٧٧، ١٣١، ٥٠٥ - ٢٠٠، ٢٢٤، ١٣٢، ١٤٢، ٣٥٢ - ٨٥٢، ١٥٢، ٢٧٤، ٢٥٢ . ٢٢٩، ٢٤٣، ٢٣٣.

⁽٤) الديوان: ٢٣١.

عُني أبو طالب بموسيقى القافية وهو يؤسس لها بجرس نغمي متناسق في بنائها، ذي قيمة إيقاعية مكثفة فكان للنغم أثره في اذهان قومه؛ لأنَّه يتناغم مع صوت الـروي في ترديد الوحدة الموسيقية للقافية.

ويحاول الشاعر انجاز عمله الفني في توفير عدد من الأصوات المطلوبة بنظام متقن، فإذا اختل عدد الأصوات، أو تغير شكلها، أو ترتيبها عد ذلك عيبا على صناعته الشعرية، فالشاعر القديم تمرد على قواعد العروضيين قبل وضعها؛ لأنه يستمد أصول عمله الفني من استهاعه لتراث اسلافه الذي تحاشى الميل إلى التجاوزات العروضية إلا عند الضرورة الشعرية لأنها رخصة منحت له فيجوز بموجبها خرق القواعد العروضية خدمة لعمله الفنى ، ومن هذه التجاوزات:

أ ـ التجميع، ويطلق على القصائد غير المصرَّعة بالتجميع «وهو أن تكون قافية المصراع الاول من البيت الاول على روي مُتهِّيء لأن تكون قافية آخر البيت فتأتي بخلافه» (۱)، وهذا التنوع الإيقاعي فيه نبوٍ عن النغم الموسيقي المرتقب، ولهذا عد من عيوب القافية بسبب ما يخالف ظن المتلقي في متابعة إيقاع البيت، ومنه قول أبي طالب في رسالته الموجهة إلى أبي وهب فقال:

{من الوافر}

ألا بَلِّے أب وَهْبِ رسولاً فانك قد دأبتَ لما تُربدُ (٢)

عزف الشاعر عن التصريع في مطلع قصيدته؛ لأن طبيعة الولوج المباشر إلى

⁽١) نقد الشعر: ١٨١، ظ: العمدة: ١/ ١٧٧، منهاج البلغاء وسراج الادباء: ٢٨٣.

⁽٢) الديوان: ٢٣٩، ابو وهب بن عمرو بن عائذ بن عبد عمران بن مخزوم خال أبي طالب، وعبد الله والـد رسول الله عَمَيْنَ ، كان شريفا ممدَّحاً، لم تذكر سنة وفاته، ظ: السيرة النبوية لابن كثير: ١/ ٢٧٧.

موضوعه اقتضت السرعة في الاداء، وهو ازاء تبليغ خطابي لأبي وهب، فحتَّم عليه ترك التصريع، وهذا ما يلحظ في شعره بشكل عام، ومن هنا يمكن ان نقول ان ظاهرة التجميع لا تعد عيبا على إيقاع الشاعر، فالشاعر له الحرية في استعمال الطريقة التي تتناسب مع معالجة موضوعه، ولاسيها أن اكثر شعر أبي طالب يعالج موضوعات الحياة اليومية الجديدة المواكبة لعصر الرسالة.

ب- الإقواء، وهو العدول عن حركة بحركة أخرى في حرف الروي ، على نحو عدول الشاعر بالضمة عن الكسرة (١) ، وربيا حمل الشاعر على هذا الامر ليشد انتباه المستمع الى جرس موسيقي جديد لم يألفه المستمع؛ ليكسر الرتابة الموسيقية التي اعتاد سماعها في بنية القافية، ويطالعنا أبو طالب في شعره وهو متألم من افعال قومه في معاداة صاحب الرسالة مَنَا الله فقال:

{من الطويل}

أَقُ اموا بَمِيماً ثُمَّ صاحوا وَأَجلَبوا وَدين قَديم أَهلُهُ غَيرُ خُيَّبُ

ألا مَن لَهِ مَ آخِرَ اللَّيلِ مُنْسَصِبِ وَجَربى أَراها مِن لُوَيٍّ بنِ غالِبٍ إذا فسائِمٌ في القَسومِ قسامَ بِخُطَّهِ وَما ذَنسبُ مَن بَسدعو إِلى الله وَحدَهُ

لبيت البيات البيات البيت الرابع وعاد في البيت الرابع

⁽١) ظ: الكافي في العروض والقوافي: ١٦٠.

⁽٢) الديوان: ٩٥، رأب: اصلاح الفساد.

و بقية أبيات القصيدة إلى الكسرة.

فمن الملاحظ أن الشاعر لم يخالف الاستعمال المطرد للغة، وإنها خيالف المعيايير الوضعية والقواعد الموسيقية رغبة منه في تنويع الإيقاع الذي يستدعى انتباه المتلقبي وهو في غفلة عن المعني، ونغم الإيقاع، فيأتي المعنى بخلاف النغم؛ ليقصر انتباه المستمع إليه.

جـ ـ الايطاء، وهو ترديد الكلمة خطأً ومعنيّ في القصيدة الواحدة (⁽⁾، ولايعد هذا الترديد عيبا إذا جاءت الكلمة المكررة نفسها لفظاً ومعنيّ بعد سبعة أبيات؛ لأنها عندئذ تعد كما لو أنَّها مفتتح قصيدة جديدة (١)، على رأى من يعد القصيدة سبعة أبيات (٣)، على نحو ما روى أبوطالب قصة عمارة بن الوليد وعمرو بن العاص فقال:

{من الطويل}

وفِعْلُك يسا عَمْسرَو السضلالةِ أقسبحُ أتسانى حسديث عسن عسمارة تخسزي

و بعد اربعة أبيات قال:

ولكن تداعاك الرجسال وأقسبح فلو كنتَ يا ابن العاص حُرّاً قَتَلتُهُ

إنَّ لفظ «اقبح» تكرر لفظ ومعنى في القصيدة؛ لأن الشاعر أراد أن يروي قصة حدث لشخصيتين معينتين اقترنت بقبح عملها؛ ليبينه إلى المتلقى، فلما سرد

⁽١) ظ: الكافي في العروض والقوافي: ١٦٢.

⁽٢) ظ: فن التقطيع الشعرى والقافية: ٢٧٨.

⁽٣) ظ: العمدة: ١/ ١٨٨.

⁽٤) الديوان: ٢٥١.

ملامح القصة استدعى منه أن يُذكِّر المستمع بـ شناعة عملهما، فكرر اللفظ تأكيدا لاستنكاره بهذا الإيقاع المفعم بالدلالة والنغم، وهذه مخالفة فنية مقصودة الغاية منها تكثيف النغم الموسيقى، والدلالة الشعرية.

وهناك ظواهر إيقاعية تتعلق بالوزن والقافية على السواء لها اهميتها في تحقيق الانسجام الموسيقي، وتحقيق كثافة موسيقية ودلالية في الألفاظ والعبارات.

• التكرار:

إنَّ من مظاهر جمال التناسق الموسيقي، التواؤم في الوحدات الموسيقية التي تتكرر في البيت، ثم تمام الأبيات ضمن التكوين البنائي العام للقصيدة، وان تردد الوزن والقافية اللذاني يشكلاني وحدة بنائية للقصيدة المتولدة عن التكرار يمنح جرسا نغميا تطرب إليه النفس عند سهاعه "، وهذا التكرار للوحدة الصوتية لايتولد عن التكرار الموجود في الوزن والقافية فحسب، وانها يتولد من تكرار الألفاظ والعبارات التي يتخيرها الشاعر ليؤدي وظيفة إيقاعية خاصة في بقية اجزاء القصيدة، فضلا عن الحلاوة في الأسلوب، والسمو في المعاني، والعذوبة في الإنشاد، فالتكرار «هو تناوب الألفاظ {والتراكيب والمعاني} واعادتها في سياق التعبير بحيث تشكل نغها موسيقيا يتقصّده الناظم»".

وترجيع الوحدة الصوتية المتمثلة بالتكرار سواء أكانت لفظا، أم عبارة، أم معنى «يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة ويكشف عن اهتام المتكلم بها» "،

⁽١) ظ: التفسير النفسي للادب: ٧٧- ٧٨.

⁽٢) جرس الألفاظ ودلالالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب: ٢٣٩.

⁽٣) قضايا الشعر المعاصر: ٢٧٦.

وتفصح عن نفسيته، ويلفت سمع المتلقى له، وهذا يرتبط بالدلالة.

وتكون الغاية من التكرار زيادة القيمة الإيقاعية للفظ، أو للعبارة، أو للمعنى من خلال تردده، فيعطي نغما مضافا للبيت ومن ثم للقصيدة، وهذا يرتبط بالإيقاع، ومن هذين الأمرين يحقق التكرار وظيفتين دلالية وإيقاعية.

ويلجأ أبو طالب في شعره إلى التكرار ويلح عليه _ في بعض الأحايين _ رغبة منه في ابراز الفكرة التي هو في صدد الحديث عنها، ومنها التأبين لفقيد عزيز عليه، أو الافتخار بنفسه أو بقومه، أو التأكيد على حقيقة مهمة لبعض الناس فيحثهم عليها، أو الاشادة بذكر الممدوحين، أو التوعد والتهديد والتعريض بخصومه إلى آخره، على أننا لا نغفل عن أن ظاهرة التكرار بألوانها المختلفة ظاهرة أدبية اعتمدها أبو طالب بوصفها اسلوبا احتذاه شعراء العرب قبل الإسلام ".

إنَّ قراءة فاحصة في شعر أبي طالب الذي بين المدينا؛ تكشف شيوع ظاهرة تكرار الألفاظ، والتراكيب و المعان " وعلى النحو الآتي:

أ_التكرار اللفظى:

إنَّ ترديد اللفظ يحمل معنى معيناً يحاول الشاعر التركيز عليه في سياق النظم؟ لايصال قوة النغم الإيقاعي إلى السامع فيحظى بانتباهه، ويشد سمعه إلى هذه اللفظة التى لمعها الشاعر أكثر من غيرها.

ويطالعنا أبو طالب في شعره الجاهلي بتكرار لفظي يسد من وقع الكلمة في النفس الانسانية «وأولى ما تكرر فيه الكلام باب الرثاء، لمكان الفجيعة وشدة القرحة التي يجدها المتفجع وهو كثير حيث ألتمس من شعر وجد» "، فندب أبو طالب أخاه الزبير الذي كان أحد حكام مكة ورئيسها "، بتكرار صفة من صفات منزلته الجليلة وهي السيادة، ليترجم عن حزنه وفداحة خسارته بفقده، فقال بعد ندبه بذرف الدموع، وسكب العبرة، ونفث الحسرة "، مؤبناً:

(من الخفيف)

• • •

سق وَمَسن مساتَ سَيِّسهُ الأَمسواتِ (١)

حَـــيُّهُم سَـــيَّدٌ لأحيـــاءِ ذا الخَلــــ

⁽١) العمدة: ٢/ ٧٧.

⁽٢) ظ: تاريخ اليعقوبي: ١/ ٢٢٠.

⁽٣) ظ: الديوان: ٩٩.

⁽٤) الديوان: ٩٩.

استعان أبو طالب بترديد لفظ «سيد» وتصريفاته سبع مرات، فأسهم هذا التكرار المتتابع في الأبيات اسهاما فاعلا في تصوير فداحة غياب أخيه؛ فراح يكرر بعناية صفته المتوغلة في نسب الأجداد، فهو سيد كريم من أب سيد في ذروة السادات، وأبناء سادة احرزوا المجد، والمنزلة الرفيعة في قومهم.

وكشف التكرار اللفظي جانبا من جوانب شعيرة الحزن على الفقيد، فليس على القلب اقسى من فراق الأحباب فراقا ابديا، فجاء التكرار تعبيرا عن لوعة نفس الشاعر التي لاتتبدد؛ أنه عندما يرثي أخاه إنها يرثي صفاته بنغم إيقاعي يستثير أذهان السامعين، وتؤجج نفوسهم حسرة ولوعة على الفقيد بصدق الاحساس ذي الدلالة المكثفة في التعبير الذي أفاده التكرار من ترجيع الوحدة اللفظية «سيد» ومشتقاتها.

وقد عنيَّ الشاعر بنتاج القيمة الصوتية والدلالية للفظ «سيد» لأن هذا السبيل، هو الأداة الحسية الوحيدة التي يمتلكها الشاعر للفت الاسماع إلى المضامين التي يريد التركيز عليها، فالمخالفة الصوتية هنا بين لفظ «سيد» التي ركز عليها بالتكرار وغيرها من الألفاظ التي لم تتكرر هي التي تشد الانتباه الى اللفظ اكثر من غيره، وهنا يقدم التكرار للشاعر زيادة على ما ذكره تقنية فنية للدلالة التي سيتم التركيز عليها أيضاً من خلال تصور فقدان المرثي.

إِنَّ تكرار الألفاظ ظاهرة شاخصة في قصائد أبي طالب في فنونه الشعرية المختلفة، فلم تبرز في الرثاء فحسب، وانها في قصائد الفخر والمديح والهجاء وغيرها.

ففي فن الفخر نجد للتكرار حضورا واضحا، فقد افتخر بخاليه هشام والوليد على أبي سفيان بن حرب، فجعلهم سادة القوم وصدارتهم في الشجاعة والكرم، فقال من شعره قبل الإسلام: {من الطويل} إذا هَـــمَّ يَومـاً كَالحُــسامِ المُهَنَّــدِ (" وَحَالُ أَن سُنهانَ عَمـرُو بِـنُ مَرثَـدِ ("

وخسالي هِسشامُ بِسنُ المُغسيرَةِ ثاقِسب وَخسالي الوَليدُ العِسدلُ عسالِ مَكانسُهُ

ردد الشاعر لفظ «خالي»؛ لبيان شائل خاليه التي اقتضتها طبيعة الفخر الذاتي فقد اضفى خصالاً وخلالاً رفيعة ومحمودة لها. فخاله الاول، هشام بن المغيرة المخزومي «من سادات قريش وأشرافها، وهو سيد بني مخزوم في حروب الفجار وغيرها، وكان يقال له فارس البطحاء» " والاخر هو الوليد بن المغيرة من قضاة العرب في الجاهلية، ومن زعاء قريش كان يدعى العِدل في الجاهلية؛ لانه كان عِدل قريش كلها، فإذا كست قريش البيت كساه وحده، وإذا ترافدت قريش بالماء والزبيب رفد وحده ".

وعلى الرغم من أن خال أبي سفيان عمر بن مرثد الضبعي من قيس بن ثعلبة كان سيدا في قومه "، لم يبلغ مبلغ هشام والوليد في علو السيادة والسجاعة والكرم. فكانت القيمة التعبيرية للتكرار كفيلة بالاستحواذ على مسامع المتلقي في احياء ذكرهما في الذاكرة، وهو ينعتهما بالمعاني السامية التي بها اشراف قوم أمه من بني غزوم؛ ليرسخ اعمالهم الجليلة في أذهان الناس.

إن تكرار الشاعر للفظ في أوائل الأبيات والأشطار في تشكيل عمودي في

⁽١) الديوان: ٣٣٤.

⁽٢) التبيين في أنساب القرشيين: ٣١٦.

⁽٣) ظ: أنساب الأثراف: ١/١٣٣.

⁽٤) ظ: جهرة أنساب العرب: ٢/ ٣١٩- ٣٢٠.

البيت الأول والثاني، وتشكل أفقي في البيت الثاني، يكشف عن تقنية كان الشاعر يتقصدها في تكراره، وهذا يرتبط بالإنشاد، فاللسان يسبق النطق بهذا اللفظ بعد السكوت عند انتهاء البيت، والشاعر كان قادرا على ذكر لفظة «أخوالي» ثم يذكر من ذكره منهم، ولكن آثر هذه الصياغة، وكأنه يستعذب تكرار هذا اللفظ ويريد أن يدفع المتلقي لمشاركته في هذا الامر. وبذلك كله منح التكرار قوة دلالية، ونغا موسيقيا مساير لنفعيلة الوزن في صدري البيتين، وأول عجز البيت الثاني، وحقق غاية طموح الشاعر بالمفاخرة التي اكتسبت قيمتها التعبيرية من تناوب اللفظ.

وفي المديح يطالعنا أبو طالب في قصيدته اللامية التي يخاطب فيها بني لؤي بن غالب من ابناء عمومته الادنيين، يعرض بهم (١)، ويمدح بني هاشم المناصرين لرسول الله عَلَيْظَةُ والذائدين عنه فقال:

(من الطويل)

بِ أَيهانِ شُـمَّ مِـن ذوابِـةِ هاشِهِ مَعْـاويرَ بِالأَبطـالِ فِي كُـلِّ جَحْفَـلِ وَالْبَطـالِ فِي كُـلِّ جَحْفَـلِ وَتَـاوي إِللَّهِ مَاشِهِ اللَّهِ اللَّهُ الللْلِلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللْمُلْمُ اللَّهُ الللْمُلِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللْمُلْمُ اللَّهُ اللْمُلْمُ الللَّهُ اللَّهُ اللْمُلْمُ اللْمُلْمُ اللَّهُ اللَّهُ الللْمُلْمُ الللْمُلِمُ اللْمُلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُلْمُ اللَّ

عبر أبو طالب في ترجيح الوحدة اللفظية «هاشم» تعبيرا عن اعجاب بالقيم البطولية من شجاعة، ومقارعة الأعداء التي من سهاتها: القوة والحهاية، فبنو هاشم ماة رسول الله عَلَيْنِ وأبطال كرماء ذو أنف، وسادة شرفاء ذو مجد عالي. فانبهار أبي طالب بسجاياهم جعلهم مثالاً رفيعاً في شعره، فالقيمة التعبيرية للتكرار سلطت الضوء في المعنى النفسي لمنشئه، ومنحت كثافة دلالية في تعظيم شأن بني هاشم في

⁽١) ظ: الديوان: ٢١٤.

⁽٢) م.ن: ٢١٥، العرانين: السادات والأشراف.

نفوس اعدائهم المناوئين للرسالة المحمدية، وهو يطرق اسماعهم بجليل صفات بني هاشم؛ وليأنس أذهان الممدوحين بذكر شمائلهم.

وينبغي أن يلحظ أن مايذكره الشاعر أبوطالب معروفاً عند المتلقي من فضائل آبائه بوصفهم ذروة الشرف من قريش، فسعى إلى التفرد بها ينظم ليس من خلال المعاني التي يعرفها غيره، وانها من خلال الطريقة التي يعبر بها عن هذه المعاني، فالتكرار يهيء له مايريده من الوضوح الإيقاعي أو لنقل الصوتي يتناسب مع وضوح المضامين الدلالية التي يتحدث عنها ومن هنا كانت عناية الشاعر أبيطالب بالتكرار.

وعمد الشاعر أبو طالب إلى التكرار في الهجاء وهو يخاطب عشيرته قريشا، ويذكر ظلمهم وعقوقهم وحصارهم في الشِّعب (١)، ولاسيا أبناء عمومته الأقربين من بني تيم وهصيص، وأخواله من بني مخزوم فقال:

{من الوافر}

وَ عَسرومٌ لَهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ عَسديمُ عَسديمُ عَسديمُ عَسديمُ العَسدَةِ الْحُلومُ " إذا طاشست مِسن العَسدَةِ الْحُلومُ "

بَنْسُو تَسِيمٍ توارثَهُ الهُ مُسَمِيضٌ فَلَا تَنْهُ مَ عُسُواةً بَنْسِي هُسَمِيصٍ وَخَسْرُومٌ أَقَسِلُ القَسُومِ حِلْسَا

ردد الشاعر أسماء بعض بطون قريش، ومنها: "بني تيم" في صدر البيت الأول، وأول عجز البيت الثاني، و«هُصَيص» في اخر صدر البيتين: الأول والثاني، و«خزوم» في أول عجز البيت الأول، وصدر البيت الثالث.

⁽١) ظ: الديوان: ١٢١.

⁽٢) م.ن: ١٢١، العديم: الاحمق الذي لاعقل له.

أراد الشاعر في المرة الأولى من ذكر أسماء بطون قريش أن يُعدد القبائل التي المجتمعت على ظلم بني هاشم الذين ناصر وا النبي عَلَيْوَالله وحاصر وهم في شعب أبي طالب بدلالة لفظ «قسيم»: نصيب. وعندما كرر الشاعر في المرة الثانية أراد أن يفصح عن صفاتهم المذمومة في كل بطن منهم، فنعت بني تَيم، وبني هُصَيص بالضلالة والحمق، وبني مخزوم بالطيش وخفة العقل، واشتركت هذه البطون الثلاث بصفات نفسية هي النزق وانعدام العقل، وقلة الحلم، والضلال، فحقق التكرار قيمة تعبيرية في زيادة المعنى بتوضيع المهجو، والازدراء منه، وبغضه، والتشهير به، أي أن الترجيح اللفظي اكسب الكلمة كثافة دلالة، ومنح نغما إيقاعيا مكثفا مؤذيا في مسامع المهجو.

ومما يحسن الايهاء إليه أن الساعر أبا طالب لجمأ إلى التكرار الحرفي ضمن التكرار اللفظي فلون المقطع بصوت «الميم» عشر مرات بنغم إيقاعي مؤلم لمسامع خصمه، فمنح التكرار اللفظي مع التكرار الحرفي كثافة دلالية؛ لأن تردد الحرف وجد لتقوية المعنى كها لو كان لفظا مكررا. وهو في الوقت نفسه يزيد من دلالة الألفاظ المكررة، فاستعهال الشاعر المزاوجة في تكرار اللفظ والحرف في آن معاكان استعهالا موفقا يدل على قوة طبعه وادراكه لاسرار صناعته بهذا التلوين النغمي في الإيقاع، وقد ساعد صوت الميم الذي انهاز بخفته على ذلك؛ لأنه من حروف المجهورة الذلاقة "التي يسهل النطق بها دون التعثر في الكلام، وهو من الحروف المجهورة يقع بين الشدة والرخاوة "، ويعبر عن الضيق، فحركه الشاعر في اكثر من بيت خدمة يقع بين الشدة والرخاوة "، ويعبر عن الضيق، فحركه الشاعر في اكثر من بيت خدمة

⁽١) ظ: فقه اللغة: ١٦٢.

⁽٢) ظ: فقه اللغة وخصائص العربية: ٤٩، الأصوات اللغوية: ٢٤.

لموضوع فن الهجاء.

ومن الجدير قوله: إنَّ الشاعر القديم كان يحتفي بالأصوات اللغوية احتفاءً يصوِّر ولعه العنيف بلغته وما تقدمه له من امكانات صوتية، فهو يتلذذ بهذه الوحدات الصوتية في اثناء الانشاد وتكرارها يهيء له ما يحتاج إليه من دفع شبح الوهن والضعف في نفسه.

فأكثر شعر أبي طالب هو دفاع عن الرسالة واحتفاؤه بالتكرار يعطيه دفعا قويا ليبدو قويا متهاسكا أمام الخصم من خلال نشوة التكرار، ولا سيها ان اللغة وسيلته، ووسيلة غيره للتباهي أمام الأخرين بقدرته على مسك زمامها في وقت نزول القرآن بها، وتحدى الحق تبارك وتعالى ان يأتوا بمثله وهو مُنزِل بهذه اللغة محط التفاخر بين العرب.

وثمة تكرار آخر للفظ «حلم» وقع في آخر صدر البيت الثالث وآخر عجزه، وهذا النوع من التكرار أحد انواع رد الأعجاز على الصدور "، ويلازم ترجيح لفظ القافية وعلى النحو الاتي:

فقد يكون أحد اللفظين المكررين في أول صدر البيت، والثاني في آخر عجزه، ويجمعها الاشتقاق، نحو قول أبي طالب:

⁽۱) اختلف النقاد في تسمية المصطلح، فقد سمّاه قدامة بن جعفر التوشيح، ظ: نقد الشعر: ١٦٧، وسمّاه أبو هلال العسكري رد الاعجاز على الصدور، ظ: كتاب الصناعتين: ٢٩٤، وسمّاه ابن رشيق القبرواني التصدير، ظ: العمدة: ٢/٣، واخترنا التسمية التي في المتن لمناسبة ترديد اللفظ في حشو البيت وقافيته، أي « أن يكون أحدهما في آخر البيت، والآخر في صدر المصراع الأول، أو حشوه، أو آخره، أو صدر الثاني، الإيضاح في علوم البلاغة: ٢/٣٤٥.

{من الطويل}

وجربى أتتنامن لُويِّ بن غالبٍ متى ما تُزاحمها الصحيحةُ تجُربِ "

أو يكون أحد اللفظين المكررين في حشو البيت، والثاني في آخر عجزه، نحو قول أبي طالب:

{من الطويل}

نقولُ لعمرو : انت منه، وأنّنا لنرجوك في جلّ الملمّات ياعُمرو "

او يكون احد اللفظين المكررين في اخر صدر البيت، والثاني في اخر عجزه نحو قول أبي طالب:

{من الطويل}

فَثَ ارَ إِلَ بِهِم خَيف قَ لِعُ رامِهِم وكانوا ذَوي دهي مَعاً وَعُرامِ "

أو يكون احد اللفظين المكررين في حشو عجز البيت، والشاني في آخره ويجمعها الاشتقاق،على نحو قول أبي طالب:

[من الوافر]

عاليَّ دماء بُدنٍ عاطلاتٍ لنن هَادَرَتْ لذلكم الهُدورُ "

⁽١) الديوان: ٢٢٩، ظ:م.ن: ١٨٤، ٢٢٩.

⁽۲) م.ن: ۲۳۵ ظ:م.ن: ۷۸، ۹۵، ۱۲۳، ۲۲۹، ۲۳۹.

⁽٣) م.ن: ١٦٧، العرام: الشدة والقوة والشراسة، ظ: م.ن: ١١٧، ١٢١، ١٩٢، ٢٣٥.

⁽٤) م.ن: ٣٤٣، ط: م.ن: ١٨٧، ١٨٨، ٥٠٢، ٢٢٩.

إنَّ الترجيع اللفظي في القافية «تجرّب، عمرو، عرام، الهدور» يعود إلى رغبة الشاعر في اشتراك المتلقي بتوقع الفاصلة التي يرمز لها بالمقطع الأخير من البيت في كونها تحرك نفس المستمع وتستثير نشاطه في متابعة بقية اجزاء القصيدة، وان الكلمة المكررة تمنح كثافة إيقاعية ودلالية في تأكد المعنى عما يزيد من جمال الجرس الإيقاعي في موسيقى القافية.

ثمة نوع آخر من التناوب اللفظي يقع في نهاية بيت سابق وفي بداية بيت لاحق، نحو قول أبي طالب في مديحه النبوي :

حقق التردد اللفظي لـ «مسود» وصيغة جمعه انسجاما موسيقيا مترابطا بين البيتين، ليؤكد الشاعر موسيقى القافية في البيت الأول وهو يمدها بموسيقى صدر البيت الثاني، فأفاد الترجيع اللفظي كثافة في المعنى المطروق، وزيادة في الإيقاع الموسيقى، ليخلف تأثيرا نفسيا طيبا، واستجابة حسنة في مسامع النبي عَلَيْمُ اللهُ وهو يعدد فضائله وفضائل آبائه.

وفي المقطع المذكور نمط آخر من التكرار يسمى الترصيع "يتوخى فيه الشاعر للمقطع الاجزاء في البيت على سجع أو شبيه به أو من جنس واحد في التصريف" "، يتمثل في تكرار القوالب المتاثلة لبعض الكلمات، وهو لون من

⁽١) الديوان: ٣٣٣.

⁽٢) نقد الشعر: ٨٠.

ألوان التقسيم يراعي الشاعر فيه التصريف اللفظي في السجع دون مراعاة التقسيم الوزني، فتقسيم الشاعر الجزء «محمد مفعّل» و «مسوَّد مفعّل» يخالف تقطيع طبيعة مجزوء الكامل: «متفاعلن متفاعلن» مرتين، بيد أنَّ هذه المخالفة الوزنية أثرت نغات الأصوات داخل الوحدات التقسيمية بإيقاع جميل ومؤثر في مسامع الممدوح.

ولا نغفل أن التقسيم لا يبتعد في كثير من الأحايين عن التكرار، فكل تقسيم وزني من حيث التقطيع الكمي للأصوات التعبيرية هو تكرار، ولكن الاختلاف يكمن في تغيير الدلالة في التقسيم للوحدات الصوتية؛ لأن التكرار تردد الوحدات الصوتية نفسها.

وقد يقع هذا النوع من التكرار في بداية عجز بيت سابق، وصدر بيت لاحق، في لفظ قوي الدلالة، على نحو قول أبي طالب في نصرة رسول الله عَلَيْظِيَّةُ ومديحه له: {من الخفيف}

قدد بسالناك _ والسبلاءُ عسسَيرٌ _ لفداء النَّجيب وابسن النَّجيبِ النُّعيبِ النُّعيبِ النُّعيبِ النُّالِي قسبِ النُّعالِي قسبِ والباع والفناء الرَّحيبِ النُّالِي النَّالِي الْلَّالِي الْمُعْلِي الْمُ

إِنَّ تناوب لفظ «لفداء» يؤكد زيادة المعنى في تأييد النبي ونصرته، والـذود من دونه، والدفاع عنه؛ ليواصل الشاعر تأكيده وحدة الـشعور مع موضوعه في ذكـر صفات النبي عَيَّا الله الله على مسامعه.

ب-التكرار التركيبي:

ينهض التكرار التركيبي بفكرة القصيدة، وفيها يحتاج الشاعر، الى فكرة

⁽١) الديران: ٢٢٠ - ٢٢١.

واضحة، فيلجأ إلى التمهيد بعبارة ثانية مكررة؛ ليخلق تأثيرا نفسيا تلقائيا للمستمع، ويزيد من القيمة الإيقاعية للعبارة فيتيح نغما مضافا لسياق البيت والقصيدة في آن معاً.

وتظهر أهمية هذا التكرار في شعر أبي طالب في النصوص المشعرية "التي وظف فيها الجمل الاسمية، أو الفعلية، أو الساليب الطلب من استفهام ونداء وتراكيب أُخرى مختلفة، تتعلق بارادة تعبير الشاعر في نصرة رسول الله عَيَوْلَهُ وتأييده وحمايته ومديحه، أو في المفاخرة، أو في التعريض والرد على الخصم، وما يتصل بابراز معاني الشجاعة والحرب على نحو قول أبي طالب في قصيدته اللامية في الرد على مشركي قريش الذين تحالفوا على محاصرة بني هاشم في شعب أبي طالب فقال:

(من الطويل)

كَــذَبتُم ـوَبَيــتِ الله ـنـــترُكُ مَكَــةً وَنَظعَــــن إِلا أَمــــرُكُم في بَلابِــــلِ كَــذَبتُم ـوَبَيــتِ الله ـنـــبرى مُحَمَّــداً وَلِــا نُطــاعِن دونــــهُ وَنُناضِــــــلِ "

ردد أبو طالب التعبير التركيبي «كذبتم ـ وبيتِ الله ـ» المتكون من الجملة الفعلية المتبوعة بجملة القسم في الخطاب الشعري الموجة لمشركي قريش بعدم التخلي عن النبي عَلَيْ الله للعنى في أذهانهم وهو يطرق أذهانهم بنغمة التحدي، فأفادت الوحدة التركيبية للتكرار زيادة في المعنى الذي أدى إلى زيادة في نغم الإيقاع المساير للوزن.

⁽١) ظ: الديوان: ٧٤، ٧٩، ٨٦، ٩١، ٩٥، ١٢٤، ١٥٠، ١٨٧، ١٩٤، ٢٢٧، ٢٣٢، ٢٢٧، ٣٣٩.

⁽٢) م.ن: ٧٤، البلابل: الوساوس.

ونشهد في القصيدة نفسها التكرار بعبارة أطول في صدر البيت وعجزه، وهو تكرار لا يخل في المعنى وانها يؤكده ويعبر عن ارادة الشاعر في التعبير الخطابي الهجائي لبنى كعب بن لؤي، فقال أبو طالب:

{من الطويل} فَانِ تَكُ كَعبٌ مِن لُوَيَّ تَجَمَّعَت فَالابُدَّ يَوماً مَسرَّةً مِسن تَزابُسلِ فَانِ تَكُ كَعبٌ مِن كُعوب كَببرَةٍ فَالابُدَّ يَوماً أَنَّها في مَجاهِسل " فَان تَكُ كَعبٌ مِن كُعوب كَببرَةٍ

ردد الشاعر التركيب «إن تكُ كعبّ...فلا بدّ يوماً» بكثافة دلالية تفصح عن نغمة المأساة المؤلمة، والخسارة الكبيرة التي ستحل يوما ببني كعب الذين اعتمدوا كثرة نفوسهم، وعلو شرفهم، فلابد من وقوعهم في شدائد لا يهتدون إلى الخروج منها، ولابد من أنهم في جهل ان حاربوا نبي الله وعشيرته التابعين له، فالتكرار هنا ضرب مؤثر يضفي ظلاله نغماً إيقاعياً شاحباً في نفوس بني كعب، إذا ما استحضر معناه في أذهانهم، وتعبيرا انفعاليا وجد فيه الشاعر متنفساً عها يجيش بخلده من ثورة نفسية تجاه المعاندين لرسالة السهاء، وإيذاءهم رسول الله، بمعنى آخر ان هذا الترجيع التركيبي قد ساير الوزن ورسّخ موسيقى الإيقاع الشعري بنغم مؤثر في أذن السامع.

ويمنح تكرار الاسم في الصيغة الطلبية لاسلوب النداء قوة دلالية في التعبير عن العتاب في طلب الانصاف من الاكفاء على نحو ما يعاتب أبو طالب مطعم ابن عدي الذي تخلى عن نصرة النبي وعشيرته، فقال أبو طالب من القصيدة نفسها:

⁽١) ظ: الديوان : ٨٦، كعوبِ: مفردها كعب وهو الشرف مجازا.

{من الطويل}

أَمُطعِمُ لَمُ أَحْمَدُ لَكَ فِي يَسومِ نَجَدَةٍ ولا عِندَ تِلكَ المُعظانِ الجَلائِلِ

أَمُطعِهُ إِنَّ القَومَ ساموكَ خُطَّةً وَإِنَّى مَنى أُوكَ لَ فَلَستُ بِآيلِ "

دأب أبو طالب في الترجيع التركيبي لاسلوب النداء «أمطعِم»؛ ليؤكد شدة عتابه لمطعم بن عدي من أبناء عمومته الأقربين.

فعندما تحالفت قريش على اخراج النبي وعشيرته من مكة إلى شّعب أبي طالب عنوة، كان على مطعم وهو من اشراف رجال قريش وأبطالها أن يرد رجال قريش عن غيهم، فعاتبه أبو طالب عتابا قاسيا: انا لم أخذلك في جلِّ شدائدك، ولكن خذلتني حيث لا اجدك عند الأمور الجلائل.

فترديد الخطاب باسلوب النداء له وقع مؤثر في نفس السامع، ولكي يحقق الشاعر تواصلا في الكلام في البيت اللاحق أكد التكرار زيادة في المعنى وترسيخا لنغم الإيقاع التركيبي المساير للوزن، وهو اسلوب معروف في التراث الشعري الجاهلي ".

وكرر أبو طالب الجملة الاسمية إلى جانب اسلوب الاستفهام في قصيدته الدالية التي يفخر بقومه فقال:

⁽١) الديران: ٧٩.

⁽٢) ظ: تمثيلا لا حصرا: ديوان أوس بن حجر: ٢١، ديوان الخنساء: ٣١٣- ١٦، ٣١٤، ديوان عـدي بـن زيد العبادي: ١٠٢، ١٠٣- ١٠٤.

{من الطويل}

مَنسى شركَ الأقسوامُ في جُسلِّ أَمرِنسا وَكُنّسا قَسدياً قَبلَهسا نُنَسوَدَّدُ وَكُنّسا قَسدياً لا نُقسرٌ ظُلامَسةً وَنُسدِدِكُ مسا شِستنا وَلا نَقسشَدَّدُ فَسالَقُسصَيِّ هَسل لَكُسمُ فسيا يَجسى عُ به الغسدُ (۱)

وقع التكرار التركيبي «وكنا قديما» في أول عجز البيت الاول وصدر البيت الثاني؛ ليقوي نغمة الافتخار في عدم مشاركة الناس لهم في المورهم العظيمة، ورفضهم للظلم، وازالته من غير عنف.

إنَّ تناوب الوحدة الصوتية «نا» ضمن التركيب منحت الخطاب الشعري رنة موسيقية موحية، كثيفة الدلالة في مسامع بني قصي، فعاد الشاعر مرة أُخرى وردد باسلوب الاستفهام في حشو البيت الثالث وأول عجزه «هل لكم في» تأكيدا في اثراء الجملة بالنغم الإيقاعي الذي كانت له فاعلية في تصنيفها إلى العرض الطلبي بشدة: ألا ترغبون بالحفاظ على نفوسِكم وارواحكم؟ وألا تسعون إلى اتباع محمد حفاظاً لغدكم؟

فلوّن الشاعر موسيقى الخطاب بجرس إيقاعي مساير للوزن ومؤثر في آذان السامع. ويلجأ أبو طالب الى التكرار لتأكيد حقيقة نبوة ابن اخيه في خطابه لأبي جهل فقال:

إمن الكامل} صدق ابن أمنة النبي عمّد فتميّزوا غيظا به وتقطّعاوا سدق ابن آمنة النبي عمّد فتميّزوا غيظا به وتقطّعاوا سدت النبي ان: ٩٢. تناوب في صدري البيتينِ عبارة «ابن آمنة النبي محمد» تناوبا متقصداً؛ لاثبات صدق نبوة محمد عَلِيَاللهُ التي كانت سبباً لملء نفوس الكافرين غيضا، وهي تكاد تنفصل بعضها عن بعض، فأكسب التكرار قيمة تعبيرية في تكثيف صورة شدة الغيض من خلال تسليط الضوء على الوحدة التركيبية التي شغلت تفعيلات الشطر، وان الإيقاع المتولد منه ذا وقع في أذن السامع لتوالي الحركات والسكنات على نحو منتظم في كل تفعيلة من الشطر التي تمثل وحدة الإيقاع في البيت مما أدى إلى زيادة في نغم الإيقاع المساير للوزن.

ويحسن بنا أن نومئ إلى أن تكرار اسم السيدة آمنة يكشف عن الباعث النفسي في عناية الشاعر في التعبير عنها؛ لبيان مكانتها؛ وهذا لا ريب فيه، اذ منها خرج نور النبوة.

جــ تكرار المعنى:

ورد تكرار المعنى أقل من الألفاظ، «فاكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني» "؟ لأن الشاعر يلجأ إليه بحسب الرخصة الممنوحة له، ويقع في المقطع الأخير الذي يرمز إليه بالقافية "، ليحقق قوة في جرسها الإيقاعي في ذهن السامع،

⁽١) الديوان: ٣٣٩.

⁽٢) العمدة: ٢/ ٧٣.

⁽٣) ظ: المثل السائر: ٣/ ٣٦، الطراز: ٢/ ١٨٨، ١٨٨ - ١٩٠، يعاب الناظم على استعمال تكرار المعاني في صدور الأبيات الشعرية وما والاها، ولا يعاب على استعماله في الاعجاز؛ لأنه مضطر إليها، والمضطر يحل له ما يحرم على غيره، ظ: المثل السائر: ٣/ ٣٦، ، اسرار التكرار في لغة القرآن الكريم: ١٧ - ٢٠.

وكثافة في دلالتها، ويلجأ الشاعر إلى استعال اللفظ المرادف، لتأكيد المعنى المقصود، وكثافة في دلالتها معنى اللفظ المرادف بالوظيفة نفسها التي أفادها اللفظ المكرر، وقد ورد هذا الاستعال في القرآن الكريم "، والشعر العربي "على السواء، ومما جاء في شعر أبي طالب في قصيدته اللامية بعد أن تعوذ بالله، وبحق البيتِ الحرامِ وبالحجر الأسود" قال:

{من الطويل}

ومَــوْطى، إبـراهيمَ في الــصَّخرَ وطْــأة عــلى قَدَميــهِ حافيــاً غــيرَ ناعــل (4)

تعوذ أبو طالب بمحل اقدام النبي إبراهيم عليم في الصخر، وأكد بتكرار الوحدة الترجيعية اللفظية بالمشتق «المفعول المطلق»، «وطأة»؛ ولتوضيح صورة موطىء النبي إبراهيم، فقال: «حافياً» فجردهما من النعال، ثم أردف بوحدة لفظية مرادفة فقال «غير ناعل»؛ لبيان الحال التي كانت عليها قدماه واثر هما في الصخر، فأفاد تناوب لفظ المعنى المرادف كثافة دلالية في كلام الشاعر المقصود؛ ليستثير اسماع مشركي قريش باستعاذته بموطىء إبراهيم الخليل عليم المياظم في نفوسهم أمر مقاطعتهم لبني هاشم في الحصار المفروض عليهم في شعب أبي طالب، مبالغة منه في مقاطعتهم لبني هاشم في الحصار المفروض عليهم في شعب أبي طالب، مبالغة منه في مكان القافية؛ لوقوعه من البيت

⁽١) ظ: المثل السائر: ٣/ ١٥، ١٩ - ٢٠، اسرار التكرار في لغة القرآن الكريم: ١٤ - ١٨.

⁽٢) ظ: العمدة: ٢/ ٧٧- ٠٨.

⁽٣) ظ: الديوان: ٧١ - ٧٢.

⁽٤)م.ن: ٧٧.

وقال أبو طالب في القصيدة نفسها، منذرا آل قصي الذين تحالفوا على المقاطعة بالخذلان والذل:

إمن الطويل} فَ اللَّغ قُ صَيّاً أَن تَنَ شَرَ أَمرُن اللَّهُ وَبَ شَر قُصَيّاً بَع دَنا بِالتَّح اذُلِ "

ذكر الشاعر اللفظين «أبلغ، وبشر» وهما معنيان متقاربان يدلان على الابلاغ، وابلاغ الخبر اما أن يكون خيرا أو شرا، فلما كان آل قصي من المناهضين لبني هاشم فقد طلب أبو طالب من المرسل ابلاغهم بالشر في طلب الدم، وابشرهم بالخذلان والذل بدلالة اللفظ الواقع مكان القافية «بالتخاذل» فكان تكرار لفظ المعنى الثاني من باب التهكم؛ ليستثير الشاعر أذهان آل قصي بهذا المعنى المقصود مبالغة منه، فيهز نفوسهم بهذا التهديد، وهو يردد «قُصياً» زيادة لتأكيد المعنى.

إن تناسب الألفاظ واستواء دلالاتها أفادت زيادة في المعنى المطروق، وأدت الوظيفة نفسها فيها لو كرر الشاعر اللفظ بعينه أو بأحد مشتقاته، ومن ثم ان هذا النوع من التكرار يزيد النغم الإيقاعي لتفعيلة الوزن، فضلا عن أنّه يبرز مقدرة الشاعر الابداعية في صناعة فن الشعر.

• التدوير:

يعد التدوير أحد عناصر البناء الموسيقي للغة العمل الشعري في محاولة من الشاعر على فتح صدر البيت على عجزه، فهو «ما كان قسيمه متصلا بالآخر، غير

⁽١)ظ: الديوان: ٨٢.

منفصل منه، قد جمعتها كلمة واحدة» "، فامتداد البيت واندماجه خرق لاستقلالية الشطرين على المستويين: الصوتي والدلالي ، على حين يبقى كل شطر محتفظ بقيمته الوزنية بها يحتويه من عدد التفعيلات التي اقتضتها طبيعة البحر المنجز ".

ويلجأ الشاعر إلى التداخل بين شطري البيت؛ ليتيح مجالا موسيقيا أرحب يمكن من خلاله تكرار الوحدة الموسيقية سواء أكانت ذات تفعيلة واحدة (مفردة)، أو ذات تفعيلتين (مركبة)، فيتيح امتداد البيت تلاهما دلاليا على مستوى الفكرة التي بصدد الحديث عنها، فيكون دمج الشطرين معا معينا في التعبير عما يجول في خياله من دون ان يقف شطر البيت وعجزه حائلا بينه وبين ما يريد، فيلا يقف في انشاده آخر صدر البيت، وانها ينشده بنفس واحد حتى يقف على القافية؛ لأنّه يلاحق الدلالة الموزعة بين الشطرين، فيحدث هذان زخما إيقاعيا لا يتوافر عند انشاد البيت غير المدور، فيكون الدمج بين الشطرين قد استوعب المعنى المراد ذكره، فيمنح هذا الاندماج النص شراء موسيقيا ودلاليا في آن معا، ومن هنا تظهر أهمية التدوير بوصفها انجازا إيقاعيا للشاعر لايقل عن كونه انجازاً دلالياً. وتعتمد الفاعلية الشعرية لظاهرة التدوير على احاسيس الشاعر أزاء تجربته الشعرية، وعلى امكاناته الاسلوبية في التعبير، وهي مرهونة بـ«ضرورات موضوعية وفنية»".

وردت ظاهرة التدوير في شعر أبي طالب في جزء من مقطع، أو قصيدة كاملة (له

⁽١) العمدة: ١/ ١٧٧.

⁽٢) ظ: لغة شعر ديوان الحماسة لابي تمام (اطروحة): ١٥٨.

⁽٣) دير الملاك: ٣٠٠.

⁽٤) ظ: الديوان: ٩٤، ٩٩، ٩٠، ١٠٠، ٢٠٧، ١٠٠، ٢٢٢، ٢٣٨، ٣٣٣.

بحسب تجربت الشعرية المنجزة، ونجد هذه الظاهرة الأدبية في البحور ذات التفعيلة الواحدة.

فقد شجلت حالتان لهذه الظاهرة الإيقاعية في البحور الصافية، تشكلت في مجزوء البحرين: الرمل والكامل، على حين سجلت في القصائد والمقطوعات ذات التفعيلة المركبة سبع مرات منظومة في البحرين: الخفيف والمتقارب، ويبدو أنَّ الوحدة الموسيقية في البحور ذات التفعيلتين تنطلب من الشاعر تكرارهما معا بوصفها وحدة موسيقية، فهي لا تتيح للشاعر الحرية الكافية والمرونة اللازمة في التعبير عما يجول في خاطره، فيلجأ إلى دمج الشطرين معا ومدهما بنفس واحد ليقف في آخر البيت، وليمنح الأبيات ما تحتاجه من عمق وتلاحم دلالي، وتلوين موسيقي في بناء النص.

إن نظرة متأملة في شعر أبي طالب تكشف عن قدرته وبراعته التي تتهاشى والتشكيل الإيقاعي المدور، وافصاحه عن المضمون الذي ينشده، ليبرز التدوير شكلا متجانسا مع الدلالة المرادة، وموسيقى البيت، على نحو ما نجده في المقطع الآتى من فخره بذاته:

إمن مجزوء الرمل عن السسّلم مُكْفِ سيّ ويوم الحسربِ فارسُ السسّلم مُكْفِ سيّ ويوم الحسربِ فارسُ السّل المحمد قلم المحمد المحمد قلم المحمد المح

⁽١) الديوان: ٢١٠، الأنف المقدم، والعاطس: الأنف، الحمس: ابتدعت قريش في تسميتهم الحُمُس، وهـو الشدة في الدين والصلابة في تعظيم حرمة البيت، ظ: السيرة النبوية لابن هـشام: ١/ ٣٤٨، الـروض الأُنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٣٤٨، ظ: السيرة النبوية لابن كثير: ١/ ٢٨٤.

اتاح التدوير للشاعر المرونة في استعاله في البيت الاول، وان عزوفه عن دمج الشطرين في البيت الثاني لا يعني أنه لم يحقق اندماجا صوتيا و دلاليا للبيت، وانها يتحقق من خلال الانشاد، أو بفعل قراءة القاريء بنفس واحد ليقف عند القافية، في فيضح التواصل بين الشطرين، ووجد الشاعر في مجزوء الرمل ذي التفيعلة الواحدة الحرية الكافية في احكام الصلة في البيت لخفته؛ وذلك بقطع عروض البيت وضربه، ودمج الشطرين معا، ليزيد من تلاحم البيت موسيقياً ودلالياً.

وإن افساح امكانات الضرورات العروضية أباحت للشاعر استعمال «الخبن» في تفعيلة «فاعلاتن» وهو أمر «مستحسن» "فحقق تمايزا موسيقيا فضلا عن التمايز التعبيري الذي افصح عن قوة انفعال الشاعر التي تبرز مع حركة النفس «أنا...فارس»، «أنا...أنفٌ» وهو يفخر باقدامه في الحرب في شجاعته وفروسيته.

ويقتضي أن نوضح أن استعمال مجزوء بحر الرمل الذي انماز بالسهولة والليونة "، وبما يمتلك من مقومات الخفة في الاستعمال، اقترن بظاهرة التشكيل الإيقاعي المدور، فالشعراء كانوا يستخفونه في البحور القصيرة والمجزوءة ".

وتظهر واقعية التشكيل الإيقاعي المدور في كسر رتابة الشطرين واثراء الإيقاع بالقيمة الصوتية والدلالية المتولدة من الأبيات التي يخاطب فيها أبو طالب أخاه أبا لهب وبني هاشم جميعا، فقال:

⁽١) ميزان الذهب في صناعة شعر العرب: ٦٨، المامش.

⁽٢) ظ: منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ٢٦٩.

⁽٣) ظ: العمدة: ١/ ١٧٨.

{من الخفيف}
وَبَنَدِي هاشِدِم جَميعاً عِزينا
وانِ طُدرِرٌ وَأُسرَتِي أَجَمعينا وكان في الحسشر دينا

نى وكونواكة يَداً مُصلِتينا "

ر وَمُجِـــرُّ بِقَـــوْلَتِي الخاذِلينــا

قُسل لِعَبدِ العُسزَّى أَخسِ وَشَسقيقي وَصَسديقي أَبي عِسسارَةَ وَالإِخسِ إِنْ يكسن مسا أنسى بسه أحسدُ البسو فَساِعلَموا أَنْنسي لَسهُ نساصِرٌ دهس فَانسصُروهُ لِلسرحم وَالنَّسسَب الأَد

استعمل أبو طالب في هذه القطعة ظاهرة التدوير أكثر من سابقتها، فقد ارتبط التدوير بحاجات نفسية ملحة في الاداء الشعري ذات الصلة القوية بالتقنيات الفنية والموضوعية، وعمق احساس الشاعر أزاء تجربته الشعرية.

فمن الناحية الفنية استعمل الشاعر في البناء الموسيقي بحر الخفيف، وفيه «جزالة ورشاقة» ".

وتوظيف ظاهرة التدوير فيه «دليل على القوة» " وهو يتكون من تفعيلتين «مركبة» فاعلاتن مستفعلن... وقد اتاحت له كثرة استعمال الزحافات السيطرة على البحر، واضفت على النص مزيداً من النغم الموسيقي المؤثر.

واستعمل الشاعر الوانا من تقنيات اللغة الفنية التي لوَّنت امتداد الأبيات بمزيد من الحركة والحيوية، فكثرة ورود حرفي العطف: الواو الذي يفيد الترتيب

⁽١) الديوان: ١٠٠.

⁽٢) منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ٢٦٩.

⁽٣) العمدة: ١٧٨/١.

والجمع، والفاء التي تفيد الترتيب والتعقيب مع التراخي "، أي أن تكون هناك مهلة زمنية بين المتعاطفين لتمنح القارئ فسحة من الزمن ليستريح بهذه الوقفات الخفيفة وراء كل جملة بعد التدافع العروضي المتشابك فيها.

ولجاً الشاعر أبو طالب إلى التضمين ليحكم الصلة بين الأبيات «إن يكن... فاعملوا... »؛ ليوفر تلاحما منسجا وعميقا في المعنى، وهو يستتبعها بحركة الأصوات الممتدة إلى آخر القافية .

اما من الناحية الموضوعية فقد ارتبطت بالحركة النفسية وبرزت فيها انفعالات الشاعر في الخطاب الذاتي «أخي، شقيقي، صديقي، أسرتي، إنني، ناصر، دهري، ومجر بقولتي» بإيقاعات متساوقة مع موضوع النص في الطلب من أخيه وخاله وأسرته، وبني هاشم جميعا، أن يكونوا يدا واحدة في نصرة رسول الله عَيْرِالله فالكلمتان «ناصر» و «أنصروا» المحور الذي يدور عليهما مضمون النص الشعري المطروح؛ لأن الحياة العربية فرضت على الواقع الاجتماعي الحماية والنصرة، لصلة الرحم أو لقرابة النسب، أو لاعتبارات أُخرى.

إن بثّ هذه الفكرة التي ينشدها الشاعر بنفس واحد، والوقوف عند آخر البيت تتواءم مع خرق رتابة إيقاع البيت.

وقدم أبو طالب من خلال هذا التهايز الإيقاعي والتعبير الفني انجازا شعريا غنيا في لغته الإيقاعية والتعبيرية التي استوعب تجربته الآنية .

⁽۱) ظ: شرح ابن عقیل: ۲/ ۲۲۱ - ۲۲۷، معانی النحو: ۳/ ۲۱۱ – ۲۱۲، ۲۲۰ – ۲۲۲.

• الضرائر:

الضرائر الشعرية، هي عملية خرم رتابة القواعد والمعايير اللغوية والنحوية والعروضية وغيرها التي تواضع عليها اللغويون والنحويون والعروضيون في آخر القرن الأول الهجري، وبداية القرن الثاني الهجري، فقد تشكلت طبقة من العلماء المهتمين بلغة التنزيل، فعملوا جاهدين فيا بعد على تخريج ما يخرق نظام قواعدهم ومعاييرهم التي تواضعوا عليها، ولحل اشكالية هذه الخروقات قالوا بالرخصة والجواز والضرورة.

وعلى الرغم من اختلاف مواقف ارائهم من الضرائر الشعرية "، إنهم يتفقون على أن الشعراء يلتجأون إلى استعال الضرائر لما كان الشعر «كلاما موزونا يخرجه الزيادة فيه والنقص منه عن صحة الوزن، ويحيله عن طريق الشعر، أجازت العرب فيه ما لايجوز في الكلام، اضطروا إلى ذلك أم لم يضطروا إليه؛ لأنه موضع ألفت فيه الضرائر» "، ويفسر هذا الكلام ان الشعر نفسه ضرورة. وان الشعراء الجاهلين والذين أتوا من بعدهم لم يكونوا مضطرين لاستعالها، وانها قصدوها قصدا؛ لأنهم لم يعرفوا القواعد والمعايير التي تقنن اللغة، فالشاعر يستعمل حقاً من حقوقه عند نظم الشعر في اتمام المعاني التي اقتضتها طبيعة التجربة الشعرية المنجزة، وفي اقامة الوزن والقافية والموجّه في ذلك كله حالته النفسية ساعة ابداعه الشعري.

وحمل الشعراء على استعمال حقوقهم هذه في لغتهم الشعرية بسبب «المضايق

⁽١) ظ: النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري: ١٥٥- ١٧١، فـضاء البيت الـشعري: ١٤٨ - ١٤٨. (آراء علماء العربية)

⁽٢) ضرائر الشعر: ٧.

التي يدفعون إليها عند حصرة المعاني الكثيرة في بيوت ضيقة المساحة، والاحراج الذي يلحقهم عند اقامة القوافي التي لا محيد لهم عند تنسيق الحروف المتشابهة في أواخرها، فلابد من ان يدفعهم استيفاء حقوق الصنعة الى عسف اللغة بفنون الحيلة» " فصناعة الشعر تقتضى التغير والتبديل والحذف والزيادة في ابنية الكلمات.

وبها أن الشاعر مبدع يريد لابداع فنّه الشعري الـذروة في أفانين القول، فانه يوجه عنايته باغناء لغته الشعرية بالمعاني والصور والأخيلة، واثرائها بكل ما هو جميل ومبدع ليصل بعمله الشعري القرب إلى الكهال، فيلجأ إلى ممارسة حقه في انجازه؛ لأنه يجد أن قوانين اللغة تعوقه عن ايراد هدفه في استيفاء المداليل؛ لأن «غرضه ايراد المعنى الحسن في اللفظ الحسن» " المتساوقة مع وزن موسيقى نظام القصيدة، أو المقطع، وهذا دليل على عدم التعارض بين حقوق الشاعر وبين التعبير الشعري الذي يراها بعض الباحثين " المهتمين بشؤون اللغة خلاف القواعد، انه دليل على ضعف موهبة الشاعر في مقدرته اللغوية.

إن ما يسمى بالضرائر هي من خصائص اللغة الشعرية الفنية الخاصة التي انهازت بها العربية "، واحدى مكونات بنية لغة الشعر، وكل ما ورد من كسر لقيود

⁽١) التنبيه على حدوث التصحيف: ١٥٧ – ١٥٨.

⁽٢) المثل السائر: ١/٥٥.

⁽٣) ظ: الخصائص: ١/ ٣٢٩، فقه اللغة وسنن العربية في كلامها: ١٥٧ - ١٥٨، المزهر في علوم اللغة وانواعها: ٢/ ٤٩٨ - ٤٠٥، واتبع رأيهم أحد المحدثين، ظ: البناء الفني للملحمات في جمهرة اشعار العرب: ١٢٥.

⁽٤) ظ: الضرورة الشعرية: ٦٤.

القواعد والمعايير اللغوية والنحوية والعروضية هو حق من حقوق الساعر الذي يتمتع به في استعماله للغته الخاصة من ألفاظ وتراكيب ومعانٍ ، يتصرف في أفانين الكلام كيفها شاء على وفق قوانين النظم الشعرية؛ لأن «الشعراء أمراء الكلام يُصرّفونه أنى شاءوا، ويجوز لهم ما لايجوز لغيرهم من اطلاق المعنى وتقييده ومن تصريف اللفظ وتعقيده ومد المقصور وقصر الممدود والجمع بين لغاته والتفريق بين صفاته واستخراج ما كلَّت الالسن عن وصفه ونعته والاذهان عن فهمه وايضاحه، فيقرّبون البعيد ويبعدون القريب ويُحتَج بهم ولا يُحتج عليهم» ".

وفي ضوء ذلك لم تسلم دواوين الشعر الجاهلي والإسلامي في قصيدة من بيت أو أكثر من لفظ أو معنى أو نظم أو ترتيب أو تقسيم أو إعراب وغيرها، من قدح، ولكن أهل الجاهلية جدوا بالتقديم، واعتقد الناس فيهم انهم القدوة والاعلام والحجة، وان الاعتقاد الحسن في الحمل على التجويز ستر عليهم، ونفي الظنة عنهم " ومن الضرائر الشعرية التي وردت في شعر أبي طالب الخاضعة لسلطة الوزن والقافية التي اعتمدها الشاعر بوصفها حقا من حقوقه خاضعة لقانونه الشعري على وفق النظم المرسومة لعمله الشعري ضمن المستويات المختلفة: الصوتية، والتركيبية، والدلالية، والخطية وغيرها التي لاتخلو منها قصيدة في شعره.

ومنها «ترخيم الاسم في غير النداء، إجراء له مجرى النداء عند الاضطرار إلى ذلك. وهو جائز باتفاق من النحويين على لغة من لا ينوي رد المحذوف، بل يجعل ما بقي من الاسم كاسم غير مرخم... واختلفوا في الترخيم على لغة من نوى رد

⁽١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ١٤٣- ١٤٤، القول للخليل بن أحمد الفراهيدي.

⁽٢) ظ: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ٤.

المحذوف» " وليس ذلك خاصا بالنداء، وكان عليهم ان يبينوا ان الشعر لغة فنية خاصة، وان الشاعر يلجأ إلى الترخيم في حذف حرف أو اكثر من اسم العلم لمقتضيات نفسية وفنية تتطلبها المستويات الالسنية ساعة ابداعه الشعري، نحو قول أى طالب:

{من الطويل}

وَحَبِثُ يُسْبِخُ الْأَسْعَرُونَ ركسابَهُم بِمُفْضَى السُيولِ مِسْ إِسافٍ وَنائِسلِ "

رخَّم الشاعر «نائلة» فاسقط الحرف الأخير؛ لأنه واقع تحت سلطة قافية القصيدة اللامية؛ لمناسبة حرف روي القصيدة التي تم له نظم القافية للبحر الطويل ذي الضرب المقبوض «مفاعلن //٥//٥» بحرف اللام، فاستغنى عن الحرف الأخير؛ ليوازي بين عروض الشطر الأول من البيت، وضرب الشطر الثاني منه، فهذه المرونة في الاستعمال من بنية لغة الشعر وخصائصه، ونحو ذلك من القصيدة نفسها الاجتزاء بالكسر عن الياء، فقال أبو طالب في وصف الإبل:

{من الطويل}

تَـرى الـوَدعَ فبها وَالرُّحْامَ وَزينَـةً بأعناقِها مَعقودةً كَالعَثاكـــل "

ذكر الشاعر «العثاكل: أراد العثاكيل فحذف الياء ضرورة» "، وهو جمع

⁽١) ضرائر الشعر: ١٠٦-١٠٧.

⁽٢) الديوان: ٧١، الأشعرون: الحجاج الذين لم يحلقوا رؤوسهم، إساف ونائلة: صنمان.

⁽۳) م.ن: ۷۱.

⁽٤) الروض الأُنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام: ٢/ ١٩.

"عِثْكَالُ وعَثْكُولُ...:العِذْق" "، وإنها اجتزأ الشاعر بالكسر عن الياء للمجانسة، وحذف الياء ليستوي وزن تفعيلة الضرب الثاني من البحر الطويل ذي الضرب المقبوض التي نظم بها الشاعر القصيدة، فلو قال: العثاكيل، لكان الضرب على وزن مفاعيلن وليس بالجائز أن يأتي الشاعر في قصيدة واحدة من ضربين: «مفاعلن / ٥ / ٥ ، ومفاعيلن / ٥ / ٥) فحذف الياء لتكون الأبيات كلها على ضرب واحد «مفاعلن» وهذه الضرورة من لوازم بنية اللغة الشعرية.

ومنه اضمار الجازم وابقاء عمله، نحو قول أبي طالب في مدح الرسول:

{من الوافر}

مُحَمَّد تَفدِ نَفسَكَ كُلُّ نَفسِ إذا ما خِفتَ مِن شَيءٍ تَبالا "

أراد الشاعر "لتفدِ" فاضمر لام الأمر وهذا قبيح عند النحاة "وليس لي ان اقول بالرخصة في الذهاب إلى التأويل؛ لازالة ما مرَّ في وصف النحاة من تقبيح هذا اللون من الحذف؛ لأنَّه لم يمر في خلد الشاعر هذا الأمر، فعندما نذهب إلى التأويل نريد الوصول إلى حلِّ هذه القضية، انها لجأ الشاعر إلى الحذف؛ لانه أمن اللبس في المعنى، ولقبول الأذن العربية لهذا النوع من الخروج في موسيقى الشعر وهو ما ينبغي أن يُسمح للشاعر به، ويهم الشاعر مطابقة كلامه للاستعمال المطَّرد للغته إلا في المواطن التي يقرر ان يخرج عليها بالرخصة المنوحة له، فهو يخاطب رسول الله

⁽١) ظ: لسان العرب: (عثك).

 ⁽٢) الديوان (التونجي): ٦١، غاية المطالب في شرح ديوان أبي طالب: ١٧٧، وينسب البيت في خزانة
 الادب: ٩/ ١١ له وللأعشى أو لحسان، والشاهد المذكور ليس في ديوانها.

⁽٣) ظ: ضرائر الشعر: ١١٧.

محمد عَلَيْهِ الله الله الله و الأخود والأصوب والأفضل، وهذا ما لم ينتبه إليه النحوي؛ لأنّه معنى بقواعد النحو ومعاييرها، والتمسك بها من دون التفكير بالخروج عنها حتى لو أقتضت الضرورة لذلك.

ويلجأ الشاعر بادراكه الفني إلى ابدال حرف من حرف آخر، ليحرك ساكناً، أو يسكن متحركاً " مسايرة لتفعيلة الوزن، أو القافية، ومنه ابدال الألف من الهمزة نحو قول أبي طالب في منعه لرسول الله عَلَيْظَالُمُ :

(من المتقاربل)

ولكن اسيرُ الهنم سامتاً كها ذارَ ليثُ بغيلُ مَضِيق "

أراد الشاعر «زأر» فابدل الالف من الهمزة؛ لأن الهمزة متحركة والألف ساكن مراعاة لسلامة الوزن «فعولن/ ٥/ ٥» «كما زا» للبحر المتقارب من دون الاخلال بوزن أول عجز البيت.

وتسهيل الهمزة من خصائص لغة قريش، وهي من الأصوات الشديدة؛ لأن غرجها المزمار نفسه ولا عمل للوترين الصوتيين معها، فأهل البادية يخففونها في النطق ليجعلونها واضحة تتناسب مع سماع الاذن على مسافة قد تختفي فيها الأصوات المهموسة، وأهل الحضر يسهلونها لتتناسب مع خفض الصوت وانسجامها مع طبيعة تحضر البيئة ".

⁽١) ظ: م.ن: ١٧٣، وما يجوز للشاعر في الضرورة: ٩٠.

⁽٢) الديوان: ١٧٤، سامت: القاصد المتعمد، الغيل: عرين الأسد وموضعه.

⁽٣) ظ: في اللهجات العربية: ٦٥ - ٩٦، ٩٩ - ١٠٠.

وعلى الرغم من أن لغة قريش لغة حضرية تمتلك خصائص اللغة الأدبية المشتركة التي نزل بها التنزيل الحكيم، كان تسهيل الهمزة من خصائص لغتها التي مال الشاعر أبو طالب إلى النطق بها؛ لأنها من مزايا لغته القرشية التي تنسجم مع بيئته وطبيعته اللهجية. ولا يخفى أن الهمزة اشد في الميزان الصوتي من الالف، وهي رخصة منحت للشاعر سواء أكان قرشيا أم غير قرشي.

ومنه أيضاً ابدال الياء من الهمزة، فقال أبو طالب في القصيدة الرائية عندما افتقد رسول الله عَلَيْظَهُ وظن أن قريشا اغتالته:

إمن الوافر } كـــأن الأفُـــق محفـــوف بنـــاد وحــولَ النّـاد آسـادٌ تزيــــرُ "

أراد «تزأر» وانها ابدل الهمزة ياء؛ ليسوغ تحريك الراء وتسكين الياء لسلامة وزن قافية البحر الوافر ذي الضرب «فعولن/ / ٥/٥» في القصيدة الرائية التي يتناوب فيها الردف الواو تارة، والياء تارة أُخرى؛ لتوافق قوافي القصيدة كلها.

وقد يعمد الشاعر على ابدال حركة من حركة أخرى على نحو تسكين الحرف المتحرك «الميم» الذي من حقه الضم، نحو قول أبي طالب:

إمن الطويل} و خطمهم سُمْرَ الرِّماحِ مَعَ الظُّبا وَإِنفاذُهُم ما يَنتقى كلُّ نابِسلِ "

⁽١) الديوان: ٢٤٤.

⁽٢) م.ن: ٧٣، الضبا: مفردها ظبة، وهي حد السيف أو السنان، إنفاذهم: إنساؤهم، النابل: الـضارب بالنبل.

أراد الشاعر «سُمُر» وانها لجأ إلى تسكين حرف الميم لاقامة وزن البحر الطويل في صدر البيت «فَعُوْلُ/ / ٥ _ مَفَاعِلُنْ / / ٥ / ٥ ... »، «حطم موسُمْرَ ر/ ...» فضلا عن استعمال الشاعر حق من حقوقه في اقامة الوزن، فاشبع حرف الميم بالحركة في لفظ «وَحَطْمِهمُ» فهذا الوعي الحسي لأذن الشاعر بحسن صحة الوزن لموسيقى البيت شيء من تمام لوازم لغة الشعر.

ويدخل ضمن حقوق الشاعر في ابدال حركة من حركة أخرى، ابدال الكسر من السكون: أي تحريك الساكن، نحو قول أبي طالب:

(من الطويل)

عمد الشاعر إلى ابدال حركة الاعراب السكون بالكسر في لفظ «نقاتل» ومن خصائص حرف «لم» اذا دخل على الفعل المضارع احدث في حركة آخره القطع فيجزم الفعل وعلامة جزمه السكون، وقد لجأ الشاعر إلى كسر آخر الفعل «اللام» لمناسبة حركة الروي في القصيدة اللامية المكسورة، ولمناسبة تفعيلة وزن ضرب البيت «مفاعلن//٥//٥» في بناء القافية للبحر الطويل، فسلامة القافية كانت وراء هذا الابدال الذي هو من ضرائر القافية. ويعني الشاعر بإبدال حركة من حركة لمناسبة معايير حركة روى القصيدة، نحو قول أبي طالب:

{من الكامل} قصاً أُرَدِّدُ حَسسرَةً لِفراقِ بِ إِذِ لَم أَراهُ وَقَد تَطاوَلَ باسِ قُ " _____ أَراهُ وَقَد تَطاوَلَ باسِ قُ " _____ قُ

(١) الدم ان: ١٩٣، ٢٣٣.

⁽۲) م.ن: ۲۵۰.

اراد الشاعر «باسقا»، لانه حال، وإنها رفع اخر اللفظ؛ لأن حركة الروي في القصيدة «القافية» مرفوعة، فمراعاة منه لمعايير الشكل البنائي المنجز لجأ إلى هذا التغيير في بنية حركة الحرف، وهذا ما يلحظ في قصيدته البائية الساكنة (أ أيضاً.

وحملا على خصوصية اللغة الشعرية التي انهازت بها من غيرها من أصناف الكلام، فقدم الشاعر ما حقَّه التاخير؛ لإقامة الوزن والقافية، نحو قول أبي طالب:

(من الطويل)

بَكَيِتُ أَخِهَ لِأُواءَ يُحَمَدُ يَومُهُ عَلَى رَيمٌ رُؤُوسَ السَّدَّارِعِينَ ضَروبُ "

الشاهد في قوله «رُؤوسَ الدَّارِعينَ ضَروبُ» حيث أعمل صيغة المبالغة «ضروب» فنصب بها «رُؤوسَ الدارِعينَ» فقدم المعمول على العامل، ولو قال: ضروب رؤوس الدارعين؛ لاختل وزن بيت البحر الطويل، فلجأ الشاعر إلى تأخير ما حقَّه التقديم؛ لإقامة الوزن والقافية.

وفي ضوء عرض الظواهر الإيقاعية يتبين ما يأتي:

شكلت الوحدات الترجيعية سواء أكانت لفظاً أم عبارة أم معنى في موسيقى الخطاب الشعري تأكيداً لوحدة احساس الشاعر الذي تعتريه ساعة ابداعه للعمل الشعري، وهو يلجأ إليها بحسه الفني لاقامة الوزن، أو لتقوية الجرس الإيقاعي للقافية التي يشترك المتلقي في توقيعها، أو لايضاح الدلالة وزيادتها، أو لتأكيد وحدة الصورة، على أن هذا الترجيع اللفظي، أو التركيبي، أو المترادف خاضع لطبيعة

⁽۱) الدوان: ۱۱۵–۱۱۲.

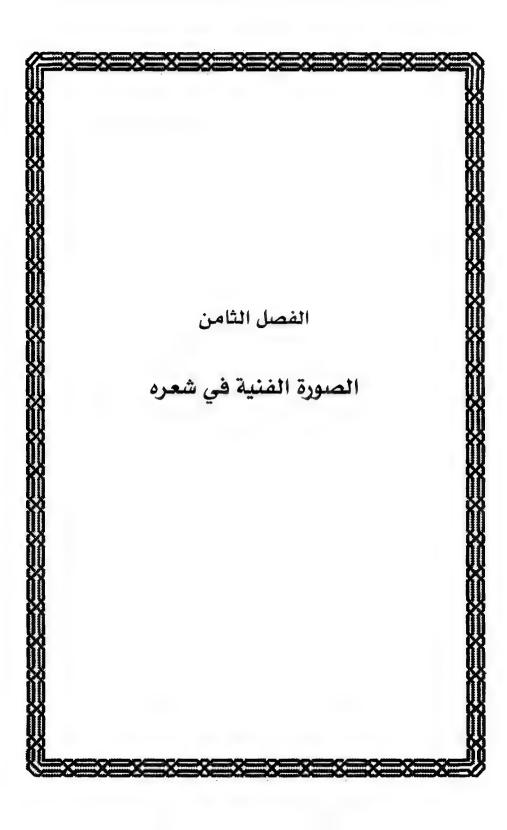
⁽٢) الديوان (التونجي): ٢١، اللأواء: الشدَّة.

السياق في النص الشعري.

وتوجب طبيعة التجربة الآنية للشاعر _ في بعض الأحايين _ نظمها بالطريقة المدورة، وهي محاولة منه في الخروج عن اطار الإيقاع المحدد، ويعد التدوير جزءا من الحركة النفسية للشاعر التي تثري النص بالدلالة الوجدانية في وقت انخراط الشاعر مع مديات الإيقاع الواسعة والمنفتحة والشديدة المرونة، فيلغي فيها نظام الشطرين ويمد البيت بتشكيل صوتي متتابع وسريع الى آخره، فيحقق غنى في الإيقاع، وان مد البيت بنفس واحد والوقوف على قافيته وهو ينشد بث الفكرة التي يعالجها الموضوع ضمن الإيقاع المنجز فيحقق غنى دلالياً أيضا.

وان انخراط الشاعر وراء ما يسمى بالضرورة الشعرية؛ انها هو حق من حقوقه المنوحة له في بناء صناعته الشعرية، وهي ناشئة من ضغط البناء الشعري المقيد بقيود الوزن والقافية وطرح الافكار التي لا يستوعبها القالب الشعري المحدد.





مفتتح الفصل بناء الصورة

يصور الأدب ولاسيها الشعر تجارب حياة الوجود الانساني في ماضيه وحاضره ومستقبله بموضوعات متنوعة، وهو يوحي باللحظة النفسية الاشبه بنافذة تفضي إلى آفاق بعيدة تطوف في الخيال، فيكتسب الشعر اصداءً من الحقيقة والخيال، فيكون مزيجا منها على نحو فريد.

وقد يتسع الخيال عند الشاعر فينقل سرائر روح الكون إلى خياله عبر انفعالاته النفسية محلقا في آفاق خيالية يتحرر فيها قليلا أو كثيرا عن حياته المادية واغلالها الثقيلة، فتضحي لغته لغة ساحرة معبرة عن صدق احساسه بها تحتوي من تعبيرات مجازية وتشبيهية واستعارية وكنائية، ومن هنا تتضح العلاقة بين بناء اللغة الشعرية والصورة.

فالصورة الشعرية وسيلة الأديب، لإيقاظ النفس وتهيج العاطفة بتجربة شعورية ذات نمط فني ابداعي بجمع الشاعر فيها حقائق الكون الخارجية المختلفة يوحدها ويعيد خلقها على وفق رؤيا نفسية عميقة تعبر عن منطلقه الفكري

والوجداني، فتنبض بالحياة والحركة بالوانها الاسلوبية وباشكالها الفنية المشخصة بالألفاظ وصياغة العبارات التي فيها قدر من الخيال، وهو القوة النفسية التي تنهض برسم الصورة، فتمنحها قوة ايحائية مؤثرة تجعلها قابلة لتعدد التأويلات عند المتلقى.

والصورة الشعرية هي التي تبرز مدى تمكن الشاعر من صناعته الشعرية بها يمتلكه من قوة الملكة اللغوية التي تنفذ إلى معان جمالية، أو انسانية، فيفيض الشاعر خياله عليها، ويلصق احاسيسه بها، فيصور الاشياء المادية والمعنوية على السواء بها يحقق التناسب بين اتحاد الألفاظ بالمعاني التي تتجلى فيها قدرة الشاعر على صوغ صوره ضمن تجربته الآنية، فالصورة تقوم بوظيفة جزئية داخل التجربة الشعرية الكلية، فتشترك في الحركة العامة للنص بشكل متنام يناى عن الاضطراب والاختلال، أو تنافر الفكرة، أو العاطفة بين مكونات عناصر النص الشعري فالصورة مليئة بالحيوية والنمو، ولهذا لايمكن بترها، أو تحديد قالب فني معين لها؛ لأنّها قد تتشكّل في نص، أو بيت، أو عبارة، أو مفردة، بحسب روافد الطاقة الايحائية التي انشأها مبدعها ووسائل تصويره لها ضمن بناء النص الشعري العام.

ومن هنا لابد من أن نتعامل مع الصورة في بناء الأثر الأدبي على وفق التحامها اللغوي والموضوعي والفكري والشعوري بكال انسجامها وتناسقها وتماسكها؟ لأنها بمجموعها تمثل بنية واحدة لايمكن فصل عراها؛ لأنها جزء من مبنى النص، ولكن طبيعة الدراسة تتطلب التجزئة بوصفها وحدة منفصلة؛ لبيان القيمة التصويرية للأثر الفني بقصد اظهار براعة الشاعر، وإلا فهي لاتتجزأ عن بنائها العام في النص.

وانطلاقاً من هذا المفهوم يمكن دراسة الصورة الفنية في شعر أبي طالب

الخاضعة لملكاته اللغوية والبيانية وبواعثه النفسية وتجربته الشعرية، المختومة بافكاره وخياله، والمنطعة باحاسيسه ومشاعره.

_ مصادر الصورة في شعره:

تنوعت الينابيع التي استقى أبو طالب منها صوره الفنية بوصف شعره مظهرا من مظاهر الحياة الانسانية في تسجيل احداثها، ولا سيما الحياة الإسلامية الجديدة، فعبر عما يعتمل في نفسه من عواطف واخيلة وافكار على وفق الحياة التي تشتمل مرحلة الانتقال من الجاهلية إلى الإسلام ومواكبة حركة الـصراع والمعارضة للـدين الحنيف في زمن البعثة الشريفة، فاكثر صوره الشعرية _اذا استثنينا شعره في فن الرثاء وبعض المقطوعات في الفخر والحاسة الجاهلية - تمثل المرحلة الجديدة لبواكير الظاهرة الأدبية الإسلامية، بيد أنَّه في بعضها يحذو حذو التقليد لـصور سابقيه من الشعراء ضمن شعره الإسلامي؛ لأنَّ الظاهرة الادبية الإسلامية لم تكن قد تبلورت وتكاملت مقوماتها الفنية الجديدة بعد، وإنها غرسها أبو طالب في شعره وإينعت وقطف ثهارها شعراء الرسول عَيَالِنَّهُ بعد هجرته إلى المدينة أمشال: حسان بـن ثابـت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة، فبعض صوره الشعرية في المرحلة الإسلامية وان كانت جاهلية في ظاهرها بيد أنَّها تختلف في الفكرة والموضوع الإسلاميين المطروقين، فنظام الحياة الجديد: الفكري والاجتماعي والسياسي والاخلاقي غذي خيال الشاعر وذوقه في انتقاء صوره الحسية والمعنوية معاً.

وثقافة أبي طالب الدينية في اعتناقه للدين الحنيف بها يتصل به من اخلاق ومعتقدات لها اثر كبير في ترقية عقله وتقوية شعوره العقائدي في خلق موضوعات إسلامية يتردد صداها في صوره الشعرية، والسيها المستمدة من التعبير القرآني،

فالتعبير الجديد عن الحياة الإسلامية اليومية جعل أبا طالب يصدح بصوته الصريح الصادق باساليب تعبيرية وموضوعية؛ لاستقطاب قريش إلى صف الإسلام، فكانت صوره ثمرة فنية تعبر عنها القصيدة التي تشكل الصورة احدى مرتكزاتها الأدبية.

وأبو طالب ذو ثقافة عالية ناشئة من تحصيله الأدبي من ثقافة معاصريه من الأدماء: شعراء وخطباء، فقد كانت اسواق مكة: عكاظ، والمجنة، و ذو المجاز، ميدانا فسيحا يتباري الشعراء والخطباء في انشاد فنها، فهذه الأسواق احمدي وسائل نشر الأدب التي نهضت بالوحدة اللغوية بين قبائل العرب التي نزل بها القرآن مؤيدا ومذيعا للغة قريش(١)، وكان لأدباء قريش الحظ الأوفر من نهل هذا المنبع الثقافي الصافى؛ لأن هذه الأسواق كانت معرضا للأدب: الشعر والنثر، ومما لا ريب فيه أن أبا طالب قد تأثر في هذا التحصيل الأدبي فاثرى صوره من شعر الشعراء السابقين لـ والمعاصرين في آن معا، وبيدو أنَّ طبيعة مكة التجارية جعلها ساحة واسعة لعرض الاراء والافكار والمفاخر، وناديا لالقاء الشعر في انديتها، وأبو طالب كان له حظ مين التجارة سواء أكان في مكة أم في خارجها، وهذا الأمر اتاح له ولغيره من شعراء مكة أن يتبادلوا ثمار العقل والفن في هذا التلاقح الثقافي بينهما، فكثير من الشعراء من داخل مكمة وخارجها مدحوا النسب الهاشمي ولاسيها عبد المطلب واولاده(٢٠ بوصفهم رؤوساء قريش وزعهاءها والقائمين على بيت الله الحرام، ولهم السقاية والرفادة فهذا له اثره في بناء صور أبي طالب الشعرية.

بقي ان اقول ان البيئة احد روافد صور أبيطالب الشعرية التي لها الأثر العميق

⁽١) ظ: الشعر الجاهلي: ٨٤ - ٨٦.

⁽٢) ظ: انساب الاشراف: ١/ ٥٥، ٥٩، ٦٠، ٢١، ٧٣- ٧٤، ٧٥، ٨٨، ٨٩.

في ذوقه، فالصورة المتشكلة في لغة الشاعر الحضري قد انهازت أحيانا من الصورة المتشكلة في لغة الشاعر البدوي، ومن هنا جاءت صوره عذبة رقيقة في استقصائها للبيئة الحضرية قاصدا فيها الوضوح والافهام للنهوض الحثيث في الصورة الفنية الانيقة. فصور أبي طالب الشعرية قد تكون مستمدة من الموروث الثقافي للشعراء السابقين له أو مستثمرة من شعراء عصره، أو من أثر الحياة الفكرية الإسلامية الجديدة، أو من أثر تجارب الحياة الواقعية في وقت واحد، ومن هنا لايمكن القطع بشكل دقيق بين هذه الصورة، أو تلك في بيان الأثر الفني.

فمن صور أبي طالب البيئية التراثية صور جثث القتلى طعاما للطيور (١) التي اثارت مخيلته، فشرع يرسمها في سياق التهديد والوعيد، خالعا عليها تجربته الشعرية في تسفيه احلام قريش بقتل رسول الله عَلَيْظُهُ فقال في القصيدة الميمية:

{من الطويل}

أمسانيُّهم تلكسم كَسأُحلامِ نسائِمِ وَكَا تَسرَوا قَطفَ اللِّحس وَالغَلاصِمِ تَحسومُ عَلَيها الطَسيرُ بَعددَ مَلاحِمِ وَقَد قَطَعَ الأَرحامَ وَقعُ السَموادِمِ إلى السرَّوع أَبناءُ الكُهولِ القَماقِم ⁽۱) ظ:ديوان امرىء القيس: ۲۰۰، استعمل امرؤ القيس هذه الصورة في رثاء جماعة من قومه قد اصيبوا على يد اتباع الملك المنذر حسدا لهم، ظ: ديوان النابغة الذبياني: ٤٢ – ٤٣، استعمل النابغة هذه الصورة في مديح قوم عمرو بن الحارث بن الاعرج.

⁽٢) الديوان: ١٢٧، الكهول: الرجال، القهاقم: مفردها القمقام وهو السيد.

عندما يزمع المرء على شن الحرب على الأعداء والايقاع بهم، يصف ساحة المعترك بالقسوة والشدة، فجثث قتلى الأعداء ستصبح طعاما للطيور الضارية، من هنا ساق أبو طالب هذا المشهد مصورا الملاحم بصيغة الجمع للمبالغة في التهويل لمشهد قطع الرؤوس، وصك السيوف بالسيوف وتدافع الخيل، وهي صورة توحي بشدة الفتك والبطش بالأعداء، وقد زج أبو طالب هذه الصورة؛ لبيان حقيقة آمال قريش في قتل رسول الله فهي كأحلام نائم، فلم ولن يتمكنوا من تحقيقها، فاخضع الصورة البيئية التراثية إلى تجربته الآنية بعد أن ادخل فيها التغيير والتحوير في تصوير واقعة حربية فعلاً.

ويرينا أبو طالب بوضوح الجهد الفني المبذول في انجاز صورة شعرية متنامية في بناء قصيدته التي تماثل نظيرتها في الشعر الجاهلي بيد أنها تباينها في رسم تفاصيلها.

ويرسم أبو طالب صورة فنية أُخرى تضارعها في التصوير في مكان آخر، فهو يستعمل الصورة التراثية مع اضافة في ملاعها ومظهرها العام، وكأنها صورة تباين أختها، فيحدث فيها تغييرا وتحويرا بألفاظها الدالة على معانيها الملونة، بحسب قدرته الابداعية لصناعته الشعرية على نحو ما نجده في قصيدته الباثية، وهو يهدد قومه ويتوعدهم عاقبة قتل رسول الله على المقال:

{من الطويل}

بِمُعْتَرَكِ صَنْسَكَ تَسرى قَسَدَ القَنَا بِهِ وَالنُسورُ الطُّهُمَ يَعَكُفُنَ كَالشَّربِ (٣)

⁽١) ظ: الديوان: ٢١٢.

⁽۲) م.ن: ۲۱۲.

قابل أبو طالب صورة الطيور العاكفة على جثث القتلى _ بعد ان بين ملامحها المرثية فهي، نسور ذات رؤوس سوداء _ بصورة عكوف الجماعة لشرب الماء، فصورة المشبه والمشبه به متناسقتان في تشكيلها الفني ومطابقان في هيأة الوصف بمعالجة فنية متقنة .

ومن صور التراث صورة الفارس السجاع المأخوذة من صورة الأسد، أو الليث فاستعملها أبو طالب للدلالة على الإقدام والمصاولة والغضب والزهو والشموخ، على نحو ما يذكر في منعه لرسول الله عَلَيْكِاللهُ :

{من التقارب}

على الرغم من تقريرية صورة الأسد، مَنح أبو طالب الصورة الحيوية من خلال الموازنة بين زئيره وزئير الأسد، فزأر أبو طالب على اعدائه بشموخ كما ينزأر الليث في عرينة الضيق، كناية عن غضبه عليهم، ولوح أبو طالب بهذه الصورة في فخره الذاتي في الذود عن رسول الله عليهم والجامع بين صورة زئير الشاعر، وصورة زئير الليث هو الحالة النفسية لكليهما الدالة على الغضب والقوة والشموخ.

إنَّ استعمال أبي طالب لهذه الصورة لايخلو من التغيير والتطوير، فقد طرقها بحسب تجاربه الشعرية المختلفة، وبألفاظ متباينة؛ ليمنح صورا متنوعة لشيء واحد، متجنبا اعادة الصور بعينها على نحو ما نجده في مديحه لقومه، فموقف قومه في الحرب اشرف موقف، فهم كأُسْد يُهزُّ جبل الصفا من زئيرها، فقال:

⁽١) الديوان: ١١٢.

وَمَوقِدِ فَ فِي الحَدرِبِ أَسسنى مَوقِف ا أُسدٌ تَهُدُّ بِسالزَئيراتِ السَّف سسا(۱)

تتجلى الموافقة بين الصورتين بانسجامها، فصورة أبطال القوم في الحرب الذين يتطلب منهم الاقدام والمصاولة والشجاعة تهزُّ قوة العدو، وهي صورة تضارع صورة زئير الأسد الذي يهزُ قوة جبل الصفا، والجامع بين الصورتين القوة والشدة والبأس والشموخ.

ويعالج أبو طالب صورته الشعرية المستمدة من صورة الأسد في اطارها العام معالجة تقنية فنية وهو يلجأ إلى اساليب التعبير المتنوعة، فقال من القصيدة الميمية مفاخرا بعشرته:

{من الطويل}

هُـمُ الأُسـدُ أُسـدُ الـزَّارَتَينِ إِذا غَـدَت عَـلى حَنَـتِي لَم تَخـشَ إِحـلامَ مُعلِـمِ (^(۲)

فأبناء قوم أبي طالب اسود الزأرتين لا يخشون الأبطال المعلّمين الذين يعرفون باقدامهم في حالة الغضب.

وتنوعت صورة الفارس المشبه بالأسد واختلفت بعض ملامحها في صور شعر أبي طالب صلى على الرغم من ان رافد الصورة التراثية واحد، فحوّر وطوّر وغيّر في

⁽١) الديوان : ١٠٣.

⁽۲) م.ن: ۱۲٤.

⁽۲) ظ:م.ن: ۱۹۸، ۱۳۲، ۳۳۳.

تشكيلها، فجعلها تشارك الرافد نفسه وتباينه في اطار الشكل، وهو مستعين بقدراته الفنية ووسائله التقنية في صناعة صوره الشعرية.

ومن صور المشاهدات اليومية صورة الحاضرة والتمدن التي اقيمت فيها مظاهر العمران قبل الإسلام وبعده، فكانت مكة مركزا دينيا حضريا قديها، والكعبة كانت بناءً قديها فيها أيضا.

ومن دواعي فخر أبي طالب أن والده عبد المطلب، كان قائما على اعمار البيت، فكانت نفس أبي طالب تبرق من حين إلى آخر، لتحلق في الخيال فتضيء الزوايا المظلمة من الكون بصورة فنية تمنح الادراك العمق في النفس البشرية؛ لترفع الانسان الاعتيادي إلى درجة عالية من الجمال الروحي وهو يرثي والده، فصوَّره عندما عمَر الكعبة، وكأنَّه ملأها نورا يجلو الجدب والظلم عن الناس، فقال:

(من البسيط)

نوراً فَيَجلُو كُسوفَ القَحطِ وَالظُلَمِ بِذاكَ فُضِّلَ أَهلُ الفَخرِ وَالقِدَم ('' العسامِرُ البَيست بَيست الله يَمسلأهُ رَبُّ الفِراشِ بِصَحنِ البَيتِّ تَكرِمَةً

في الصورة الاستعارية شبّه أبو طالب دعاء عبد المطلب بالنور الذي يملأ بيت الله الحرام الذي يوحي بالسمو الروحي، والايهان الخالص، فيكشف شدة الفقر والظلم عن الناس، لما عرف عنه انه من الموحدين وأنه مستجاب الدعاء، واغفل الشاعر ذكر المشبه (المستعار عنه) وهو الدعاء، واثبت المشبه به (المستعار له) وهو النور، وكلا الطرفين حسي، فالدعاء صورة سمعية، والنور صورة مرثية، ولكنها

⁽١) الديوان: ٩٧، كسوف القحط: شدته.

يتجازوان عوالم الحس إلى عالم الروح.

ولجليل قدر عبد المطلب كان يوضع له فراش في فناء الكعبة يجلس فيه اكراما له، واستقصى أبو طالب هاتين الصورتين؛ لبيان عظم مكانة أبيه، وكأنّه أراد أن يصور هذه المعاني التي هي موضع فخره، واعجاب السامعين، فيهز القلوب لفقده، بوصفه قيمة انسانية تتجمع فيها المباديء السامية، ففقدانه صورة لفقدان تلك القيم، ولهذا كان لهذه الصور اثرها البالغ في التهاب مشاعر السامعين حزنا عليه، فشاركوا احساس الشاعر نفسه وهو يؤبن فقيده بصور متنوعة بعاطفة حب الشاعر لأبيه.

ومن نشاطات الحياة الحضرية: الحياة الاقتصادية والتجارية التي وفرت حياة الاستقرار في المجتمع القرشي في مكة ، والدالة على مخالطة البلدان المتحضرة والمتمدنة، فقد كان بعض رجال قريش يأتون بالبضائع المتنوعة من الشام، ومن التّجار أبو أمية بن المغيرة المخزومي، فالتقط أبو طالب صورة عودة خاله أبي أمية من رحلته التجارية من الشام، فاخضعها لتجربته الشعرية، وهو في صدد رثاء له، فقال قصيدته الرائية:

{من الطويل}

رسم أبو طالب صورة مجازية في تفاؤل أهل مكة بعودة القافلة من السفر، بلفظ «البشائر» بها تحمل من دلالة الحبور برجوع أبي أمية من رحلته فتشيع الاخبار

⁽١) خزانة الأدب: ٤/ ٢٤٥.

السارة، ويصبح اهل الله بيضا، والمراد بقريش؛ لأنهم بجوار بيته، يخدمونه ويخدمون حجيجه، واستعار أبو طالب البياض لهم لحسن حالهم الذي يهاثل كسوتهم بالثياب الموشاة الجديدة من ثياب الحبيرية والمعافرية المصنوعة في الميمن، وهي صورة تدل على الرفاهية والسعادة.

وعلى الرغم مما يشيع من الوان البهجة والسرور في نفوس قريش بمقدم القافلة التجارية، كان أبو طالب قد استثمر هذه الصورة في رثاء خاله نفسه لتأجيج نفوس السامعين في مشاركته حزنه، فبالامس طالما اسعدهم بمقدمه واليوم احزنهم برحيله، وقد منح أبو طالب بناء صورته المنجزة الدقة والتأني في ذكر تفاصيلها وهو يبرز جوانب النمو والحيوية والرؤية الواضحة في اظهارها إلى المتلقي مستعملا الوانا من الاداء التصويري: الحسي والمعنوي متلمسا بعض الصور من المجاز البياني من استعارة وتشبيه باداء فني أنيق. اما الصورة المستمدة من طبيعة الثقافة الدينية الإسلامية المستثمرة من التعبير القرآني، صورة في ... الميزان بالقسط ... في فال في قصيدته اللامية ":

{من الطويل}

عُقوبَة شَرِّ عاجِلٍ غَلِيرَ آجِلِ لَـهُ شاهِدٌ مِن نَفسِهِ حـق عـادِلِ(٣) جَسزى اللهُ عَنَّا عَبدَ شَسمسٍ وَنَسوفَلاً بِمسزانِ قِسسطِ لا يَغسيضُ شَسعيرةً

⁽١) الانعام/ ١٥٢.

⁽٢) ظ: الديوان: ٧٣- ٧٥.

⁽٣) م.ن: ٨٠، يغيض: ينقص، الشاهد: اللسان.

شبّه أبو طالب الصورة المعنوية «عقوبة شر» بشيء موزون، فحذف المشبه به (أي المستعار منه)، الشيء الموزون، وأوما الى (المستعار له): الميزان، فعقوبة الشر غدت مجسدة بالوزن تكال في الميزان لا تزيد ولا تنقص مقدار شعرة، وبهذا كله جسد أبو طالب الصورة المعنوية بالصور المادية، فأفعم الصورة بجمال الخيال، وإثراء الايحاء الدال على الغضب والسخط والاستياء من ظلم بعض بطون قريش المعارضين للإسلام.

واستثمر أبو طالب من التعبير القرآني الصورة الحسية: ﴿ ... هُمْ شَرَابٌ مِنْ مَعِيْمٍ ... ﴾ (١) وهو يتوعد قريشا ويذكرهم ظلمهم وعقوقهم وحصارهم في الشّعب (٢) ، فقال:

{من الوافر}

وإنَّا سوف نورِدُهم حباضاً يكونُ شرابهُم منها الحميمُ

نهضت الصورة الذوقية في تحذير قريش بالنقمة، فسيشربون من حوض الحميم جزاء اعراضهم عن الإسلام، وتماديهم في غيهم للنيل من رسول الشريق والصورة توحي بالعذاب الاليم لأؤلئك المشركين وقد التقط أبو طالب هذه الصورة من الذكر الحكيم، واخضعها لتجربته الشعرية مانحا اياها الرؤية الجلية للتعبير عن حسيتها باطار فني مرسوم في التعبير القرآني.

⁽١) الانعام/ ٧٠، يونس/ ٤.

⁽٢) ظ: الديوان: ١١٨ – ٢١٩.

⁽٣) م.ن ٣٤٣، البيت في المستدرك تابع للقصيدة الميمية ظ: م.ن: ٢١٨ - ٢١٩.

وللمثل اثر واضح في صور شعر أبي طالب وتتجلى قيمة المثل في لفت انتباه السامع إليه مباشرة بها مجتوي من صورة مكثفة دلاليا غنية بالايحاء على نحو تسفيه أبي طالب رأي قريش حين عرضت عليه عهارة بن الوليد بدلا من ابن أخيه رسول المعتقبية المعتقبية المعتقبة المعتقبة

فقال أبو طالب في القصيدة الرائية:

{من الطويل}

فَقَد سَفِهَت أَحلامُهُ م وَعُقولُم وكانوا كَجَفرٍ بِتْسَ ما ضغطت جَفرُ (٢)

احسن أبو طالب في تشويه صورة المشبه من رجال قريش الممثلين عشائرهم، والصاق صفات شائنة بهم، تحط من منزلتهم، ليضارعهم بصورة ولد المعزى الذي «بال فأدر فبال جفره» (في سلوكهم المتوارث في العداء، والجامع بين الصورتين الجهل، للدلالة على التحقير، ولا يخفى ما لقول أبي طالب المستمد من المشل «وكانوا كجفر شرِ ما ضَغُطَتْ جَفْرُ»، من كثافة دلالية في أذن السامع وترسيخها، وايضاح الصورة وتوكيدها.

وفي شعر أبي طالب تحفل القصيدة الدالية بصورة مثل أُخرى عندما يفخر أبوطالب على بنى قصى (١) ، فقال :

⁽١) ظ: الديوان: ١٨٦.

⁽۲) م.ن: ۱۸۷.

⁽٣) مجمع الامثال: ١/٩٩.

⁽٤) ظ: الديوان: ٩٢.

أسهمت الصورة المستمدة من المشل «لديك البيان لو تكلمت اسودٌ»، في تحديد طبيعة الصورة السمعية بدلالة «قال قائلٌ»، في فخره، فلو تكلم «أسود» لأخبر بني قصي بفضل بني هاشم فيهم، ولا شك في ان اصداء الصورة السمعية لقول المشل لها اثرها في آذان مستمعي بني قصي الموحية بعراقة أرومة بني هاشم عليهم.

وعما تقدم يتبين: أن أبا طالب استمد معظم مكونات صوره من ينابيع ثقافته الأدبية والدينية المعبرة عن وعية الذاتي لمتطلبات تجربته الشعرية، فباينت أصل الصورة التراثية بتحويرها وتطويرها.

و عني أبو طالب برصد المشاهدات الواسعة من الحياة اليومية على المستوى الفكري والاخلاقي والأدبي، والحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، فتضمنت صورا متنوعة شكلت جزءاً من بناء اثره الفني بعد أن اخضعها لانفعالاته المتباينة بها يتناسب مع الموضوع الشعري الذي هو في صدد الحديث عنه مانحا صوره الوانا من ابداعه ومهارته الفنية.

⁽۱) الديوان: ٩٢، قال أبو هفان: «قالوا أراد الأسود بن عبد العُزى، وقالوا أراد اللّيل، وقالوا: أراد الحكجر الأسود، أي لو تكلم لأنّبًا بِفَضْلِنا، م.ن: ٩٢، وقال السُّهيلي: «أسود: اسم جبل كان قد قتل فيه قتيل، فلم يعرف قاتله، فقال أولياء المقتول هذه المقالة، فذهبت مثلا، الرُّوض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام: ٢/ ١٦٦، لم نعثر على المشل في كتب الأمشال، ظ: جمهرة الأمثال، فصل المقال في شرح كتب الأمثال، مجمع الأمثال، المستقصى في أمثال العرب.

_وسائل الصورة البيانية:

ضمت اساليب البيان العربي أهم وسائل الصور الفنية غير المباشرة في التعبير عن المعنى الواحد بدلالات مجازية متنوعة، فالفكرة الواحدة يمكن اداؤها باساليب متباينة، وبطرق ادائية مختلفة تتبعها تغييرات _ زيادة أو نقصان _ في المعنى بحسب بناء الألفاظ؛ لأنَّ الألفاظ صور المعاني، فإذا تغير تشكيل الألفاظ تغيرت المعاني المصورة.

ومن الأساليب البيانية التي يتوسلها المبدع في رسم صوره الفنية: المجاز، والتشبيه والاستعارة والكناية، ومن جمال هذ الوسائل البيانية ، انها تمنح النص الشعري الاثارة، وبعد المرمى الذي تهدف إليه، وهي أكثر جمالا من الأساليب الحقيقية (۱)؛ لامتلاكها الامكانات الايجائية المؤثرة في جلب انتباه السامع، فتهز مشاعره ووجدانه بعد أن نبضت باحاسيس مبدعها، وتضمنت افكاره وانفعالاته.

والصورة البيانية لغة مجازية ضمن بناء تشكيل لغة القصيدة مرتبطة باجزائها، تحمل مضامين متنوعة يحلق الشاعر فيها على اجنحة من الخيال فيطلقها حرة نامية في صور حسية، او عقلية بنوعيها: الوهمي والوجداني، وهي خاضعة لمهارة منشئها، في قدرته على رسم صوره وبها يتفجر ابداعه، وتضيء موهبته وملكاته الشعرية بروعة التعبر في صناعة صوره.

⁽۱) لانعدم في الصورة الحقيقية من وجود تعابير فنية ذات قيمة جمالية بدرجة تقترب من جمال الصورة المجازية، في الوقت نفسه قد تفتقر الصور المجازية الى التأثير كها نلحظ في الصور التشبيهية التقريرية في شعر أبي طالب، ظ: الديوان: ۷۱، ۷۲، ۷۷، ۸، ۸، ۸، ۱۰۹، ۱۰۱، ۱۱۱، ۱۲٤، ۱۲٤، ۲٤٤، وي شعر أبي طالب، ظ: الديوان: ۷۱، ۷۲، ۷۷، ۵، ۸، ۸، ۳۸، ۱۰۹، ۱۰۱، ۱۱۱، ۲۶۲، ۲۲۵، ۲۳۳، ۳۳۳، ۳۳۳، ۲۳۳، ۲۳۳، ۲۳۳، ۲۰۰۰ الميوان: ۷۲، ۲۲۵، ۲۰۰۰ الميوان: ۲۵، ۲۰۰۰ الميوان: ۲۰۰۰ الميوان: ۲۵، ۲۰۰۰ الميوان: ۲۵، ۲۰۰۰ الميوان: ۲۵، ۲۰۰۰ الميوان: ۲۰۰ الميوان: ۲۰ ال

ونظرة فاحصة في آثار أبي طالب الشعرية تكشف عن صدارة التشبيه والكناية على الاستعارة، ويعود تقدم الكناية على الاستعارة إلى الخاصية الفنية لشعر أبي طالب في تنشيط الثروة الثقافية التراثية للوسيلة الكنائية ووضعها بقلب تجربته الشعرية؛ ولأنها تتعلق بالحقائق المختلفة من فكرة معينة، أو موقف شعوري، أو تجربة انسانية، أو حالة نفسية، على الرغم من ان الاستعارة من الفنون البيانية الرفيعة المستوى، والعميقة في النفس، كانت الكناية ايسر سبيلا، واسهل مولجا، فاعتمدها أبو طالب في شعره أكثر من الاستعارة، وسنقف على الوسائل البيانية لكشف المعاني وإبانتها والخواطر الكامنة في النفس ضمن تشكيل الصورة التعبيرية في شعر أبي طالب.

• التشبيه:

التشبيه ضرب من المجاز تأتي الصورة فيه لابرازه، وتوضيحه، وجلاء هيأته، وهو عهاد الصورة البيانية؛ لكثرة توسل الأديب صوره له؛ ولاتساع اساليب التعبير به، فيتردد في مستويات التعبير المختلفة، ويراد به «الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى» (۱) أو اكثر، أو وجه أو أكثر من وجه، وتعقد به مماثلة لوجود صفة مشتركة بين طرفي التشبيه: المشبه والمشبه به، باداة ملفوظة أو محذوفة، لغرض يقصده الأديب.

والماثلة بين طرفي التشبيه تتفاوت بين الزيادة والنقصان، أو بين الوضوح والماثلة بين طرفي التشبيه تتفاوت بين الزيادة والنقصان، أو بين الوضوح والغموض بحسب المعنى المستعمل سواء أكانت الصفة التشبيهية مفرده أم متعددة، ويرمي المبدع إلى رسم ابعاد الموازنة بين طرفي التشبيه إلى الربط بينها في حال يكشف فيه عن جوهر الجمال الذاتي الذي استحوذ عليه، يدلك على تشكيل صورة المعنى

⁽١) الايضاح في علوم البلاغة: ٢/ ٣٢٨.

التي هي لوحة تشكلت من المعاني الجزئية بصياغة فنية دقيقة لتشكل المعنى الكلي بشكل متساوق ضمن جزيئات اقامة البناء الاساس للقصيدة، وتمنح النص بعدا جماليا يظهر مهارة الشاعر، وقدرته الابداعية في رسم صوره، فتبرز انفعالاته بكليات معبرة يحاول فيها تصوير مشاعره بانتقاء الألفاظ والتعابير الموحية التي تنقل عاطفته، لتتم المشاركة بين المنشيء والمتلقي _ سواء أكان مستمعا أم قارئا _ فيحس انفعالاته المتباينة، ويفهم افكاره المتنوعة، ويدرك خياله الواسع، فالصورة التشبيهية أكثر تناغها بين المبدع والمستمع لما تحمله من روابط نفسية تكسبها تلك المزية، وتكتسب أهميتها من أنها تقرب المعاني إلى افهام المتلقي وتوضحه، وتتوسع في ادائها اللغوي وفي احداث معاني جديدة تعطي الألفاظ الوضعية دلالات جديدة نستشفها من علاقات استعمال المفردات في سياقاتها الأدبية.

ورفدت صور أبي طالب التشبيهية بالقديم والجديد المنسجمة مع واقع الحياة المعاش في مرحلتين: قبل الإسلام، وبعده (۱) ، وأفادت من معطيات هاتين المرحلتين من الزمان؛ لأن الشاعر عاشها بابعادهما الحضارية والروحية والمعنوية، فكانت صوره متناغمة مع حركة الحياة الصادرة عن فهمه لها، فهي نتاج الواقع والثقافة والاحساس، تتجلى في هذا النتاج حقيقة الحال الشعورية والفنية الذي عاناه الساعر في اثناء انجاز عمله الابداعي، فشكلت انهاطا اسلوبية مختلفة، تختلف باختلاف تجاربه الشعرية، وبتباين أدوات الصورة التشبيهية التعبيرية، ولذلك وردت الصور

النشبيهية متنوعة فمنها: الصورة الحسية التقريرية، وهي صور تحاكي عالم المحسوسات المدركة في الخارج، بسيطة في تركيبها، تنأى عن الخيال، لانصرافها عن الأمور العقلية في تقريرها، ومنها الصورة البصرية التي التقطها أبو طالب لرواحل الحجيج إلى بيت الله العتيق، فقال بصف زينتها في قصيدته اللامية:

{من الطويل}

تَرى الوَدعَ فيها وَالرُّخامَ وَزينَةً بِأَعناقِها مَعقودةً كَالعَثاكِل (١)

ضارع الشاعر بين صورة الإبل المتزينة بالخرز والرخام وانواع أُخرى منتظمة برباط في اعناقها، بحبات التمر المنتظمة بعنق شجر النخيل، لبيان هيأة شكلها، والجامع بينها شيء منظم ومرتب ومنسق مقلد في العنق، فهذه الصورة المرئية دقيقة في وسمها، بيد أنها غير نامية لا تحقق استجابة في اثارة المتلقي.

والصورة الحسية على الرغم من انها تجنع الى وضوح الحقيقة المدركة ادراكا حسيا التي تقتضيها طبيعة الماديات في الوجود الانساني، فتجلوها للمتلقي، هي مرهونة بالحالة النفسية للشاعر وهو يصور شعوره واحاسيسه في عقد مشاركة بين امرين حسِّيّين على نحو ما نجده في قول أبي طالب وهو يصف رحلته إلى الشام، وقد تعلق ابن أخيه محمد عَلَيْ الله عندما كان صبيا ـ بركابه حين ازمع على السفر، فقال من القصيدة الدالية:

{من الكامل}

فَارفَضَ مِن عَينَيَ دَمعٌ ذارِنٌ مِثلُ الجُهانِ مُفَرَقٌ ببدادِ^(۱)

⁽١) الديوان: ٧١.

⁽۲) م.ن: ۱۳۰.

رصد أبو طالب الصورة الحسية للجهان المتلألئ في الواقع، فاخضعها لتجربته الشعرية، فشاكل بين دموعه المتلألئة والمتتابعة في عينيه وحبات اللؤلؤ المتساقطة على مفارق الجواد، فتشبيه دموعه بالجهان لشيء يفخر بنفسه، فبكاؤه عزيز، وإذا بكى فهذا بكاؤه، فالباكي والمبكى عليه يستحقان هذه الصورة مثلها يرى الشاعر، وانهازت الصورة بالاتقان في بيان تفاصيل هيأتها وشكلها التي افضت إلى الوضوح في التعبير عن مشاعر مبدعها.

والشاعر يكرر الصورة نفسها بيد أنها أكثر ارتباطا بحالته النفسية وأكثر تميزاً من سابقتها في رسم مشاعره وهو يشكو همومه في القصيدة البائية التي يخاطب بها بنى قصى في حصار الشِّعب فقال:

{من المتقارب}

تَط اوَلَ لَ يِي مِهَ مَ وَصِبْ وَدَم عِ كَ سَعِ السِّقاءِ السَّرِبُ لِلعَسبِ قُصعَيِّ بِأَحلامِها وَهَل يَرجِعُ الحَلمُ بَعدَ اللَّعِبُ (')

قابل الشاعر بين صورة انحدار دموعه، بانصباب الماء من القربة وكشفت الصورة التعبير عن احاسيس الشاعر المتوغلة في اعماقه من هموم واحزان متواكبة عليه، فاخرجت صورة تشبيهية ذاتية مستمدة ابعاد طرفيها من العالم المادي؛ لبيان حقيقة نفسية في المبالغة في المعنى الحسي المرسوم بطريقة فنية انيقة متلونة بنقاء السريرة، وشفافية الروح لتصوير غاية نفسية.

والتشبيه الخيالي مستمد جذوره من الصورة الحسية فطرف كل منها يدرك بالحس، وله اثر في الواقع، بيد أن تركيبه ليس له مثيل حقيقي واقعي، وانها هو

⁽۱) م.ن: ۱۱۵.

مستوحى من الخيال، ومن امثلة هذا اللون من التصوير ما رسمه أبو طالب من صورة خيالية استمد مقوماتها مما بصره من مناظر حقيقية، فكانت وسيلة لنقل تجربته وهو في صدد تهديد قريش عندما افتقد ابن أخيه رسول الله عَلَيْوَاللهُ وظن أن قريشا قتلته، فقال متوعدا وبالحرب مهددا في القصيدة الرائية:

[من الوافر]

مُجمَّعة السعفوفِ أُسودُ نهرٍ وكسان النَّفْعَ فسوقهم يشسورُ كسأنّ الأفسقَ محفسوفٌ بنسار وحسول النسادِ آسسادٌ تزيسرُ بمَعسبَّركِ المنايسا في مَكسرٌ تخسال دماءها قِسدراً تفسورُ(۱)

رسم أبو طالب في المشهد التصويري العام للمصاولة والقتال صورة بسيطة تولدت منها صور خيالية مركبة، فقد شبه الشاعر قومه بالاسود، وذوبان الفوارق بين طرفي التشبيه جعل الشاعر يحذف الأداة، ومن هذه الصورة البسيطة في تركيبها تولدت صورة أخرى فتخيل الشاعر أنهم جالوا في المعركة ومن نتاجها تصاعد الغبار حتى اضحى بهيأة العجاج، فتناثرت الاتربة فوق رؤوس المقاتلين للدلالة على اثر احتدام القتال وسرعة الحركة التي تثير الغبار من الارض بحركة اقدام المتحاربين، ولهذا التفصيل حظ وافر من الدقة التي افادت الحقيقة في وصف المعركة المتخيلة، بيد أنَّ هذه الهيأة المرسومة لم توضح معالمها بصورة متخيلة اكثر لتشوِّق المتلقي إليها، فانتزع الشاعر من هذا المشهد صورة أخرى ليضارع فيه صورة اجتماع القوم على هيأة وشكل صفوف بصورة مركبة لمشهد الأسود المتجمعة حول النار تملأ آفاق الأرض بجموعها وزئيرها الذي يوحي على الغضب في الانقضاض على العدو.

⁽١) الديوان: ٢٤٤.

ومن صورة القتال والانقضاض على العدو تولدت صورة أخرى في تشبيه دماء القتلى بالماء في القدر والجامع بينها الغليان والفوران في بيان الحركة والاضطراب، والصورة بسرعة القتل وكثرة عدد القتلى وبشدة القتال وقسوة المقاتلين على اعدائهم في ساحة المعترك.

فالصورة الفنية الكلية التي ابدع الشاعر في رسمها وهو يهدد قريشاً مستمدة عناصرها من العالم المادي وهي الاسود، والغبار، والنار، والماء، والقدر، فجمع خيال الشاعر بينها بعلاقات تعبيرية تقوي الصورة الواقعية فتنصهر معها، وتقربها من الواقع بجهال التعبير التصويري.

ومن أنهاط الصورة التشبيهية الصورة العقلية، أو الذهنية، وهي ما لا يدرك طرفاها بالحس، وانها بالعقل، وان كانت الحواس وسيلة الذهن في الادراك، وجمال هذا النمط من التصوير يرجع إلى قدرة الشاعر الابداعية على تقديمه المعنى وتقريبه من الأذهان باخراجه من خفي إلى جلي (1) بنقله من المعنوي إلى الحسي، وما يتبع ذلك من متعة الخيال في ادراك الحقائق الأدبية التي تعبر عن فكرة تحمل موقف من مواقف الحياة والكون مثل: الموت والخلود، أو تعبر عن موقف نفسي متخيل مثل: اللذة والالم والحب والبغض والفرح والحزن، يستعملها الشاعر استعمالا فنيا تنم عن تجربته الشعورية في الحياة، فيتفاعل معها تفاعلا تاما في احداث التخيل التي تتولد منه ألفاظ موحية مثيرة للوجدان، فينقاد المتلقي وراءها في متابعة استحكام الاثر منه ألفاظ موحية مثيرة للوجدان، فينقاد المتلقي وراءها في متابعة استحكام الاثر منه نبده في رثاء أبي طالب لصديقه مسافر بن أبي عمرو، في قوله:

⁽١) ظ: اسرار البلاغة في علم البيان: ١٠٢ - ١٠٣.

{من الخفيف}

إنَّ بركة الله لاتدرك بالحس، وانها تدرك بالعقل، فتشعر بها النفس ويحس معانيها الوجدان، وقد عقد أبو طالب وهو يدعو لصديقه مسافر مماثلة في احلال بركته في الأرض التي دُفِن فيها، ببركة رشح الرمان والزيتون، فابعاد الصورة المعنوية تتحد وتنكشف من معرفة البركة في ابسط صورها الدالة على الكثرة في كل خير عائد على بني الانسان بالنفع في الحياة، فنتج من هذه الصورة متعة حية نابضة، توحي بالنهاء والزيادة في الخير على الرغم من أن الشاعر في صدد رثاء الفقيد.

ومن الأمثلة التي تظهر فيها براعة الخيال المصورة الذهنية التي سفه بها أبوطالب أحلام قريش لتمنيهم قتل رسول الله عَلَيْنِهُ فقال في القصيدة الميمية:

{من الطويل}

يُمَنُّ ونكم أن يقتُل و، وَإِنَّ إِ أَمانيُّهم تلكم كَأَحلام نافِمٍ (٢)

ضارع الشاعر بين «الأماني»، وهو لفظ لايدرك معناه بالحس وانها بالوجدان، بامر اخر وهو «الاحلام» الذي لايدرك معناه إلا بالذهن المتخيل، وكلا طرفي التشبيه يدل على أنَّ الأماني غير مجدية والاضغاث احلام غير نافعة، وقد استندت الصورة إلى الشعور والعقل في استعمال فني انيق ضمن سياق التشبيه الذي اكسب المفردات الوانا وظلالا تمد الصورة بتلك الفنية البيانية التي تظهر فيها قدرة الشاعر

⁽١) الديوان: ١٠٤.

⁽۲) م.ن: ۱۲۷.

الخيالية ازاء تجربته الشعرية في معالجة موضوعه الذي يحمل دلالة السخرية والاستهزاء في تسفيه أحلام قريش بقتل رسول الله عَمَالِينًا.

وقد تتألف الصورتان الحسية والعقلية بصورة واحدة في خلق صورة كلية تنسجم مع بصيرة أبي طالب في فهم الاشياء وربطها بالذهن والفكر، معبرا عنها في رثاء أخيه عبد الله والد النبي عَلَيْقَالُهُ فقال:

{من البسيط}

لَـوعـاشَ كـانَ لِفِهـرِ كُلِّهـا عَلَـامُ إِذ كـانَ مِنها مكـانَ الروح في الجَسَدِ(١)

وآلف الشاعر بين صورة عالم الحس في وجود أخيه عبد الله في قومه قريش وشيء ليس مدركا في عالم الحس، وانها بالوهم ()، وهو «الروح»، فلا وجود لها في نظر الانسان؛ لأنّه لايعرف ماهيتها وشكلها فهي شيء وهمي، ولكن حركة نشاط الانسان توحي بوجودها في الجسد.

وتكمن أهمية هذه الصورة في تمثيل المعاني المحسوسة بالمعقولة، فعدم استغناء قريش عن عبد الله ، بعدم استغناء الجسد عن الروح في بيان اهميتها ومكانتها؛ لتقوم الصورة بوظيفة تحريك النفس في تأجيج مشاعر السامع بطيب الكلام في التعبير الصوري المؤثر؛ ليدلل الشاعر على حجم الخسارة الكبيرة في فقدان أخيه وهو يصور علو منزلته في قريش كلها.

⁽١) الديوان : ٩٨.

⁽٢) الفرق بين التشبيه الخيالي والتشبيه الوهمي «هو ان الخيال أكثر ما يكون في الأمور المحسوسة فأما الأمور الوهمية فانها تكون في المحسوسة وغير المحسوسة مما يكون حاصلا في التوهم وداخلا فيه»، الطراز: ١/ ٢٧٣.

• الكنابة:

الكناية احدى اسالب البيان العربي ووسيلة من وسائل تبصوير المعني فنيا، ومظهر من مظاهر الابداع التعبيري في تجسيد المعنويات ونقلها الى المحسوسات(١٠)، وهذه طبيعة التصوير البلاغي التي تكشف عن جمال التعبير الـذي يتمثل في طبيعة الوسائل التي تشخص المجردات فتجعلها محسوسة، والمراد بالكناية «ان يريد المتكلم اثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردُفه في الوجود، فيومىء به إليه، ويجعله دليلا عليه»(٢)، وتكمن مزية الكناية في طريق اثبات المعنى وتقريره، وليس في المعنى نفسه الذي يقصد إليه المتكلم، فزيادة اثبات المعنى يجعله ابلغ وآكد واشد، وبهذا كله جاءت الكناية ابلغ من التصريح"، وهي تمتاز بالدقة والغموض فتبعث المرء على التفكير واجالة الـذهن في معرفة شأنها، بيد أنها تحقق جمال التعبير، وعمق التأثير في نفس المتلقى الذي لايدركها إلا بفحص المعاني والتعرف على ماهيتها في أثرها الايحاثي الذي يقدمه المعنى في اطار فني حسن تمنم عن ذوق مبدعها،وصفاء قريحته، فتخرج باشكالها المتنوعة من تعريض وتلويح واشارة ورمز بحسب السياق الذي ترد فيه.

واعتمد أبو طالب الصورة الكنائية في شعره لتأليف حقائق تحمل تجربته الشعرية المستوعبة لنظام الحياة في مستوياتها المختلفة ولاسيها النظام الاجتماعي، فحملت طابع ابداعه الفني في موضوعات متبانية تدل معانيها على الوقوف على

⁽١) ظ: التصوير البياني: ٢٣٨ - ٢٣٩.

⁽٢) دلائل الاعجاز: ٦٦.

⁽٣) ظ:م.ن: ٧١.

(من الطويل)

عظيمُ الرَّماد سيِّدٌ وابسن سيد يحشُّ على مقرى الضُّيوف ويَحْشِدُ (٢)

لوّح أبو طالب عن كرم ابن أخيه «عظيم الرماد» ويتطلب عظم الرماد كثرة احراق الحطب، بيد أن ما ورد في عجز البيت يعزز الكناية في صدره فحشد المضيوف يدل على كثرة الطبخ، وأهم ما انهازت به الصورة اثبات المعنى وتقريره في تكراره، فقد أردف الشاعر ان رسول الله عَلَيْ كان يحث على اقراء الضيوف، الذي يحقق لوناً من الارتياح في نفوسهم، فتلون كرم الرسول بالمعنى المادي والمعنوي في آنٍ معاً.

وفي شاهد آخر يذكر الشاعر الموصوف بالكرم وصفته، بيد أنه لا يصرح بالنسبة المراد ذكرها على نحو ما نجده في مديحه لأبي قيس بن الأسلت الشاعر المعروف، فقال من القصيدة البائية:

⁽٢) م.ن: ٩٠، وصدر البيت غير مستقيم.

{من الطويل}

ومشلُ أبي قسيسِ المسصَفَّى مسن الخنسى قريع النَّدى وابنِ الكرام الأطائبِ(١)

لم ينسب أبو طالب الى الممدوح أبي قيس صفة الكرم بصريح العبارة وانها كنى عن نسبة الكرم إليه فهو «قريع الندى»: سيد الكرم، فحملت القيمة المعنوية للكرم دلالة السيادة والشرف، فهو «المصفى من الخنى»، وعما يقوي نسبة الكرم إلى أبي قيس نعته بابن الكرام، وهذا التوكيد في المعنى أثره في تشديده في ذهن السامع وترسيخه.

وأصَّلَ أبو طالب لزمن القيمة المعنوية للكرم؛ فلوّح إلى كرم قومـه للفقـراء والمعوزين بعد الميسر، فقال في القصيدة الدالية:

{من الطويل}

ونُطعِهم حتَّى ينزلَ النساسُ سورَنا إذا جعلتْ أيدي المُفِيْضِينَ تُزعَدُ (٢)

لايكني أبو طالب عن اطعام الناس، وانها اكد هذه القيمة بشدة، بدلالة العبارة «أيدي المُفِيْضِينَ تُرْعَدُ»، ويعني الشاعر «ايدي المفيضين بالقداح في الميسر، وكان لا يفيض معهم في الميسر إلا السخي {...} يريد أبو طالب: إنهم يطعمون اذا بخل الناس» (٣ فنلحظ المزج بين اللعب بالميسر والكرم، ومن هنا رسم الشاعر البعد الزمني لتأصيل ظاهرة الكرم التي هي موضع فخره في التعبير الكنائي ضمن بناء قصيدته.

⁽١) الديوان: ٢٠٦.

⁽۲) م.ن: ۱۳۹.

⁽٣) الرُّوض الأُنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام: ٢/ ١٦٥.

وترد ظاهرة الكرم مرتبطة بشدة الحال لتكون دليلا على كرم صاحبها، فقال أبو طالب في رثاء خاله أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله المخزومي، وهو يعدد فضائله ذاكرا أهم مستلزمات الكرم:

{من الطويل}

مُجَعجِعَةٌ كومٌ سِسانٌ وَبِساقِرُ زَواهِتُ زُهِم أَو تخاضٌ بَسازِرُ إذا عَدِموا زاداً فَإنَّكَ عساقِرُ(١) تَسرى دارَه لا يسبرحُ السدَّهر عِنسدَها إِذا أُكَلَست يَومساً أَتسى الغَسدَ مثلَهسا ضَروبٌ بِنَسصلِ السَيفِ سسوق سِسانِها

أخفى الشاعر المنعوت بصفة الكرم، وذكر ما يدل على صفته، فأنت ترى في داره «مجعجعة» كناية عن كثرة الأصوات العالية المتألفة من أصوات النوق السمينة وجماعة البقر، وهذه اذا ما اطعمت للضيوف ذبح في اليوم القادم مثلها من الإبل السمينة الكثيرة الشحم والحوامل، وخص أبو طالب «النوق المخاض»: الحوامل؛ لأنها نواتج تعوض الكريم ما فقده، بيد أن أبا أمية يقدم أفضل ما يملك من النياق الدالة على عزه ومكانته لإقراء الضيف، وهذه غاية الكرم المنمثلة بدعائمه القائمة به.

ويكون الكرم في أي وقت ولكن تزداد الحاجة إليه في انعدام الزاد أي وقت العسرة، «اذا عدموازادا» لتكون شاهدا آخر عن كرم صاحبها في تأصيل القيمة المعنوية لسجية الكرم الموحية بفقدانها برحيل أبي أمية، ليحقق الشاعر إثارة شجون السامعين، فيندبونه بحرارة المشاعر، وقد منح الشاعر الصورة الكنائية بعداً قوياً في بنائها.

⁽١) خزانة الأدب: ٤/ ٢٤٥، الزواهق: مفردها زاهقة وهي السمينة، زُهم: كثيرات السحم، البهازر: مفردها البُهْزُرة، وهي الناقة العظيمة، سوق: مفردها ساق.

وهكذا اتسمت القيمة المعنوية للكرم في شعر أبي طالب بصورة مشهودة يمكن رؤية اثارها للعيان متوسم دقة العبارة ولطفها وانسجامها في بناء القصيدة المستوعمة لتجربته الشعرية.

وكان لقيمة الشجاعة نصيبها في شعر أبي طالب في الصور الكنائية، ومنها الصورة التي تستتر فيها صفة الشجاعة المراد ذكرها والمكملة لصورة الكرم في مديح رسول الله عَلَيْلِيْهُ فقال أبو طالب في قصيدته الدالية:

{من الطويل}

طَوِيـلُ النِّجـادِ خـارِجٌ نِـصفُ سـاقِهِ عَـلَى وَجهِـهِ يَـسقَى الغَـمامُ وَيُـسعِدُ (١)

شمل البيت وصف رسول الله على الله على النجاد» كناية عن طول قامته، فالنجاد يعني حمائل السيف، وطول النجاد يلزم طول صاحبه القوي القادر على القتال، وهي من مستلزمات المقاتل الشجاع.

ولكي يؤكد الشاعر طول قامة ممدوحه الرسول الكريم، وصفه بانه «خارج نصف ساقه» للدلالة على همته، فطول الثوب يعوق حركة صاحبه في اثناء المصاولة بسرعة.

وتأتي صفة الكرم مقترنة بالشجاعة ومتضافرة معها لتكوين شخصية مثالية عالية، وأهم ما انهازت دلالة هذه الصورة من غيرها من صور الشعراء الآخرين "، ان أبا طالب جمع صورتين كنائيتين بدلالة مكثفة في نصف بيت .

⁽١) الديوان: ٩٠، صدر البيت غير مستقيم.

⁽٢) ظ: الاصمعيات: (ديد بن الصمة):١٠٨، ديوان الاعشى الكبير: ٧٥، ١٤٧، ديوان الخنساء: ٥٥.

ومن سهات الشجاعة الملازمة: السيادة والقيادة في المعركة، فقال أبو طالب في مديح الرسول الكريم في القصيدة ذاتها:

{من الطويل}

هـ و القائــ دُ المُهــ دى بــ هِ كــ لُّ مِنْـ سَرٍ عظــيمُ اللِّــ واء أمْــ رُهُ الــ دَّهرَ بُخمَــ دُ^(۱)

وصف أبو طالب تولي الرسول الكريم عَلَيْظَةُ أمر قيادة الجيش في المعركة، ولكي يؤكد الصورة ويقويها، أردفها بصفة كنائية له، فالرسول «عظيم اللواء» كناية عن امرته وسيادته وشجاعته، ومن محاسن التعبير الكنائي انه استثمر لتوكيد المعنى وترسيخه في ذهن السامع.

ويجد أبو طالب في الصورة الكنائية اسلوبا فنيا واضحا للتعبير عن التحدي في مواجهة مشركي قريش في دفاعه عن النبي عَلَيْقَةُ وحمايته له، في فخره الذاتي في مالقصدة اللامة، فقال:

{من الطويل}

وَجُدِتُ بِنَفْسِسِي دَونَدُ وَحَمَينُهُ وَدافَعتُ عَنهُ بِالطُّلِي وَالكَلاكِلِ (")

اوحت البصورة التعبيرية بدلالة «الطلى والكلاكل» المراد بهما الاعناق والسعدور في مواجهة العدو وجها لوجه على الكرّ والاقدام والفروسية والمصاولة، وهذا لا يتم إلا بقلب شجاع جسور.

⁽١) الديوان: ٩١.

⁽٢) م.ن: ٥٨.

وعبر الشاعر في هذا الأسلوب الرائنق الموحي عن زهوه في محاماة رسول الله عَلَيْهِ في معالجة فنية متساوقة مع اجزاء بناء قصيدته.

ومن موجبات الشجاعة القوة، فوصف أبو طالب بني هاشم وعبد المطلب اللذين شدًا أزره وازر رسول الله عَلَيْظِهُ وأعاناهما لقوتهما، فقال في قصيدته البائية:

{من المتقارب}

هُ مَا أَخَوانِ كَعَظِمِ اليَمِينِ أَمِرًا عَلَيْسًا بِعَقَدِ الكَرِبُ (١)

استعمل أبو طالب التعبير الكنائي «عظم اليمين» كناية عن القوة، فبنو هاشم وعبد المطلب في مؤازرتهم لرسول الله بمثابة عظم اليمين في القوة للدلالة على مجتهم لم. إنَّ جمال الصورة الكنائية تكمن في شدة مبالغتها، وبراعة ادائها، وقوة بلاغتها؛ لانها تنأى عن التصريح بلفظ التعبير اللطيف، المكثف الدلالة، الغني بالايجاء.

وتأتي سمة السيادة تتويجا لقيمتي: الكرم والشجاعة، فالسيادة في المجتمع العربي لها مؤهلاتها التي تجعل المرء زعيا ورئيسا في قومه، وتعطي الكناية صورة لحياة أولئك السادة في اعهالهم، ومنها الصورة التي حفل بها شعر أبي طالب، فتصور عبد المطلب عهاد بيت الله الحرام، فقال في القصيدة الميمية يرثيه:

(من البسيط)

بَكَت قُريشٌ أَباها كُلّها وَعَلى أيّامِها وَجِماها الثابِتِ الدِعَم (٢)

اشاد أبو طالب بصفة الموصوف بعبد المطلب، فهو «الثابت الدِّعم» كناية عن

⁽١) الديوان: ١١٥، أمرًا: أحكم وشدًا، الكرب: حُبيل يصل رشاء الدلو بالخشبة المعترضة عليها.

⁽۲) م.ن: ۹۷.

البناء الراسخ في حماية بيت الله الحرام؛ لأنه صاحب سدانة البيت والقائم على استقبال الحجيج الوافدين إلى مكة لاداء مناسكهم على اختلاف الوانهم واصولهم، ومن كانت بيده الرفادة والسقاية والسدانة، فهو الرئيس، ولهذا كله وصفه عهاد البيت؛ لسهاقة مكانته، وسموه ورفعته باعماله الجليلة المشرفة.

وتتآزر صفة السيادة مع الشجاعة فحهاة رسول الله عَلَيْظَة والذائدون عنه هم من سادات بني هاشم، فقال أبو طالب من القصيدة الميمية:

(من الوافر)

وَدُونَ مُحَمَّ لِهِ مِنْ الْسَلِيُّ الْمُسَانَ السَّمِيمُ الْعِرِيْنُ وَالْأَنْفُ السَّمَمِمُ (١)

كنّى أبو طالب التعبير «الأنفُ الصّميمُ» عن السادة الخُلّص في اصلهم، توكيدا لدلالة «العرانين» وهم السادة الأشراف؛ لتقوية المعنى في ذهن السامع في تزيين أورمتهم، ولبيان قدر رسول الله عَيْرِاللهُ فيهم، فلا يذود عنه إلا السادة الأشراف الخلص الأصل، فكنّى الشاعر باللفظ الانيق الذي يتناسب وحال فخره وتحديم لقريش بحهاية رسول الله عَيْرِاللهُ ومساندته والذود عنه.

واذا كانت هذه الصورة مرتبطة بأصل السيادة في صميم الأرومة فان صورة القباب تومى، إلى الزعامة والرئاسة لبني مخزوم، فقال أبو طالب في بيان مكانتهم لأبيه عندما ازمع على ذبح ابنه عبدالله وفاء لنذوره، لعل تهديد أبي طالب مكانة أخوله ترد عزم أبيه عبد المطلب عن ذبح أخيه:

⁽١) الديوان: ١٢٢.

⁽۲) ظ:م.ن: ۲۳۱

وبين مخروم ذوي الأحساب أهل الجياد القُبِّ والقباب (١)

أراد أبو طالب أن يبين مكانة بني مخزوم فصوّر ان القباب الجيدة كانت تضرب لهم تمييزا من غيرهم في الزعامة، وساق أبو طالب هذه الصورة الكنائية رغبة منه في استنهاض همم أخواله من بني مخزوم، ليعترضوا سبيل فعل عبد المطلب في ذبح ابن أختهم، فلا يُرد طلبهم لمكانتهم وعلو شأنهم وسيادتهم بين العرب.

ومن جمال الكناية انها تُصَوَّر المعاني بوصفها جزءاً من معطيات العقل في صورة محسوسة تثير اعجاب المتلقي بروعة ادائها، لامتلاكها الخيال الذي هو من ابرز وسائلها فقد يرد الأسلوب الكنائي في تهجين شيء معين من اعهال البشر التي ترفضها الأعراف الأخلاقية والدينية والاجتهاعية ومنها: الغيبة الصفة المذمومة، فصور أبو طالب المعارضين من قريش للدعوة الإسلامية والمناهضين لقوم رسول الله على الله الله المعارضين فقل ابوطالب في قصيدته اللامية:

{من الطويل}

بر هُــمُ ذبحونـا بالمُــدى والمَغَـاوِلِ(")

وكُنَّا بخــبرِ قبــل تــسويد معــشرٍ

⁽١) الديوان: ٣٣٠.

 ⁽٢) الديوان: ٨٢، نظمت القصيدة في حصار الشّعب، في السنة السادسة من البعثة و لابد من ان أباطالب
 تشرب بالتعاليم الإسلامية، إذ ورد مفهوم الغيبة على وفق تلك التعاليم.

رسم أبو طالب صورة ايذاء مشركي قريش بالكلام السائن والفعل الهجين بصورة جزر لحم الانسان، ولا يخفى ما لهذه الصورة من تنفير نفس السامع، ووقعها المؤثر في الصورة المتخيلة من فعل ذبح الانسان لأخيه الانسان.

وساعد أبو لهب في حديث مغرض مع بعض الرِجال في مكة عن أبي طالب، فقال أبو طالب معاتبا له ومستهجنا فعله بصورة كنائية مؤثرة:

إمن الكامل} أجْزَرْتَهم لحمي بمكّة سادراً ثكلتْك أُمَّك أيّ لحم تُجزِرِ؟(١)

كنّى أبو طالب في التعبير «أَجْزَرْتَهُم لحمي ... أي لحم تجزِرِ» عن القيل والقال بالكلام المريب الذي صوره خيال الشاعر بمشهد جزر الانسان لحم أخيه الانسان بما فيه من فعل التخيل بأدوات الذبح القاطعة التي تثير في النفس المقت والكره لبشاعة هذا الفعل الهجين الذي يتجرد فيه الانسان من انسانيته والمنفر للأعراف الانسانية كلها.

وتأتي بشاعة هذه الصورة بشكل أكثر تميزاً، لترسيخها في ذهن المتلقي، عند اسراع أُسيد بن أبي العاص بن أمية، وبكره خالد، ورهطها في سعيهم بقطع لحوم قوم رسول الله علي المراء وأكلها، فقال أبو طالب في القصيدة اللامية:

{من الطويل}

لَعَمـري لَقَـد أَجـرى أُسَـيدٌ وَرهطُـهُ إِلى بُغـضِنا وَجَــزاً بِأَكْلَــه آكِــلِ(")

⁽١) الديوان: ١٨٤.

⁽۲) م.ن: ۷۰.

ساق أبو طالب التعبير «وجَزاً بأكلِهِ آكِلِ» كناية عن غيبة أُسيد وخالد وقومهما لقوم الرسول عَلَيْكِيْ فجعلوهم طعمة في افواههم.

إنَّ التصوير الكنائي لمشهد قطع لحم الانسان من مثله من بني البشر ومضغه بصورة الطعام في الأكل تضاعف من بشاعة الصورة، بها تثيره من الاشمئزاز والتقزز، لهول فعل القائم بهذا العمل البغيض.

وصورة الغيبة والنميمة التي اثارها خيال أبي طالب توحي باثم مشركي قريش بمعاداتهم للإسلام، وارتكابهم الخطأ الشنيع بحقه، ويعلل ابوطالب هذا الأمر إلى ضعف عقولهم الذي ابعدهم عن الصواب، فاتحفنا بصورة كنائية أُخرى في القصيدة نفسها:

{من الطويل}

لَعَمــري لَقَــد أُوهِنــنُّمُ وَعَجــزتُمُ وَجِهـنُّم بِــأَمرٍ مُحَطــى وَ لِلمَفاصِــلِ(١)

كنّى أبو طالب بموجز العبارة "وجئتُم بامرٍ عُطِيء للمفاصلِ" لمن اخطأ الرشد، وهو يصور مشهد قباطع اللحم الذي يبدأ بالمفصل فإن لم يحب أخطأ وافسد؛ لأن حزَّ المفصل يحتاج الى معرفة ودراية بالجزر، ولذلك ضرب العرب المثل بمن لا يجيد معالجة الأمور "انك لتخطىء الحز وتخطئ المفصل" في الآذان بعبارة الكنائية بليغة؛ لبعدها عن التصريح في استتار المعنى الذي لايستساغ في الآذان بعبارة مكثفة متساوقة مع الذوق الرفيع.

⁽١) الديوان: ٨١.

⁽٢) مجمع الامثال: ١/٥٥.

وقد تجنح الصورة الكنائية الى بيان حركات معينة لتدل على موقف نفسي مثل كنايات الندم والحسرة والغيظ والحقد، فيلمح بها إلى عضو الوجه؛ للتعبير عن الانفعال النفسي ايا كان نوعه، وقد يشاركه اعضاء الجسم الأخرى مثل: اليد والاسنان والقلب في الايحاء؛ لتعبر عن حالات الانفعال الانساني على نحو ما وجد أبو طالب سبيله في الكناية عن الندم في الصورة التي يُرغّب بها قريش؛ لاعتناق الدين الإسلامي، فقال في القصيدة الميمية:

{من الطويل}

نَبِيٌّ أَسَى بِالْوَحِي مِسن عِسْدِ رَبِّهِ فَمَنْ قَالَ: لا، يَفْرَعْ بِهَا سِنَّ سَادِمٍ (١)

استعمل أبو طالب التعبير «سن نادم» كناية عن الحسرة التي تملأ نفوس قريش اسفا إذا هم رفضوا دعوة رسول الله المنطق الله تقديمه دليل نبوته، فهو نبي نزل الوحي عليه من عند ربه، ومن دواعي الندم عض الأصابع بالأسنان، ويلجأ المرء إلى هذا التصرف عندما يكون في حال صراع مع نفسه.

وقد يعطي الأسلوب الكنائي صورة فنية تدل على الحقد والبغض على نحو ما نجده في خطاب أبي طالب لقريش عندما تحالفوا مع المتهمين في عداوتهم للإسلام ضد من ساند رسول الله عليه من قومه، فهم حاقدون عليهم، ولكنهم عاجزون عن حربهم، فقال أبو طالب في القصيدة اللامية:

(من الطويل)

وَقَد حَالَفُوا قُومًا عَلَيْنًا أَظِنَّةً يَعَضُّونَ غَيْظًا خَلَفَنَا بِالأَنَامِلِ(٢)

⁽١) الديوان: ٢٢٨

⁽٢) الديوان: ٧٠.

الصورة مفعمة في الدلالة النفسية لتصوير مشهد عض الأنامل كناية عن الحقد والعداوة المستوحاة من التعبير القرآني، وقد اكسب الشاعر اللفظ «غيظاً» الكناية فعل قوة، وآزرها تكرار المعنى، فالصورة تخرج من أنها اسلوب كنائي عن الحقد والغيض إلى معنى آخر، وهو شدة الحقد والغيظ في توكيد المعنى الذي عبر عنه بعض الأصابع وما يتبعه من حالة الغيظ احتقان الوجه وتغيير لونه في الكيفية التي يتخيلها المتلقى.

وتبرز صورة الحالة النفسية لمعارضي الدعوة الإسلامية بـشكل واضـح أكشر من سابقتها في الصورة الكنائية التي خاطب فيها أبو طالب أبا جهل فقال:

{من الكامل}

يجد أبو طالب في الصورة الكنائية «تميزوا غيظاً» اسلوبا فنيا مستثمرا من التعبير القرآني ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ ... ﴾ (٢) فكنّى عن حقد الذين لم يؤمنوا بصدق رسول الله عَيَّزُ مِن الْغَيْظِ ... ﴾ (تقطَّعُوا» للدلالة على امتلاء النفس بالحقد والبغض الكبيرين، وكأنّها يقطعانهم أوصالاً، لشدة توترهم النفسي وهذه صورة جديدة تكشف طوايا النفس الذميمة.

وينقل أبو طالب صور نفسية تحمل شعور الحقد الذي يكنه المرء بداخله في عرقة العظم، فرسم المنظر الكنائي النفسي وهو يعاتب مطعِم بن عدي في القصيدة

⁽١) الديوان: ٣٣٩.

⁽٢) اللك/ ٨.

اللامية، فقال:

{من الطويل}

تُحَبِّرُنَا فِعِلَ المُنَاصِلِ الْمَنَاصِلِ أَنَّهُ شَفِيقٌ وتُخفَى عارِقاتِ السَّواخِلِ (١)

أورد الشاعر عبارة «عارقات الدواخل» كناية عن نسبة النيات الخبيثات المضمرة في القلب، ليجعلها دليلاً على حقد صاحبها الذي لا مناص له من مفارقتها؛ لأن الحقد متأصل في صميم عرقة العظم، وهو يقوي خبر كذب مطعم في ادعائه النصح والرأفة، والصورة توحي بسخرية الشاعر واستهزائه بالتناقض النفسي الذي يتحلى به مطعم؛ لأن ظاهره غير باطنه، فحققت الصورة الكنائية للمتلقي متعة كشف المعنى المستتر، فشارك الشاعر في متعته بتجربته الشعرية.

• الاستعارة:

وتعمل الاستعارة على تجسيم الاشياء وتشخيصها، وخلق صورة خيالية باستعارة شيء لشيء آخر ليس من طبعه؛ لتقرب المعنى إلى ذهن السامع وتثير خياله، فيأنس بها، والاستعارة «ما اكتفى فيها بالاسم المستعار في الأصل، ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها، وملاكها تقريب الشبه ومناسبة المستعار له للمستعار منه، وامتزاج اللفظ بالمعنى حتى لايوجد بينها منافرة، ولايتبين في أحدهما اعراض عن الآخر» (٢) فتكتسب الاستعارة النص قوة وفاعلية من خلال السياق العام الذي

⁽١) الديوان: ٧٩.

 ⁽۲) الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٤، اخترنا هذا التعريف من كتاب الوساطة من دون غيره من كتب
البلاغة، لانه جامع لتقنيات التعبير الاستعاري.

ولدت فيه حيث تتآزر العلاقات اللغوية.

ويقوم التعبير الاستعاري على التشبيه؛ ولذلك عد التشبيه هو الاساس والاستعارة فرع له، فأنت «تُريد تشبيه الشيء بالشيء، فتَدَعَ أن تفصحَ بالتشبيه وتُجرية عليه» (١).

والاستعارة قائمة على خرق النظام اللغوي المألوف، فتخرج الألفاظ من دلالاتها الوضعية، أو المعجيمة إلى دلالات ايحائية تتسم بالجهال الفني، والابتكار الصوري، وتستوعب افكار مبدعها ومشاعره وانفعاله، فتحدث أثرا في نفوس سامعيها بشتى المشاعر، وبمختلف الانفعالات، فتحرك وجدانهم بروعة ابداعها؛ لأنها تُنسيهم واقعية الاشياء ببراعة التصوير الذي يعتمد على قدرة المبدع في اظهار القيمة الجهائية لها، بخلق وجود جديد للعبارة يثمر دلالة جديدة تتجاوز المدلول اللغوي الوضعى الأول لها، وبتوسع مداليلها، وبسحر عالم الخيال فيها.

وفي نظرة فاحصة في شعر أبي طالب^(۱) نجده يرتقي بالصورة التي رسمها؛ ليمنحها الحياة والحركة المتجددة وهو يعبر عن المعنى الحسي المتخيل، أو المعنى الذهني، أو الحال النفسية، فيضحى المعنى الحسي مشهدا منظورا، والمعنى اللذهني هيأة وحركة، والحالة النفسية لوحة فنية متخيلة، تبعا لتجربته الشعرية، ولخصوبة خياله، وتمكنه من ملكاته اللغوية التي توحى مداليلها بطاقات ايحائية تشد المتلقى

⁽١) دلائل الاعجاز: ٦٧.

للصورة وتثير انفعاله في تجاوبه معها.

ومن انواع الصورة الاستعارية، الصورة الحسية التي يخاطب النبي عَلَيْهُ اللهِ عَلَيْهُ اللهِ عَلَيْهُ اللهِ عَلَيْهُ اللهِ وَيُعَالِمُهُ اللهِ عَلَيْهُ اللهِ وَعَوْمُهُ، فقال:

{من البسيط}

لا يَمْنَعنَّك من حقِّ تقوم به إبراقُ أبد ولا إرعادُ أصوات (١)

حث أبو طالب في هذه الصورة الاستعارية ابن أخيه بان لا يتورع عن بذل الحق الذي يناصره، ولا يعبأ بمن يعارضه بيده وبقوله، فرسم خياله صورتين: الأولى، «إبراقُ ايد»، والثانية، «إرعادُ أصوات» وفي كلتا الصورتين حذف الشاعر صورة المشبه: الرعد، وصرح بلازمتين من لوازمه وهما: البرق وصوته، وكلاهما محقق تحقيقا حسيا، اتحدتا فيهما دلالة جامعة، وهي عدم الفائدة لفراغهما؛ لأن البرق لا يعقبه المطر مثلها حركة اليد التي لا تعقبها صولة، وكذا الرعد الذي لا يعقبه صاعقة مثل الصوت الذي لا يعقبه عمل، فجميعهم لاطائل من ورائهم، والقرينة المانعة لإيراد المعنى الحقيقي في الصورة الأولى اليد، وفي الصورة الثانية القول، فالبرق لا يكون يداكما ان الرعد لا يكون قولا، وقد اجتاز اللفظان: (إبراق وإرعاد) الواقع الحقيقي وارتقيا إلى طباع الانسان في الحركة والهيأة، بصورة مؤثرة توحي بالغضب والضجيج من فعل انواء الجو وتمثلها الواضح لموقف المعارضين لدعوة رسول الله عملية.

ونظير هذا النوع من الصور الاستعارية ما ورد في سياق الفخر فقال أبوطالب:

⁽١) الديوان: ٢٠٨.

(من الطويل)

وَنَحمى هِ اهما كُلَّ يَسوم كَربَهَةٍ وَنَضِرِ بُعَن أَحجارِها مَن يَرومُها (١)

صوّر أبوطالب فخره الجاعي في الحرب بدفاعهم عن مكة بحصونها، ومعاقلها، واحجارها: أراد بيوتها ومساكنها، فقد طوى الشاعر صورة المشبه وهي البيوت وترك شيئا يدل عليها وهي الاحجار فصرح بها، وكلا الطرفين محققٌ تحقيقاً حسياً، اتحدتا فيها دلالة جامعة وهي الحاية والدفاع، فأتت الصورة الاستعارية متفاعلة مع زهو الشاعر في فخره الجاعي.

وقد تشترك الصورة الحسية مع الصورة العقلية في آن معا، على نحو ما تتمثله الحكمة في احتمال الانسان الصبر احتسابا لله، فيكون عمله هذا سبيلا لفرج الله تعالى، فقال أبو طالب:

(من البسيط)

ف اتجرَّع كأسَ الصبرِ معتصمٌ بساللهِ إلا أنساهُ اللهُ بسالفَرَج (٢)

إنَّ صورة من يتجرَّع الدواء انها تماثل صورة من يتجرَّع الالم صبرا حيث يجد المرء مرارة في قبول الاثنين، وقد اختزل الشاعر صورة المشبه وهو الانسان وترك أثرا من اثاره يدل عليه، وهو الكأس الذي يشرب به الدواء، والقرينة الجامعة حال من يشرب الدواء بالكاس بدلالة لفظ «تجرَّع» الذي يحتقن في البلعوم وهلة، بحال الصابر الذي يتجرَّع الألم ايا كان نوعه وهلة، وقد أخذ الشاعر المستعار منه إحدى

⁽١) الديوان: ١١٤.

⁽۲) م.ن: ۱۳۳۱.

أدواته واضاف الصبر إليه رعاية لمزيد من البيان، وافراطا في تحصيل البلاغة، وجعل ما ليس محسوسا بمحسوس فشبّه المحسوس بشيء آخر معنوي حتى غدا المعنوي جزءا من عوالم الحس يذوقه اللسان ويحس طعمه ببراعة خيال الشاعر التي زين الصورة وقوى ايحائها.

وتضارع هذه الصورة صورة وصف أي طالب للأيام المجدبة على الناس في سياق الفخر بكرم قومه، فقال في القصيدة الميمية:

إمن المتقارب عن المتقارب عن المتقارب عن المتقارب عن المتقارب عن المُنسا بها تُطعِم الله عن المُعسلِم المُ

استعار الشاعر لفظ «عض» وهو أمر محقق تحقيقا حسيا، من مستلزمات الانسان والحيوان إلى شدائد السنين وهو أمر محقق تحقيقا عقليا، والقرينة الجامعة لها تدل على الانقضاض بالغم والفقر في تصوير بليغ يشد انتباه السامع بتخيل الصورة فيجعله يتغافل عها يتضمنه الكلام من تشبيه مستتر بقوة تأثيرها.

وعما تقدم يتبين: ان الصورة البيانية في شعر أبي طالب اقتضتها الموهبة الأدبية، والفكر العميق والخيال الواسع، والقدرة الابداعية على توليد المعاني وتوليفها واتساعها التي لها اثرها البليغ في التصوير.

فالتشبيه وسيلة الشاعر لتوضيح معالم الصورة، وتقريبها إلى الأذهان، وامتاع نفوس السامعين بارتقائها إلى الخيال.

 ⁽١) الديوان: ٩٤، القتار: ريح الشواء والطبيخ.

والكناية لغة التعبير غير المباشرة التي تمنح الصورة التهذيب واللطافة والياقة في تصوير الاشياء.

والاستعارة فرع على التشبيه بيد أنها أشد وقعا في النفس؛ لاثارتها الخيال الجامح بها توحيه من قوة التمثيل المتأتية من اللفظ في اغفال المشبه، وتخيل صورة جديدة، وابتكار المعاني في القدرة على تجسيد الافكار، والمشاعر بصورة مألوفة حسية.



الخاتمة

يمكن تلخيص أهم النتائج التي توصلنا إليها بها يأتي:

- كانت الدعوة الإسلامية عمثلة بنبوة الرسول الكريم عَلَيْواللهُ داعيا من دواعي قول الشعر عند أبي طالب، فقد شغلته الدعوة وصاحبها، فدافع عنها بشعره، وكان شعره في الإسلام يفوق شعره في الجاهلية في عدد القصائد والمقطعات، فبزوغ نور الإسلام أتاح لنجم أبي طالب الظهور بحكم الظروف الجديدة التي رافقت الجهر بالدعوة، التي تصدى لها المعارضون من مشركي قريش، فزودته بقوة شاعرية، وانفجرت قريحته الشعرية مع مجريات الحوادث اليومية الملازمة لنشر الدعوة.
- إنَّ اندماج مرحلتي قبل الإسلام وبعده جعلت ابن سلام يشعر بعدم وجود فوارق ملموسة بين المرحليتن، فصنف ابن سلام أبا طالب مع شعراء مكة ضمن طبقة الشعراء الجاهليين، ولابن سلام عذره؛ لأن زمن البعثة كان مرحلة انتقالية لم تتبلور الظواهر الأدبية الإسلامية الجديدة فيها.
- كان شعرأبي طالب يمثل روح الإسلام حقا على الرغم من حداثة الـدعوة،

وهذا ينم عن ايهان عميق تجسد في هذا الشعر في قصائد أسست على نصرة رسول الله عَلَيْ اللهُ عَلَيْهِ أَلَيْهُ وانبثت منها قيم اخلاقية من وعظ وارشاد وتوجيه ونصح إلى آخره، في ابداع فني حمل مبدأ الالتزام، وهدف اصلاح افكار مشركي قريش من الدعوة الإسلامية، فحركة شعره لها وشيجة قوية بالمجتمع الإسلامي الجديد الذي ينشد فيه قيم خيرة اكسبت شعره الإسلامي صفة الالتزام الذي يتبين في التمهيد.

- في توثيق شعره استدركتُ على الديوان بواحد وستين بيتاً ومشطوراً في اثناء بحثى وتنقيبي عن أشعاره من مصادر شعره التي حفلت بها المظان.
- في ظاهرة الوضع التي أثارها ابن هشام وابن سلام في اشاراتهما لم تكن في شعره، وانها في مطولته اللامية فحسب، اما في شأن ظاهرة الوضع والنحل فيها ردده بلاشير وبروكلهان وشايعهما بعض الكتاب العرب أمثال: محمد كيلاني، والنجار، فقد كشف البحث النقاب عن ضعف ارائهم لاستنادهم الى افتراضات عقلية، وليس الى دليل نقلي.
- حفل شعر أبي طالب بالفنون الشعرية: الرثاء، والفخر، والمديح، فالرثاء من الفنون الشعرية التي طرقها أبو طالب قبل الإسلام، وتحمل معاني موروثة، ومعاني جديدة غير معهودة عند غيره من الشعراء التي هي من نتاج البيئة الدينية للشاعر منها: معاني الاستسقاء بعبد المطلب، وبكاء بيت الله الحرام والحجر والمدار لأبي أمية بن المغيرة خاله إلى آخره مما افصح عنه البحث.
- شمل التطور في موضوعي: شعر الفخر والحماسة الدالين على تأثرهما في الدعوة الإسلامية وإن كان اصلاهما واضحين في الشعر العربي قبل الإسلام، فأشاد أبوطالب ببلائه وجهاده بنفسه وأولاده وأخوته وأبناء عشيرته من بني هاشم،

وعبدالمطلب فداءً لرسول الله عَلَيْكُمْ ولدعوته الدينية، فاكتسى فخر أبي طالب صبغة إسلامية تتجلى في فكرة الجهاد في سبيل رسول الله ودعوته التي تفترق عن فكرة المساعر قبل الإسلام الذي يفخر بالثأر والانتقام للقبيلة، فنشوء فكرة الجهاد وجدت جذورها في شعر أبي طالب؛ لأنه أول ناصر لرسول الله عَلَيْكُمْ .

- المديح من الموضوعات التي أصابها التطور فاكسبها الإسلام معاني جديدة فمديح أبي طالب ملازم لشخصية الرسول الكريم الممثل للدين الإسلامي، لا يتجزأ عن الدعوة التي جاء بها، و هو جزء من اعلام التزام الساعر بالعقيدة الإسلامية، فيعد شعره في الرسول عَلَيْ اللبنة الأولى في بناء المدائح النبوية التي ظهرت فيها بعد، فقد نظمها في زمن البعثة الشريفة، قبل الهجرة أي قبل غيره من شعراء الرسول عَلَيْ الله ومن ثمة يمثل مديحه في قصائد النصرة الجذور الاولى لنشوء المديح الإسلامي السياسي في مديح امام المسلمين بوصفه خليفة رسول الله والقائم على تولي أمور المسلمين.
- يعد أبوطالب أول من نظم في شعر العقيدة الإسلامية، فكان شعره البداية الحقيقية لنشأته فيها بعد، فاحتل هذا النمط الموضوعي مكانا كبيرا في شعره وقد برز فيه التأثر الإسلامي في الفاظه ومعانيه وافكاره ومضامينه، فحفل بها هو جديد في ظل الحياة الدينية الإسلامية الجديدة، وكان ايهانه اضافة معنوية جعلته رجلا حاميا ومؤازرا لرسول الله عَيَّمِيًّة واعلاميا معبراً عن عقيدة الإسلام في شعره؛ لاستقطاب عشيرته وأخوانه وأبنائه، ودعوتهم للوقوف إلى جانب صاحب الرسالة وتأييده ونصرته، متوسلا اساليب الكلام في الدعوة إلى التوحيد والتصديق، وما يتبعه من التصديق إلى بيان معاجز الرسول الكريم ونصرته، وما ينصر ف من النصرة إلى الحث على الصبر والنصيحة والوصية، والموضوعات المتفرعة من شعر العقيدة جميعها تدل

على عطاء أبي طالب الايماني المتدفق في رعاية الإسلام.

- وفي موضوعات العتاب والتحذير والتهديد والوعيد يمكن تأصيل ظاهرة العتاب الأخواني في شعر أبي طالب لأخيه أبي لهب وللشخصيات المتزعمة في المجتمع القريشي الذين هم اكفاؤه، فقد استند أبو طالب في عتابه إلى القيم الاجتماعية المتآزرة مع القيم الإسلامية في مخالفة المعارضين من قريش وتطبيق قانون الحماية، واجهد أبو طالب نفسه وهو يسعى إلى ادامة المود وصلة الرحم بينه وبين ابناء قبيلته ونبذ الخلاف والجنوح تحت راية الإسلام، وهذه الروابط التي تربط الشاعر بقبيلته لم تطف من خلال الصراع الفكري فحسب؛ بل في حالات العتب أيضاً.
- ومن جديد موضوعي: التهديد والوعيد انها يحملان قيماً اجتماعية إسلامية لحماية رسول الله والتصدي للمناهضين للدعوة الإسلامية من قبيلة أبي طالب في تهديدهم ووعيدهم، وهذا الأمر لم يكن يصدر من عربي يرى الولاء للقبيلة أهم شيء، لولا التحول الفكري الذي جعل ولاء الشاعر للإسلام يفيض بهذه المواقف في شعره.
- وكان أبو طالب يهجو قومه من دون ان يعبأ برابطة النسب، فكان مدفوعا بايهانه للإسلام، فتغلب الإسلام في هجائه على وشيجة النسب، وهذا يتنافى مع قوانين القبيلة في الاتحاد والاخلاص والتعاون، ولكن ما كان أبو طالب يشن هجومه في شعره على قومه إلا لإنثلام اتحاد القوم مع بني عمومتهم من بني هاشم وعبد المطلب، فنعتهم بالخصال الذميمة، وفي هجائه يعيرهم ببعض المعاني الإسلامية من كفر وضلال وعقوق وأثم وهذا ما افرزته الدعوة من معاني الهجاء الإسلامي.
- من المحقق أن شعر أبي طالب أصابه التطوير والتغيير، فاذا انصرف جزء

منه إلى معاني ومباني قبل الإسلام فإن كثيرا من المعاني والمباني الإسلامية استطاعت أن تقفز بالقصيدة العربية إلى طور جديد يمكن ان يعد ظاهرة أدبية في تأصيل فن شعرى لاحق.

- سعى أبو طالب في البناء الفني للقصيدة _ بجانب التقليد _ الى التطوير،
 فقد كانت المقدمة ثمرة نتاج المضامين الإسلامية بزياداتها الفنية ، ولاسيما في مقدمتي
 وصف الهموم والشكوى.
- التزم أبو طالب نمطا فنيا جديدا في بناء القصائد ذوات المقدمات والقصائد المباشرة لم يكن معهوداً من قبله في قصيدة المديح المتزاوجة مع موضوع نصرة رسول الله عَلَيْظِهُ في بناء القصيدة الإسلامية، فقد تشكلت في موضوعات مركبة متفرعة من الموضوع الرئيس في بناء محكم ومتلاحم، عالجت موضوعات إسلامية.
- أبو طالب من الرّجاز الذين سعوا الى تطويل اراجيزه التي بلغ فيها النضج الفني في اتقان الاداء، وجمال الاسلوب، وجودة الصياغة، وبراعة الصور في محاولة فنية جادة لتطوير بنائها، وفي الاعمام يعد بناء قصائد أبي طالب نهضة فنية في تطوير القصيدة من الجاهلية إلى الإسلام.
- كانت لغة أبي طالب الشعرية صافية خالية من حوشي الكلام وغريبه،
 شأنها شأن الشعر القرشي، وقد كانت موضوعات الشعر الإسلامي سببا في وضوح
 هذه اللغة.
- انهازت قصائده بنزعة خطابية في رسائل شعرية، شُكِّلت في سياقات فنية تسعى لإيصال فكرة موجزة هدفها الاقناع والقبول لتؤدي وظيفة اخلاقية اجتماعية في حماية رسول الله عَلَيْظِيلُهُ ونصرته.

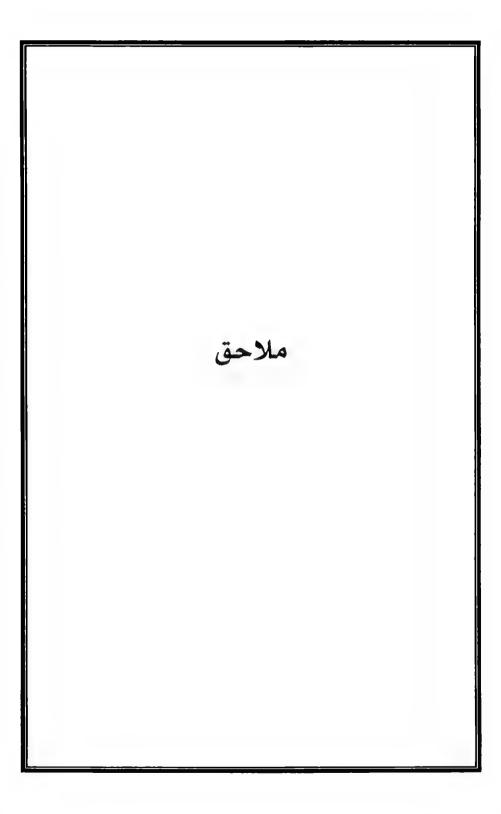
- برز أثر الإسلام في شعره في الاقتباس من آيات التنزيل، واستعماله سيلاً
 من المفردات الدينية التي جاء بها الإسلام والمواكبة لحركة تطور الحياة الجديدة،
 فأعطى اللغة سمة بارزة في البنية الشعرية، فاكسبها طابعاً إسلامياً.
- وفي الإيقاع تتكون عملية بناء هندسة القصيدة من الوزن والقافية اللذين يحتويها البيت الشعري، فقد ساير أبو طالب الشعراء السابقين له والمعاصرين في هذا الجانب، فلم يتميز عنهم في شيء.
- وفي الصورة الشعرية، تابع أبو طالب اسلافه في رسم صورة، واستمد بعضها من الحياة الدينية الجديدة التي رسمت صورا حية لواقع حياة الإسلام المتشكلة في صور بيانية: التشبيه والكناية والاستعارة.

فانهازت الصورة التشبيهية بالوضوح والابانة في تصوير العوالم الحسية وقد تتزاوج الصورة الحسية مع الصورة المعنوية فتمنح الصورة الكلية ثراء ايحاثيا.

- وتتمتع الصورة الكنائية برقة الفكرة المطروقة، وسمو العبارة المنظومة
 المتأتية من ترابط نسيجها في سياق النص.
- وتمنح الصورة الاستعارية عطاء فنيا غنيا بالايحاء والخيال ولا سيما المصورة العقلية، فتتوسع مداليلها في التعبير الموجز.

نسأل الحق تبارك وتعالى قبول صالح اعمالنا إنه غنيٌّ عن العباد حميدٌ مجيدٌ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى وعلى آله المنتجبين وأصحابه الميامين.





ملحق رقم (١)

- ا _إرشاد الهارب من صحة إيهان الأقارب، (إيهان آباء الرسول عَلَيْوَاللهُ وعمه أبي طالب) _ الصنعاني (هاشم بن يحيى بن احمد الحسيني الشامي ت١٥٥٨ هـ)، تحقيق: عباس حميد كريم الزيدي، الغدير، ايران _قم، ٢٠٠٣م، (ص: ٢٥ _٣٠).
- ٢ _ أمالي الصدوق _ (ابو جعفر الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي
 ٣٨٥هـ)، الحيدرية، النجف، ١٣٨٩هـ ـ ١٩٧٠م، (ص: ٥٥٥ ـ ٥٥١).
- ٣- أوائل المقالات الشيخ المفيد (أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري تال المقالات الشيخ المفيد (٤)، ط٢، بيروت لبنان، دار المفيد، سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد (٤)، ط٢، بيروت لبنان، (ص: ١٤١٤هـ ١٩٩٣م، (ص: ٤٥-٤٦).
- ٤ إيمان أبي طالب علي من مصادر علماء السنة عبد الحليم حاتم مرزة، محاضرة القيت في مجلس آل مرزة الأدبي في النجف الأشرف بتاريخ: ٢٥ رمضان لسنة ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م مطبوعة.
- ٥ _ بحار الأنوار _ المجلسي (محمد باقر ت١١١هـ) تعليق: جواد العلوي ومحمد الأخوندي، دار الكتب الإسلامية، طهران، (د.ت)، (ج: ٣٥، ص: ٧٧ _ ١٨٢).

- ٦ بلوغ المارب في نجاة آبائه عَلَيْنِ وعمه أبي طالب سلمان الأزهري الشافعي
 (ت٤٠١هـ) تحقيق: سامي الغريري، زهراء اكادمي، مطبعة سيد الشهداء ايران،
 ١٤٢١هـ.
- ٧ _ تذكرة الخواص _ ابن الجوزي (أبو المظفر يوسف شمس الدين ت ٢٥٤هـ) ط٢، العلمة ، النجف، ١٣٦٩هـ، (ص : ١٠ _ ١١).
- ٨ ـ الـدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة ـ الحسيني (صدرالدين علي خان المدني
 ٣٠٠ ١١٢ هـ)، الحيدرية، النجف، ١٣٨٢هـ ١٩٦٢م، (ص: ٤١ ـ ٦٩).
- ٩ ـ سيد البطحاء أبو طالب _ المجمع العلمي لأهل البيت، مكتبة الامام الشيرازي العالمية،
 بروت _ لبنان، (د.ت).
- ١٠ _ سيد البطحاء أبو طالب كافل رسوله الله تَكَيُّرُاللهُ وناصره _ عبد الرحيم الموسوي، المجمع العلمي لاهل البيت، قم، ١٤٢٢هـ _١٠٠١م.
- ١١ شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد (ت٥٦٥هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم،
 إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ١٩٦٢م، (ج: ١٤، ص: ٥٢ ٨٤).
- 17 _ شيخ الأبطح أبو طالب _ محمد علي شرف الدين الموسوي، دار السلام، بغداد، 178 هـ.
- ۱۳ ـ أبو طالب الرجل المفترى عليه ـ عقيل الخطيب، التعارف، بيروت ـ لبنان، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٠م.
 - ١٤ _ أبو طالب سيد المؤمنين _ عبد الحليم مرزة، الفياض، النجف، ١٤٢٥ هـ ٢٠٠٤م.
- ١٥ _أبو طالب شيخ البطحاء _ حسين الشاكري، المؤسسة الإسلامية للتبليغ والارشاد، سرور، ايران _ قم، ١٤٢٢هـ _ ١٠٠١م.
 - ١٦ _ أبو طالب بن عبد المطلب علي حسين جواد الكديمي، اسعد، بغداد، (د.ت).

- ١٧ _أبو طالب في إيهانه واخلاصه للرسالة (بحث)_عهاد سرور، مجلة الثقافة الإسلامية،
 دمشق، العدد: ٩٢ ، السنة التاسعة عشر ، ١٤٢٤هـ_٣٠٠٥م (ص: ١٢٣_١٣٣).
 - ١٨ _ أبو طالب مؤمن قريش _ الشيخ حيدر محمود الكنعاني، (د.ت).
- ١٩ _ أبو طالب مؤمن قريش (بحث) _ المعهد الثقافي للتخصص والدراسات القرآنية في المحلد المحلد الخامس، السنة السابعة، الاعداد: ٢٤ _ ٢٧ ، ١٤١٧ هـ _ ١٩٩٦م (ص: ٣٣٣ ـ ٣٣٥).
- ٠٠ ـ أبو طالب مع الرسول ـ أ.م، مغنية، دار الكتاب اللبناني، الحوادث، بيروت، (د.ت).
- ۲۱ ـ علي بين أمه وأبيه _ مجيد الصايغ، الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١م (ص:٢٢٧ ـ ٣٨٢).
- ۲۲ _ علي بن أبي طالب من المهد إلى اللحد _ محمد كاظم القزويني، الاداب، النجف، ١٣٨٧ هـ _ ١٩٦٧ م، (ص: ٣٥ _ ٣٥).
- ۲۳ _ العمدة _ ابن البطريق (يحيى بن الحسن الحلي ت ٠٠٠هـ)، طبعة حجرية، ايران، ١٣٠٩هـ، (ص: ٢١٦_٢١٤).
- ۲۶ _ الغدير في الكتاب والسنة والأدب _ الأميني، (عبد الحسين بـن أحمد ت ١٣٩ هـ)، الزهراء، النجف، ٣٦٩هـ (ج:٧، ص: ٣٣٠ - ١٤، ج:٨، ص: ٣٩ ـ ٢٩).
- ٢٥ ـ الفصول المختارة من العيون والمحاسن للشيخ المفيد ـ الشريف المرتضى
 (ت٤٣٦هـ)، تحقيق: علي مير شريفي، سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد (٢)، ط٢، بيروت ـ لبنان، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م (ص:٢٨٨ ـ ٢٨٨).
- ٢٦ _ قبسات من حياة عبد مناف أبي طالب _ جواد كاظم القزاز الموسوي، مكتبة الحسن، ١٤٢١هـ _ ٢٠٠٠م.
- ۲۷ ـ ليالي بيشاور ـ محمد سلطان العلماء الشيرازي (ت ١٣٩١هـ)، تعريب وتحقيق: حسين
 الموسوي، بيروت ـ لبنان، ١٤٢١هـ، (ص: ٩٠١ ـ ٩١٥).

٢٨ ـ مظلومية أبي طالب ـ علاء المالكي، الضياء، النجف، ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣م.

۲۹_معاني الاخبار_الصدوق ، الحيدرية ، النجف ، ۱۳۹۱هـــ ۱۹۷۱م ، (ص: ۲۷۱_ ۲۷۲).

٣٠ ـ المواجهة مع رسول الله عَلَيْوَالله ـ أحمد حسين يعقوب، فروردين، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م، (ص: ١٥ ـ ٥٣).

٣١ ـ نيل المطالب في مظلومية أبي طالب ـ علي عفر اوي الطرفي، ط١، دار المحجة البيضاء، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.



ملحق رقم (٢) المستدرك على الديوان

% (الناء) %

(1)

التخريج: مناقب آل أبي طالب: ٢/ ٩١، دار السلام فيها يتعلق بالرؤيا والمنام:

١/ ١٣٢ ، مواهب الواهب في فضائل والد أمير المؤمنين أبي طالب: ٧٨.

انشد أبو طالب في مولد ابنه على عالتَالإ:

{من الرجز}

١ -اطـوف للإلـه حـول البيـت

٢ ـ ادعـ وك بالرغبة عـ يِّ المِبت

٣ -بأن تريني السبط قبل المدوت

٤ - اغــرُّ نــوراً يـاعظيم الـــصوتِ

ه منصلتاً () بقتل أهل الجبت

⁽١) منصلت من الرجال: الشجاع الماضي في الحوائج.

٦ _وكـل مـن دانَ بيـوم الـسّبتِ

* (الراء) * (۲)

التخريج: مناقب آل أبي طالب: ٢/ ٩١ ـ ٩٢ دار السلام فيها يتعلق بالرؤيا والمنام: ١ / ١٣٢ ـ ١٣٣ ، مواهب الواهب في فضائل والد أمير المؤمنين أبي طالب: ٧٩ انشد أبو طالب عن صدق رؤياه بالبشارة بمولد ابنه على علائللا:

{من الرجز}

ا ـ قــد صــدقت رؤيــاك بــالتّعبير
 ٢ ـ ولــــت بالمرتـــابِ في الأُمـــور
 ٣ ـ أدعـــوك ربّ البيـــت والنّـــذور
 ٤ ـ دعـــاء عبـــد خلـــص فقـــير
 ٥ ـ فــــأعطني ياخــــالقي سروري
 ٢ ـ بالولـــد الحلاحـــل المـــذكور (١)
 ٧ ـ يكـــون للمبعـــوث كـــالوزير
 ٨ ـ يـــا لهــــا يـــا لهـــا مـــن نـــور

⁽۱) الأبيات من (۱ _ ٦) في مناقب آل أبي طالب: ٢/ ٩١، دار السلام فيها يتعلق بالرؤيا والمنام: ١/ ١٣٢، ومواهب الواهب في فضائل والدأمير المؤمنين أبي طالب: ٧٨.

⁽٢) مواهب الواهب: ٧٩، باختلاف الرواية: ﴿بِالْوَالْدُ الْحُلَاحُلُ الذُّكُورِ﴾.

٩ - قد طلعا من هاشم البدور
١٠ - في فلك عالي على البحور
١١ - في طحن الأرض على الكرور
١٢ - طحن الرّحى للحبّ بالتدوير
١٣ - ان قريسشا بات بالتكبير
١٤ - منهوكة أن بالغي والبور
١٥ - وما لها من موئل (٢) مجير
١٦ - من بسيفه المنتقم المبير (٣)
١٧ - وصفوة الناموس في السفير
١٨ - حسامه الخاطف للكفور (١) (١٥)

* «السين» *

(٣)

التخريج: البدء والتاريخ: ٤/ ١٣٤.

قال أبو طالب في علامات النبوة التي رأها الراهب بحيرا وتلميذة عُداس في

(١) نهكه: غلبه.

(٢) الموثل: الملجأ، المبير: الهلك.

(٣) المبر: الهلك.

- (٤) مواهب الواهب: ٧٩، باختلاف الروية: «مصامه الخاطف للكفور».
- (٥) الأبيات من (١ _ ١٨) في مناقب آل أبي طالب: ٢/ ٩١، دار السلام فيها يتعلق بالرؤيا والمنام: ١/ ١٣٢، ومواهب الواهب في فضائل والد أمير المؤمنين أبي طالب: ٧٩.

ابن أخيه و هو صغير عندما كان بصحبته في رحلته إلى الشام:

* «الفاء» *

(1)

التخريج: مناقب آل أبي طالب: ٢/ ٩١ ، دار السلام فيها يتعلق بالرؤيا والمنام: ١/ ١٣٢ ، مو اهب الواهب في فضائل والد أمير المؤمنين أن طالب: ٧٩

قال أبو طالب في مولد ابنه أمير المؤمنين على عليماليد:

{من الرجز}

- -أدعــوك رَبّ البيـتِ والطـوافِ
- والوالمد المحبِّ العفال
- ٣ ـ تعيننــــــــــــ بـــــالمنن اللّطــــــاف

⁽١) البدء والتاريخ: ٤/ ١٣٤.

⁽٢) حياه بكذا: اعطاه اياه بلا جزاء.

⁽٣) الأبيات (١- ٥) في مناقب آل أبي طالب: ٢/ ٩١، دار السلام فيها يتعلق بالرؤيــا والمنــام: ١/ ١٣٢، مواهب الواهب في فضائل والدأمير المؤمنين أبي طالب: ٧٩.

(o)

التخريج: مناقب آل أبي طالب: ١/ ٥٠ _ ٥١ ، بحار الانوار: ٣٥/ ٩١ ، بلوغ المترب في نجاة آبائه عَلَيْظُهُ وعمه أبي طالب: ١٧٦ _ ١٧٨.

وصى أبو طالب ابنه طالباً باتباع النبي عَلَيْكِاللهُ، فقال:

{من الكامل}

فيها يقولُ مسدد والرساد في المساد والمساد والماعد وافسات والمساد والم

ابني طالب إن شيخك ناصح
 إن ابن عمَك بالنبوة والهدى
 صبح الربيعة لا يرام جنسابه
 نسقي السحاب بوجهة في محلنا
 حكهة البنيم وللأرامل كافل
 ملجا الضعيف وركن كل مؤمل

(١) مناقب آل أبي طالب: ٥٠، بحار الانوار: ٣٥/ ٩١، بلوغ المآرب: ١٨٦، والابيات بعد هذا البيت:

حتى تكون لسدى المنيسة ذائستُ لا زلتُ فيك بكلً رشيد والمِستُ الى يجسلُكَ لا محالسة لاحستُ إني بِجسلُكَ لا محالسة لاحستُ إذْ لم أراه قسد نطساول باسستُ وعسليُّ ابنسي للسواء معسانِتُ هيهسان إنَّ لا محالسة راهِستُ هيهسان إنَّ لا محالسة راهِستُ

فساضربْ بسيفكَ مَسنُ أرادَ مساءةً هسذا رجسائي فيسك بعسد منينسي فاغسضدْ قسواه يسائنيَّ وكُسنُ لسه آهسساً أُردُد حسسرةً لفراقِسه أردُد حسسرةً لفراقِسه أتسرى أراهُ واللسواء أمامسه أتسراهُ يسشفعُ في ويسرحمُ عسبري

ديوان أبي طالب: ٣٤، مناقب آل أبي طالب: ١/ ٥٠ - ٥١، بحار الانوار: ٣٥/ ٩١، بلوغ المآرب في نجاة آبائه عَيْنِيلًا وعمه أبي طالب: ١٨٦، ويلحظ ان ضمَّ بعض القوافي مخالف لقواعد النحو، للضرورة الشعرية.

(٢) الأبيات (٢- ٦) بلوغ المآرب في نجاة آبائه ﷺ وعمه أبي طالب:١٧٦.

أنب بحسدِّكَ لامحالسةَ لاحسقُ غُــشاً فــسيفكَ للجهاجــم فـالقُ وإلى المسعير مصصيرُ ذاك السذائقُ فانسصره، فهسو بكسلِّ خسير نساطقُ فسيسهر غرباً دينيه وميشارقُ يغــشى لجــسمى بالمنيــةِ سـاحقُ وكذا الغراب على الخلائت ناعقُ أسيفاً، وإن في القيامية راميقُ يومياً بيشفعهُ الآليهُ الخيالقُ يوماً ومنه يكون ذاك الناطق في كفه اليمنسي لسواءٌ خسافقُ عنيد العيذاب إذا اعتراهيا راهيقُ أنَّى، وكيف اذا دعاهُ منافقُ وليه قصورٌ في الجنسان شهواهقُ ولباسهم فيها الحريسر اللائسق وسمادة، والعميشُ فيهما رائستُ إن جزعت ، كا يقولُ الفاسقُ كسان الجحسيم وحرهسالي سسائقُ قد كنتُ ارقى للعلا واسابقُ

٧ _ فاعـضد قـواهُ يِا بنــى وكُــنُ لــهُ ٨ _ و افلـق بـسفكَ مـن سـدى لــهُ ٩ ـ وأذقة هيجا الموتِ في كاس الوغى ١٠ ـ لـو كنتُ أبلغُ عـمرَهُ لنـصرتهُ ١١ ـ حتى ببلُّغَ ما يقولُ إلى الورى ١٢ - أنرى اعاينُ شخصَ أحمدَ بعدما ١٣ - نعمقَ الغسرابُ بسأنني مستهلِكٌ ١٤ ـ هيهيات لم اتبعه حين أوانيه ١٥ _ فعـساهُ أن يـشفعَ لي أمـامَ مليكـه ١٦ ـ أتسرى أراهُ فسوقَ منسيرهِ عسلا ١٧ ـ وأرى علياً في المساد وراءهُ ١٨ _ وقريش يومئيذ تؤميل أمنية ١٩ -يدعون أحمد لا يُجيبُ نداهم ٢٠ ـ ويفوز بالجناتِ من يبغى الهدى ٢١ ــومنــــابرٌ ونــــارقٌ مــــصفوفةٌ ۲۲ ـ وفواكــه ومآكــل ومــشارب ٢٣ ـ لكننــى اخــشى مقالـة قائــل ٢٤ ـ والله ما اخشى سوى عار ولو ٢٥ ـ قـ دعـ اقنى ريب الزمـ ان وطالما

⁽١) ديوان أبي طالب: ٣٤٠، مناقب آل أبي طالب: ١/ ٥٠، بحار الانوار: ٣٥/ ٩١، بلوغ المآرب في نجاة آبائه عَلَيْكُ وعمه أبي طالب: ١٨٦.

⁽٢) البيت (٢٧) بلوغ المآرب: ١٨٧..

وبجاهب عند المهيمن واثت قُ والسيمن والسقُ والمسوتُ للانسسان حقَّاً طارقُ (٢)

٢٦ - لكن أحمد في المعاد وسيلتي
 ٢٧ - منى السلام على الحبيب محمد

* «اللام» * (٦)

التخريج: بحار الانوار: ١٥/ ٣٨٣، مواهب الواهب في فضائل والد أميرالمؤمنين أبي طالب علائيًا إذ ١٥٢.

وقال أبو طالب في مدح ابن أخيه النبي محمد عَلَيْمُؤْلُمُ :

(من الخفيف)

نِ عسلى نسورِ شمستنا والهسلالِ السندي فساقَ نسعورَهُ المتعسالي فقستَ كسلَّ العُسلا وكسلَّ الكسمالِ (٢) ولقسدَ فقستَ أهسلَ كسلِّ المعسالي (٣)

انورُ وجهكِ الذي (۱) فاقَ في الحُسر
 انست والله يسا منساي وسسؤلي
 انست نبورُ الانسام من هاشسم الغير

٤ - وعلو الفخار والمجد أبسضا

«أنت خير الأنام من هاشم الغرّ بكـل العـلى وكـل الكـــال»

⁽١) في مواهب الواهب: ١٥٢، اختلاف الرواية: ﴿بِسِنَا وَجِهِكَ الذِّي...؟.

⁽٢) في مواهب الواهب: ١٥٢، اختلاف الرواية:



- القرآن الكريم.

(الالف)

- ١- أبحاث في الشعر العربي ـ د. يونس السامرائي، دار الكتب، جامعة الموصل،
 ١٩٨٩ م.
- ۲- الإتقان في علوم القرآن _السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن الشافعي ت١١٩هـ)،
 وبهامشه اعجاز القرآن للباقلاني (أبو بكر محمد عمر بن الطيّب ت٤٠٣هـ)، المكتبة
 الثقافية، بيروت _ لبنان، ١٩٧٣م.
- ٣- أثر التشيع في الأدب العربي _ محمد سيد كيلاني، مكتبة مصر، الفجالة، دار الكتاب العربي، مصر، ١٩٤٧م.
- ادباء العصر في العصر الجاهلي وصدر الإسلام _ بطرس البستاني، دار مارون عبود،
 دار الجيل، بروت، ١٩٧٩م.
- ٥- الأدب وفنونه _ د. محمد مندور _ مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٩٦١ _
 ١٩٦٣م.
- ٦- إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري _القسطلاني (أحمد بن محمد ت٩٩٣هـ)،

- ط٦، المرية، بولاق، مصم، ١٣٠٤ هـ.
- ٧- إرشاد الهارب من صحة ايهان الاقارب (ايهان آباء الرسول عَلَيْهُ وعمه أبي طالب ـ الصنّعاني (هاشم بن يحيى بن أحمد الحسيني الشامي (ت٨٥١هـ)، تحقق: عباس حيد كريم الزيدي، الغدير، ايران، قم، ٣٠٠٣م.
- ۸- أساس البلاغة _الزنخشري (أبو القاسم جار الله بن محمود بن عمر ت٥٣٨هـ)، دار
 الفكر، ببروت _ لبنان، ١٤٢٠هـ _ ٢٠٠٠م.
- 9- الاستيعاب في معرفة الاصحاب ـ ابن عبد البّر (أبو عمر يوسف بـن عبد الله بـن عمد بن عبد الله بـن عمد بن عبد الله بن عبد البر بـن عاصم النمري القرطبي المالكي ت٢٠٤هـ)، عمد بن عبد الله بن عبد السب الصحابة (للعسقلاني ت٢٥٨هـ)، مكتبة المثنى، مطبعة السعادة، مص، ١٣٢٨هـ.
- ١- أُسد الغابة في معرفة الصحابة _ ابن الجزري (عز الدين بن الاثير أبو الحسن علي بن عمد ت ٩٠٠هـ)، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، ط٢، دار الكتب العالمية، ببروت _ لبنان، ١٤٢٤هـ _ ٢٠٠٣م.
- ۱۱- أسرار البلاغة في علم البيان الجرجاني (أبوبكر عبد القاهر بن عبد الرحمن تعليق: محمد عبده، ومحمد رشيد رضا، ط۱، دار الكتب العالمية، بروت لبنان، ۱۹۸۸ م.
- ۱۲ أسرار التكرار في لغة القرآن د. محمود السيد شيخون، ط۱، مكتبة الكليات الازهرية، القاهرة، ۱۲ ۱۹۸۳م.
- ۱۳ الأسس الجمالية في النقد العربي (عرض وتفسير ومقارنة) ـ د. عز الـ دين اسـماعيل،
 ط۲، دار الفكر العربي، دار النصر، القاهرة، ۱۹۲۸م.
- ١٤ الأسس الفنية للنقد الأدبي _د. عبد الحميد يونس، ط١، دار المعرفة، دار الحمامي،
 القاهرة، ١٩٨٥م.
- ١٥- الأسلوب (دراسة بلاغية لأصول الاساليب الأدبية) _ أحمد الشايب، ط٦، مكتبة

- النهضة المصرية، السعادة، مصر، ١٩٩٦م.
- ١٦ أُسنى المطالب في نجاة أبي طالب ـ ابن دحلان (أحمد بن زيني الشافعي ت١٣٠٤هـ)
 تقديم: صالح الورداني، الهدف، سجل العرب، القاهرة، ١٩٩٩م.
- ۱۷ الاشتقاق _ ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن ت ٣٢١هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، المثنى ببغداد، الخانجي في مصر، مطبعة السُّنة المحمدية، مصر، ۱۳۷۸هـ ١٣٧٨هـ ١٩٥٨م.
- ۱۸ الإصابة في تمييز الصحابة _ العسقلاني (أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر ت ۸۵۲هـ)، وبهامشه الاستيعاب لابن عبد البر، المثنى، السعادة، مصر، ۱۳۲۸هـ.
- 19 الأصمعيات _ اختيار الاصمعي _ (أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك ت ٢١٦هـ)، تحقيق: أحمد محمود شاكر، وعبد السلام محمد هارون، ط٢، دار المعارف، مصم، ١٩٦٤م.
 - ٢٠ الأصوات اللغوية ـ د. إبراهيم أنيس، ط٥، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧٥م.
- ٢١- أصول النقد الأدبي أحمد الشايب، ط٧، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٤م.
- ٢٢- إعجاز القرآن _ الباقلاني (أبو بكر محمد بن الطيّب ت٤٠٣هـ)، تحقيق: السيد أحمد
 صقر، دار المعارف بمصم.
- ۲۳ إعلام الورى بأعلام الهدى _ الطبرسي (أبو علي الفضل بن الحسن ت٤٥٥هـ)، قدم
 له: محمد مهدي السيد حسن الخرسان، ط٣، الحيدرية، النجف الاشرف، ١٣٩٠هـ _ ١٩٧٠م.
- ۲۲- الأغاني _الاصفهاني (أبو الفرج ت٥٦هـ)، دار الفكر، دار مكتبة الحياة، بـيروت،
 ١٩٥٥م.
- ٢٥ اكمال الدين واتمام النعمة في اثبات الرجعة _ الصدوق (ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ت ٣٨١هـ)، قدم له: محمد مهدي السيد حسن الخرسان،

- الحيدرية، النجف الاشرف، ١٣٨٩ هـ ١٩٧٠م.
- ٢٦- الأمالي الشجرية _ ابن الشجري (أبو السعادات ضياء الدين هبة الله بن علي بن حمزة العلوي الحسني ت٤٢٥هـ)، ط١، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، الهند،
 ١٢٤٩هـ.
 - ٢٧- أمالي الصدوق الصدوق، الحيدرية، النجف الاشرف، ١٣٨٩هـ ١٩٧٠م.
- ٢٨- الأمالي في الأدب الإسلامي _ د. ابتسام مرهون الصفار، وزراة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، (د.ت).
- ٢٩ امتاع الاسماع بها للنبي ﷺ من الأحوال والأموال والحفدة، والمتاع ـ المقريري
 (تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد ت٥٤٨هـ)، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.
- ٣٠- إنباه الرواة على أنباء النحاة _ القفطي (أبوالحسن جمال الدين علي بن يوسف القفطي ت٦٤٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إسراهيم، دار الكتب المصرية، ١٣٧٤هـ _ ... ١٩٥٥م.
- ٣١- أنساب الأشراف البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر ت٢٧٩هـ)، تحقيق الجزء الاول: د. محمد حميد الله ضمن سلسلة ذخائر العرب (٢٧)، دار المعارف، مصر، ٩٥٩م، تحقيق الجزء الثاني: الشيخ محمد باقر المحمودي، مؤسسة الاعلمي، بيروت لبنان، ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م.
- ۳۲- الانوار المحمدية من المواهب اللدنية (الشيخ يوسف بن اسماعيل النبهاني ت٠٠٠). الميمنية، مصطفى البابي الحلبي، مصر، (د.ت).
 - ٣٣- أهل البيت الهيال في الكتاب المقدس أحمد الواسطى، ط١، الصدر، ١٩٩٧م.
- ٣٤- أواثل المقالات _ الشيخ المفيد (أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري تاك المقالات _ الشيخ المفيد (٤)، دار المفيد ، بيروت _ ابنان، 18١٤هـ_ ١٩٩٣م.

- ٣٥- الإيضاح _النيسابوري (الفضل بن شاذان الأزدي ت٢٦٠هـ)، تحقيق: السيد جلال الدين الحسيني، د.ت.
- ٣٦- الإيضاح في شرح المفصل ابن الحاجب النحوي (أبو عمرو عثمان بن عمر تحدد)، تحقيق: موسى بناى علوان العليلي، العاني، بغداد، ١٩٨٢م.
- ٣٧- الايضاح في علوم البلاغة _القزويني (جلال الدين محمد بن عبد الرحمن تهوم ٧٣- الايضاح)، شرح وتعليق: د. محمد عبد المنعم خفاجي، ط٥، دار الكتب اللبناني، بيروت _لبنان، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

(الباء)

- ٣٨- بحار الانوار _ المجلسي (محمد باقر ت١١١ه هـ)، تعليق: السيد جواد العلوي،
 والشيخ محمد الاخوندي، دار الكتب الإسلامية، طهران، (د.ت).
- ٣٩- البدء والتاريخ _المقدسي (المطهر بن طاهر ت ٥٥٥هـ)، المنسوب تأليف لأبي زيد أحمد بن سهل البلخي، ١٩٠٣م.
- ٤ البداية والنهاية في التاريخ _ ابن كثير (أبو الفداء عهاد الدين اسهاعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ت٧٧٤هـ)، السعادة، مصر ، ١٩٣١ هـ _ ١٩٣٢ م.
- ١٤ البرصان والعرجان والعميان والحولان ـ الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر ت٥٥ ٢هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، سلسة كتب التراث، (١١٤)، دار الرشيد، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٢م.
- ٤٢- البشارات والمقارنات بين القرآن والعهدين _ محمد الصادقي الطهراني، ط١، الغري الحديثة، النجف الاشرف، ١٣٨٩هـ _ ١٩٦٩م.
- ٤٣ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة _السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، عيسى البابي الحلبي، مصر، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٥م.

- 33- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب _الآلوسي (محمود شكري البغدادي تا ١٣٤٢هـ)، شرح وتصحيح: محمد بهجة الأثري، ط٣، دار الكتاب العربي، مص، ١٣٠٤هـ.
- ٥٥- بلوغ المآرب في نجاة آباثه عَيْرِ الله وعمه أبي طالب _ الازهري (سليمان بن عمر بن منصور العجلي اللاذقي المصري الشافعي ت٢٠٤هـ)، تحقيق: سامي الغريري، وزهراء اكاديمي، سيد الشهداء، طهر ان، ١٤٢١هـ.
- 27- البيان والتبيين _ الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٥، مكتبة الخاني، بالقاهرة، المدنى بمصر، ٤٠٥ اهـ _ ١٩٨٥ م.

(التاء)

- 27- تاج العروس من جواهر القاموس الزبيدي (السيد محمد مرتضى الحسيني ت٥٠١٥ هـ)، تحقيق الجزء الثاني: علي هلالي، مراجعة: عبد الله العلايلي، وعبد الستار أحمد فراج، ط٢، الكويت، ١٣٨٦ هـ ١٩٦٦م، وتحقيق الجزء التاسع والعشرين: عبد الفتاح الحلو، الكويت، ١٨٤١ هـ ١٩٩٧م.
- ۱۹۷۳ تاریخ الأدب العربی _ ر. بلاشیر، ترجمة: د. إبراهیم الکیلانی، وزراة الثقافة، دمشق،
 ۱۹۷۳ م.
- ٤٩ تاريخ الأدب العربي _ كارل بروكلهان _ ترجمة: د. عبد الحليم النجار، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٧٦م.
- ٥- تاريخ الأدب العربي في العصر الإسلامي _السباعي بيومي، ط٢، الانجلو المصرية، الرسالة، مصر، ١٩٥٨م.
- ١٥- تاريخ الإسلام الثقافي والسياسي، مسار الإسلام بعد الرسول ونشأة المذاهب _ صائب
 عبدالحميد، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، فروردين، ١٤١٧ هـ _ ١٩٩٧م.

- ٥٢ تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والاعلام _الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ت٨٤٧هـ)، عن نسخة دار الكتب المصرية ونسخة كمبريدج، القدس، ١٣٦٧هـ.
- ٥٣- تاريخ التمدن الإسلامي جرجي زيدان، دار مكتبة الحياة ، بيروت لبنان، (د.ت).
- ٥٤ تاريخ ابن خلدون المسمى بـ كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ـ ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد الحضرمي المغربي ت٨٠٨هـ)، مؤسسة جمال، بيروت ـ لبنان، ١٣٩٩هــ بن محمد الحضرمي المغربي ت٨٠٨هـ)، مؤسسة جمال، بيروت ـ لبنان، ١٣٩٩هــ بروح.
- ٥٥- تاريخ الخميس في احوال انفس نفيس _ الديار البكري (حسين بن محمد بن الحسن ت ٩٦٦ هـ)، مؤسسة شعبان، دار صادر، بروت، (د.ت).
- ٥٦- تاريخ الرسل والملوك _ تاريخ الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير ت ٢٠هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٥، دار المعارف، مصر، ١٩٨٦م.
- 00- تاريخ العرب قبل الإسلام _ د. جواد علي، المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1900 هـ 1907 هـ 1907 م.
- التاريخ الكبير _ابن عساكر (أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الشافعي ت ١٧٥هـ)، ترتيب وتصحيح: الشيخ عبد القادر بدران، روضة الشام، دمشق، ١٣٢٩هـ.
- ٥٩ تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري ـطه
 أحمد إبراهيم، ط١، دار القلم، بيروت ـ لبنان، ١٤١٨هـ ١٩٨٨م.
- ٦٠ تاريخ اليعقوي _ اليعقوبي (أحمد بن اسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح البغدادي ت بعد ٢٩٢هـ)، تعليق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت _ لبنان، ١٤١٩هـ _ ١٩٩٩م.

- ٦١- التبيين في أنساب القرشيين _ المقدسي (عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر الدمشقي ت ٦٢٠هـ)، تحقيق: محمد نايف الدليمي، ط١، المجمع العلمي العراقي _ بغداد، ١٩٨٢هـ ١٩٨٣م.
- 77- تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم المجازات العرب _السنتمري (أبو الحجاج يوسف بن سليان ت٤٧٦هـ)، تحقيق: د. زهير عبد المحسن سلطان، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٢م.
- 77- تذكرة الخواص _ ابن الجوزي (أبو المظفر يوسف شمس الدين ت ٢٥٤هـ)، ط٢، العلمة، النجف، ١٣٦٩هـ.
 - ٦٤- التصوير البيان_د. خفى محمد شرف، ط٢، العثمانية، القاهرة، ١٩٧٣م.
- ٦٥- التعازي _المدائني (أبو الحسن علي بن محمد ت٢٢٨هـ)، تحقيق: ابتسام مرهون الصفار، وبدري محمد فهد، النجان، النجف، ١٩٧١م.
- ٦٦- التعازي والمراثي _المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد ت٢٨٦هـ)، تحقيق: محمد الديباجي، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٣٩٦هـ_١٩٧٦م.
- ٦٨- التفسير النفسي للادب د. عز الدين اسهاعيل، ط٤، دار العودة، بيروت، ١٩٨٨م.
- ٦٩- التنبيه على حدوث التصحيف _ الاصفهاني (أبو عبدالله حزة بن الحسن ت٣٦٠هـ)،
 تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، المعارف، بغداد، ١٩٦٧م.
- ٧٠ تهذيب اللغة _الأزهري (أبو منصور محمد بن أحمد ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: عبد السلام
 هارون، المؤسسة المصرية العامة، الدار القومية العربية، مصر، ١٣٨٤ هــ١٩٦٤م.
- ٧١- التيارات المعاصرة في النقد الأدبي _ د. بدوي طبانة، ط١، لجنة البيان العربي، مصر، ١٣٨٢ هـ _١٩٦٣ م.

(الثاء)

٧٢- ثمرات الأوراق في المحاضرات _الحموي (ابو بكر علي بن محمد بن حجة الحموي القادري الحنفي)، بهامش كتاب المستطرف في كل فن مستظرف للاشبيهي (شهاب الدين محمد بن أحمد ت ٨٥٠هـ)، المكتبة التجارية الكبري، (د.ت).

(الجيم)

- ٧٧- الجامع لاحكام القرآن _القرطبي (أبوعبدالله محمد بن أحمد الانصاري ت ٢٧٦هـ)، مصوَّرة عن طبعة دار الكتب، دار الكاتب، القاهرة، ١٣٨٧هـ_١٩٦٧م.
- ٧٤ جِرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب ـ د. ماهر مهدي
 هلال، دار الرشيد، دار الحرية، بغداد، ١٩٨٠م.
- ٥٧- جمهرة الأمثال _ العسكري (أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل ت ٣٩٥ه)،
 تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعبد المجيد فطامش، ط٢، دار الفكر، بيروت،
 ١٩٨٨م.
- ٧٦- جهرة أنساب العرب ابن حزم (أبو محمد علي بـن أحمد بـن سعيد الاندلسي ت ٥٦- جهرة أنساب العرب ابن حزم (أبو محمد علي بيضوي، ط٣، دار ٥٦ هـ)، الضبط: لجنة من العلماء باشراف الناشر: محمد علي بيضوي، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣م.

(الحاء)

٧٧- الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب _ ابن فخار الموسوي (أبو علي شمس الدين بن فخار بن معد ت ٦٣٠هـ)، تحقيق: السيد محمد صادق بحر العلوم، النهضة بغداد، الآداب، النجف، ١٣٨٤هـ _ ١٩٦٥م.

- ٧٨- حلية المحاضرة في صناعة الشعر ـ الحاتمي (أبو علي محمد بن الحسن بن المظفر ت٣٨٨-)، تحقيق: د. جعفر الكتالي، دار الرشد، بغداد، ١٩٧٩م.
- ٧٩- الحماسة البصرية _ البصري (صدر الدين علي بن أبي الفرج بن الحسين ت٩٥٩هـ)،
 عالم الكتب، بروت، ١٣٨٣هـ_١٩٦٣م.
- ٨٠ الحيوان _ الجاحظ ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٣، المجمع العلمي العربي
 الإسلامي، بيروت _ لبنان، ١٣٨٨ هـ _ ١٩٦٩م.

(الخاء)

- ۸۱- خزانة الأدب ولبّ أباب لسان العرب البغدادي (عبد القادر بن عمر تحرانة الأدب ولبّ أباب لسان العرب البغدادي (عبد القادر بن عمر تحريف المنانية القاهرة، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الخانجي، المدني، القاهرة، ٢٠٩٨ هـ ١٤٠٦ هـ ١٩٨٩م.
- ٨٢- الخصائص _ ابن جني (أبو الفتح عثمان ت٣٩٦هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٢م.
- ٨٣- الخصائص الكبرى (كفاية الطالب اللبيب في معرفة خصائص الحبيب) ـ السيوطي، ط٢، المنير، العراق ـ نينوى، ١٩٨٤م.

(الدال)

- ٨٤ دار السلام فيها يتعلق بالرؤيا والمنام _الطبرسي (ميرزا حسين النوري ت ١٣٢٠هـ)،
 تعليق السيد هاشم الرسولي المحلاتي، شركة المعارف الإسلامية العلمية قم (د.ت).
 - ٨٥- دراسات في الأدب الإسلامي ـ سامي مكى العاني، المعارف، يغداد، ١٩٦٨م.
- ٨٦- دراسات في التاريخ الإسلامي _ محمد باقر الناصري، دار الصادق، بيروت، ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م.
- ٨٧- دراسات الصوت اللغوي _د. أحمد مختار عمر، ط١، عالم الكتب، سجل العرب،

- القاهرة، ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م.
- ۸۸- الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة _ الحسيني (صدر الدين السيد علي خان المدني الشيرازي ت ١١٢٠هـ)، قدم له: السيد محمد صادق بحر العلوم، ط١، الحيدرية، النجف، ١٣٨٢هـ _ ١٩٦٢م.
- ٨٩- دلائل الاعجاز _ الجرجاني، تحقيق: محمد محمود شاكر، الخانجي، المدني، القاهرة، ١٩٨٤ م.
- ٩٠ دلائل النبوة _ أبو نعيم (أحمد بن عبد الله الأصبهاني ت٤٣٠هـ)، النهيضة، مطبعة بابل، بغداد، ١٩٧٧م.
- 9 دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة _ البيهقي (أبو بكر أحمد بن الحسين ت د ٥٨ هـ)، تحقيق: الدكتور عبد المعطي قلعجي، ط ١ ، دار الكتب العلمية، بيروت _ لبنان، ٥٠٥ هـ ١ ٩٨٥م.
- 97 دير الملاك دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر د. محسن أطيمش، ط٢، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦م.
- 97 ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس _شرح وتعليق: د محمد محمد حسين، دار النهضة العربية، بروت، ١٩٧٢م.
- 98- ديوان امرؤ القيس _ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٤، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٨٤ م.
- ۹۰ دیوان أوس بن حجر ـ تحقیق: د. محمد یوسف نجم، دار بیوت، بیروت، ۲۰۰ هـ ـ ۹۵ هـ ـ ۱۹۸۰م.
- 97 ديوان بشر بي أبي خازم الأسدي _ تحقيق: د. عزة حسن، ط٢، سلسلة احياء الـتراث القديم (٣١)، دمشق، ١٣٩٢هـ _ ١٩٧٢م.
 - ٩٧ ديوان الحارث بن حلزة _ تحقيق: هاشم الطعان، الارشاد، بغداد، ١٩٦٩م.
 - ٩٨ ديوان شعر الحادرة تحقيق: د. ناصر الدين الأسدي، دار صادر، بيروت، ١٩٧٣ م.

- 99- ديوان شيخ الأباطح أبي طالب _صنعة أبي هفان (عبد الله بن أحمد المهزمي ت ٢٥٧هـ)، تصحيح وتعليق: السيد محمد صادق آل بحر العلوم، المرتضوية، الخيدرية، النجف، ١٣٥٦هـــ ١٩٣٦م.
- ١٠٠ ديوان أبي طالب بن عبد المطلب _ صنعة التميمي (علي بن حمزة البصري ت ٣٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، (د.ت).
- ۱۰۱- ديوان أبي طالب بن عبد المطلب صنعة أبي هفان، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل باسين، بغداد، ١٤١٣هـ.
- ۱۰۲ ديوان أبي طالب بن عبد المطلب _ صنعة أبي هفان، وعلي بن حمزة، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، دار الهلال، ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠م.
- ١٠٣ ديوان أبي طالب عم النبي عَيَالَيْ جمع : مجموعة من المؤلفين ضمن الموسوعة الشعرية، بيروت، ٢٠٠٤م قرص.
- ۱۰۶ ديوان أبي طالب عم النبي ﷺ جمع وشرح: د. محمد التونجي، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، ١٩٤٨هـ ـ ١٩٩١م.
- ۱۰۵ ديوان عدي بن زيد العبادي _ تحقيق وجمع: محمد جبار المعيبد، دار الجمهورية، بغداد، ١٩٦٥م.
- ۱۰۱- ديوان قيس بن الخطيم تحقيق: د. ناصر الدين الأسدي، ط٢، دار صادر، بيروت، ١٣٨٧ هـ ١٩٦٧ م.
 - ۱۰۷ ديوان المعاني العسكري، عالم الكتب، بيروت لبنان، (د.ت).
- ١٠٨ ديوان النابغة الذبياني _تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف،
 مصر، القاهرة، ١٩٨٥م.

(الراء)

۱۰۹ - الرثاء ـ د. شوقی ضيف، ط۲، دار المعارف بمصر، (د.ت).

- ١١٠ الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام _بشرى محمد علي الخطيب، الادارة المحلية، بغداد، ١٩٧٧م.
- ۱۱۱- الرجال النجاشي (ابو العباس أحمد بن علي بن أحمد البغدادي ت ٢٥٠هـ)، مكتبة مصطفى، (د.ت).
- ۱۱۲ الرَّوض الأُنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام ـ السُّهيلي (أبو القاسم عبد الرحن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن الخثعمي ت ٥٨١هـ)، ومعه السيرة النبوية لابن هشام، تعليق: مجدي منصور سيد الشورى، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لينان، (د.ت).

(الزاي)

- ۱۱۳ الزاهر في معاني كلمات الناس الأنباري (أبو بكر محمد بن القاسم ت٣٢٨هـ)، تحقيق: حاتم صالح المضامن، دار الرشيد، المدار الوطنية، بغداد، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.
- ١١٤ الزينة في الكلمات الإسلامية العربية ـ الرازي (أبو حاتم أحمد بن حمدان تاكم من الله الممداني، ط٢، القاهرة، ١٩٥٧م.

(السين)

- ١١٥ سمط اللآلي _ البكري (أبو عبيد الأوبني ت٤٨٧هـ)، تحقيق: عبد العزيز الميمني،
 لجنة التأليف والترجمة، ١٣٥٤هـ ١٩٣٦م.
- 117 سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي _ العصامي (عبد الملك بن الحسين بن عبد الملك المكي ت ١١١١هـ)، السلفية، القاهرة، ١٣٧٩هـ-
- ۱۱۷ سُنن الترمذي _ (أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة ت ۲۷۹هـ) تحقيق: صدقي محمدالعطار، وعبد القادر عرفان، دار الفكر، بيروت _ لبنان، ۱٤۲۱هـ ـ ۲۰۰۱م.

- ۱۱۸ شنن أبي داود ـ (سليمان بن الاشعث السجستاني ت ٢٧٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد العطار، ط٣، دار الفكر، بروت ـ لبنان، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.
 - ١١٩ شنن النسائي ـ السيوطي، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، ١٤١٥ هـ ١٩٩٥م.
- ١٢٠ سيد البطحاء أبو طالب _ المجمع العلمي لأهل البيت، مكتبة الشيرازي العالمية، سروت _ لينان، (د.ت).
- ١٢١- سيد البطحاء أبو طالب كافل رسول الله عليه وناصره عبد الرحيم الموسوي، المجمع العلمي لأهل البيت، قم، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.
- ۱۲۲ السيرة النبوية ابن كثير (أبو الفداء اسهاعيل الشافعي ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، بيروت لبنان، ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م.
- ۱۲۳ السيرة النبوية ـ لابن هشام (أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري ت ١٦٣ هـ)، تحقيق: مصطفى السّقا، وإبراهيم الابياري، وعبد الحفيظ شلبي، العلمية، دار الجيل، بيروت ـ لبنان، ٧٠٤ هـ ـ ١٩٨٧م.
- ۱۲۶ السيرة النبوية _انسان العيون في سيرة الأمين المأمون _الحلبي (علي بن برهان الدين ت ٤٤ ١٠ هـ)، وبهامشه السيرة النبوية والاثار المحمدية لابن دحلان، المكتبة التجارية الكبرى، الاستقامة، مصم _القاهرة، ١٣٨٧هـ_١٩٦٢م.
- ۱۲۵ السيرة النبوية والاثار المحمدية _ ابن دحلان (أحمد زيني ت ١٣٠٤ هـ)، بهامش السيرة النبوية المعروفة بانسان العيون في سيرة الأمين المأمون للحلبي، المكتبة التجارية الكبرى، الاستقامة، مصر _ القاهرة، ١٣٨٢ هـ _ ١٩٦٢م.
- ۱۲٦- السّير والمغازي _ابن اسحاق (محمد بن اسحاق المطلبي ت ١٥١هـ)، تحقيـق: د.شُهيل زكار، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـــ١٩٧٨م.

(الشين)

١٢٧ - شذرات الذهب في اخبار من ذهب _الحنبلي (أبو الفلاح عبد الحي بن العاد ت

- ١٠٨٩هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، (د.ت).
- ١٢٨ شرح تحفة الخليل في العروض والقوافي _عبد الحميد الراضي، العاني، بغداد، ١٣٨٨ هــ ١٩٦٨ م.
- ۱۲۹ شرح جمل الزجاجي (الشرح الكبير) _ ابن عصفور الأشبيلي (ت ٢٦٩هـ)، تحقيق: صاحب ابو جناح، سلسلة احياء التراث الإسلامي (٤٢)، دار الكتب، العراق _ الموصل، ٤٠٢هـ ١٩٨٢م.
- ۱۳۰ شرح جمل الزجاجي ابن هشام الانصاري (أبو محمد عبد الله بن جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ت ٧٦١هـ)، دراسة وتحقيق: د. علي محسن عيسى مال الله، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٥م.
- ۱۳۱ شرح ديوان حسان بن ثابت الانصاري، ضبط وشرح وتعليق: عبد الرحمن البرقوقي، دار الاندلس، بيروت، ۱۹۸۰م.
- ۱۳۲ شرح ديوان زهير بن أبي سلمى صنعة ثعلب (أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني ت ٢٩١١ م)، نسخة مصورة طبعة دار الكتب، الدار القومية، القاهرة، ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م.
- ۱۳۳ شرح شواهد المغني _السيوطي، تعليق: محمد محمود بن التلاميد التركزي الشنقيطي، لجنة التراث العربي، ١٣٨٦ هـ ١٩٦٦م.
- ۱۳٤ شرح ابن عقيل ابن عقيل المصري (بهاء الدين عبد الله ت ٧٦٩هـ)، على أُلفية ابن مالك (ابو عبد الله جمال الدين بن مالك ت ٢٧٢هـ)، ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، لمحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، السعادة بمصر، مطبوعات الاوفست، منبر، بغداد، ١٩٨٦م.
- ١٣٥ شرح المعلّقات العشر وأخبار شعرائها _الشنقيطي، دار الاندلسي للطباعة
 والنشر، بيروت، (د.ت).
- ١٣٦ شرح المواهب اللدنية _ محمد بن عبد الباقي الزرقاني المالكي على المواهب اللدنية

- للعلامة القسطلاني (ت ٩٢٣هـ)، وبهامشه زاد المعاد في هدى خير العباد _ ابن القيم (شمس الدين عبد الله الدمشقي الحنبلي)، ط٢، دار المعرفة، طبع بالأوفست بيروت _ لبنان، ١٣٩٣هـ _ ١٩٧٣م.
- ۱۳۷ شرح نهج البلاغة ـ لابن أبي الحديد (ت٦٥٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ١٩٦٢م.
- ١٣٨ الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي _ د. يوسف خليف، مؤسسة المطبوعات الحديثة، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٥٩م.
- ۱۳۹ الشعر الجاهلي _ د. محمد عبد المنعم خفاجي، المدرسة، دار الكتاب اللبناني، بيروت _ لبنان، ١٩٨٦م.
- ١٤٠ الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه د. يحيى الجبوري، دار التربية، بغداد، (د.ت).
- ۱٤۱ الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه د. محمد النويهي، الدار القومية، القاهرة، (د.ت).
- 187- شعر الحرب في العصر الجاهلي _د. علي الجندي، ط٣، مكتبة الجامعة العربية، بيروت، ١٩٦٦م.
- ۱۶۳ شعر الرثاء في العصر الجاهلي (دراسة فنية) ـ د. مصطفى عبد الشافي الشورى، الدار الجامعية، ۱۹۸۳م.
- 184 شعر أبي طالب وأخباره والمستدرك عليه -صنعة أبي هفان، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، دار الثقافة، قم، ١٤١٤هـ ١٩٩٢م.
- ١٤٥ شعر العقيدة في عصر صدر الإسلام حتى سنة ٢٣ هجرية _أيهم عباس حمودي
 القيسي، ط١، النهضة العربية، عالم الكتب، بيروت _لبنان، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.
- ١٤٦ الشعر في حرب داحس والغبراء عادل جاسم البياتي، الآداب، النجف الآشر ف، (د.ت).
- ١٤٧ الشعر والشعراء _ابن قتيبة (أبو محمد عبـد الله بـن مـسلم ت ٢٧٦هــ)، تحقيـق

- وشرح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢م.
- ١٤٨ شيخ الأبطح أبو طالب _ محمد علي شرف الدين الموسوي، دار السلام، بغداد، ١٣٤٩ هـ.

(الصاد)

- 189- صبح الأعشى في صناعة الإنشا _ القلقشندي (أحمد بن علي ت ١ ٨٦هـ)، تعليق وشرح: محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت _ لبنان، ١٤٠٧هـ_١٤٠٧م.
- ۱۵۰ صحيح البخاري _ البخاري (أبو عبد الله محمد بن اسهاعيل بن إبراهيم بن بردزبة ت ٢٥٠٦ هـ)، دار الفكر، بروت _ لبنان، ٢٢١١ هـ _ ٢٠٠١م.
- ۱۵۱- صحيح مسلم مسلم النيسابوري (ابو الحسن بن الحجاج القشيري ت ٢٦١هـ)، ط١، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.
- ۱۵۲ صفة الصفوة _ ابن الجوزي (ابو الفرج جمال الدين ت ۵۹۷هـ)، الضبط: إبراهيم رمضان، وسعد اللحّام، دار الكتب، ببروت _ لبنان، ۱۶۱۹هـ ـ ۱۹۹۹م.
- ۱۵۳ الصورة والبناء الشعري _ محمد حسن عبد الله، الدراسات الأدبية، دار المعارف، مصر، ۱۹۸۱م.

(الضاد)

- ۱۵۶ ضرائر الشعر ابن عصفور (أبو الحسن علي بن مُؤمن بن محمد الحضرميّ الاشبيلي ت٦٦٣هـ)، تعليق: خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.
- ۱۵۵ الضرورة الشعرية (دراسة اسلوبية) ـ السيد إبراهيم محمد، ط۱، دار الاندلس، بيروت، ۱۹۷۹م.

(الطاء)

- ١٥٦ أبو طالب حامي رسول الله عَلَيْنَ وناصره العسكري (الميرزا نجم الدين جعفر الطهراني ت٥٩٥هـ)، النجف، ١٣٨٠هـ.
- ۱۵۷ أبو طالب الرجل المُفتَرى عليه عقيل الخطيب، التعارف، بيروت لبنان، 1819 هـ 1999م.
- ١٥٨- أبو طالب سيد المؤمنين عبد الحليم مرزة، الفياض، النجف، ١٤٢٥ هـ. ٢٠٠٤م.
- 9 ١ ٥ أبو طالب شيخ البطحاء -حسين الشاكري، المؤسسة الإسلامية للتبيلغ والارشاد، سرور، ايران -قم، ١٤٢٢ هـ ٢٠٠١م.
 - ١٦٠ أبو طالب بن عبد المطلب عليالا حسين جواد الكديمي، اسعد، بغداد، (د.ت).
 - ١٦١ أبو طالب مؤمن قريش الشيخ حيدر محمود الكنعاني، (د.ت).
- ۱۲۱ أبو طالب مؤمن قريش عبد الله الخنيزي، ط٥، مؤسسة البلاغ، بيروت لبنان، ١٦٢ أبو طالب مؤمن قريش عبد الله الخنيزي، ط٥، مؤسسة البلاغ، بيروت لبنان،
- ١٦٣ أبو طالب مع الرسول _أ.م. مغنية، دار الكتباب اللبنياني، الحوادث، بيروت، (د.ت).
- ١٦٤ أبو طالب وبنوه محمد علي آل السيد علي خان ت ١٣٩٠ هـ، الآداب، النجف الأشرف، ١٩٩٦ م.
- ۱٦٥ طبقات الشعراء _ ابن المعتز (عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد ت ٢٩٦١هـ)، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١م.
- ۱٦٦- طبقات فحول الشعراء _ الجمحي (محمد بن سلام ت ٢٣١ه _)، تحقيق: محمد محمود شاكر، المدنى، مصر، ١٩٧٤م.
- ۱٦٧ الطبقات الكبرى ـ ابن سعد (أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري ت ١٦٧هـ)، دار صادر، بروت، (د.ت).

- 17۸ طبقات النحويين واللغويين _ الزبيدي (أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي ت ١٣٧٩هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، الخانجي، مصر، ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٤م.
- ١٦٩ الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز _ العلوي (يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم اليمني ت ٧٤٩هـ)، المقتضب، دار الخديوي، مصر، ١٣٣٢هـ ـ
 ١٩١٤م.

(العين)

- ۱۷۰ العجاج عبد الله بن رؤبة حياته ورجزه _د. عبد الحفيظ السلطي، ط٢، التعاونية،
 دمشق، ١٩٨٣م.
- ۱۷۱ العجاج ودوره في تطوير الارجوزة في العصر الأموي _غانم جواد رضا، مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة، ١٩٨٦م.
- ۱۷۲ العقد الفريد _ ابن عبد ربه (أحمد بن محمد الاندلسي ت ٣٢٨هـ)، تحقيق: محمد سعيد العريان، دار الفكر، بروت، (د.ت).
- ۱۷۳ علي بين أمّه وأبيه يجيد الصائغ، الكتاب العربي، بيروت لبنان، ١٤٢٢ هــ ١٠٠١م.
- ١٧٤ على بن أبي طالب من المهد الى اللحد _محمد كاظم القزويني، الآداب، النجف الأشرف، ١٣٨٧ هــ ١٩٦٧م.
- ۱۷۵ العمدة _ ابن البطريق (يحيى بن الحسن الحلي ت ٢٠٠٠)، طبعة حجرية، ايسران، ١٣٠٩هـ.
- ۱۷٦ عمدة الطالب في انساب آل أبي طالب _ ابن عنبة (جمال الدين أحمد بن علي الحسيني ت٨٣٨هـ)، الصدر، ايران _ قم، ١٤١٧ هـ _ ١٩٩٦ م.
- ١٧٧ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده _ ابن رشيق القيرواني (أبو على الحسن ت

- ٥٦ هـ)، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت _لبنان، ١٩٨١هــ ١٩٨١م.
- ۱۷۸ عمدة القاري في شرح صحيح البخاري _ العيني (أبو محمد بدر الدين محمود بن أحمد ت ۸۵۵هـ)، المنبرية، مصم، (د.ت).
- ۱۷۹ العهد الجديد _ ضمن الكتاب المقدس (العهد القديم)، ط٦، مصر الجديدة، القاهرة، ١٩٩٥م.
- ۱۸۰ عيار الشعر _ابن طباطبا (محمد بن أحد بن طباطبا العلوي ت ٣٢٢هـ)، تحقيق:
 د. طه الجابري، د. محمد زغلول سلام، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩٥٦م.
- ۱۸۱ العين _ الفراهيدي (الخليل بن أحمدت ۱۷۵هـ)، تحقيق: د. عبد الله درويش، العانى، بغداد، ۱۳۸٦هـ ١٩٦٧م.
- ۱۸۲ عيون الأثر في فنون المغازي والشهائل والسير _ابن سيد الناس (أبو الفتح محمد بن محمد اليعمري ت ٧٣٤هـ)، دار المعرفة، بيروت _لبنان، (د.ت).

(الغين)

- ۱۸۳ غاية المطالب في شرح ديوان أبي طالب عم النبي عَلَيْهُ محمد خليل الخطيب، ١٩٥١ هـ ١٩٥١ م.
- ١٨٤ الغدير في الكتاب والسُّنة والأدب ـ الأميني (عبد الحسين بن أحمد ت ١٣٩هـ).
 الزهراء، النجف، ١٣٦٩هـ.

(الفاء)

- ۱۸۵ فتح الإله في اختصار السُّنن الكبرى _ البيهقي، اختصار محمد بن أحمد السنقيطي
 الموريتاني، تعليق: رضوان السيد، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٠ هـ _ ١٩٨٠م.
 - ١٨٦ فجر الإسلام_أحمد أمين، ط٧، النهضة المصرية، القاهرة، ١٣٧٤هــ ١٩٥٥م.

- ۱۸۷ الفروسية في الشعر الجاهلي _ د. نوري حمودي القيسي، ط۲، النهضة، عالم الكتب، بروت، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.
- ۱۸۸ فصل المقال في شرح كتاب الامثال _البكري، د. احسان عباس، عبد المجيد عابدين، ط٣، مؤسسة الرسالة، بروت، ١٩٨٣م.
- ۱۸۹ الفصول المختارة من العيون والمحاسن للشيخ المفيد _الشريف المرتضى ت (٤٣٦هـ)، تحقيق: السيد علي مير شريفي، ط٢، سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد (٢)، دار المفيد، بيروت _ لبنان، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.
- ١٩٠ فضاء البيت الشعري عبد الجبار داود البصري دار الشؤون العامة، بغداد ١٩٩٦م.
- ۱۹۱ فقه اللغة العربية _ د. كاصد ياسر الزيدي، مديرية دار الكتب جامعة الموصل، ١٩٨٧ م.
- ۱۹۲- فقه اللغة وخصائص العربية _ محمد المبارك، ط٢، دار الفكر الحديث، لبنان، ١٩٦٤م.
- ۱۹۳ فقه اللغة وسنن العربية في كلامها _الـصاحبي (أحمـد بـن فــارس ت٣٩٥هـــ)، السلفية، المؤيد، ١٩١٠م.
- ۱۹۶- فن التقطيع الشعري والقافية د. صفاء خلوصي، ط٤، المثنى، دار الكتب، بروت، ١٩٧٤م.
- ۱۹۵ الفهرست ـ ابن النديم (أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب استحاق ت ٣٨٠هـ)، ضبط وشرح: د. يوسف علي الطويل، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ٢٢٢ هـ ٢٠٠٢م.
- 197- في اللهجات العربية _د. إبراهيم أيس، ط٢، لجنة البيان العربي، القاهرة، 1907م.
- ۱۹۷ في النقد الأدبي _د. شوقي ضيف، ط٥، الدراسات الأدبية، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٨٨م.

(القاف)

- ۱۹۸ قبسات من حياة عبد مناف أبي طالب _ جواد كاظم القزاز الموسوي، مكتبة الحسن، النجف، ۱۶۲۱هـ ـ ۲۰۰۰م.
 - ١٩٩ قصص الانبياء ابن كثير، ط٢، النهضة، اوفسيت منير، بغداد، ١٩٨٦م.
 - ٢٠٠ قضايا الشعر المعاصر _ نازك الملائكة _ ط ٥، دار العلم للملايين، ١٩٧٨م.

(الكاف)

- ٢٠١ الكافي _ الكليني (محمد بن يعقوب البغدادي ت٣٢٨هـ) دار الكتب الإسلامية،
 اير ان/ ١٣٨٨هـ.
- ٢٠٢- الكافي في العروض والقوافي _الخطيب التبريزي (ت ٢٠٥هـ)، تحقيق: حميد حسن الخالصي، شفيق، بغداد، ١٤٠٢هـ_ ١٩٨٢م.
- 7٠٣ الكامل في التاريخ _ ابن الأثير (أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ت ٢٣٠ه _)، تعليق: نخبة من العلاء، دار الكتاب العرب، بيروت _ لبنان، ١٣٨٧ هـ ١٩٨٧ م.
- ۲۰۶ الكتاب (كتاب سيبويه) ـ (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ت ۱۸۰ هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط۳، الخانجي، المدني، القاهرة، ۲۰۸ هـ ـ ـ وشرح.
 ۱۹۸۸ م.
- ٢٠٥ كتاب الصناعتين الكتابة والشعر _العسكري، تحقيق: د. مفيد قميحة، ط٢، دار
 الكتب العلمية، بيروت _ لبنان، ٤٠٩ هـ _ ١٩٨٩م.
- ٢٠٦ كفاية الطالب في مناقب آل أبي طالب _الشافعي (أبو عبد الله محمد بن يوسف)،
 تحقيق: محمد هادي الأميني، ط٢، الحيدرية، النجف الاشرف، ١٣٩٠هـ.
- ٢٠٧ كنز العمال في سُنن الاقوال والافعال _ البرهان (علاء الدين المتقي بن حسام الدين الهندى ت ٩٧٥هـ)، دار المعارف النظامية، حيدر آباد، ١٣١٣هـ.

۲۰۸ - كنز الفوائد _الكراجكي (أبو الفتح محمد بن علي بن عثمان الطرابلسي ت ٤٠٥ - ٢٠٨ هـ ـ كنز الفوائد _الشيخ عبد الله نعمة، دار الأضواء، بيروت _لبنان، ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م.

(اللام)

- ۲۰۹ لزوم ما لايلزم (اللزوميات)_المعري (أبو العلاء أحمد بن عبدالله ت٤٤٩هـ)،
 دار صادر، ببروت، (د.ت).
- ۲۱۰ لسان العرب _ ابن منظور (أبو الفيضل جمال الدين بن مكرم ت ۷۱۱ه_)،
 تصحيح: أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، ط٣، دار احياء التراث العرى، بروت _ لبنان، (د.ت).
- ۲۱۱ ليالي بيشاور _ محمد سلطان العلماء الشيرازي (ت ۱۳۹۱ هـ)، تعريب وتحقيق: حسين الموسوى، بعروت _ لبنان، ۱۶۲۱ هـ.

(الميم)

- ٢١٢- ما يجوز للشاعر في الضرورة ـ لابن القزاز (أبو عبد الله محمد بن جعفر القيرواني المتوفى بحدود ٢١١هـ)، تحقيق: المنجي الكعبي، الدار التونسية، تونس، ١٩٧١م.
- ۲۱۳ المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر _ ابن الأثير (ضياء الدين ت ٦٣٧ه ـ)، تحقيق: د. أحمد الحوف، د. بدوى طبانة، ط١، النهضة، الفجالة، القاهرة، ١٣٧٩ هـ.
- ٢١٤ جمع الامثال _ الميداني (ابو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري ت ١٨٥هـ)،
 تحقيق: محمد محى الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، (د.ت).
- ٢١٥ جمع البيان في تفسير القرآن _ الطبرسي (أبو علي الفضل بن الحسن ت ٥٤٨هـ)،
 تحقيق: هاشم الرسولي المحلاتي، دار احياء التراث العربي، بيروت _ لبنان، ١٣٧٩هـ.
 ٢١٦ لمُحبر _ ابن حبيب (أبو جعفر محمد بن حبيب بن أُمية بن عمر الهاشمي البغدادي

- ت ٢٤٥هـ)، تصحيح: د. إيلزّه ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، (د.ت).
- ۲۱۷ مختصر القوافي _ ابن جني (أبو الفتح عثمان ت ٣٩٢هـ)، تحقيق: حسن شاذلي فرهود، ط١، دار التراث، الحضارة العربية، الفجالة، القاهرة، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.
- ٢١٨ المدائح النبوية _ زكى مبارك، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٣٥٤ هـ ١٩٣٥م.
- ٢١٩ مروج الذهب ومعادن الجوهر المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن المسعودي ت ٣٤٦هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط٢، السعادة، مصر، المسعودي ت ١٩٤٨م.
- ٢٢٠ المزهر في علوم اللغة العربية وانواعها _السيوطي، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى،
 محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، دار احياء الكتب العربية، القاهرة،
 (د.ت).
- ۲۲۱ المستقصى في امثال العرب -الزمخشري، ط۲، دار الكتب العلمية، بيروت، ۱۹۸۷ م.
- ٣٢٢- مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التأريخية _د. ناصر الدين الأسد، ط٨، دار الجيل، بروت، ١٩٩٦م.
 - ٢٢٣ المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية العسقلاني، بروت، د.ت.
 - ٢٢٤- مظلومية أبي طالب علاء المالكي، الضياء، النجف، ١٤٢٤ هـ ٣٠٠٣م.
- ٥٢٧- المعارف _ابن قتيبة، تحقيق: ثروت عكاشة، وزراة الثقافة والارشاد القومي، دار الكتب، بيروت، ١٣٧٩هـ ـ ١٩٦٠م.
 - ٢٢٦- معاني الاخبار _ الصدوق، الحيدرية، النجف، ١٣٩١ هـ ـ ١٩٧١م.
- ۲۲۷ المعاني الكبير ابن قتيبة، ط۱، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ۱٤٠٥هــ ١٩٨٤م.
 - ۲۲۸ معانى النحو_د. فاضل صالح السامرائي، دار الحكمة، بغداد، ۱۹۹۰م.
- ٢٢٩ معجم الأدباء _ الحموي (ابو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي ت

- ٢٢٦هـ)، تحقيق: د. أحمد فريد الرفاعي، دار المأمون، مصر، (د.ت).
- ۲۳۰ معجم البلدان _الحموي، دار صادر، دار بیروت، بیروت، ۱۳۷۶هـ _۱۹۵۰م، ۱۳۷۲هـ _۱۹۵۷م.
- ۲۳۱- المعمرون والوصايا _ السجستاني (ابو حاتم ت ۲۵۰هـ)، تحقيق: عبد المنعم عامر، دار احياء الكتب العربية، عيسي البابي الحليي، ١٩٦١م.
- ٣٣٢ مُغني اللبيب عن كتب الأعاريب _ابن هشام، تحقيق: د. مازن المبارك، محمد علي حمد الله، مؤسسة الصادق، طهران، ١٣٧٨هـ.
- ٣٣٣ مقاتل الطالبيين _ الأصفهاني، تحقيق: السيد أحمد صقر، ذوي القربى، ايران، قم، (د.ت).
- ۲۳۶ مقاییس اللغة _ابن فارس (أحمد بن فارس بن زكریا ت ۳۹۵ه_)، تحقیق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الاعلام الإسلامي، قم، ٤٠٤ هـ.
- ۲۳۵ المقتضب المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد ت ۲۸۵هـ)، تحقيق: عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت، ۱۳۸۲ هـ ۱۹۲۳م.
- ٢٣٦ مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي ـ د. حسين عطوان، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٧٠م.
- ۲۳۷ مقدمة القصيدة العربية في صدر الإسلام _ د. حسين عطوان، دار الجيل، بيروت
 لبنان، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.
- ٢٣٨ مقدمة القصيدة العربية في العصر الأموي _ د. حسين عطوان، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٧٤م.
- ۲۳۹ مكانة القصيدة العربية بين نقاد والرواة العرب _د. عناد غزوان، النعمان،
 النجف، ۱۳۸۷ هـ ۱۹۶۷م.
- ٢٤٠ مناقب آل أي طالب _ ابن شهر آشوب (أبو عبد الله رشيد الدين محمد بن علي بن شهر السوب بن أبي نصر المازندراني ت٥٨٨هـ)، تحقيق: لجنة من الاساتذة،

- الحيدرية، النجف، ١٣٧٦ هـ ١٩٥٦م.
- ۲٤۱ منهاج البغاء وسراج الأدباء _ القرطاجني (أبو الحسن حازم ت ٦٨٤هـ)، تحقيق:
 محمد الحبيب بن الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، ١٩٦٦م.
- ۲٤۲- المواجهة مع الرسول عَلَيْهُ أحمد حسين يعقوب، فروردين، مركز الغدير للدراسات الإسلامة، ١٤١٧هـ.
- ٣٤٣- مواهب الواهب في فضائل والد أميرالمؤمنين أبي طالب على النقلي (جعفر بسن عمد ت ١٣٧٠هـ)، تحقيق: د. محمد هادي الأميني، ط٢، شركة الكتبي، بميروت _ لبنان، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.
- ٢٤٤ موسيقى الشعر ـ د. إبراهيم أنيس، ط٤، مكتبة الانجلو المصرية، المطبعة الفنية
 الحديثة، ١٩٧٢م.
 - ٧٤٥ موسيقي الشعر العربي ـ د. شكري محمد عيّاد، ط١، دار المعرفة، ١٩٦٨م.
- ٢٤٦ ميزان الذهب في صناعة شعر العرب السيد أحمد الهاشمي، النقاء، منير، بغداد، 19٨٢ م.

(النون)

- ٧٤٧ نزهة الالباء في طبقات الأُدباء (تاريخ الأدباء النُحاة) ـ الانباري (ابو البركات عبد الرحمن بن محمد بن سعيدت ٥٧٥هـ)، قدم له: علي يوسف، جمعية احياء مآثر علماء العرب، مصر، (د.ت).
- ٣٤٩ النقد الأدبي _ وليم فان اوكونور، ترجمة: صلاح أحمد إبراهيم، دار صادر، دار بيروت، ١٩٦٠م.
- · ٢٥٠ النقد الأدبي الحديث_ د. محمد غنيمي هلال، دار الثقافة، دار العودة، بيروت_

- لبنان، ١٩٧٣م.
- ۲۵۱ نقد الشعر _قدامة (أبو الفرج قدامة بن جعفر ت ٣٣٧هـ)، تحقيق: د. محمد عبد
 المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بروت _لبنان، (د.ت).
- ٢٥٢- نقد الشعر في المنظور النفسي _ د. ريكان إبراهيم، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٩م.
- ۲۵۳ النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع دد. نعمة رحيم العزاوي، سلسلة دراسات (۱۳۲)، دار الحرية، بغداد، ۱۳۹۸ هــ ۱۹۷۸م.
- ٢٥٤ النقد المنهجي عند العرب د. محمد مندور، النهضة المصرية، الفجالة، القاهرة، (د.ت).
- ۲۵۵ النكت الاعتقادية ورسائل اخرى (ايهان أبي طالب) _ السيخ المفيد، مؤسسة البعثة، ط۲، دار المفيد، بروت _ لبنان، ١٤١٤هـ _ ١٩٦٠م.
- ٢٥٦ نهاية الأرب في فنون الأدب _النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت ٢٥٦ مياية الأرب في فنون الأدب _النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت ٢٥٦٨ هـ ١٩٧٥ هـ ١٩٧٥ مياية القاهرة، ١٣٤٢ هـ ١٩٧٥ مياية القاهرة، ١٣٤٢ هـ ١٩٧٥ مياية القاهرة، ١٣٤٢ مياية القاهرة، ١٩٢٤ مياية الماية الماي
- ٢٥٧ نيل المطالب في مظلومية أبي طالب علي عفراوي الطرفي، ط١، دار المحجة البيضاء، بيروت لبنان، ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥م.

(الواو)

- ٢٥٨ وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية دد. نوري حمودي القيسي، مؤسسة دار الكتب، جامعة الموصل، العراق، ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م.
- ۲۰۹ الوساطة بين المتنبي وخصومه _ الجرجاني (القاضي علي بن عبدالعزيز ت٣٦٦هـ)
 تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، ط٣، دار احياء الكتب العربية، مطبعة عيسى الحلبي، (د.ت).
- ٢٦٠ وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان ـ لابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد

بن محمد بن أبي بكر ت ٦٨١هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، النهضة المصرية، السعادة، القاهرة، ١٣٦٧هـ ١٩٤٨م.

(الياء)

٢٦١ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر _ الثعالبي (ابو منصور عبد الملك بن محمد بين السياعيل النيسابوري ت ٤٢٩هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٢،
 المكتبة التجارية الكبرى، السعادة، القاهرة، ١٣٧٥هـــ١٩٥٦م.

الرسائل والأطاريح الجامعية

- ٣٦٢- البناء الفني للملحمات في جمهرة اشعار العرب (رسالة ماجستير) _ حسين عبد حسين حمرة الوطيفي، جامعة الكوفة _ كلية الاداب، قسم اللغة العربية، ١٦١ هـ _ _ . ١٩٩٦م.
- 77۳ شعر قريش في الجاهلية وصدر الإسلام (دراسة موضوعية فنية) ، ومعها مجموع شعر قريش في الجاهلية وصدر الإسلام (اطروحة دكتوراه) _ محمد عبد الرشيد سارى، جامعة الكوفة _ كلية الاداب، قسم اللغة العربية، ١٤٢٤هـ _ ٢٠٠٤م.
- ٢٦٤ لغة شعر ديوان الحماسة لابي تمام (رسالة ماجستير) _ عبد القادر على محمد
 باعيس، جامعة الكوفة _ كلية الاداب، قسم اللغة العربية، ١٤١٦هـ _ ١٩٩٦م.

الدوريات والمجلات

7٦٥- ادارة مكة قبل الإسلام (بحث) _ د. خالد صالح العسلي، مجلة المؤرخ العربي

- العدد: ٤٤، السنة السادسة عشرة، الامانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد، 181 هــ ١٩٩١م.
- ٢٦٦ اقتباس الآي القرآني في الشعر العربي (بحث) ـ علي حسن مطر، مجلة رسالة القرآن، العدد الثاني عشر، دار القرآن الكريم، ايران، قم، ١٤١٣ هـ.
- ٢٦٧- ايمان أبي طالب علي المن مصادر علماء السُّنة عبد الحليم حاتم مرزة، محاضرة أُلقيت في مجلس آل موزة الأدبي في النجف الاشرف بتاريخ ٢٥ رمضان لسنة 1٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.
- ٢٦٨ بناء القصيدة عند الشريف الرضي (بحث) _ د. عناد غزوان، ضمن كتاب الشريف الرضي دراسات في ذاكرة الألفية، سلسلة كتب شهرية تصدر عن دار آفاق عربية (٧)، العراق، بغداد، ١٩٨٥م.
- ٢٦٩ تدوين السيرة النبوية ودراستها (بحث) _ السيد محمود الهاشمي، مجلة المنهاج
 الصادرة، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، السنة الاولى، بيروت، ١٤١٦ هـ _
 ١٩٩٦م.
- ۲۷- زيد بن عمرو بن نُفيل حياته وما تبقى من شعره (بحث) د. أيهم عباس القيسي، مجلة المورد، دار الشؤون الثقافية العامة، المجلد التاسع والعشرون، العدد الرابع، بغداد، ۱٤۲۲هـــ ۲۰۰۱م.
- ۲۷۱ أبو طالب ايهانه وأخلاصه للرسالة (بحث) ـ عهاد سرور، مجلة الثقافية الإسلامية العدد: ۹۲، ۱۸ السنة التاسعة عشر، دمشق، ۱٤۲٤ هـ ـ ۲۰۰۳م.
- ٢٧٢ أبو طالب مؤمن قريش (بحث)_المعهد الثقافي للتخصص والدراسات القرآنية،
 ٢٧٤ المجلد الخامس، الأعداد: ٢٤ ـ ٢٧، السنة السابعة، ١٤١٧هــ بجلة المعارج، المجلد الخامس، الأعداد: ٢٤ ـ ٢٧، السنة السابعة، ١٤١٧هــ بجلة المعارج، المجلد الخامس، الأعداد: ٢٤ ـ ٢٧، السنة السابعة، ١٤١٧هــ
- ٢٧٣ قراءة معاصرة في مقدمة القصيدة الجاهلية (بحث) د. محمود عبد الله الجادر،
 بحلة الاقلام، دار الجاحظ، العدد الثاني عشر، بغداد، ١٩٧٩م.

الخة الشاعر (بحث) عزيز أباظة، مجلة مجمع اللغة العربية، الجزء الخامس والعشرون، الهيأة العامة لشؤون المطابع الأميريا، دمشق، ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩م.
 ورقة بن نوفل حياته وشعره د. أيهم عباس حمودي القيسي، مجلة المورد، دار الشؤون الثقافية العامة، المجلد السابع عشر، العدد الثاني، بغداد، ١٩٨٨م.



繁 الفهرس

المقدمة

11	التمهيد
11	• جانب من حياة أبي طالب
17	 إيهان أبي طالب ومسيرته مع رسول الله عَلَيْواللهِ
	الفصل الأول
	مصادر شعره وتوثيقه ·
	مفتتح الفصل: النحل والوضع في الشعر
	• ديوان أبي طالب
	• رواة الديوان
٦٥	• جمع شعره
VV	• توثيق شعره

الدراسة أولاً: في الموضوع

114

الفصل الثاني الرثاء والفخر والمديح

1 1 Y	مفتتح الفصل: علاقة الرثاء بالفخر والمديح
119	• الرثاء
17 •	_ الندب
170	_ التأبين
14	_العزاء
\ r \ r \	• الفخر
100	• المديح
107	الأول: المديح النبوي
١٦٨	الثاني: المديح العام
	الفصل الثالث
	العقيدة
١٧٥	مفتتح الفصل: شعر العقيدة
177	• التو حمد

١٨١	• التصديق
١٨٤	أولاً: المعجزة
141	ثانيا: النصرة
Y • 1	_الحث على الصبر
۲۰٤	_النصيحة
Y11	ـ الوصية
	الفصل الرابع
	العتاب والتحذير والتهديد والهجاء
Y 1 9	مفتتح الفصل: علاقة العتاب بالتحذير والتهديد والهجاء
YY 1	• العتاب
YYY	_العتاب الفردي
YW1	_العتاب الجماعي
YWA	• التحذير والتهديد
Yo	• الهجاء
	ثانياً
Y71	
, , ,	في الفن
	الفصل الخامس
	البناء الفني في شعره
۲٦٥	مفتتح الفصل: بناء القصيدة

أولاً: القصائد ذوات المقدمات
_ المقدمة
• وصف الهموم والشكوى
• الطلل:
_ الغوض
• بناء تعدد الأغراض في القصيدة الواحدة
ثانيا: بناء القصيدة المباشرة والمقطوعات
أ- بناء الغرض البسيط
ب- بناء الغرض المركب
ثالثا: الرجز
أ- بناء الغرض البسيط
ب- بناء الغرض المركب
الفصل السادس
لغة شعره
مفتتح الفصل: بناء اللغة
_ الألفاظ
• الأعلام
أ- أسماء الرجال
ب- أسماء النساء

MAN	جـ- أسهاء القبائل
TT1	• الأمكنة
٣٤٠	– الصياغة
ToY	• النفي
Ψοο	• التوكيد
TOV	• الاستفهام
۳٦١	• الأمر
777	• النداء
٣٦٥	- أثر الإسلام في لغة شعره

الفصل السابع الإيقاع في شعره

٣٨٩	مفتتح الفصل: اللغة الإيقاعية
٣٩•	أولاً: الوزن
~90	ثانيا: القافية
٤٠٨	أ- التجميع
٤٠٩	ب- الإفواء
٤١٠	جـ- الإيطاء
{	– الظواهر الإيقاعية

أ- التكرار اللغظي 17 ب- التكرار اللغظي 17 ج- تكرار المعنى 18 • التدوير 18 • الضرائر 10 الضورة الفنية في شعره 19 الفصل: بناء الصورة المعارة 19 - مصادر الصورة في شعره 18 - وسائل الصورة البيانية 17 التشبيه 17 الكناية 17 الستعارة 10 الملاحق 10 الملاحق 10 المحق رقم (۱) المستدرك 10	£11	• التكرار
جـ تكرار المعنى ١٩٤٩ ١٩٨٩	٤١٣	أ- التكرار اللفظي
• التدوير • التدوير • الضرائر ١٥٣٥ الصورة الفنية في شعره ١٤٤ - مصادر الصورة في شعره ٩٤٤ - وسائل الصورة البيانية ١٢٤ • التشبيه ١٢٤ • الكناية ١٧٠ ±اتمة ١٨٤ • الاستعارة ١٨٨ • ملحق رقم (١) ١٩٨٤	£YY	ب- التكرار التركيبي
• الضرائر	£YY	جـ- تكرار المعنى
الفصل الثامن الصورة الفنية في شعره الصورة إلفنية في شعره المصادر الصورة في شعره	£Y4	• التدوير
الصورة الفنية في شعره - مصادر الصورة في شعره	٤٣٥	• الضرائر
الصورة الفنية في شعره - مصادر الصورة في شعره		
مفتتح الفصل: بناء الصورة في شعره	من	الفصل الثاه
- مصادر الصورة في شعره	ي شعره	الصورة الفنية في
- وسائل الصورة البيانية • التشبيه • الكناية • الكناية • الكناية • الاستعارة الملاحق ملحق رقم (۱)	£ £ V	مفتتح الفصل: بناء الصورة
• التشبيه	£ £ 9	- مصادر الصورة في شعره
	£71	- وسائل الصورة البيانية
• الاستعارة	£77	• التشبيه
خانمة	٤٧٠	• الكناية
ا ئملاحق • ملحق رقم (۱)	٤٨٣	• الاستعارة
• ملحق رقم (۱)	٤٨٩	الخاتمة
• ملحق رقم (۱)		
		الملاحق
• ملحق رقم (۲) المستدرك	£9V	• ملحق رقم (١)
	0 • 1	• ملحق رقم (٢) المستدرك

011	المصادر والمراجع
o { \	الفهرس
A - D	ملخص الكتاب باللغة الانكليزية



considered as a literary phenomena to originate a poetic art, whether on the level of subject or the level of art, in composing the complex introductions and subjects that are prepared to originate the Islamic poem structure.



Islamic call as a defender of the new religion and the Prophet, so most of his poetry were invested to defend his nephew.

- The large quality of Abu Talib, his multi-purposes, the good quality of his work and the rich imagery were of distinguished characteristics of his poetry that attract the admiration of Ibn Salam and the men who were interested in literature such as Ibn Katheer, Al-Oastalany and others.
- The new Islamic phenomena of poetry had been rooted in the poetry of Abu Talib before the other poets of the great Prophet such as Hassan bin Thabet, Ka'eb bin Malik and Abdullah bin Rawaha, due to be a contemporary of him during the mission time before the poetic battles between the Islamic poets in Madina and the polytheists in Mecca.
- The Islamic poems of Abu Talib represented the spirit and events of Islam due to his continuous interaction with the new Islamic status and the psychological, social, religious and political data that affected it, so his different emotion had formed his loyalty to the monotheism message and religious doctrine, and the poems he had wrote described the Qyrayshy opposition of Islam and how to face it, so it formed documents for the historical events and a call for the new religion.
- Abu Talib's poetry was exposed to changes and developments, it includes many Islamic meanings and structures which carried the Arabic poem to a new phase that it can be

represents a transitional period from the Pre_Islamic period's claws to the lights of Islam, and it is known that the literary phenomena did not develop directly through the transitional period, and there are few poets had competed in a real poetic battle, they looked at call as it could be extinguished, so that this era did not witness any clear literary movement, but it had the roots of the new Islamic literary phenomena, especially in the poetry of Abu Talib whose poetry represent the foundation of the literary phenomena in the Islamic literature, and an important stage of that period, that the research limits reach close time of the Prophet's Hegira to AL Madina. Studying the poetry of Abu Talib includes documentary and studying it on two levels: subject and art.

The most important results of the research can be summarized in:

• The poet Abu Talib is one of the poets who lived through paganism and Islam, and his poems in the Pre-Islamic period were few and were not compared with poems in the Islamic period due to stabilized life he lived. People of Mecca are just and did not of wars, and he did not have poetic motives that motivate his emotions, but the lights of Islam enlightened Mecca with a spiritual coup opened the way for Abu Talib to emerge within the new condition of the Islamic call which Quraysh had faced, so it provided him with a poetic ability to diffuse the

Abu Talib's Poetry _ A Literary Study_

Hanaa' Abbas E'laywy Kashkool

Summary

One of the reasons of studying Abu Talib's poetry is that the literary writers did no pay his poetry the attention and the literary study it deserved, that we did not find a specific literary book to give an honest image for the art of this poet, and the books did not give a real image for the Islamic poetry in the mission era that accompanied the public declaring of the Islamic call in Ouraysh and notifying the tribe of the Prophet (prayer and peace be upon him and his pure and honorable household). the era that lasted for ten years through which Abu Talib accompanied his nephew as a supporter, protector, sponsor and defender against the harm of Quraysh's polytheist where this was considered one of the most sacred era for the Moslems because it represents the time of revelation and diffusing the Islamic call, and it seems that literature did not pay attention to studying the literary phenomena in the mission era because it